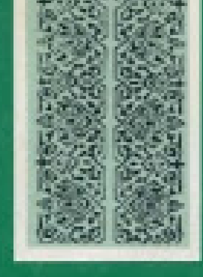
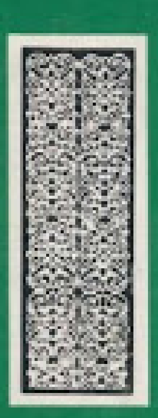


تحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون





تأليف
عبد القادر بن عمر البغدادي
١٠٣٠ - ١٠٩٣

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة الخانجي بالقاهرة



ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ — ١٠٩٣

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الجزء الثاني

مكتبة الخانجي بالقاهرة



المنصوبات

أنشد في :

المفعول المطلق

وهو الشاهد الثاني والثمانون ، وهو من شواهد س[1] :

٨٢ ﴿ هذا سُراقةُ للقرآنِ يدرُسهُ والمرء عندالرُّشا إنْ يَلقَها ذِيبُ ﴾

على أنّ الضمير في (يدرسه) راجع إلى مضمون يدرس ، أي يدرس الدرس ، فيكون راجعاً للمصدر المدلول عليه بالفعل ؛ وإنما لم يجز عوده للقرآن لئلّا يلزم تعدّى العامل إلى الضمير وظاهره معاً .

واستشهد به أبو حيّان في شرح التسهيل على أن ضمير المصدر قد يجيء مراداً به التأكيد ، وأن ذلك لايختص بالمصدر الظاهر على الصحيح .

وأورده سيبويه على أن تقديره عنده : والمرء عند الرُّشا ذئبٌ إن يَلقَها .

وتقديره عند المبرد : إن يلقها فهو ذئب .

وهذا من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يقف على قائلها أحد . قال الأعلم : « هجا هذا الشاعر رجلاً من القرّاء نسب إليه الرياء وقبول الرُّشا والحرص عليها ». وكذلك أورده ابن السرّاج في الأصول .

---

(١) سيبويه ١ : ٤٣٧ . وانظر أيضا الخزانة ٢ : ٣/٢٨٣ : ٥٧٢ ، ٤/٦٤٩ : ١٧٠ والهمع ٢ : ٣٣ وشرح شواهد المغنى ٢٠٠ وابن الشجرى ١ : ٣٣٩ .

وزعم الدماميني في الحاشية الهندية : أن هذا البيت من المدح لا من الهجاء ، وظنّ أن (سُراقة) هو سُراقة بن جُعشُم الصحابي – مع أنه في البيت غير معلوم مَن هو – وحرّف فيه تحريفات ثلاثة :

الأول أن الرُّشا بضم الراء والقصر : جمع رشوة ؛ فقال : هو بكسر الراء مع المدّ : الحبل ، وقصَره للضرورة وأنّثه على معنى الآلة . وكلامه هذا على حدّ : « زنّاه وحدّه[1] » .

والثاني : أن قوله يَلقَها بفتح الياء من اللُّقِيّ ، وهو ضبطه بضم الياء من الإلقاء .

والثالث : أن قوله ذيب بكسر الذال وبالهمزة المبدلة ياء وهو الحيوان المعروف ؛ وهو صحّفه ذَنَباً بفتح الذال والنون ، وقال : قوله عند الرشا متعلق بذنَب لما فيه من معنى التأخّر ، والمعنى : إن يُلقِ إنسان الرشا فهو متأخّر عند إلقائها ، يريد أن سراقة درس القرآن فتقدّم والمرء متأخر عند اشتغاله بما لا يهم كمن امتهن نفسه في السقي وإلقاء الأرشِيَة في الآبار .

هذا كلامه ؛ وتبعه فيه الشُّمُنّي[2] . فاعتبروا يا أُولي الأبصار !

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون ، وهو من شواهد[3] س :

---

(١) أي اتهمه بالزنى ثم أقام عليه الحد .

(٢) في هامش أصل الطبعة الأولى : « لم يتابعه الشمني فيما رأيت ، وانما ذكر عبارته ثم ذكر بعدها الصواب » .

(٣) سيبويه ١ : ٩ . وسيعاد في ٢ : ٣/٣٣٩ : ٤٤٣ . وانظر الهمع ١: ٦١ وابن الشجرى ٢: ٢٠٨ والخصائص ١ : ٨٩ والانصاف ٦٨٠ وشرح شواهد الشافية ٢٩٠ .

٨٣ ﴿ دارٌ لسُعدىٰ إذْهِ مِنْ هَوا كا ﴾

على أن المصدر بمعنى اسم المفعول أى من مَهويّك .

وبهذا المعنى أورده أيضاً فى باب المصدر ، فإن الهوىٰ بالقصر مصدر هوِيته من باب تعب : إذا أحببته وعلِقت به .

وأنشده أيضاً فى باب الضمير على أن الياء قد تحذف ضرورة من (هى) إذ أصله إذ هِى من هواكا . ولهذا الوجه أورده سيبويه ؛ قال الأعلم : سكن الياء أوّلا ضرورةً ثم حذفها ضرورة أخرى بعدالإسكان تشبيهاً لها بعد سكونها بالياء اللاحقة فى ضمير الغائب إذا سكَن ما قبله ، والواوِ اللاحقة له فى هذه الحال نحو عليه ولديه ، ومنه وعنه(١) .

٢٨

ومثله للنحاس قال : « والذى أحفظه عن ابن كيسان : أنّ هذا على مذهب من قال : هىْ جالسة . بإسكان الياء . وهذا قول حسن » اه .

وهذه الياء من سِنْخ الكلمة(٢) ، وحذفها أقبح من حذف الياء فى قوله :

* سأجعل عينيه لنفسهِ مقنعا(٣) *

لأن الياء التى تتبع الهاء فى (نفسه) ليست من بنية الضمير . قال المبرّد : حذَف الياء من قوله : لنفسه ، لأنها زائدة زيدت لخفاء الهاء ، وكذلك الواو ، وأنك تقف بغير ياء ولا واو ؛ فلما اضطُرّ حذَفهما فى الوصل كما يحذفان فى الوقف ؛ ودلّ عليهما ما بقى من حركة كلّ واحد منهما .

---

(١) ط : « وعليه » ، صوابه فى ش .
(٢) السنخ : الأصل . وفى ط « نسيج الكلمة » صوابه فى ش .
(٣) صدره كما فى سيبويه ١ : ٢٩٧ والانصاف ٥١٧ :
* فان يك غثا أو سمينا فاننى *

وقال أبو الحسن الأخفش : حذَف الياء لأن الاسم إنّما هو الهاء ، فردّه إلى أصله ، وحرف اللين اللاحق لها زائد .

وقوله (دار لسعدى) خبر لمبتدإ محذوف أى هذه ؛ وقدّره ابن خلف : فى دار ، أو هو دار . و (إذ) عامله الظرف قبله . قال الأعلم : وصف داراً خلت من سُعدى : هذه المرأة ، وبعُد عهدها بها فتغيَّرت بعدها ؛ وذكر أنها كانت لها داراً ومستقراً إذْ كانت مقيمة بها ، فكان يهواها بإقامتها فيها .

وهذا البيت أيضاً من الأبيات الخمسين التى لم يعلم قائلها ولا يعرف له ضميمة ، ورأيت فى حاشية اللباب أن ما قبله :

(هل تعرفُ الدارَ علىٰ تِبرا كا)

بكسر التاء المثناة ، وهو موضع . قال أبو عبيد[1] فى معجم ما استعجم : « تِبراك بكسر التاء : موضع فى ديار بنى فَقْعَس » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون[2] :

٨٤ * إذا الداعى المثوِّبُ قالَ يالاَ *

وصدره (فخيرٌ نحنُ عند البأس مِنكُمْ)

على أن (اللام) خلطت بـ (يا) أراد أنه خلطت لام الاستغاثة الجارّة بيا حرفِ النداء وجعلتا كالكلمة الواحدة ، وحُكيتا كما تحكىٰ الأصوات ، وصار المجموع شعاراً للاستغاثة .

---

(١) ط : « أبو عبيدة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) انظر العينى ١ : ٥٢٠ والهمع ١ : ١٨١ والخصائص ١:٢٧٦/٢: ٣/٣٧٥ : ٢٢٨ وشرح شواهد المغنى ٢٠٣ ، ٢٨٦ ونوادر أبى زيد ٢١ .

قال أبو زيد فى نوادره : أراد يا لَبنى فلان ، يريد حكاية الصارخ المستغيث . وهذا مذهب أبى علىّ أيضاً وأتباعه ، والأصل عندهم يا لَبنى فلان أو يا لَفلان ، فحذف ما بعد لام الاستغاثة كما يقال : « ألا تا » فيقال « ألا فا » يريدون : ألا تفعلوا وألا فافعلوا . وهذا أحد مذاهب ثلاثة فيه .

ثانيها : أن المنادى والمنفىّ بلا محذوفان ، أى يا قوم لا تغدوا . ذكره ابن مالك فى شرح التسهيل وابن هشام فى المغنى .

ثالثها : أنه بقية يا آل فلان ، وهو مذهب الكوفيين ، قالوا فى يا لَزيد : أصله يا آل زيد فحذفت همزة أل للتخفيف وإحدى الألفين لالتقاء الساكنين ، واستدلوا بهذا البيت وقالوا : لو كانت اللام جارّة لَمَا جاز الاقتصار عليها . قال الشارح المحقق : وهو ضعيف ، لأنه يقال ذلك فيما لا آل له ، نحو : يا لله ويا لَلدواهى ، ونحوها .

وأجاب ابن جنى فى الخصائص عن دليلهم بقوله : « فإن قلتَ : كيف جاز تعليق حرف الجر ؟ قلتُ لمّا خُلِط بيا[1] صار كالجزء منها ، ولذلك شبّه أبو علىّ ألِفه التى قبل اللام بألِف باب ودارٍ ، فحكم عليها بالانقلاب . وحَسَّن الحالَ أيضاً شىء آخر : وهو تشبُّث[2] اللام الجارة بألف الاطلاق ، فصارت كأنها معاقِبة للمجرور ، ألا ترى أنك لو أظهرت ذلك المضاف إليه وقلت : يا لبنى فلان ، لم يجز إلحاق الألف هنا ، [وجرتْ ألف الإطلاق][3] فى منابها عما كان ينبغى أن يكون بمكانها ، مجرىَ ألف الإطلاق ، فى منابها عن[4] تاء التأنيث فى نحو قوله :

---

(١) ش : « بلا » صوابه فى ط والخصائص ٢ : ٣٧٥ .
(٢) فى النسختين : « تثبت » ، والوجه من الخصائص .
(٣) التكملة من الخصائص .
(٤) ش : « على » ، صوابه فى ط والخصائص .

٢٢٩ ولاعَبَ بالعشىِّ بنى بَنيـهِ كفِعلِ الهِرِّ يحترش العظايا[١]

وكذلك نابت واو الإطلاق فى قوله :

* وما كلُّ من وافىٰ منىً أنا عارفُ *

فيمن رفع كلاًّ عن الضمير الذى يراد فى عارف . وكما نابَ[٢] التنوين فى نحو يومئذٍ[٣] » .

وقال فى موضع آخر من الخصائص : « وسألنى أبو علىّ عن ألفِ (يا) من قوله يا لا ، فى هذا البيت فقال : أمنقلبة هى ؟ قلت لا ، لأنها فى حرف فقال : بل هى منقلبة . فاستدللته على ذلك ، فاعتصم بأنها قد خُلطت باللام بعدها ووقف عليها[٤] فصارت اللام كأنها جزء منها فصارت يالَ بمنزلة قال ، والألف فى موضع العين ، وهى مجهولة فينبغى أن يحكم بالانقلاب عن الواو . وهذا أجمل ما قاله[٥] ، ولله هو ، وعليه رحمته ، فما كان أقوى قياسه ! وأشدّ بهذا العلم اللطيف الشريف أنسَه[٦] ! وكأنه إنّما كان مخلوقاً له ! وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على هذه الطريقة مع جِلّة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة زائحةً عِلَلُه ، ساقطةً منه كُلَفُه ، لا يعتاقه عنه ولد ، ولا يعارضه فيه مَتجر ، ولا يسوم به مطلباً ، ولا يخدمُ به رئيساً إلا بأخَرَة[٧] ! — وقد حطّ

(١) ط : « القطايا » صوابه فى ش والخصائص ٢ : ٣٧٦ .
(٢) فى النسختين : « ناسب » ، صوابه من الخصائص .
(٣) فى الخصائص : « فى نحو حينئذ ويومئذ عن المضاف اليه اذ » .
(٤) ط : « ووقعت عليها » ، صوابه فى ش والخصائص ١ : ٢٧٦
(٥) فى الخصائص : « هذا جُـل ما قاله » .
(٦) ط فقط : « ايناسه » .
(٧) بأخرة ، أى أخيرا . وفى ط : « ولا يخدم به النساء الا بآخرة » ، صوابه فى ش . والرئيس يعنى به عضد الدولة بن بويه ، وقد صنف له الايضاح ، والتكملة .

من أثقاله[١] ، وألقى عصا تَرحاله — : ثم إنى لا أقول إلاّ حقاً ، إنى لأعجب من نفسى فى وقتى هذا كيف تَطُوع لى بمسألة ، أم كيف تطمح بى إلى انتزاع علّة ! مع ما الحال عليه من عُلَق الوقت وأشجانه ، وتذاؤبِهِ[٢] وتَخلُّج أشطانِهِ ؛ ولولا مساورة الفكر واكتداده[٣] لكنت عن هذا الشأن بمعزِل ، وبأمرٍ سواه على شغل » ا هـ .

ولله درّه ! فكأنما رمىَ عن قوسى ، وتكلّم عن نفسى . والله المشكور فى كل حال ، وهو غنيٌّ بعلمه عن السؤال .

وقوله : (فخيرٌ نحن عند البأس منكم) قد تكلّم الناس على إعرابه قديماً وحديثاً لا سيّما أبو على الفارسى ، فإنه تكلّم عليه فى أكثر كتبه . قال فى التذكرة القصرية : « سألت عن هذا البيت ابنَ الخياط والمعمرىّ فلم يجيبا إلاّ بعد مدّة ؛ قالا : لا يخلو من أن يكون نحنُ ارتفع بخيرٌ أو بالابتداء ويكون خيرٌ الخبر ، أو يكون تأكيداً للضمير الذى فى خيْر والمبتدأ محذوفٍ أى نحن خير ؛ لا جائز أن يرتفع بخير لأنّ خيراً لا يرفع المظهر البتّة ، ولا مبتدأً للزوم الفصل بالأجنبىّ بين أفعلَ وبين من ، وهو غير جائز ، فثبت أن نحن تأكيد للضمير فى خير » .

وقد أجمل كلامه هنا ، وفصّله فى المسائل المشكِلة ، المعروفة بالبغداديات . وبعد أن منع كونَ نحنُ مبتدأ وخير خبراً قال : « عندى فيه قولان : أحدهما أن يكون قوله خيْر خبَر مبتدأ محذوف تقديره : نحن خير عند البأس منكم ،

(١) ط : « وقال وقد حط من أثقاله » ، وكلمة « وقال » مقحمة لم ترد فى ش ولا الخصائص .
(٢) التذاؤب : الاضطراب . وفى النسختين : « وتداويه » صوابه فى الخصائص .
(٣) ط : « واكتداره » ، صوابه فى ش والخصائص .

فنحن على هذا فى البيت ليس بمبتدأ ، لـكنه تأكيد لما فى خير من ضمير المبتدإ المحذوف ؛ وحسنُ هذا التأكيد لأنه حذف المبتدأ من اللفظ ولم يقع الفصل بشيء أجنبيّ بل بما هو منه ، وقد وقع الفصل بالفاعل بين الصلة وموصولها فى نحو قولهم : ما من أيام أحبَّ إلى الله فيها الصومُ منه فى عشر ذى الحجة وكان ذلك حسناً سائغاً . فإذا ساغ كان التأكيد أسوغ ، لأنه قد يحسن حيث لا يحسن غيره من الأسماء » .

وقال فى الإيضاح الشعرى فى هذا الوجه — بعد أن قال : ونحن الظاهرُ تأكيد للضمير الذى فى خيْر على المعنى : « كان ينبغى أن يكون على لفظ الغيبة، ولـكن جاء به على الأصل نحو نحن فعلنا ؛ ويدلّك على أنه كان ينبغى أن يجيء على لفظ الغيبة : أن أبا عثمان قال — فى الإخبار عن الضمير الذى فى منطلق من قوله : أنت منطلق — إذا أخبرت عن الضمير الذى فى منطلق من قولك أنت منطلق لم يجُز ،لأنك تجعل مكانه ضميراً يرجع إلى الذى ولا يرجع إلى المخاطب ، فيصير المخاطب مبتدأ ليس فى خبره ما يرجع إليه . فهذا — من قوله — يدلّ على أن الضمير وإن كان للمخاطب فى أنت منطلق فهو على لفظ الغيبة ؛ ولولا ذلك لم يصلح أن يرجع إلى الذى . على أن هذا من كلامهم مثلُ أنتم تذهبون ؛ واسم الفاعل أشبهُ بالمضارع منه بالماضى ، فلذلك جعله مثلَه ولم يجعله مثلَ الماضى فى أنتم فعلتم » اهـ .

٢٣٠

ثم قال فى البغداديات : « القول الثانى : أن يجعل خيْر صفة مقدّمة ، يقدّر ارتفاع نحنُ به ، كما يجيز أبو الحسن فى : قائم الزيدان ، أن ارتفاع الزيدان بقائم . فلا يقع على هذا أيضاً فصلٌ بشيء يكره ولا يجوز ، لأن نحن على هـذا مرتفع بخير . إلاّ أن ذا قبيح ، لأن خيراً وبابَه لا يعمل عمل الفعل إذا جرى

على موصوفه ، وإعماله فى الظاهر مبتدأً غير جارٍ على شىء أقبحُ وأشدُّ امتناعاً . والوجه الأوّل حسن سائغ » .

قال فى الإيضاح « فإذا جاز ذلك فيما ذكرناه — أى الوجه الأول — لم يكن فيما حمل أبو الحسن عليه البيتَ من الظاهر دلالةٌ على إجازةِ نحو : الخليفة أحبُّ إليه يحييٰ من جعفر حتّى يقول : الخليفة يحييٰ أحبُّ إليه من جعفر ، أو أحب إليه من جعفر يحييٰ ، على ما أجازه سيبويه فى : ما رأيت رجلا أحسنَ فى عينه الكحلُ منه فى عين زَيد ، فلا يفصل بينهما بما هو أجنبىّ منهما » اهـ .

ثم قال فى البغداديّات : « فإن قال قائل : أيجوز أن يكون فخيرٌ خبراً مقدّماً لما بعده وهو نحن ، ويكون منكم غيرَ صلة ولكنها ظرف كقوله :

* ولستَ بالأكثر منهم حَصًى *(١)

وتقديره : ولست بالأكثر فيهم ، لا على حدّ : هو أفضل من زيد ، ألا ترى أن الألف واللام تعاقِب مِنْ هنا ؟ ! فالجواب : أنه بعيد ؛ وليس المعنى عليه ، إنما يريد : نحن خير منكم ، وأن الفزع إلينا والاستغاثة بنا ؛ نسدُّ مالا تسدُّون ونمنع من الثغور مالا تمنعون . ألا ترى أن ما بعد هذا البيت :

(ولم تثقِ العَواتقُ من غَيور بغَيرته وخَلَّينَ الحجالا)

وقوله : (عندالبأس) العامل فيه خيْر ، ولا يجوز أن يكون متعلّقاً بالمبتدإ المحذوف على أنْ يكون التقدير : فنحن خير عند البأس منكم ، يريد : نحن

(١) للأعشى فى ديوانه ١٠٦ وعجزه :
* وانما العزة للكاثر *

عند البأس خير منكم ، لأنك إن نزّلته هذا التنزيل فصلت بين الصلة والموصول بما هو أجنبيٌّ منهما ومتعلقٌ بغيرهما ، وإذا قدّرت اتصاله بخير لم يكن فصْل كما لم يكن فصل بفيها من قولك : أحبُّ إلى الله عزّ وجل فيها الصوم » اهـ

و (البأس) بالموحدة لا بالنون ، وهو الشدة والقوة . و (الداعى) من دعوت زيداً : إذا ناديته وطلبت إقباله . و (المثوِّب) اسم فاعل من ثوّب ، قال أبو زيد : « هو الذى يدعو الناس يستنصرهم » ، والأصل فيه : أن المستغيث إذا كان بعيداً يتعرّى ويلوّح بثوبه رافعاً صوته ، ليُرى فيُغاث .

ووثق منه وبه : اطمأنَّ إليه وقوى قلبه . وجملة لم تثق معطوفة على مدخول إذا ، وكذلك جملة خلّين الحجالا . والعواتق : جمع عاتق ، وهى التى خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها الزّوج . والغيور من غار الرجل على حريمه يغَار من باب تعب ، غَيرة بالفتح ، فهو غَيورٌ وغَيْرانُ ، وهى غيور أيضاً وغيرى . وخلّين ، متعدّى خلا المنزل من أهله يخلو خلُوّاً وخلاء فهو خالٍ . وصحّفه بعضهم بالحاء المهملة وبالبناء للمجهول على أنه من التحلية وهو التزيين والحِجال بكسر الحاء المهملة : جمع حَجَلة بالتحريك ، وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار ، كذا فى النهاية . وزاد فى القاموس أنه للعروس . وأخطأ بعضهم حيث قال : هو جمع حِجْل بمعنى الخلخال ، وهذا لا يناسب المقام ، مع أنه لا يجمع على حجال وإنما يجمع على حُجول وأحجال . يريد أنهن فى يوم فزع أو غارة لايثقن بأن يَحميَهنّ الأزواج والآباء والإخوة ، فنحن عندهنّ أوثق منكم .

٢٣١

وهذان البيتان نسبهما أبو زيد فى نوادره لزهير بن مَسعود الضَّبيّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون ، وهو من أبيات س(١) .

٨٥ * عمّرتكِ اللهَ إلاّ ماذَكرتِ لنا هل كنتِ جارتَنَا أيامَ ذِي سَلَمِ *

على أن قولهم (عَمْرَكَ الله) له فعل كما فى هذا البيت وعمّرتكِ بتشديد الميم وضم التاء وكسر الكاف .

وكذلك استدلّ به سيبويه على أنّ عَمرَكَ وضع بدلاً من اللفظ بالفعل ، فلزمه النصب بذكر الفعل مجرداً فى البيت .

قال الأعلم ــ وتبعه ابن خلف ــ : معنى عمّرتك الله ذكّرتك الله وأصله من عمارة الموضع ، فكأنه جعل تذكيره عمارةً لقلبه ، فعمْرك الله مصدر عند سيبويه ، وتقديره أنّ معنى عمْرك عمّرتك الله : أى سألت الله عَمْرك ، وإذا وضح أن عمْرك بمعنى عمّرتك وجب أن يكون مصدراً . وقد ثبت أنهم يقولون: عمرك اللهَ وعمرتك اللهَ بمعنًى ، فيكون اسم الله منصوبا بعمْرك على قولٍ ، وبالفعل المقدر على قول . وفيه معنى السؤال . وقيل منصوب بفعل مقدّر أى سألت الله عمْرك أى بقاءك .

والفرق بينه وبين قول سيبويه وإن كان بمعنى سألت الله تعالى بقاءك : أن عمرك على مذهب سيبويه بمعنى عمّرتك الملتزم حذفه وهو الناصب له ، واسم الله المفعول الثانى ؛ وعلى القول الآخر أنّ عمرك واسم الله مفعولان لسألت المقدّر .

---

(١) سيبويه ١ : ١٦٣ . وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٤٩ والهمع ٢ : ٤٥

وروى الشارح عن الأخفش إجازة رفع الجلالة على أنه فاعل . ونسبه أبو حيّان فى الارتشاف إلى ابن الأعرابى . وروى عن الأخفش : أن أصله عنده بتعميرك الله ، حذف زوائد المصدر والفعل والباء فانتصب ما كان مجروراً بها . ويدلّ لما قاله الأخفش وأنه ليس منصوباً على إضمار فعلٍ إدخالُ باء الجرّ عليه ، قال :

* بِعَمْرِكَ هل رأيتَ لها سَميّا *

قال أبو حيّان : والذى يكون بعد نشدتك الله وعمّرتك الله أحدُ ستّة أشياء : استفهام ، وأمر ، ونهى ، وأنْ ، وإلا ، ولمّا بمعنى إلاّ كقوله :

* عمّرتكِ اللهَ إلاّ ما ذكرتِ لنا *

وإذا كان إلاّ أو ما فى معناها فالفعل قبلها فى صورة الموجَب وهو منفىّ فى المعنى ، والمعنى ما أسألك إلاّ كذا ، فالمثبتُ لفظاً منفىّ معنى ليتأتّى التفريغ .

قال الدمامينى فى شرح التسهيل : فإن قلتَ : تأويل الفعل بالمصدر بدون سابكٍ ليس قياسا فيلزم الشذوذ ، كتسمع بالمُعَيدِىّ أى سماعك ، وادعاء الشذوذ هنا غير متأتٍّ لاطّراد مثل هذا التركيب وفصاحته ! قلتُ : لا نسلّم أن التأويل بدون حرف مصدر شاذّ مطلقاً ، وإنما يكون شاذّاً إذا لم يطّرد فى بابٍ ، أما إذا اطّرد فى باب واستمرّ فيه فإنه لا يكون شاذا ، كالجملة التى يضاف إليها اسم الزمان مثلا نحو : جئتك حين ركبَ الأمير ، أى حين ركوبه .

وضبط أبو علىّ الفارسى كما نقل ابن خلف عنه أن (ألاّ) فى هذا البيت بفتح الهمزة ، فيكون أصله هلاّ . نقل صاحب التلخيص عن الكسائى :

أن هَلّاَ وألاّ بقلب الهاء همزة ولولا ولوما للتنديم فى الماضى ، وللتحضيض فى المستقبل ؛ فالأول نحو : هلا أكرمت زيداً — على معنى ليتك أكرمته ، قصداً إلى جعله نادماً على ترك الإكرام ؛ والثانى نحو : هلا تقوم — على معنى ليتك تقوم ، قصداً إلى حثه على القيام . ومع هذا فلا يخلو من ضرب من التوبيخ واللوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه .

و (ما) زائدة . وهذه الجملة جواب عمّرتك الله . وهو قَسم سؤالىّ . وجملة (هل كنت جارتنا . . الخ) فى موضع المفعول لذكرت معلَّق عنه بالاستفهام ، والأصل هلاّ ذكرت لنا جواب هذا السؤال ! وجملة (عمرتك الله) إلى آخر البيت فى محل نصب على أنها مقولة لقوله فى البيت السابق ، وهو :

(إذ كدتُ أنكِر من سلمىٰ فقلت لها لمّا التقينا وما بالعهد من قِدَم)

و (ذو سَلَم) : موضع عند جبلٍ قريب من المدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

والبيتان من قصيدة للأحوَص الأنصارى . وأنشد سيبويه بيتاً آخر مثل هذا البيت لعمرو بن أحمر الباهلىّ وهو(١):

« عمّرتكَ اللهَ الجليلَ فإننى أَلوِى عليكَ لوَ آن لُبَّكَ يهتدى »

أَلوِى عليك : أعطف عليك . وقوله : لو آن لبّك يهتدى ، أى لو أن قلبك يقبل النصيحة ؛ عبّر عنه باللبّ لأنه محله . وجواب القسم السؤالىّ فى بيت بعده وهو :

« هل لامنى مِن صاحبٍ صاحبتُه مِن حاسر أو دارع أو مرتدى »

---

(١) سيبويه ١ : ١٦٣ ابن الشجرى ١ : ٣٤٩ والمنصف ٣ : ١٣٢

واعلم أن (عمّرتك الله) فى البيتين بتشديد الميم ، كما يدل عليه كلام سيبويه المنقول فى كلام الشارح ، وهو قوله : « والأصل عند سيبويه : عمّرتك الله تعميراً الخ[١] » . ومثله فى العباب للصاغانى : وقولهم عمّرتك الله أى سألت الله تعميرك . وأنشدَ البيت الأول ، ثم قال : وقال جل ذكره : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكم ما يَتَذَكَّرُ فيه مَن تَذَكَّرَ[٢] ﴾ . ويجوز عندى أن يكون قولهم عمْرَكَ الله مصدراً لفعل ثلاثىّ ، وهو : فلان يعمُره من باب نصر ، أى يعبده بالصلاة والصوم ونحوهما ، وفلان عمّار أى كثير الصلاة والصوم ؛ فيكون منصوباً على نزع الباء القسَمية ومضافاً إلى فاعله ، أى بعبادتك الله . ولم أرَ من شرحه على هذا الوجه .

الأحوص ابن محمد

و (الأحوص) من الحوص بمهملتين ، وهو ضيق فى مُؤخر العين ، وقيل : فى أحد العينين . وهو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم ابن ثابت ، يسمّى « حَمِيَّ الدَّبْرِ[٣] » أى محميّها ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه فى بَعْث فقتله المشركون وأرادوا أن يصلبوه ويمثّلوا به فحمته الدَّبْرُ[٤] — وهى النحل — فلم يقدروا عليه .

والأحوص مقدَّم عند أهل الحجاز وأكثر الرواة ، لولا أفعاله الدنيئة ؛ لأنّه أسمحهم طبعاً ، وأسلَسهُم كلاما ، وأصحّهم معنى ؛ ولشعره رونق وحلاوة وعذوبة ألفاظ ليست لأحد . وهو محسِّن فى الغزل والفخر والمدح . وكان يشبّب بنساء أشراف المدينة ، ويُشيع ذلك فى الناس ؛ فنُهى فلم ينته .

---

(١) الرضى ١ : ١٠٧
(٢) من الآية ٣٧ فى سورة فاطر .
(٣) أى كان عاصم بن ثابت ، كما فى الاصابة ٤ : ٢ والسيرة ٦٣٩ ،
(٤) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل والزنابير . ط : « الدبرة » صوابه فى ش .

فشكى إلى عامل سليمان بن عبد الملك ، وسئل الكتابة فيه إليه ، ففعل
فكتب سليمان يأمره أن يضرب به مائة ، ويقيمه على البَلَس للناس ، ثم يسيّره ٢٣٣
إلى دَهْلَك[١]، ففعل به ذلك . والبُلُس بضمتين : جمع بلاس بكسر الموحدة[٢]،
وهي غرائر كبار من مُسوح يجعل فيها التبن يشهَّر عليها من يُنكَّل به ،
وينادى عليه . ومن دعائهم « أرانيك الله على البُلُس » وكان الأحوص يقول ،
وهو يطاف به :

ما مِن مصيبة نَكبةٍ أُمنى بها ... إلاّ تُعظِّمنى وتَرفع شانى
إنى إذا خفِىَ اللئامُ رأيتَنى ... كالشَّمس لا تَخفى بكل مكان
إنى على ما قد ترون مُحسَّدٌ ... أنمى على البغضاء والشنآن
أصبحت للأنصار فيما نابهمْ ... خلَفاً وفى الشعراء من حسّان

وأقام الأحوص منفيًّا بدَهلَك إلى أن ولى عمر بن عبد العزيز ، فكتب
إليه الأحوص يستأذنه فى القدوم ، وسأله الأنصارُ أيضاً أن يُقدِمه إلى المدينة ،
فقال لهم : من القائل :

فما هو إلاّ أنْ أراها فُجاءةً ... فأُبهَتَ حتّى لا أكاد أُجيبُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

أَدورُ ولولا أنْ أرى أُمَّ جعفرٍ ... بأبياتِكمْ ما دُرتُ حيثُ أَدورُ

---

(١) دهلك : جزيرة بين بلاد اليمن والحبشة ، ضيقة حرجة حارة ، كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها . وعينها الأستاذ أمين واصف فى الفهرست بأنها تجاه مصوع الآن .

(٢) كتب الميمنى: « أظن البلاس معرب بلاس بالفارسية بمعنى الحصير . ثم وجدته والحمد لله فى خروم معرب الجواليقى التى سدها وليم سبيتا فى المجلة الألمانية ٣٣ : ٢٠٨ - ٢٢٤ ولفظه : من كلام فارس للمسح بلاس وجمعه بلس هكذا تقول العرب .. الخ » .

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

سَيبقى لها فى مضمر القلب والحَشَا   سَرِيرةُ حُبٍّ يومَ تُبلَى السَّرَائرُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

اللهُ بينى وبين قيِّمها   يفِرُّ منّي بها وأتَّبع(١)

قالوا : الأحوص . قال : لا جرَم ما رددتُه ما كان لى سلطان !

قال أبو عبيدة : كان سبب نفى الأحوص أنَّ شهوداً شهدوا عليه أنه قال : لا أبالى أيَّ الثلاثة أكون ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً(٢). وكان مشهوراً بالأبنة وانضاف إلى ذلك أنه دخل يوماً على سُكينة بنت الحسين رضى الله عنهما ، فأذّن المؤذن فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فخرَت سكينة برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأحوص :

فخرَتْ وانتمتْ فقلت : ذريني   ليس جهلٌ أتيتِه ببديعِ

فأنا ابن الذى حمَت لحمَه الدَّبْـ   ـرُ قتيلاً للحِيانَ يوم رَجيعِ(٣)

غسلتْ خاليَ الملائكة الأبـ   ـرار مَيْتاً ، طوبَى له من صريع

وكان وفد الأحوص على الوليد بن عبدالملك ممتدحا له فأنزله منزلا وأمر

---

(١) ط : « وأتبعه » ، تحريف ، فانه ثانى بيتين فى الأغانى ٤ : ٤٨ أولهما :

كأن لبنى صبير غادية   أو دمية زينت بها البيع

(٢) فى الأغانى ٤ : ٤٣ عن أبى عبيدة « شهدوا عليه أنه قال : اذا أخذت صريرى « دراهمى » لم أبال أى الثلاث لقيت » .

(٣) كذا فى ش مع أثر تصحيح . وفى ط والأغانى : « قتيل اللحيان » . وفى الأغانى أيضا : « يوم الرجيع » . والرجيع : ماء لهذيل بناحية الحجاز .

بمطبخةٍ تمـال عليه(١) . وكان قد نزل على الوليدِ شعيبُ بن عبدالله بن عَمرو بن العاص ، وكان الأحوص يراود وُصَفَاءَ للوليد خبَّازين(٢) ، يريدهم أن يفعلوا به الفاحشة ، وكان شعيب قد غضب على مولىً له ونحّاه ، فلما خاف الأحوص أن يفتضح بمراودته الغلمان اندسّ لمولى شعيب بذلك فقال : ادخل على أمير المؤمنين فاذكر له أنّ شعيباً راودك عن نفسك . ففعل المولى ، فالتفت الوليد إلى شعيب فقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لـكلامه نبأٌ يا أمير المؤمنين ، فاشددْ به يدك يصدُقْك . فشدّ عليه فقال : أمرني الأحوص بذلك . فقال قيِّمُ الخبازين : إنَّ الأحوص يراود غلمانك عن أنفسهم . فأرسل به الوليد إلى ابن حزم والي المدينة وأمره أن يجلده مائة ، ويصبّ على رأسه زيتاً ، [ويقيمه على البُلُس](٣) ففعل به كما ذكرنا .

٢٣٤

ولم يزل الأحوص بدَهلك حتّى مات عمر بن عبد العزيز وتولّى يزيد بن عبد الملك . فبينا يزيدُ وجارية ذات يوم تغنيه بعضَ شعر الأحوص فقال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا أدري ! فأرسل إلى ابن شهاب الزهريّ وسأله ، فأخبره أن قائله الأحوص . قال : وما فعَل ؟ قال : طال حبسُه بدَهلَك . فأمر بتخلية سبيله ووهب له أربعمائة دينار .

وعن ابن الأعرابي : أنّ الأحوص كانت له جارية تسمى « بِشْرة » وكانت تحبّه ويحبُّها .فقدِم بها دمشق، فحضرته الموت وبكت(٤) فقال الأحوص:

---

(١) ش : « بمطبخه تمال عليه » . وفى الأغانى : « بمطبخه أن يمال عليه » .

(٢) انظر حواشى الحيوان ٥ : ٤٥٧

(٣) تكملة من الأغانى ٤ : ٤٤ كما يقتضيه السياق

(٤) فى الأغانى : « فحضره الموت وبكت » .

ما لجديدِ الموتِ يا بشرَ لذة وكلُّ جديد تستَلَذّ طرائفه

ثم مات ، فجزعت عليه جزعاً شديداً ، ولم تزل تبكى عليه وتندُبه حتى شَهِقت شهقةً وماتت . ودُفنت إلى جنبه .

(تتمة)

لم يذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من اسمه (أحوص) غير هذا . وذكر (الأخوص) بالخاء المعجمة وقال : هو زَيد[1] بن عمرو بن قيس اليربوعى التميمىّ ، وهو شاعرٌ فارس . وأورد له شعراً جيّداً يَفتخِر به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون[2] :

٨٦ (قَعيدَكِ أن لا تُسمِعينى مَلامةً ولا تَنْكَئِي قُرْحَ الفؤادفَييجعاَ)

على أن (قعيدَك الله) وعمرك الله « أكثر ما يستعملان فى القسَم السؤالى فيكون جوابهما ما فيه الطلب كالأمر والنهى . وأنْ هنا زائدة » .

قال أبو حيّان فى الارتشاف : ويجيء بعد — قَعْد وقعيدك الاستفهامُ وأنْ . ولم يقيّدها بكونها زائدة أو مصدرية أو غيرَهما . ومثال الاستفهام، قال الأزهرى : قالتْ قُرَيبة الأعرابية :

قَعيدَكِ عَمْرَ الله يا ابنة مالك ألم تعلمينا نِعْم ماوى المحّصب

ولم أسمع بيتاً جُمع فيه بين العَمْر والقعيد إلاّ هذا . انتهى .

---

(١) ط : « يزيد » صوابه فى ش والمؤتلف ٤٩

(٢) انظر أيضا الخزانة ٢ : ٢١٤ وهمع الهوامع ٢ : ٤٥ والمنصف ١ : ٢٠٦ والمفضليات ٢٦٩ .

وبقى على أبى حيّان أن يقول : و « اللام » . روى أبو عبيد قعيدك لتفعلن ؛ و « لا النافية » كما يأتى فى كلام الجوهرىّ .

قال ابن الحاجب فى الإيضاح : وقَعدَكَ اللهَ عند سيبويه مثل عمرَكَ اللهَ يجعله بمعنى فعل مقدّر معناه : سألته أن يكون حفيظك ؛ وإن لم يُتكلّم به . كأنه قيل حفَّظتك الله ، من قوله تعالى : « عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ » (١) أى حافظ . ووضَح ذلك فى عَمرَكَ اللهَ لاستعمال فعله . وإذا تحقّق أن معنى قعدَكَ الله معنى الفعل المقدّر المذكور ، وضَحَ أيضاً [أن] قعيدَكَ الله بمعناه وفيه أيضا معنى السؤال ، كعمرك الله .

وقال ابن خلف : يريد سيبويه بقوله : « فقعْدَك الله يجرى هذا المجرى » ، أن فعل المصادر قد يترك ويكون بمنزلة ما استُعمل الفعل فيه ، فقعْدك بمنزلة قولك : وصْفَك اللهَ بالثّبات وأنه لا يزول (٢) . يريد سألتك بوصفك الله بالثبات ثم حذف الفعل والباء . ولا يستعمل فيه الفعل ولا الباء ؛ وهو مصدر لا يتصرّف ، أى لا يستعمل فى غير هذا الموضع من الكلام ، ولا يستعمل إلاّ مضافاً . انتهى

٢٣٥

وقال أبو اسحاق إبراهيم النَّجيرَمِىّ (٣) فى كتاب أيمان العرب : معنى قعدَك الله وقعيدَك الله : أخصبَ الله بلادَك حتى تكون مقيما فيها قاعداً غير منتجع .

وقال الجوهرىّ « وقولهم : قعيدَك لا آتيك ، وقعيدَك اللهَ لا آتيك وقَعْدَكَ اللهَ وقِعْدكَ اللهَ بالفتح والكسر : يمينٌ للعرب . وهى مصادر استعملت منصوبة بفعل مضمَر ، والمعنى : بصاحبك الذى هو صاحب كلّ

(١) الآية ١٧ فى سورة « ق »
(٢) ط : « وان لاتزول » ، صوابه فى ش
(٣) ط : « البحيرى » ، صوابه فى ش . وقد طبع كتابه فى المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣ بتحقيق محب الدين الخطيب

نجوى ؛ كما يقال : نشدتك الله » . زاد عليه صاحب العباب : وقال أبو عبيد : عُليا مضر تقول : قعيدَك لتفعلنّ كذا ، يعنى أنهم يحلفونه بأبيه ، قال : القعيد : الأب .

وأنكر صاحب القاموس كونَهما للقسم فقال : « قعيدَك الله وقِعْدَك بالكسر استعطاف لا قَسَمٌ ، بدليل أنه لم يجىء جوابُ القسم » . وهذا مخالف للجمهور ؛ فإنّ قوله (لا تسمعينى) جواب لقوله (قعيدَك) ، وكذا : لا آتيك ، فيما نقله الجوهرىّ . قال صاحب البسيط : ويدلُّ على القسم قولهم : قعدك الله لأفعلنّ . وروى فَقَعْدَكِ[1] بفتح القاف وكسرها . والمفعول الثانى محذوف أى قعدكِ[2] الله . والكاف مكسورة لأنه خطاب مع امرأة كما يأتى بيانه . وجملة (لا تنكئى) لا محل لها من الإعراب ، كجملة المعطوف عليها ؛ يقال نكأت القَرحة ، بالهمز : إذا قشرتها ؛ ونكيت فى العدوّ بلا همز . والقرح كالجرح وزناً ومعنًى . وقوله (فييجعا) منصوب بأن مضمرة بعد الفاء ، فى جواب النهى الثانى . قال ابن الأنبارى : أهل الحجاز يقولون : وجِعَ يَوْجَع ووجِل يوَجَل ، يُقرّون الواو على حالها إذا سكنت وانفتح ما قبلها ، وهى أجود اللغات ؛ وبعض قيس يقول : وجِل ياجَل ووجِع ياجع ؛ وبنو تميم تقول : وَجِع يِيجَع ، وهى شرّ اللغات ؛ لأن الكسر من الياءِ والياء يقوم مقام كسرتين ، فكرهوا أن يكسروا لِثِقَل الكسر فيها . وقال الفراء : إنما كسر ليتفّق اللفظ فيها واللفظ بأخواتها ؛ وذلك أن بعض العرب يقول : أنا إيجل وأنت ِتيجل ونحن نيجل ؛ فلو قالوا هو يَوَجل كانت الياء قد خالفت أخواتها .

وهذا البيت من قصيدة مشهورةٍ مشروحة فى المفضّليّات وغيرها ، لمتمم

(١) ط : « قعدك » ، صوابه فى ش

(٢) ط : « قعيدك » .

ابن نُويرة الصحابىّ رضى الله عنه ، يرثى بها أخاه مالك بن نُويرة . وقبل هذا البيت ثمانية أبيات متصلة به وهى :

قصيدة الشاهد

(تقول ابنةُ العَمرىّ مالَك بَعْدَما   أراك حديثاً ناعمَ البال أفرَعا)

ابنة العمرىّ : زوجته . والحديث : القريب . والأفرَع : الكثير شعر الرأس — تقول له : مالك اليوم متغيّراً بعد أن كنت منذ قريب ناعمَ البال أفرع .

(فقلتُ لها : طولُ الأسَى ، إذ سألِتنى   ولَوعة حزن تترك الوجهَ أسفَعا)

الأسَى : الحزن . والتاء من سألِتنى مكسورة . واللَّوعة : الُحرقة . والسُّفعة بالضم : سواد يضرب إلى الحمرة .

(وفقدُ بنى أمٍّ تداعَوا فلم أكنْ   خِلافَهُمُ أن أستكين وأضرَعا)

فَقْدُ : معطوف على طول الأسَى . وتداعَوا : تفرقوا ودعَا بعضهم بعضاً . وخِلافَهم : بَعدهم وخَلفهم . يقول : لست وإن أصابنى حزنٌ بمُستكينٍ ولا خاضع فيشمت به الأعداء .

٢٣٦

(ولكنّنى أمضى على ذاك مُقْدِماً   إذا بعضُ مَن يَلقى الُحروب تكَعكعا[1])

التكعكُع : التأخر عن الحروب من الجبن والتهيّب .

(وغيّرنى ما غال قَيساً ومالكا   وعَمْراً وجَزْءاً بالمُشقَّر ألْمَعَا)

غال : أهلك . وقيس وعمرو : رجلان من بنى يربوع ؛ وجَزء هو ابن سعد الرياحىّ ؛ وهؤلاء قتلهم الأسود بن المنذر يومَ المشقَّر . ويعنى بمالك أخاه . و « المُشقَّر » بالشين المعجمة والقاف على زنة اسم المفعول : قصر

---

(١) ط : « من يلق » صوابه فى ش والمفضليات

بالبَحْرَين ، وقيل : مدينة هَجَر . وقوله : ألما ، أى ألم بهم الموت ، ومعناه ذهب بهم ؛ وقال الكسائى : أراد معاً فزاد أل .

(وما غال نَدمانَىْ يزيدَ ، وليتنى تمليتُه بالأهلِ والمالِ أجمعا)

النَّدمان بالفتح هو النديم ، وكان يزيد ابن عمه ونديمه .

(وإنى وإن هازَلتنى قد أصابنى من البثّ ما يُبكى الحزينَ المفجَّعا)

يقول : نزل بى ما يغلب الصبر والتجلّد حتّى يحمل صاحبه على البكاء ، وأنا مع ذلك أتجلّد .

(ولستُ إذا ماأحدث الدهرُ نكبةً ورُزءاً بزوّارِ القرائب أخضعا)

يقول : إذا أصابتنى مصيبة لم آت قرائبى خاضعاً لهم لحاجة منّى إليهم ، ولكنّنى أصبر وأعِفّ مع الفقر .

وبعده : قعيدَك أن لا تسمعينى ملامة . . البيت

متمم بن نويرة

و (متمّم) هو ابن نُويرة بن جَمرة «بالجيم» ابن شدّاد بن عبيد بن ثعلبة ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

وكان متمّم من الصحابة رضى الله عنهم . وأخوه مالك يقال له «فارس ذى الخِمار» بكسر الخاء المعجمة وذو الخمار فرسُه .

قال ابن السِّيد فى شرح كامل المبرد : قولهم فتًى ولا كمالك ! هو مالك ابن نويرة سيّدُ بنى يربوع قتله خالد بن الوليد .

ورأيت رسالة لأبى رياش أحمد بن أبى هاشم القيسى تتضمن قصة قتل خالد بن الوليد لمالك بن نويرة ؛ قال :

كان مالك بن نويرة قدأسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتصدّق ،

وكان عَريفَ ثعلبة بن يربوع ؛ فقُبض النبي صلى الله عليه وسلم وإبل الصدقة برَحْرَحان ، وهو ماء دُوَين بطن نخل ، فجمع مالكٌ جمعاً نحواً من ثلاثين فأغار عليها فاقتطع منها ثلاثمائة ؛ فلما قدم بلادَ بنى تميم لامَهُ الأقرع بن حابس ابن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع بن دارم ؛ وضِرار بن القَعقاع بن مَعبد ابن زُرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم ؛ وبلغ مالكا أنهما يمشيان به فى بنى تميم ، فقال مالك – يعتبهما ويدعو على ما بقى من إبل الصدقة – :

أرانى الله بالنَّعَم المندّىٰ ببُرقة رَحرحانَ وقد أرانى
أإن قرَّت عيونٌ فاستُفيئت غنائم قد يجود بها بنانى
حوَيتُ جميعَها بالسيف صَلتاً ولم تُرعَدْ يداىَ ولا جَنانى
تَمَشَّى يا ابنَ عَوذة فى تميمٍ وصاحبُك الأُقيرِع تلحَيانى !!
ألم أكُ نارَ رابئةٍ تَلَظّىٰ فتتّقيا أذاىَ وترهَبانى[1] ؟!
فقل لابن المَذَبّ يغضُّ طرفاً على قطع المذلّة والهوان

وعَوذة : أم ضرار بن القعقاع وهى مُعاذة بنت ضرار بن عمرو الضّبّي .
والمَذَبَّة : أم الأقرع بن حابس .

٢٣٧ فلما قام أبو بكر وبلغه قول مالك بعثَ إليه خالد بن الوليد ، وأمره أن لا يأتىَ الناس إلاّ عند صلاة الغداة ؛ فمن سمع فيهم مؤذّناً كفّ عنهم ، ومن لم يسمع فيهم مؤذّناً استحلّهم ؛ وعزم عليه ليقتلنّ مالكا إنْ أخذه . فأقبل خالد بن الوليد حتّى هبط جوّ البَعوضة ، وبه بنو يربوع ، فبات

---

(١) ط : « رائبة » ش : « رأيته » ، صوابه ما اثبت . وفى الحيوان ٤ : ٤٧٤ « ونار أخرى وهى النار التى كانوا اذا أرادوا حربا وتوقعوا جيشا عظيما ، وأرادوا الاجتماع ، أوقدوا ليـــلا على جبلهم نار ليبلغ الخبر أصحابهم » . وقد سماها الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٦١ « نار الانذار » .

عندهم ولا يخافونه ؛ فمرّ على بنى رِياح فوجد شيخاً منهم يقال له مسعود ابن وضام ، يقول :

وحَجَّةٍ أتبعتُها بحَجَّة وهَدْيةٍ أهدَيتها للأبطحِ

فمضى عن رياح حتّى مرّ ببنى غُدانة وبنى ثعلبة فلم يسمع فيهم مؤذّناً فحمل عليهم ؛ فثار الناس ولا يدرون ما بيّتهم ، فلما رأوا الفُرسانَ والجيش قالوا: من أنتم؟ قالوا : نحن المسلمون. قال مالك: ونحن المسلمون ! فلم ينتهِ المسلمون لذلك ووضعوا فيهم السيف وقُتلت غُدانة أشدّ القتل وقُتلت ثعلبة ، وأُعجل مالك عن لبس السلاح ، وإنّ امرأته ليلى بنت سِنان بن ربيعة بن حنظلة قامت دونه عُريانة ودخل القُبّة وقامت دونه ؛ ولبس مالك أداته ثم خرج فنادى : يا آل عبيد . فلم يجبه أحد غير بنى بَهان(١) فإنهم صدَقوا معه يومئذ وطلَعوا من جوّ البعوضة وبلغوا ذات المذاق — وهى أكمة بينها وبين الجوّ ميلانِ أو قدرُ ميل ونصف — ففزعوا من القوم ، غير مالك وغير بقية من ولد حُبشىّ بن عبيد بن ثعلبة ، وكان عدّة من أصيب مع مالك خمسة وأربعين رجلا من بنى بَهان . ثم إن خالد بن الوليد قال : يا ابن نويرة هلمّ إلى الإسلام قال مالكُ : وتعطينى ماذا ؟ قال : ذِمّةَ الله وذمّة رسوله ، وذمّة أبى بكر ، وذمّةَ خالد بن الوليد فأقبل مالك وأعطاه بيديه ، وعلى خالد تلك العَزْمة من أبى بكر . قال : يامالك ، إنى قاتلك . قال : لاتقتلنى ، قال: لا أستطيع غيرذلك ؛ قال : فأت مالا تستطيع إلا إياه . فقدّمه إلى الناس فتهيّبوا قتله، وقال المهاجرون: أنقتل رجلاً مسلماً ؟! غيرَ ضرار بن الأزوَر الأسدى(٢) من بنى كُوز ، فإنه قام فقتله . فقال متممٌ ابن نويرة يذكر غدره بمالك :

(١) من قبائلهم . وفى القاموس : « وبهان كقطام : امرأة » .

(٢) وكذا فى الكامل ٧٦١ والاصابة ٧٦٩٠ والأغانى ١٤ : ٦٦ . وفى شرح المفضليات ٥٢٦ « ضرار بن الأسود الأزدى » .

نِعمَ القتيلُ إذا الرِّياح تحدّبت فوق الكَنيف قتيلك، ابنَ الازورِ(١)
أدعوتَه بالله ثُمَّ قتلته ؟ ! لَو هُو دعاك بذِمّة لم يغدِرِ
ولَنِعم حَشو الدِّرع يوم لِقائه ولنِعم مأوى الطارق المتنوِّرِ
لا يلبَس الفحشاء تحت ثيابه صعبٌ مقادته عفيفُ المِئزَرِ

فلما فرغ خالد منهم أقبل المِنهال بن عصمة الرِياحى فى ناس من بنى رياح يدفنون قتلى بنى ثعلبة وبنى غدانة، ومع المنهال بُردانِ من يَمْنة. فكانوا إذا مرُّوا على رجل يعرفونه قالوا: كفِّنْ هذا يامنهالُ فيهما، فيقول: لا، حتى أكفن فيهما الجفولَ مالكاً (وهو الكثير الشعَر، وكان يلقَّب بذلك لكثرة شعَره) وذلك فى يومٍ شديد الريح فجعلوا لايقدرون على ذلك. ثم رفعت الريحُ شَعره مِن أقصى القوم فعرفه فجاءه فكفَّنه. فذلك قول متمِّم فى أول القصيدة:

لَعمرى وما دهرى بتأبين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفَّنَ المِنهال تحت ردائه فتىً غيرَ مِبطانِ العشيات أروَعا
ألم يأت أخبارُ المُحلّ سَراتنا فيغضبَ منها كلُّ من كان موجَعا)

المُحلّ: رجل من بنى ثعلبة، مرّ بمالك مقتولا فنعاه كأنه شامت، فذمَّه متمِّم وأخذ خالد بن الوليد ليلى بنت سنان امرأةَ مالك، وابنَها جراد بن مالك، فأقدمهما المدينة، ودخلها وقد غرز سهمين فى عمامته، فكأنّ عمر غضب حين رأى السهمين فقام فأتى علياً فقال: إنَّ فى حق الله أن يقاد هذا بمالك، قتلَ رجلا مسلماً ثم نزَا على امرأته كما ينزو الحمار. ثم قاما فأتيا طلحة، فتتابعوا على ذلك. فقال أبو بكر: سيف سلّه الله لا أكون أوّلَ مَن أغمده، أكِلُ أمره إلى الله.

(١) فى الكامل والأغانى ١٤ : ٦٧ « اذا الرياح تناوحت »

فلما قام عُمر بالأمر وفد عليه متمِّم فاستعداه على خالد . فقال : لا أردّ شيئاً صنعه أبو بكر . فقال متمٌّ : قد كنتَ تزعم أنْ لو كنتَ مكان أبى بكر أقدْته به ! فقال عمر : لو كنتُ ذلك اليومَ بمكانى اليومَ لفعلتُ ، ولكنّي لا أردّ شيئاً أمضاه أبو بكر ، ورد عليه ليلى وابنها جرادا .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون(١) :

٨٧ ﴿ أيُّها المنكِحُ الثريّا سُهيلا عَمْرَكَ اللهَ كيفَ يلتقيان !
هى شاميّة إذا ما استقلّتْ وسهيلٌ إذا استقلّ يَمانى ﴾

على أن (عمرَكَ الله) يستعمل فى القسم السؤالى ، ويكون جوابه ما فيه الطلب ، وهو هنا جملة (كيف يلتقيان) فإن الاستفهام طلب الفهم ، وهو هنا تعجُّبى . خلافاً للجوهرى فى هذا فانه زعم أن (عمرك الله) هنا فى غير القسم .

وهذان البيتان من قصيدة لعمر بن أبى ربيعة .

و (المنكح) : اسم فاعل من أنكحه أى زوّجه . و (استقلّ) ارتفع .

لثريا و (الثريّا) هى بنت [على بن(٢)] عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وهم العَبَلات .

وكانت الثريا وأختها عائشة اعتقتا الغَريض المغنّي ، واسمه عبد الملك ، ويكنى أبا يزيد ، كذا قال المبرّد فى الكامل . قال ابن السِّيد فى شرحه : والعَبَلات هم بنو أميّة الأصغر بن عبد شمس ــ وبنو عبد شمس : أميّة ، [وعَبد أميّة(٣)] ، ونوفل أبناء عبد شمس ــ نسبوا إلى أمّهم عَبْلة بنت

(١) انظر ابن يعيش ٩ : ٩١ وابن الشجرى ١ : ٣٤٩ والوفيات ١ : ٣٧٨ وملحقات ديوان عمر ٤٩٥ وجمهرة ابن حزم ٧٦ .
(٢) التكملة من ش .
(٣) التكملة من ط وجمهرة ابن حزم ٧٤

عبيد بن جادِل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناَة بن تميم . وهى من البراجم .

ورأيت فى كتب اللهو لابن جردابة [١] أن كنيته أبو زيد ، وقال : هو من مولَّدى البربر يضرب العود ، أخذ الغناء عن ابن سُرَيج ثم حَسده فطرده ، وكان جميلا ، وربّته الثريا وعلمته النوح بالمراثى على من قتله يزيد ابن معاوية يوم الحرة .

وقيل إن الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر .

وذكر الزبير بن بكّار أنها الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر ، وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبى جراب العَبْلىّ [٢] الذى قتله داود بن على ؛ كذا فى الغرر والدرر للشريف [٣] .

سهيل

وأما « سهيل » فهو سهيل بن عبد الرحمن بن عَوف الزُهْرى . وكنيته أبو الأبيض . وأمه بنت يزيد بن سلامة ذى فائش الحميرىّ . تزوّج الثريا و نقلها إلى مصر . فقال عمر بن أبى ربيعة يضرب لهما المثل بالكوكبين . فكان يشبِّب بها ، وقال فيها أشعاراً . وكانت تَصيف فى الطائف ، فكان عمر يغدو بفرسه كلَّ غداةٍ فيسائل الذين يحملون الفاكهة عن أخبارها ، فسأل بعضَهم يوماً ؛ فقال : لا أعلم خبراً غيرَ أنى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحا على امرأة من قريش اسمها اسم نجم ذهَب عنى اسمه . قال عمر : الثريا ؟ قال : نعم .

٢٣٩

وكان قد بلغه أنها عليلة ، فركض فرسَه من أقرب الطريق حتى انتهى إليها

(١) لم يرد ذكره الا فى هذا الموضع .

(٢) النسبة الى العبلات عبلى بالفتح ، وبالتحريك عن ابن ماكولا ، كما فى القاموس .

(٣) امالى المرتضى ١ : ٣٤٦ – ٣٤٧ .

وهى تُشرف من ثَنيّة ، فوجدها سليمةً ومعها أختها ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا والله امرتهم لأخبُر ما عندك !

ولما تزوّج عمر هجرته الثريّا وغضبت عليه فقال :

قال لى صاحبي ليَعلَمَ ما بى : أتُحبّ القتول أخت الرَباب[1]
قلتُ : وجدى بها كوجدك بالما ء إذا ما مُنعتَ بردَ الشراب
مَنْ رسولى إلى الثريّا فإنى ضِقت ذرعا بهجرها والكتاب

ثم تزوّجها سُهيل المذكور وحملها إلى مصر ، وكان عمر غائبا ، فلما بلغه قال :

(أيُّها الطارقُ الذى قد عنانى بعد ما نام سامرُ الرُكبان
زارَ مِن نازحٍ بغير دليل يتخطّى إلىّ حتى أتانى[2])

إلى أن قال : أيها المنكح الثريا سهيلا . . البيتين

وزعم بعضهم أن سهيلا هو ابن عبد العزيز بن مروان . والصحيح الأول . ثم سار إلى المدينة وكتب إليها :

كتبتُ إليكِ من بَلَدى كتاب مُوَلَّه كمِدِ
كئيبٍ واكفِ العينيـن بالحَسَرات مُنفردِ[3]
يُؤرّقه لَهيب الشو ق بين السَّحْر والكبد
فيُمسك قلبَه بيد ويمسح عينه بيدِ[4]

فلما قرأته بكت بكاء شديداً ثم تمثّلت :

---

(١) ط : « أتحب البتول » .
(٢) ط : « راد من نازح » صوابه فى ش
(٣) ط : « بالحسرة » صوابه فى ش والديوان والأغانى ١ : ٩٠
(٤) فى النسختين : « ويمسح عينه » ، صوابه من الديوان والأغانى

بنفسيَ مَن لا يستقلّ بنفسه ... ومَنْ هو ، إن لم يرحم الله ، ضائع

وكتبتْ إليه تقول :

أتانى كتابٌ لم ير الناسُ مثلَه ... أُبِينَ بكافور ومِسكٍ وعنبرِ[1]

فقِرطاسه قُوهِيَّة ورباطه ... بعِقدٍ من الياقوت صافٍ وجوهرِ[2]

وفى صدره : منّي إليكِ تحيةٌ ... لقد طال تَهيامى بكم وتذكرى

وعنوانه : مِن مستهامٍ فؤادُه ... إلى هائم صَبٍّ من الحزن مُسعَرِ

روى أن الثريّا وعدَته ليلةً أن تزوره ، فجاءت فى الوقت الذى وعدته فيه ، فصادفت أخاه الحارث بن ربيعة قد طرَقة وأقام عنده ووجّه به فى حاجة ونام مكانه وغطّىٰ وجهه بثوبه ، فلم يشعر إلاّ وقد ألقت نفسها عليه تقبّله ! فانتبه وجعل يقول : اغرُبى عنّي فلست بالفاسق ، أخزاكما الله ! فانصرفت . ورجع عمر فأخبره الحارث بذلك ، فاغتمّ على ما فاته منها وقال : والله لا تَمسُّك النارُ أبدا وقد ألقت نَفْسها عليك ! فقال : عليك وعليها لعنة الله .

وحَكم له[3] بين « الثريّا » و « سهيل » تورية لطيفة ؛ فإن الثريا يحتمل المرأة المذكورة وهو المعنى البعيد المورّىٰ عنه وهو المراد ، ويحتمل ثريّا السماء وهو المعنى القريب المورّىٰ به . وسهيل يحتمل الرجل المذكور وهو المعنى البعيد المورّىٰ عنه وهو المراد ، ويحتمل النجم المعروف بسُهيل . فتمكّن للشاعر أن ورّىٰ بالنجمين عن الشخصين ليبلغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد . وهذه أحسن تورية وقعت فى شعر المتقدمين .

٢٤٠

(١) الأغانى ١ : ٩١ : « أمد بكافور »

(٢) فى النسختين : « خاف وجوهر » ، صوابه من الأغانى ثم قال أبو الفرج : « وهذا الخبر عندى مصنوع ، وشعره مضعف يدل على ذلك ، ولكنى ذكرته كما وقع الى »

(٣) كذا . ولعل معناه اتفق له تورية محكمة لطيفة .

وفى شرح بديعية العُميان لابن جابر : لا يقال إن التورية فى الثريا مرشَّحة بقوله شاميَّة ، إذ ليست من لوازم المورَّىٰ به ؛ ولا مبيَّنة ، إذ ليست من لوازم المورّى ، إذ المرأة شاميّة الدار والنجم أيضاً شامىّ فاشتركا فى ذلك ، ولا يكون الترشيح والتبيين إلاّ بلازم خاصّىّ . وكذلك التورية فى سهيل ؛ لا يقال إنّها مرشحة ولا مبيَّنة بـيمانٍ ، إذْ هو صفة مشتركة بينهما ، لأن سهيلاً الذى هو رجلٌ يمانٍ كسهيل الذى هو النجم . وسبب هذين : أن سهيلاً المذكور تزوّج الثرّيا المذكورة وكان بينهما بَون بعيد فى الخلق : كانت الثريا مشهورة فى زمانها بالحسن والجمال ، وكان سهيل قبيح المنظر ، وهذا مراده بقوله : عمرَكَ الله كيف يلتقيان ، أى كيف يلتقيان مع تفاوتٍ ما بينهما فى الحسن والقبح ، انتهى .

عمر بن أبى ربيعة

و (عمر) هو عمر بن عبد الله ــ سمّاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فى الجاهلية يسمَّى بَحيرا بفتح الموحدة وكسر المهملة ــ ابن أبى ربيعة ، واسمه حُذيفة ، وكان يلقّب بذى الرمحين ، ابن المغيرة بن عبد الله بن عُمرَ ابن مخزوم[1] المخزومىّ .

ويكنى عمرُ أبا الخطاب . وأبو جهل بن هشام بن المغيرة [ابن[2]] عمّ أبيه . وأمُّ عمر بن الخطاب حَنتمة بنت هاشم بن المغيرة[3] بنتُ عمّ أبيه . وإخوته عبد الله وعبد الرحمن والحارث بنو عبد الله .

---

(١) فى النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وهو تحريف يقع فى كثير من الكتب والمخطوطات . وانما هو « عمر » ، كما فى جمهرة ابن حزم ١٤١ ــ ١٤٢ ونسب قريش ٢٩٩ والاشتقاق ٩٩ ، ١٠١ .

(٢) التكملة من ش .

(٣) ط : « بنت هشام بن المغيرة » وكذا فى المعارف ٧٨ صوابه فى ش مع أثر تصحيح وجمهرة ابن حزم ١٤٤ وابن أبى الحديد ٤ : ٢٩٦

وكان عبد الرحمن أخوه تزوّج أمّ كلثوم بنت أبى بكر الصديق بعد طلحة وولدت له . وأعقب الحارثُ . ولا عقب لعُمَر ، وكانت أمُّه نصرانية ، وهى أم إخوته .

ولم يكن فى قريش أشعرُ مِن عمر . وهو كثير الغزل والنوادر والمجون يقال : من أراد رِقّة الغزَل فعليه بشعر عمر بن أبى ربيعة .

ولد ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وهى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فسمّى باسمه .

قال ابن قتيبة : « كان عمر فاسقاً يتعرّض لنساء الحاجّ ويشبّب بهنّ . فنفاه عمر بن عبد العزيز إلى دَهلَك . ثم غزا فى البحر فأُحرقت السفينة التى كان فيها [فاحترق[1]] هو ومن كان معه » .

وفى الأغانى بسنده أنّه نظر فى الطواف امرأةً شريفة ، فكلّمها فلم تجبه ، فقال :

الريحُ تَسْحَبُ أذيالاً وتنشرُها ياليتنى كنتُ ممن تسحب الريحُ

فى أبيات . فلما بلَغتْها جزعت جزعاً شديداً . فقيل لها : اذكريه لزوجك واشكيه . قالت : والله ما أشكوه إلا لله ، اللهمَّ إن كان نوّه باسمى ظالماً فاجعله طعاماً للريح . فعدا يوماً على فرس فهبّت ريح ، فنزل فاستتر بشجرة فعصفت الريح فخدشه غصن منها ، فمات من ذلك .

وكان ذلك سنة ثلاث وتسعين ، وقد قارب السبعين أو جَاوزها . وقيل عاش ثمانين سنة . وترجمته فى الأغانى طويلة .

* * *

(١) التكملة من ش والشعراء ٥٣٦

وأنشد بعده : ﴿ فإنَّما هى إقبالٌ وإدبارُ ﴾

تقدم شرحه فى الشاهد السبعين[١] فى باب المبتدأ[٢]

* * *

٢٤١ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون ، وهو من شواهد سيبويه[٣]:

٨٨ (عَجَبٌ لِتلْكَ قَضِيَّةً ، وإقامتى فيكم على تلك القضيّة أعجَبُ)

على أنهم يرفعون بعض المصادر المنصوبة بعد حذف عاملها لزيادة المبالغة فى الدوام . بيّن الشارح وجه رفعه على الخبريّة .

وكذلك أورده سيبويه بأنه على إضمار مبتدإ أى أمرى عجب . وقال الأعلم وتبعه ابن خلف : يجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء وإن كان نكرة لوقوعه موقعَ المنصوب ، ويتضمّن من الوقوع موقعَ الفعل ما يتضمّن المنصوبُ فيستغنى عن الخبر ، لأنه كالفعل والفاعل ، فكأنه قال : أعجب لتلك القضية . أو خبرُه لِتلك . وهذا هو المعهود فى المصادر المنصوبة : إذا رُفعتْ جعلتْ مبتدأ وجُعل متعلّقها خبراً مثل الحمد لله والسلام عليك لتكون فى معنى الأصل ، أعنى الجملة الفعليّة لا تزيد عليها إلاّ بالدلالة على الثبات ، وقد يجعل غير متعلِّقها خبراً كقوله تعالى : « فصبرٌ جميل » أى أحسنُ من غيره . وقضيةً منصوب على التمييز للنوع الذى أشار إليه بتلك ؛ ويجوز أن يكون منصوباً على الحال ، قال أبو على : كأنه قال : اعجبوا لتلك الفَعْلة

---

(١) فى النسختين : « الثامن والستين » ، وهو سهو .

(٢) أنظر ص ٤٣١ من الجزء الأول

(٣) وهو من شواهد سيبويه ، ساقط من ش . وانظر سيبويه ١ : ١٦١ وابن يعيش ١ : ١١٤ والهمع ١ : ١٩١ والعينى ٢ : ٣٤٠ عرضا .

قضيّة . وقضيّة هنا بمعنى مقضيّة . وروى : (عجباً) بالنصب على أنه مصدر نائب عن أعجَبُ .

واعلم أن الشارح المحقّق حقّق هنا أن المصدر المنصوب بعد حذف عامله يفيد الدوام ، وإذا رفع وجعل خبراً أفاد زيادة وهى المبالغة فى الدوام . وهذا مناقضٌ لكلامه فى باب المبتدإ فى « سلامٌ عليك » من أن النصب بعد حذف الفعل يدلّ على الحدوث ، فعدلَ إلى الرفع للدلالة على الدوام !

قال الدمامينى فى شرح التسهيل : « الحقّ ما قاله الرضى فى باب المفعول المطلق ، بخلاف ما قاله فى المبتدأ فإنَّه غير مرضى » .

أقول : لو عكس القضيّة لكان أظهر ، فإنه مع النصب الصريح كيف يفيد الدوام ، مع أن الجملة فعليّة ، والتزام الحذف لا ينافيه ، كما فى الظرفية الواقعة خبراً إذا قدّر المتعلّق فعلًا مع أن الجملة اسمية ، ومع هذا فلم يجعلوها للدوام الثبوتى ! فإن ادّعى أنّ العامل مضارع أو اسم فاعل ، وأن كلاًّ منهما محمول على الاستمرار التجدّدىّ لا الدوامى ؛ ورَد عليه أن هذا يحصل مع الذكر ، فتخصيص الحذف به مما لا داعية إليه ، مع أن هذا ليس مراداً له ، بل مراده حصول الاستمرار الثبوتى مع النصب .

وكلام الشارح هنا مخالف لكلام علماء المعانى ، قال السّيد فى شرح المفتاح : إن الاسم كعالم مثلا يدلّ على ثبوت العلم لمن حُكم به عليه ، وليس فيه تعرّض لاقترانه بزمانٍ وحدوثه فيه ولا لدوامه . نعم لما كان اسم الفاعل جارياً على الفعل جاز أن يُقصد به الحدوث بمعونة القرائن كما فى ضائق ، ويجوز أن يقصد به الدوام أيضاً فى مقام المدح والمبالغة ، وكذا حكم اسم المفعول ، وأما الصفة المشبّهة فلا يقصد بها إلاّ مجرّد الثبوت وضعاً ، أو الدوام

باقتضاء المقام . والجملة الاسمية إذا كان خبرها اسماً فقد يقصد بها الدوام والاستمرار الثبوتى بمعونة القرائن ؛ وإذا كان خبرها مضارعاً فقد يفيد استمراراً تجدّدياً ، وهذه الإفادة أيضاً بمعونة القرائن كما فى : « اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم »(١) لكن هذا الاستمرار التجدّدى مستفاد من المضارع فى الحقيقة ، وفائدة الجملة الاسمية ها هنا تقوى الحكم ، فليس كل جملة اسمية مفيدة للدوام ، فإنّ قولك : زيد قام ، يفيد تجدد القيام » اهـ .

٢٤٢

فقول الشارح هنا « إنما وجب حذف الفعل لأن المقصود من مثل هذا الحصر أو التكرير وصفُ الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له ، ووضع الفعل على الحدوث والتجدد الخ » مشكلٌ ؛ لأنه هنا جملة اسمية خبرها فعل مضارع أو اسم فاعل دالٌّ على الحدوث لعمله ، فهى للاستمرار التجددى لا الدوامى ؛ وحينئذ لا فرق بين ذكر العامل وحذفه ؛ لأن التقدير : ما زيد إلا يسير سيراً ، وزيد يسير سيراً ، فكيف جعل الغرض من هذا الحصر أو التكرير وصف الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له مع أن الجملة اسمية خبرها مضارع ؟

فإن أجيب : بأن الجملة إنما أفادت مع الحصر أو التكرير الدوام الثبوتى للزوم حذف العامل ، ورَد عليه الجملة الاسميّة التى خبرها ظرفيّة إذا قدّر المتعلّق فيها فعلا ، فإنها لا تفيد الدوام الثبوتى مع لزوم حذف العامل .

فإن أجيب : بأن الدالّ على الدوام الثبوتى إنما هو الحصر أو التكرير لا الجملة الإسمية التى قدّر خبرها فعلا ، كما يدل عليه قوله بعد ذلك « لم يكن

(١) الآية ١٥ من سورة البقرة .

فيه معنى الحصر المفيد للدوام » ، ورَد عليه أن كلامهم مطلق لم يقيَّد بهذا القيد .

وقول الشارح : « وإن كان يستعمل المضارع فى بعض المواضع للدوام » لا يخلو عن بحث ، فإن ظاهره أن الدوام الذى يفيده المضارع ثبوتى لا تجددى ، إلاّ أن يقال : مراده مطلق الدوام ، وإن كان مختلفاً ، وهذا لا يناسب أول كلامه . وقوله : « وذلك لمشابهته لاسم الفاعل » إنْ حمل اسم الفاعل على العامل فدوامه تجددىّ لا ثبوتىّ ، وإن حمل على غير العامل فهو يفيد الاستمرار الدوامىّ لا التجددىّ بالقرينة ، والحمل عليه لا يناسب ، لأن المضارع لا يفيد ذلك بل يفيد الاستمرار التجددى . وقوله « فلما كان المراد التنصيصَ على الدوام واللزوم لم يستعمل العامل أصلا » ، يريد أنه قد عُلم أن الدالّ للدوام عنده هو الحصر أو التكريرُ ، فالتزم حذف ما دلالته تنافى ذلك وهو العامل ، لأنه : إما فعل وهو موضوع للتجدّد ، واستعماله فى الدوام إذا كان مضارعاً ليس وضعياً بل بالقرائن ، فنظرنا إلى أصل الوضع والتزمنا حذفه — وفيه أن المحذوف كالثابت ، كما يدل عليه كلامهم فى متعلّق الظرف الواقع خبراً إذا قدر بالفعل . وقوله « أو اسم فاعل وهو مع العمل كالفعل » أى للتجدّد فلا يفيد الاستمرار وضعاً وإن استعمل فيه بمعونة القرائن ؛ وفيه أيضاً أن المحذوف كالثابت ، وعمله إنما ينافى حمله على الاستمرار الثبوتى إذا كان عاملاً فى المفعول ، أما عمله فى الظرف أو فى المفعول المطلق كما هنا فلا ينافى إفادته للدوام الثبوتى ، وأما إذا عمل فى المفعول به فإنه يفيد الاستمرار التجددى .

أبيات الشاهد

وبيت الشاهد من أبيات سبعة أولها :

(ياجُندَبَ أخبرنى ولستَ بمخبرى وأخوك ناصحُك الذى لا يَكذبُ

٢٤٣

هل فى القضيّة أنْ إذا استغنيتمُ وأمِنتمُ فأنا البعيدُ الأجنبُ
وإذا الشدائدُ بالشدائد مرّةً أشجتكمُ فأنا المحبُّ الأقربُ
وإذا تكونُ كريهةٌ أُدعى لها وإذا يُحاسُ الحَيسُ يُدعى جُندبُ
ولِجُندبٍ سهلُ البلادِ وعذبُها ولى المِلاحُ وخَبْتُهنَّ المجدبُ
عجب لتلك قضية وإقامتى . . . . البيت
هذا وجدِّكمُ الصَغارُ بعينه لا أمَّ لى إن كان ذاك ولا أبُ !)

وهذا الشعر لضَمْرَةَ [بن ضمرة][١] بن جابر بن قَطَن بن نهشل بن دارم شاعر جاهلى . ويقال : إن ضَمرة كان اسمه شقّة فسماه النعمان ضَمرة بن ضمْرة . وكان يَبَرّ أمه ويخدمها ، وكانت مع ذلك تؤثر أخاً له يقال له « جُندب » ، فقال هذا الشعر . هكذا رواه ابن هشام [اللخمى] فى شرح أبيات الجمل . ورواه بعضهم : (يا ضَمْرُ أخبرْنى) وقال : إن قائله ضمْرة . وهو خطأ . و نسبه أبو رياش لهمّام بن مرّة أخى جسّاس بن مرّة قاتلِ كليب . وزعم ابن الأعرابى : أنه قيل قبل الإسلام بخمسمائة سنة . وفى شرح أبيات سيبويه : أنه لبعض مذحج ؛ وقال السيرافى : لزُرافة الباهلى[٢]. وقال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو لهُنَىّ بن أحمر ، من بنى الحارث بن مرّة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ، جاهلى . وأنشدوا له : (يا ضَمْرُ أخبرنى) — وهُنَىّ : مصغر هَن ، وأصله هُنَيْو فأبدلت الواو ياء وأدغمت فى الياء لسبقها بالسكون .

ورواهُ أبو محمد الأعرابى عن أبى الندىٰ : أنه لعمرو بن الغوث بن طيىء ، وأنشدوا له : (ياطَىُّ أخبرنى ولستَ بكاذب)

(١) الزيادة عن : ش .
(٢) فى النسختين : « لزراقة » بالقاف ، والتصحيح للميمنى .

قال : أكتبنا[١] أبو الندى قال : « بينا طيِّء جالس ذاتَ يوم مع ولده بالجبلين : أجا وسلمى إذ أقبل رجلٌ من بقايا جديس ممتدّ الخَلْق كاد يسدّ الأفق طولاً ويفرعهم باعاً ، وإذا هو الأسود بن عَفار[٢] الجديسيّ ، وكان نجا من حسّان تُبَّع يوم اليمامة[٣] فلحق بالجبلين . فقال لطيء : مَن أدخلكم بلادي وأورثكم عن آبائي ؟ اخرجوا عنها ، وإلاّ اضربوا[٤] بيننا وبينكم وقتاً نقتتل فيه ، فأينا غلب استحقّ البلد ؛ فاتّعدا لوقتٍ ، فقال طيء لجندب ابن خارجة بن سعد بن فُطرة بن طيء — وأمُّه جديلة بنت سُبيع بن عمرو من حمير وبها يعرفون وهم جديلة | طيء[٥] | وكان طيء لها مؤثرا — فقال لجندب : قاتلْ عن مكرمتك . فقالت أمه آللهِ[٦] لتتركنّ بنيك ولتعرّضنّ ابني للقتل ! فقال طيّ : ويْحَكِ ، إنما خصصتُه بذلك . فأبتْ . فقال طيء لعمرو بن الغوث ابن طيء : عليك يا عمْرو الرجلَ فقاتلْه . قال عمْرو : لا أفعل . وقال هذه الأبيات ، وهو أوّل من قال الشعر في طيء بعد طيء فقال طيء : يا بنيّ إنها أكرم دارٍ في العرب . فقال عمرو : لن أفعل إلاّ على شرط أن لا يكون لبني جديلة في الجبلين نصيب . فقال له طيء : لك شرطُك . فأقبل الأسود بن عَفار[٧]

---

(١) ش : « أنبأنا » مع أثر تصحيح ظاهر .

(٢) ط : « غفار » بالغين المعجمة ، صوابه في ش ونوادر المخطوطات ٢ : ١١٨

(٣) الذي في ياقوت : « وكان نجا من حسان تبع اليمامة » . والقصة وردت بمعجمه في رسم (أجأ)

(٤) كذا . والوجه « فاضربوا »

(٥) التكملة من ياقوت . وفي العرب جديلة آخر أبو قبيلة ، وهو جديلة بن أسد بن ربيعة . تلك امرأة وهذا رجل

(٦) أي والله . وهذه هي الهمزة النائبة عن واو القسم ، كما في حديث : آلله الذي لا اله غيره » ، وكقول الحجاج في الحسن البصري : « آلله ليقومن عبد من العبيد فيقولن كذا وكذا » . انظر الأساليب الانشائية لعبد السلام هارون ص ١٤٧ والهمع ٢ : ٣٩ . وفي ياقوت : « والله » .

(٧) كذا في ش . وفي ط : « غفار » .

ومعه قوسٌ من حديد و نُشّاب من حديد ، فقال : يا عمرو إن شئتَ صارعتك ، وإن شئتَ ناضلتك . وإلاّ سايفتك . فقال عمرو : الصِّراع أحبُّ إلىّ فاكسِر قوسَك لأكسِرها أيضا ونَصْطَرِع . وكانت مع عمرو بن الغوث قوسٌ موصولة بزَرَافِينَ[1] إذا شاء شدّها وإذا شاء خلعها ؛ فأهوىٰ بها عمرو فانفتحت الزرافينُ ، واعترض الأسودُ بقوسه و نُشّابه فكسرها فلما رأى عمرو ذلك أخذ قوسَه فركّبها وأوترها وناداه : يا أسود ، استعن بقوسك فالرمى أحبُّ إلىّ . فقال الأسود : خدعتَنى . فقال عمرو : « الحرب خدْعة » ، فصارت مثلا . فرماه عمرو ففلق قلبه ، وخلَص الجبلان لطـيّء ، فنزلها بنو الغوث[2] ، ونزلت جديلة السَّهل منهما[3] » اهـ .

٢٤٤ وروى (أمن السَويّة) أى من العدل . والأجنَب بالجيم والنون : الغريب ، والبعيد ؛ وروى (الأخيَب) أى الخائب وأشجتكم : أحزنتْكم ، من الشجىٰ وهو الحزن ، وفعله من باب تعب ، وأشجاه : أحزنه . والحيس بفتح المهملة : لَبَن وأَقِط وسمن وتمر ، يصنع منه طعام . والمِلاح بكسر الميم : جمع مَليح ، يقال قَليب مليح أى ماؤه ملح . والخَبت بفتح المعجمة وسكون الموحدة : المطمئنّ من الأرض فيه رمل . والمجدِب اسم فاعل من الجدب بفتح الجيم وسكون المهملة : نقيض الخِصب بكسر المعجمة . وقوله :

(هذا وجَدِّكم الصغارُ بعينه . . . البيت)

---

(١) جمع زرفين ، بكسر الزاى وضمها ، وهى الحلقة . وفى الحديث : « كانت درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات زرافين ، إذا علقت بزرافينها سترت ، وإذا أرسلت مست الأرض » .

(٢) فى النسختين : « فنزلها » والوجه ما أثبت من ياقوت

(٣) فى النسختين : « منها » ، والتصحيح من ياقوت . وقد نقد ياقوت القصة فى أربعة أمور ، فانظره فى رسم (أجأ) .

هو من شواهد س وغيره . والشاهد فيهَ رفع الاسم الثانى مع فتح الأول . وذلك إما على إلغاء الثانية ورفع تاليها بالعطف على محل الأولىٰ مع اسمها ، وعلى هذا فخبرهما واحد ؛ وإما على تقدير لا الثانية معتدًّا بها عاملةً عمل ليس ، فيكون لكلٍّ من الأولىٰ والثانية خبر يخصّها ، لأن خبر الأولىٰ مرفوع وخبرَ الثانية منصوب .

وهذا مبتدأ ، وخبره الصَّغَار بفتح الصاد بمعنى الذلّ . وقوله : وجدِّكم ، جملة قسَمّية معترِضة بين المبتدأ والخبر . قال اللخمىّ : والجَد هُنا : أبو الأب ، والجدّ أيضاً : البخت والسعد والعظمة . ويروى : (هذا لعمركم) . وقوله : بعينه ، تأكيد للّصغار ، وزيدت الباء كما يقال جاء زيد بعينه ؛ وقيل : حال مؤكَّدة أى هذا الصغارُ حقًّا . وقال اللخمى : وبعينه حالٌ من الصَّغار والعاملُ فيه ما فى (ها) من معنى التنبيه ، أو ما فى (ذا) من معنى الإشارة . وذاكَ : فاعلُ كان إذ هى تامة ؛ ويجوز أن تكون ناقصة وخبرها محذوف ؛ أى إن كان ذاك مرضيا ، ولابدّ على الوجه الأول من حذف مضاف ، أى إن كان رضاء ذاك ، ليصحّ المعنى ، لأنه إنما اشترط أنه لا يرضىٰ بذلك الخسف الذى يُطلب منه ؛ وجملة الشرط معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وسدّ ما قبل الشرط مسدّ الجواب ، أى إن كان ذلك انتفيت من أمىّ وأبى . والمشار إليه باسم الإشارة فى الموضعين الفعلُ الذى فعلوه به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون ، وهو من أبيات س[1]:

٨٩ (فيها ازدِهافٌ أيَّما ازدِهافِ)

---

(١) سيبويه ١ : ١٨٢ . وانظر اللسان (زهف) وديوان رؤبة ١٠٠ .

على أنّه نصب (أيّما) على المصدر أو الحال ، مع أنه لم يذكر صاحبَ الاسم ولا الموصوف ؛ وهو فى غاية الضعف ، والوجه الإتباع فى مثله ، وهو رفعه صفةً لازدهاف ، لـكنّه حمله على المعنى ، لأنه إذا قال فيها ازدهاف فـكأنه قال : تزدهف أيّما ازدهاف .

قال سيبويه : « فإن قلت : له صوتٌ أيّما صوت ، أو مثلَ صوت الحمار ، أوله صوتٌ صوتاً حسناجاز ؛ زعم ذلك الخليلُ . ويقوّى ذلك أن يونس وعيسىٰ زعما أن رؤبة كان ينشد هذا البيت نصبا » اهـ .

وزعم الجرمى أن نصبه على إضمار تَزدهِف ، قال : ولا يجوز نصبه بازدهاف ، لأن المصدر لا يعمل فى المصدر .

أرجوزة الشاهد

وهذا البيت من أُرْجوزة طويلة تزيد على ثمانين بيتاً لرؤبة بن العجاج ، يعاتب بها أباه ، منها :

(إنّك لم تُنصفْ أبا الجَحّافِ ... وكان يَرضىٰ منك بالإنصافِ
وهو عليك واسع العِطافِ ... غاديك بالنفع وأنتَ جافى
عنه ، ولا يخفى الذى تجافى ... كيف تلومُهُ على الإلطافِ
وأنت لو مُلِّكتَ بالإتلافِ ... شُبْتَ له شَوبا من الذُّعافِ
وهو لأعدائك ذو قِرافِ ... لا تُعَجِلَنّي الحَتْفَ ذا الإتلافِ
والدهر إنّ الدهر ذو ازدلافِ ... بالمرء ذو عطفٍ وذو انصرافِ)

٢٤٥

إلى أن قال :

(وإن تشكّيت من الإسخافِ ... لم أرَ عطفاً من أبٍ عَطّافِ
فليتَ حظّى من جَداك الضافى ... والنفع أن تتركَنى كفافِ
ليست قُوىٰ حبلىَ بالضِعَافِ ... لولا تَوَقٍّ على الإشرافِ

أقحمني فى النَفْنَف النَفناف ِ   فى مثل مهوى هُوَّة الوَصّاف ِ
قولُك أقوالاً مع التَّحلاف ِ   فيه ازدهاف أيّما ازدهاف ِ
والله بين القلب والأضعاف ِ

أبو الجحّاف بفتح الجيم وتشديد الحاء المهملة : كنيةَ رؤبة . والعِطاف بكسر العين : الرداء ، مأخوذ من العطف وهو الميل والمحبة . وغاديك : من الغُدْوة وهو من أوَّل النهار إلى الزوال ؛ يقال غدا عليه غَدْواً وغُدُوّا بالضم : إذا بكَر ؛ وغاداه : باكره . والجفو : الارتفاع ، والتباعد ، ونقيض الوصل . والإلطاف بكسر الهمزة : البرّ ، يقال ألطفه بكذا أى برَّه . ومُلِّكت بالبناء للمفعول وتشديد اللام . والشَّوب : الخلط . والذُّعاف بضم الذال المعجمة : السمّ ، وقيل سمٌ ساعةٍ. والقِراف ، بكسر القاف : المقاربة . وضمير هو للإتلاف أى إتلافى مقرِّب للاعداء إليك . والازدلاف : الاقتراب ، فى الحديث « ازدلِفُوا إلى الله بركعتين » أى تقرَّبوا ، وأصل الزُّلفة المنزلة والحُظوة . وقوله بالمرء ، متعلق بالازدلاف والعطف : الإقبال . والانصراف : الإدبار . والإسخاف بكسر الهمزة وبَعد السين المهملة خاء معجمة : رقّة العيش . وسَخْفة الجوع بالفتح : رقّته وهزاله والعطف : الشَّفقة والعطّاف مبالغة عاطف ، والجَدَى بفتح الجيم والقَصر : الجدوىٰ ، وهما العطية والضّافى بالمعجمة : الكثير ، من ضفا المال : إذا كثر ؛ أو بمعنى السابغ ، يقال ثوب ضاف من ضفا الشىء يضفو ضَفْواً . وقوله : والنفع ، بالجرّ عطفا على جداك ، وروى بدله (والفضل). وقوله : أن تتركنى كفاف ، خبر ليت وأورده ابن هشام فى المغنى على أن فَعال ِ بناؤه على الكسر مشهورٌ فى المعارف كحذام لشبَهه بنزال ، وقد جاء فى غير المعارف ومنه هذا ، والأصل كافًّا فهو حال أو ترك كفاف فمصدر اهـ . وقول الصاغانى فى العباب : كفافِ فى هذا البيت هو من قولهم دعنى كفاف أى كُفَّ

عني وأكفُّ عنك ، أي ننجو رأساً برأس اهـ ، وعليه فهو اسم فعل قد جاء على بابه . والقُوىٰ : جمع قُوَّة ، وهي إحدى طاقات الحبل . والضِّعاف : جمع ضعيف. والتوقِّي : التخوّف ، وأصله جعل النفس في وقاية مما يُخاف . والوقاية : فَرط الصيانة ، وقيل حفظ الشيء مما يؤذيه ويضرّه . والإشراف بكسر الهمزة : النفقة ، كذا في العباب ، أي أني جَلْد غيرعاجزعن الاكتساب لولا أني ملازم على خدمتك وحالفٌ على تعظيمك . وأقحمني : أدخلني ، يقال قَحَم فلان بنفسه في كذا : إذا دخل فيه من روّية ، وفاعله هو « قولك » الآتي . والنفنف بنونين كجعفر : المهوىٰ بين جبلين ، وصقع الجبل الذي كأنه جدارٌ مبنيّ مستوٍ والنفناف بمعناه ، جعل وصفاً له بمعنى الصعب والشديد . وقوله في مثل مهوىٰ الخ ، بدل من قوله في النفنف . والمهوىٰ ومثله المهواة بمعنى المسقط : اسم مكان من هوىٰ بالفتح يهوِي بالكسر هُوِيًّا بضم الهاء وكسر الواو وتشديد الياء ، ويقال لما بين الجبلين ونحوه أيضاً مهوىٌّ ، والهوّة بضم بضم الهاء وتشديد الواو : الوَهدة العميقة . و « الوصّاف » بفتح الواو وتشديد الصاد المهملة : رجل من سادات العرب اسمه مالك بن عامر بن كعب بن سعد ابن ضبيعة بن عجل بن لُجيم ، وسُمِّي الوصّافَ لحديث له(١) ، قال أبو محمد الأعرابي : هوّة الوصّاف في شعر رؤبة . دَخْل بالحزن لبني الوصّاف من بني عجل ؛ وهُوّة الوصّاف مَثَلٌ في العرب يستعملونه في الدعاء على الإنسان ، يقال كبّه الله في هوّة ابن الوصاف : وقولك : فاعل أقحمني . وأقوالا : جمع قول بمعنى المقول. والتَّحلاف بفتح التاء: مصدر بمعنى الحلف ؛ يقول: إن أقوالك الكاذبة المؤكدة بالأيمان الباطلة غرّتني حتّي أوقعتني في الشدائد والمهالك . وقوله : فيه ، أي في قولك ، أو في التحلاف ، وروى (فيها) أي في الأقوال .

٢٤٦

(١) انظر تعليل تسميته بذلك في الاشتقاق ٣٤٥

فى العباب : وازدهفه : استخفَّه ، وفيه ازدهاف أى استعجال وتقحّم ، زاد فى القاموس : « وتزيُّد فى الكلام » ؛ يريد أنَّ كلامه يستخفّ العقول . وأىّ هذه الدالةُ على معنى الكمال ، وإذا وقعت بعد النكرة كانت صفةً لها ، وبعد المعرفة كانت حالاً منها ؛ لكنها نُصبت هنا على المصدرية ، ويجوز رفعها على الوصفية ، وما زائدة . والله مبتدأ والظرف خبره . والأضعافُ : أعضاء الجسد جمع ضِعف بالكسر . أى إن الله عالم بما فى الضمائر ولا يخفى عليه ما تضمره لى .

قصة الشعر

والسبب فى عتاب رؤبة أباه : ماروواه الأصمعى قال : قال رؤبة : خرجتُ مع أبى نُريد(١) سليمانَ بن عبد الملك ، فلما سرنا بعضَ الطريق(٢) قال لى . أبوك راجز(٣)وأنت مفحَم . قلت . أفأقول ؟ قال : نعم . فقلت أرجوزة(٤). فلما سمعها قال لى . اسكتْ فضّ الله فاك . فلما وصلنا إلى سليمان أنشدَه أرجوزتى ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما خرجْنا من عنده قلت له : أتسكتنى وتنشده أرجوزتى ؟ ! فقال : اسكت ويلك ! فإنّك أرجز الناس . فالتمستُ منه أن يعطينى نصيباً مما أخذه بشعرى ، فأبَى فنابذته(٥) فقال .

لطالما أجرَى أبو الجحّافِ لهيشة بعيدة الأطرافِ
يأتى على الأهلينَ والألاّف سَرهفته ماشئتَ من سِرهافِ
حتى إذا ما آض ذا أعرافِ كالكَودن المشدود بالإكافِ

(١) فى النسختين : « يريد » . وفى شرح شواهد المغنى ٣٢٣ : « أريد » .
(٢) عند السيوطى : « فلما صرنا ببعض الطريق »
(٣) بعده فى السيوطى : « وجدك راجز ».
(٤) هى أرجوزة :
كم قد حسرنا من علاة عنس
كما فى السيوطى .
(٥) ط : « فتنابذته » ، صوابه فى ش والسيوطى

قال : الذى عندك لى صَرافِ مِن غير ما كسب ولا احترافِ

فأجبته بهذه الأرجوزة .

وفى كتاب (مناقب الشبّان وتقديمهم على ذوى الأسنان[١]) كان رؤبة يرعى إبل أبيه حتى بلغ ، وهو لا يقرض الشعر ، فتزوّج أبوه امرأة تسمى عقرَب ، فعادت رؤبة ، وكانت تقسم إبله على أولادها الصغار ، فقال رؤبة : ما هم بأحقّ منّي لها ! إنى لأقاتل عنها السنينَ وأنتجع [بها[٢]] الغيث . فقالت عقرب للعجّاج أسمعُ هذا وأنت حىّ ! فكيف بنا بعدك ؟ فخرج فزبره وصاح به وقال له : اتبع إبلك ، ثم قال :

٢٤٧

لطالما أجرىٰ أبو الجحّاف فى فُرقة طويلة التجافى

لما رآنى أُرعِشتْ أطرافى استعجلَ الدّهر وفيه كافى

يخترم الإلفَ مع الأُلاّف

فى أبيات . فأنشده رؤبة يجيبه :

إنك لم تنصفْ أبا الجحّافِ وكان يرضى منك بالإنصافِ

وهو عليك دائم التَعطافِ

هكذا روى هذين الوجهين السيوطىّ فى شرح شواهد المغنى .

وقوله « لطالما أجرى أبو الجحّاف » أجرى : أرسل جَريًا بفتح الجيم

---

(١) لم يرد فى غير هذا الموضع من الخزانة ، وذكره السيوطى مرة أخرى فى شرح شواهد المغنى ٢٧٢ ولم يذكر مؤلفه كذلك وقال : « وهو كتاب ذكر مؤلفه فى خطبته انه ألفه للخليفة جعفر المقتدر ، لأنه تولى الخلافة وسنه ثلاث عشرة سنة ، ولم يل الخلافة قبله أصغر سنا منه » . وقد ولى المقتدر الخلافة سنة ٢٩٥ وخلع سنة ٢٩٦ ثم عاد الى الخلافة وظل بها الى أن خلع ثانية سنة ٣١٧ . فالكتاب قديم كما رأيت ، وهو مجهول مؤلفه .

(٢) التكملة من شرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٢٤ . وقد نقل البغدادى منه هذا النص وسابقه كما سيصرح بذلك

وتشديد الياء ــ وهو الرسول ، والأجير ، والوكيل ــ ومفعوله محذوف أى أجرانى ، يقول طالما استخدمنى فى صغره . والهيئة : التهيّؤ ، يقال هاء للأمر يهاء ويَهىء : إذا أخذ له هيئتَه كتهيّأ له ، وهيّأه تهيئة : أصلحه . والأُلّاف بضم الهمزة وتشديد اللام : جمع آلف كعُمّال جمع عامل والسَّرهَفَة : نَعْمة الغذاء بفتح النون ، يقال سرهفت الصبي وسرعفته : إذا أحسنتَ غِذاءه ، والسِّرهاف بالكسر . وروى : سرعافته ما شئت من سرعاف .

وآض بمعنى صار . والأعراف : جمع عُرف الفرس . والكَودن : الفرس الهجين ، والبِرذَون ، والبغل . والإكاف : البَرْذعة . وهذه صفات ذمّ له ، يريد أنه حتى صار رجلا ذا لحية وصَرافِ : اسم فعل أمر بمعنى اصرفْ

وقوله فى الوجه الثانى :

استعجلَ الدهرَ وفيه كافى

كقول الآخر :

* تعينُ علىَّ الدهرَ والدهرُ مُكْتَفٍ *

وقولِ كسرىٰ : « إذا أدبر الدهرُ عن قوم كفىٰ عدوّهم(١) » .

وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس أوّل الكتاب(٢).

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون ، وهو من شواهد سيبويه(٣):

---

(١) هذه المقارنة لصاحب كتاب « مناقب الشبان » ولم يعزها اليه البغدادى .

(٢) انظر ص ٨٩ من الجزء الأول فى أقسام التنوين .

(٣) سيبويه ١ : ١٩٠ . وانظر أيضا الخزانة ٤ : ١٥ وابن يعيش ١ : ١١٦ والأغانى ١٨ : ١٩٥ ، ١٩٦ والعقد ٤ : ٣٦٣

٩٠ (إنّي لأمنَحُكَ الصُدودَ وإنّني قسماً إليكَ مع الصُدودِ لأمْيَلُ)

على أن (قسماً) تأكيد للحاصل من الكلام السابق بسبب إنّ واللام ، يعنى أنّ قسماً تأكيدٌ لما فى قوله : وإننى مع الصدود لأميل إليك : من معنى القسم ، لما فيه من التحقيق والتأكيد من إنّ ولام التأكيد ؛ فلما كان فى الجملة منهما تحقيقٌ والقسمُ أيضاً تحقيقٌ صار كأنه قال : أقسم قسما .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه أنه جعل قسما تأكيداً لقوله : وإننى إليك لأميل ، وقوله وإننى إليك لأميَلُ جوابُ قسم ، فجعل قسما تأكيداً لما هو قسم . وروى أبو الحسن : (أصبحت أمنحك) كأنه قال : أصبحت أمنحك الصدود ووالله إنى إليك لأميَل . وهم يحذفون اليمين وهم يريدونها ويبقون جوابها اهـ .

وفيه نظر من وجهين : الأوّل أن الجملة ليست جواب قسم محذوف . والثانى : أن المؤكَّد لا يحذف .

وجعل ابن السّراج فى الأصول التوكيد من جهة الاعتراض فقال : « قوله قسماً اعتراض ، وجملة هذا الذى يجىء معترضاً إنما يكون تأكيداً للشىء أو لدفعه ، لأنه بمنزلة الصفة فى الفائدة يوضّح عن الشىء ويؤكده » .

٢٤٨

وقال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « انتصاب قسمٍ ، لا يخلو أن يكون بما تقدّم من قوله إنى لأمنحك الصُّدود ، أو من جملة إننى إليك لأميَل . ولا يجوز الأوّل من حيث كان فى ذلك الحكمُ ، لجواز الفصل بين اسم إن وخبرِها بمعمول جملة أخرىٰ أجنبيّ عنهما ؛ فثبت بذلك أنه من الجملة الثانية وأنه منصوب بفعل محذوف دلّ عليه قوله : وإننى إليك لأميَل ، أى أقسم

قسماً ، وأضمر هذا الفعل ، وإنما سبق الجزء الأولَ من الجملة الثانية وهو اسم إن ؛ وهذا واضح » اهـ .

وهذا البيت من قصيدة للأحْوص الأنصارى ، يمدح بها عمر بن عبد العزيز الأمويّ . وأولها : قصيدة الشاهد

(يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ حَذَرَ العِدَا وبه الفؤادُ موَكَّلُ
إنى لأمنحكَ الصدودَ وإننى . . . . البيت
ولقـد نزلتَ من الفؤاد بمنزلٍ ما كان غيرُك والأمانةِ يَنزلُ
ولقد شكوتُ إليك بعض صَبابتى ولَمَا كتمتُ من الصبابة أطولُ(١)
هل عيشُنا بك فى زمانك راجعٌ فلقد تَفحّشَ بعدك المتعلَّلُ
فصددتُ عنك وما صَددتُ لِبغضةٍ أخشىْ مَقالة كاشحٍ لا يغفُلُ(٢)
ولوَ آن ما عالجتُ لِينَ فؤادِه فقسا استُلِينَ به للان الجَندلُ
ولئن صددتُ لأنتِ ، لولا رِقبتى أشهى من اللائى أزورُ وأدخلُ
وتجنُّبى بيتَ الحبيب أحبُّه أُرضى البغيض به حديثٌ مُعضِلُ

وقال فى آخرها يخاطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

(وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مَذِقُ الحديثِ يقول مالا يَفعلُ
وأرى المدينةَ حين كنت أميرَها أمِنَ البرىءُ بها ونام الأعزلُ)

وهذا آخر القصيدة .

---

(١) فى النسختين : « ولقد كتمت » ، والتصحيح للأستاذ الميمنى ، ولم يرد البيت فى قصيدته بالأغانى ١٨ : ١٩٦

(٢) فى الأغانى : « لايعقل » .

وعاتكة هي بنت يزيد بن معاوية[١] وكانت ممن يشبّب بها من النساء . وقوله : أتعزَّل ، بالعين المهملة أى أتجنبه وأكون عنه بمعزل . وقوله : وبه الفؤاد موكّلُ من وكّلته بأمرِ كذا : فوّضته إليه . وقولهُ : إنى لأمنحك الصدود . . إلخ ، يريد أنه يُظهر هجر هذا البيت ومَن فيه وهو محبٌ لهم خوفا من أعدائه . والواو فى قوله : والأمانة ، واو القسم . وتفحَّش : مِنْ فَحُش الشيء فُحشا مثل قبح قبحاً وزناً ومعنى . والمتعلَّل اسم مفعول من تعلَّل بالشيء : إذا تلهَّى به ، وعلَّله بالشيء إذا ألهاه به كما يعلّل الصبىّ بشيء من الطعام عن اللبن ، يقال فلان يعلّل نفسه بتَعِلَّةٍ . وجملة قوله : أخشى مقالة كاشح ، استئناف بيانى . ويغفل من باب نصر ينصر .

وقوله : ولو آن ما عالجت . . الخ ، ضمير فؤاده عائد للكاشح ــ وهذا البيت من أبيات مغنى اللبيب[٢] ــ وهو بنقل فتحة الألف إلى واو لوْ ، وما : موصولة اسم أنّ ، وعالجت صلة والعائد محذوف أى به ، وجملة استُلين بالبناء للمفعول خبر لأن ، والجندل نائب الفاعل ، وللان جواب لو وفاعله ضمير الجندل ، وقسا : عطفٌ على الصلة بالفاء وهو خالٍ عن الربط لأن ضميره عائد إلى الفؤاد ، ولما كان فى الفاء معنى السببية اكتفى من الجملتين بضمير واحد وهو المجرور المحذوف ، وحذفت به الأولى من الصلة اكتفاء بِبِهِ الثانية ، وهو محل الشاهد فى المُغْنى .

(١) وفى الأغانى أنها عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية . وفى الوفيات فى ترجمة الربيع بن يونس أنها عاتكة بنت عبد الله[بن يزيد ابن معاوية بن]أبى سفيان الأموى . وكذا فى الأغانى ١٨ : ١٩٨ وفيه أيضا أن عاتكة التى ينسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وانما هو رجل كان ينزل قرى بين الأشراف ، كنى عنها بعاتكة .
(٢) انظر شرح شواهد المغنى ٢٨١

وقوله لولا رِقبتى ، هو بكسر الراء اسم من المراقبة بمعنى الخوف .

والبيتُ الأول قد عرّض به بعض المدنيّين لأبى جعفر المنصور ، قال المدائنى(١) : لما حجّ المنصور قال للربيع : أبغِني فتًى من أهل المدينة أديباً ظريفاً عالما بقديم ديارها ورسوم آثارها ، فقد بعد عهدى بديار قومى وأريدُ الوقوفَ عليها . فالتمس له الربيع فتًى أعلمَ الناس بالمدينة ، وأفهَمهم بظريف الأخبار وشريف الأشعار ، فعجب به المنصور ، وكان يسايره أحسن مسايرة ، ويحاضره أزيَن محاضرة ، ولا يبتدئه بخطاب ، إلاّ على وجه الجواب ، فإذا سأله أتى بأوضح دَلالة ، وأفصحِ مقالة . فأعجب به المنصور غاية الإعجاب وقال للربيع : ادفع إليه عشرة آلاف درهم — وكان الفتى مُملِقاً مضطرًّا — فتشاغل الربيع عن القضاء ، واضطرته الحاجة إلى الاقتضاء ، وقيل قال له الربيع : لابدّ من معاودته وإن أحببتَ دفعتُ إليك سلَفاً من عندى حتَّى أعاودَه فيما أمرَ لك . فأبقى ذلك حتى إذا كان فى بعض الليالى قال عند منصرَفه مبتدِئاً : وهذه الدارُ يا أمير المؤمنين دارُ عاتكة التى يقول فيها الأحوص :

* يا بيت عاتكةَ الذى أتعزّل *

ثم سكت فأنكر المنصور هذا من حاله ، وفكَّر فى أمره فعرض الشعر على نفسه فإذا فيه :

وأراكَ تفعل ماتقول ، وبعضُهم ... مَذِقُ الحديث يقول مالا يَفعلُ

فقال للربيع : أدفعتَ للرجل ما أمرنا له به ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين . قال : فليُدفعْ إليه مضاعفا .

(١) انظر الأغانى ١٨ : ٢٠٠ وجمع الجواهر ٧٠ والسمط ٢٥٩

وهذا أحسن إفهام من الفتى وأحسن فهمٍ من المنصور . ولم يسمع في التعريض بألطف منه .

ولقول الأحوص سببٌ ذكره عبد الله بن عبيدة بن عمّار بن ياسر [١] قال : خرجتُ أنا والأحوَص بن محمد ، مع عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الحج ؛ فلما كنا بقُدَيد [٢] قلنا لعبد الله ابن الحسن : لو أرسلت إلى سليمان بن أبي دُباكل الخزاعي فأنشدَنا من رقيق شعره فأرسل إليه . فأنشدنا قصيدة له يقول فيها :

(يا بيتَ خنساء الذي أتجنّب	ذهبَ الزمانُ وحبُّها لا يذهبُ)
أصبحتُ أمنحكَ الصُّدود وإنني	قسماً إليك مع الصدود لأجنبُ
مالي أحنّ إلى جِمالك قرّبت [٣]	وأصدّ عنك وأنت منّي أقربُ
لله درّك ! هل لديك معوَّل	لمتيَّم أم هل لودِّك مَطلب !
فلقد رأيتك قبل ذاك وإنني	لمَوكّل بهواك لو يُتجنَّب [٤]
إذْ نحن في الزمن الرخيّ [٥] وأنتم	متجاورُون كلامكم لا يرقب [٦]
تبكي الحمامة شجوها فيَهيجني	ويروح عازبُ همِّيَ المتأوّبُ [٧]
وتهبُّ سارية الرياح منَ آرضكم	فأرى البلاد بها تطلّ وتُجنَب [٨]

(١) انظر جمع الجواهر للحصري ٧١ ـ ٧٢ والأغاني ١٨ : ١٩٥ .
(٢) قديد ، بهيئة التصغير : موضع قرب مكة
(٣) ط : « قربه » ، صوابه في ش والأغاني وجمع الجواهر .
(٤) في النسختين : « لو متجنب » ، وأثبت ما في جمع الجواهر . وفي الأغاني : « أو يتقرب » .
(٥) في الأغاني : « الزمن الرخاء » . وفي الجمع « الرجي »
(٦) في النسختين : « متجاوزون « صوابه في الأغاني وجمع الجواهر . وفي الأغاني : « طلاكم لايرقب » وفي جمع الجواهر : « كلاكما » .
(٧) أي فيهيجني بكاؤها ، وفي الأغاني والجمع : « فتهيجني »
(٨) في النسختين : « يطل » صوابه في الجمع والأغاني وتجنب : تصيبها الجنوب ، وهي رياح معها مطر كما في الأزمنة ٢ : ٨٣ . وفي النسختين » يجنب » تحريف . وفي الأغاني والجمع : « وتخصب » .

وأرى السمِيَّة باسمكم فيزيدنى ... شوقاً إليك سَمِيُّكِ المتغرِّب
وأرى الصَّديقَ يودُّكم فأودُّه ... إن كان ينسب منكِ أو يتنسَّب[١]
وأخالقُ الواشين فيك تجملا ... وهمُ علىَّ ذوو ضغائن دُؤَّب[٢]
ثم اتخذتهمُ علىَّ وليجةً ... حتّى غضبتُ ومثل ذلك يُغضِبُ

فلما كان مِن قابلٍ حجَّ أبو بكر بن عبد العزيز ، فلما مرَّ بالمدينة دخل عليه الأحوص بن محمد فاستصحبه ، ففعلَ . فلما خرج الأحوص قال له بعض مَن عنده : ما تريد بنفسك ؟ تقدَم الشام بالأحوص وفيها من يَنفَسُك من بنى أبيك ، وهو من السّفَه على ما علمت ! فلما رجع أبو بكر من الحجّ دخل عليه الأحوص متنجِّزا ما وعده من الصُّحبة . فدعا له بمائة دينار وأثواب ، وقال : يا خال إنى نظرت فيما ضَمِنت لك من الصَّحابة ، فكرهت أن أهجُم بك على أمير المؤمنين . فقال الأحوص : لا حاجة لى بعطيّتك ، ولكنّي سُبِعت عندك[٣] . ثم خرج فأرسل عمر بن عبد العزيز إلى الأحوص وهو أمير المدينة ، فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار وكساه ثياباً ، ثم قال : يا خال هبْ لى عِرض أخى[٤] . قال : هُو لك . ثم خرج الأحوص وهو يقول فى عَروض قصيدة سليمان المذكورة ، يمدح عمر بن عبد العزيز :

يا بيتَ عاتكة الذى أتعزّل ... حذر العِدا وبه الفؤاد موكّلُ

(١) وكذا فى جمع الجواهر . وفى الأغانى : « أولا ينسب » .
(٢) فى الأغانى وجمع الجواهر : « وأحالف الواشين » .
(٣) سَبَعه : انتقصه وعابه . وفى ط : « شبعت » صوابه فى ش . وفى جمع الجواهر : « سعيت عندك » وضبطت فيه بضم السين . وفى الأغانى : « لا ولكن قد سبقت عندك » .
(٤) وكذا فى جمع الجواهر . وفى الأغانى ١٨ : ١٩٦ : « يا أخى هب لى عرض أبى بكر » .

حتى انتهى إلى قوله :

فسموتَ عن أخلاقهم فتركتُهم ـ لنَداك ، إنّ الحازمَ المتوكّلُ
ووعدتَني فى حاجتي فصدقتنى ووفَيت إذ كذبوا الحديثَ وبدّلوا
ولقد بدأت أريد ودَّ مَعاشر وَعدوا مواعدَ أُخلفت إذ حُصِّلوا
حتّي إذا رجع اليقينُ مَطامعى يأساً ، وأخلفنى الذين أؤمّلُ
زايلتُ ماصنَعوا إليك برحلة عَجْلى ، وعندكَ منهم المتحوَّلُ[1]
وأراك تفعلُ ما تقول ، وبعضهم مذِق الحديث يقول مالا يفعل

فقال له عمر بن عبد العزيز : ما أراك أعفيتنى مما استعفيتك !

والأحوص[2] وإنْ أغار على قصيدة سليمان ، فقد أربى عليه فى الإحسان ، وكان كما قال ابن المرزُبان وقد أنشد لابن المعتز قصيدته فى مناقضة ابن طَباطَبا العَلوىّ التى أولها :

دَعُوا الأسْدَ تـكنُس غاباتِها ولا تَدخُلوا بين أنيابهـا

وقال : أخذه من قول بعض العباسيّين المتقدمين :

دعوا الأُسد تـكنس أغيالَها ولا تقرَبوها وأشبالَهـا

ولـكنه أخذه ساجاً ، وردّه عاجاً . وغلّ قطيفة ، وردّ دِيباجا .

والمذِق بكسر الذال المعجمة : من يخلِط بكلامه كذباً ، من مذَقت اللبن والشراب من باب قتل : إذا مزجتَه وخلطته .

عاتكة بنت يزيد

و (عاتـكة بنت يزيد) المذكورة هى زوجة عبد الملك بن مروان ؛ وكان

(١) الأغانى : « عنهم متحول » . وفى الجمع : « عنهم المتحول »
(٢) هذا الكلام التالى من جمع الجواهر أيضا ولم يرد فى الأغانى . وأورده الحصرى أيضا فى زهر الآداب ٧٧٩

شديد المحبّة لهـا ، فغاضبته فى بعض الأمور وسدّت الباب الذى بينها وبينه ، فساءه ذلك وتعاظَمه وشكاه إلى من يأنس به من خاصّته ؛ فقال له عمر بن بلال الأسدى : إنْ أنا أرضيتها لك حتى ترَضىْ فما الثواب ؟ قال : حُكمُك . فأتى إلى بابها وقد مزّق ثوبه وسوّده ، فاستأذن عليها وقال : الأمر الذى أتيتُ فيه[1] عظيم ؛ فأُدخِل لوقته فرمى بنفسه وبكىْ . فقالت : مالك يا عمّ ؟ قال : لى ولدان هما من المبرّة والإحسان إلىّ فى غاية ، وقد عدا أحدُهما على أخيه فقتله وفجعنى به ، فاحتسبته وقلت : يبقى لى ولد أتسلّىْ به ؛ فأخذه أمير المؤمنين وقال : لا بد من القوَد ، وإلّا فالناس يجترئون على القتل ! وهو قاتِله إلا أنْ يغيثنى الله بكِ ، ففتحتِ البابَ ودخلت على عبد الملك وأكبّت على البساط تقبّله وتقول : يا أمير المؤمنين ، قد تعلم فضلَ عمر بن بلال ، وقد عزمتَ على قتل ابنه فشفِّعنى فيه . قال عبد الملك : ما كنت بالذى أفعل : فأقبلتْ فى الضراعة والخضوع حتى وعدها العفوَ عنه — وصلَح ما بينهما ووفىْ لعمر بمـا وعده به .

كلُّ هذا من (كتاب الجواهر فى الملح والنوادر) تأليف أبى إسحاق إبراهيم بن علىّ المعروف بالُحصرىّ صاحب زهر الآداب .

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الخامس والثمانين[2]

* * *

وأنشد بعده — وهو الشاهد الحادى والتسعون — قولَ أبى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم[3] :

---

(١) فى جمع الجواهر : « الذى جئت فيه »
(٢) أنظر ما سبق فى ص ١٥ وما بعدها من هذا الجزء .
(٣) ديوانه ورقة ٤ نسخة الشنقيطى .

٢٥١

٩١ (إذنْ لا تّبعناه على كلِّ حالةٍ   من الدَّهر جِدًّا غيرَ قَولِ التهازل)

على أنَّ المصدر المؤكد لغيره يكون فى الحقيقة مؤكداً لنفسه ، لأنه إما مع صريح القول كقوله تعالى : (ذَلِكَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقِّ) ، أو ما هو فى معنى القول كما فى هذا البيت ، فإن قوله (جِدًّا) مصدر مؤكد لما يحتمل غيره ، فإنَّ قوله (اتبعناه) يحتمل أن يكون قاله على سبيل الجِدّ وهو المفهوم من اللفظ ، وأن يكون قاله على طريق الهزل وهو احتمال عقليّ . فأكَّد المعنى الأول بما هو فى معنى القول ، لأنه أراد به : قولاً جدًّا ، والقرينة عليه ما بعده ، فإنّ قول التهازل يقابل قول الجِدّ ، فكان الأولى أن يقول : قول جِدٍّ بالإضافة ليناسب ما بعده ، فيكون لمَّا حذف المضاف أعرب المضاف إليه بإعرابه .

و (غير) بالنصب صفة لقوله جِدًّا ، ولا تضر الإضافة إلى المعرفة فإنها متمكنة فى الإبهام لا تتعرَّف . وزعم ابن السراج أنَّ غيرا إذا وقعت بين ضدين كما هنا اكتسبت التعريف من الإضافة . ويردّه قوله تعالى (نَعْمَلْ صالحاً غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ) وإنْ زعم أنها فى مثل هذا بدل ، يردّه أن غيراً وضعت للوصف ، والبدل بالوصف ضعيف . و (التهازل) بمعنى الهزل ، فإنَّ تفاعلَ قد يأتى بمعنى فعَلَ ، كتوانيت بمعنى ونَيت ، لكنّه أبلغ من المجرد . وقوله : (إذن لا تّبعناه) جواب قسم فى بيت قبله وهو :

(فوالله لولا أن أجيء بسُبَّةٍ   تجر على أشياخنا فى القبائل)

والضمير المنصوب فى اتبعناه راجعٌ للنبي صلى الله عليه وسلم . وروى (لكنَّا اتبعناه) . والسُّبّة بضم السين ، يقال صار عليه هذا الأمر سُبّة

أى عاراً يُسبّ به . وتُجَرّ : بفتح الجيم [مضارع جُرّ[١]] ، من جَرّ عليهم جريرة أى جنى عليهم جناية . وفى بمعنى بين .

والبيتان من قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت لأبى طالب عاذ فيها بحَرَم مكّة وبمكانه منها ، وتودَّد فيها إلى اشراف قومه ، وأخبر قريشاً أنه غير مُسلِم محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحدٍ أبداً حتّي يهلك دونه ؛ ومدَحه فيها أيضاً . وقالها فى الشِّعْب لما اعتزل مع بنى هاشم وبنى عبد المطلب[٢] قريشاً .

٢٥٢

وسبب دخوله الشِّعب : أن كفار قريش اتفق رأيهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد أفسدَ أبناءنا و نساءنا . فقالوا لقومه : خذوا منّا دِيَةً مضاعفَة ،ويقتلُه رجل من غيرقريش ، وتريحو ننا وتريحون أنفسَكم ! فأبَى بنو هاشم من ذلك ، وظاهرَهم بنو عبد المطلب . فاجتمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكّة إلى الشِعب . فلما دخلوا الشعب أمررسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة ، وكانت متجراً لقريش ؛ وكان يُثنى على النجاشىّ بأنه لا يُظلَم عنده أحد . فانطلق عامّة من آمن بالله ورسوله إلى الحبشة ، ودخل بنو هاشم وبنو عبدالمطلب الشِّعب مؤمنُهم وكافرهم : فالمؤمن ديناً ، والكافرُ حَمِيّة . فلما عرفت قريش أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد منعه قومُه ، أجمعوا على أن لا يبايعوهم ولا يدخلوا إليهم شيئاً من الرِّفق[٣] ، وقطعوا عنهم الأسواق ، ولم يتركوا

(١) التكملة من ط

(٢) فى حواشى ش بخط ناسخها : « قوله بنو عبد المطلب كذا فى جميع النسخ التى وقفنا عليها ، والصواب بنو المطلب بدون عبد ، لأن بنى عبد المطلب من بنى هاشم وأما بنو المطلب فليسوا من بنى هاشم لأن المطلب أخو هاشم »

(٣) الرفق ، بالكسر ، والمرفق كمنبر ومجلس ومقعد : مايستعان به .

طعاماً ولا إداماً إلاّ بادروا إليه واشتروه ، ولا يناكحوهم ولا يقبلوا منهم صُلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتّى يُسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفةً وعلّقوها فى الكعبة ، وتمادَوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاثَ سنين . فاشتدّ البلاء على بنى هاشم ومن معهم ، فأجمعوا على نقض ماتعاهدوا عليه من الغدر والبَراءة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى طالب : ياعمّ ، إنّ ربى قد سلّط الأرضة على صحيفة قريش فلحستْها ، إلاّ ما كان اسماً لله فأبقتهْ . قال: أربُّكَ أخبرك بهذا ؟ قال: نعم قال: فوالله ما يدخل عليك أحد! ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبْنى أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله عليها دابّة فلحست ما فيها فإنْ كان كما يقول فأفيقوا ، فلا والله لا نُسلمه حتى نمُوت ، وإن كان يقول باطلاً دفعناه إليكم . فقالوا : قد رضينا . ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر به ﷺ ، وَقالوا :هذا سحرُ ابن أخيك! وزادهم ذلك بغياً وعُدواناً. فقال أبو طالب :يامعشر قريش ، علَامَ نُحصَر ونُحبَس ؟ وقد بان الأمر وتبيّن أنكم أهل الظلم والقطيعة! ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة وقال : اللهمَّ انصرنا على من ظلمَنا وقطَع أرحَامنا واستحلّ مايحرُم عليه منّا . ثم انصرف إلى الشِّعب وقال هذه القصيدة. قال ابن كثير(١): هى قصيدة بليغة جداً ، لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه ، وهى أفحل من المعلقات السبع وأبلغ فى تأدية المعنى .

وقد أحببتُ أن أوردها هنا منتخَبة مشروحةً بشرح يوفّى المعنىٰ ، محبّة فى النبي ﷺ ، وهى هذه(٢) :

(١) البداية والنهاية ٣ : ٥٧ .

(٢) القصيدة فى أول ديوانه نسخة الشنقيطى والسيرة ١٧٢ والروض الأنف ١ : ١٧٣ وابن كثير فى البداية والنهاية ٣ : ٥٣ . وفيها يقول ابن سلام فى الطبقات ٢٠٤ : « وكان أبو طالب شاعرا جيد الكلام ، وأبرع ما قال قصيدته التى مدح فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى =

(خليليَّ ما أُذنى لأوّل عاذلٍ بصَغْواء فى حقٍّ ولا عِندَ باطل)

بصغواء : خبر ما النافية وهى حجازية ولذا زيدت الباء . والصَّغْو : الميل. وأصغيت إلى فلان : إذا مِلت بسمعك نحوه . ولأوّل عاذل : متعلّق بصغواء وفى حقّ متعلق بعاذل ، أى لا أميل بأذنى لأوّل عاذل فى الحق ، وإنّما قيّد العاذلَ بالأوّل لأنه إذا لم يَقبل عذل العاذل الأوّل فمِن باب أولى أن لا يقبل عذل العاذل الثانى ، فإنّ النفس إذا كانت خالية الذهن ففى الغالب أنْ يستقرّ فيها أولُ مايرِد عليها .

٢٥٣

(خليليَّ إن الرأىَ ليس بشِركةٍ ولا نَهْنَهٍ عند الأمورِ البَلابل)

أراد أنّ الرأى الجيد يكون بمشاركة العقلاء ، فإن لم يتشاركوا : بأن كانوا متباغضين لم يُنتج شيئا ــ والرأى مالم يتخمَّر فى العقول كان فَطيرا . والنهنه بنونين وهاءين كجعفر : المضىء والنيِّرُ الشفَّاف الذى يُظهر الأشياء على جليتِّها ؟ وأصله الثوب الرقيق النسج ، ومن شأنه أن لا يمنع النظر إلى ما وراءه ، وهو معطوف على شركة . والبلابل إمّا جمع بَلبَلَة بفتح الباءين ، أو جمع بَلبَال بفتحهما ، وهما بمعنى الهمّ ووساوسِ الصدر ، كزلازل جمع زَلزَلة وزَلزال بالفتح ، وهو إما على حذف مضاف أى ذات البلابل ، أو إنها بدل من الأمور .

(ولمّا رأيتُ القومَ لاوُدَّ عندهم وقد قطَّعوا كل العُرى والوسائلِ

= وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوَجْهِهِ رَبيعُ اليَتامَى عِصْــمَةٌ للأرَامِلِ
وقد زيد فيها وطولت . رأيت فى كتاب كتبه يوسف بن سعد صاحبنا ، منذ أكثر من مائة سنة ؛ وقد علمت أن قد زاد الناس فيها فلا أدرى أين منتهاها . وسألنى الأصمعى عنها فقلت : صحيحة جيدة . قال : أتدرى أين منتهاها ؟ قلت : لا أدرى .

ونص ابن سلام محرف غير معقول ، أن يصاحب من الف كتابا منذ أكثر من مائة سنة ، ولعل صوابه « وهى أكثر من مائة بيت » .

أراد بالقوم كفارَ قريش . والعرا : جمع عُروة ، وهى معروفة ، وأراد بها هنا ما يُتمسّك به من العهود مجازاً مرسَلا . والوسائل : جمع وسيلة وهي ما يتقرّب به .

(وقد صارحُونا بالعداوة والأذى وقدْ طاوَعوا أمر العدوِّ المُزايلِ)

صارحونا : كاشفونا بالعَداوة صَريحا ـ والصَّراحة وإنْ كانت لازمة لـكنها لمّا نقلت إلى باب المفاعلة تعدَّت . والمزايل : اسم فاعل من زايله مُزايلَة وزِيالا : فارقَه وبايَنه ـ وإنما يكون العدوُّ مفارقا إذا صرَّح بالعداوة فلا تمـكِن العشرة . ومن قال : المزايل : المعالج ، وظنّه من المزاولة لم يُصِب .

(وقد حالفُوا قوماً علينا أظِنَّةً يعَضُّون غيظاً خَلفَنا بالأناملِ)

حالفوا قوما : مثلُ صارحونا فى أنه كان لازما وتعدَّى إلى المفعول بنقله إلى باب المفاعلة . والتحالف : التعاهد والتعاقد على أن يكون الأمر واحداً فى النُّصْرة والحماية ، وبينهما حِلف أى عهد ، والحليف : المعاهد . وعلينا متعلق بحالفوا . والأظِنَّة جمع ظَنِين ، وهو الرجل المتَّهَم ، والظِنَّة بالـكسر . التُّهمة ، والجمع الظِّنَن ـ يقال منه أطنَّه وأظنَّه : بالطاء والظاء إذا اتَّهمه . قال الشاطبي فى شرح الألفيَّة : « أفعِلة قياسٌ فى كل اسم مذكر رباعى فيه مدة ثالثة ، فهذه أربعة أوصاف معتبرة ، فإن كان صفة لم يجمع قياساً على أفعِلة ، فإن جاء عليه فمحفوظ لا يقاس عليه ، قالوا فى شحيح . أشِحَّة ، وفى ظنين : أظِنَّة . قال تعالى : (أشِحَّةً عليـكُم) وقال أبو طالب . . » (وأنشد هذا البيت) .

(صَبرت لهم نفسى بسمْراءَ سَمْحةٍ وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المقاولِ)

الصَّبر : الحبس . والسَّمراء : القناة . والسَّمحة : اللَّدْنة اللينة التى تسمح بالهزّ والانعطاف . والأبيض : السيف . والعضْب : القاطع . والمقاول : جمع

٢٥٤

مِقول بكسر الميم : الرئيس ، وهو دون الملك ؛ كذا فى المصباح عن ابن الأنبارى . وقال السُّهيلى فى الروض الأنف : أراد بالمقاول آباءه ، شبَّههم بالملوك ولم يكونوا ملوكاً ولا كان فيهم ملك ، بدليل حديث أبى سفيان حين قال له هرِقلْ : هل كان فى آبائه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف من هِبات الملوك لأبيه ؛ فقد وهب ابنُ ذى يَزَن لعبد المطَّلب هِباتٍ جزيلةً حين وفد عليه مع قريش يهنِّئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين .

(وأحضرتُ عندالبيت رَهطى وإخوتى وأمسكت من أثوابه بالوصائل)

الوصائل : ثياب مخطَّطة يمانية كان البيت يكسى بها .

(قياماً معاً مستقبِلينَ رِتاجَه لدى حيثُ يقضى حِلْفَهَ كلُّ نافل(١))

الرتاج : الباب العظيم ، وهو مفعول مستقبلين . والنافل : فاعل من النافلة وهو التطوّع .

(أعوذ بربِّ الناس مِن كلِّ طاعنٍ علينا بسوءٍ أو مُلحٍّ بباطلِ
ومِن كاشح يسعى لنا بمَعِيبةٍ ومِن مُلحق فى الدينِ مالم نحاولِ)

ملحّ : اسم فاعل من ألحّ على الشيء : إذا أقبل عليه مواظبا . والمعيبة : العيب والنقيصة . ونحاول : نريد .

(وثَورٍ ومَن أرسى ثَبيراً مكانَه وراقٍ لبِرٍّ فى حِراء ونازلِ)

ثور : معطوف على ربِّ الناس . وهو وثَبير وحِراء ، جبال بمكة . والبِرُّ : خلاف الإثم . وهو رواية ابن إسحاق وغيره ، وروى ابن هشام :

(١) فى النسختين : «خلفه» ، صوابه فى الديوان والسيرة

(ليرقى)(١) وهو خطأ ، لأن الراق لا يرقى . وإنما هو لبرٍّ أى فى طلب برٍّ . أقسم بطالب البرّ بصعوده فى حِراء للتعبّد فيه وبالنازل منه .

(وبالبيتِ حقٍّ البيت من بطن مكّة وباللهِ ، إنّ الله ليس بغافلِ
وبالحجر الأسوَد إذ يمَسحونه إذا اكتنفوه بالضُّحى والأصائلِ)

قال السهيلى : « وقوله بالحجر الأسود فيه زحاف يسمى الـكفّ ، وهو حذف النون من مفاعيلن ، وهو بعد الواو من الأسود . والأصائل : جمع أصيلة ، والأُصُل : جمع أصيل ، وذلك لأن فعائل جمع فعيلة . والأصيلة : لغة معروفة فى الأصيل » انتهى . وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب .

(وموطىء إبراهيم فى الصَّخر رطبةً على قدميه حافياً غير ناعِلِ)

مَوطىء إبراهيم عليه السلام : هو موضع قدمِه حين غسلت كَنَّتُه رأسَه وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسَه ليغسل — وكانت سارَة قد أخذت عليه عهداً حين استأذنها فى أن يطالع ما تركه بمكّة ، فخاف لها أنه لا ينزل عن دابّته ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غَيرةً من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة ألقى الله فيها أثر قدمه آية . قال تعالى : (فيه آياتٌ بيِّناتٌ مَقامُ إبراهيم) . أى منها مقام إبراهيم . ومن جعل مقام إبراهيم بدلا من آيات قال : المقام ، جمع مَقامة . وقيل بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه .

(وأشواطِ بينَ المروتين إلى الصفا وما فيهما من صُورة وتماثِل)

هو جمع تِمثال ، وأصله تماثيل ، فحذف الياء .

---

(١) يعنى : « وراق ليرقى فى » بـدل « وراق لبر فى » . وانظر السيرة ١٧٣ .

٢٥٥ (ومَن حجّ بيتَ الله من كلِّ راكب، ومن كلِّ ذى نذر ، ومن كل راجل
فهل بَعد هذا من مَعاذٍ لعائذ وهل من مُعيذٍ يتّقى الله عادلِ)

المعاذ بالفتح : اسم مكان من عاذ فلان بكذا ، إذا لجأ إليه واعتصم به . والمعيذ : اسم فاعل من أعاذه بالله أى عصمه به . وعادل : صفة معيذ ، بمعنى غير جائر .

(يُطاع بنا العِدَا ، وودُّوا لوَ انَّنا تُسدّ بنا أبوابُ تُرك وكابُلِ)

العدا بضم العين وكسرها: اسم جمع للعدوّ ضد الصديق ، وروى (الأعدا) وهو جمع عدوّ . وتُسَدّ بنا أى علينا . والترك وكابُل بضم الباء : صِنفان من العجم .

(كذبتم وبيتِ الله نتركُ مكّةً ونَظعَنَ إلاَّ أمرُكم فى بلابِلِ)

أى والله لا نترك مكة ولا نظعن منها ، لكن أمركم فى هموم ووساوس صدر . وروى : (فى تلاتل) بالمثناة الفوقية ، جمع تَلتَلَةٍ ، وهو الاضطراب والحركة .

(كذبتم وبيتِ الله نُبزَىٰ محمداً ولمّا نطاعنْ دونه ونُناضلِ)

الواو للقسم ، ونبزى جواب القسم على تقدير لا النافية ، فإنها يجوز حذفها فى الجواب كقوله تعالى : « تَاللهِ تَفْتَؤ » أى لا تفتؤ . ونُبزىٰ بالبناء للمفعول ، أى نُغلب ونُقهرَ عليه ، يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره ، كذا فى الصحاح . فهو بالباء والزاى المنقوطة . ومحمّداً منصوب بنزع الباء . ولمّا : نافية جازمة ، والجملة المنفية حال من نائب فاعل نُبزىٰ . والطعن يكون بالرمح ، والنضال يكون بالسهم .

(ونُسلمُه حتّي نصرَّع حولَه ونذهَلَ عن أبنائنا والحلائلِ)

و نسلمه بالرفع معطوف على نُبزىٰ ، أى لا نسلمه ، من أسلمه بمعنى سَلّمه لفلان ، أو من أسلمه بمعنىٰ خذله . و نصرَّع و نُذهَل بالبناء للمفعول . والحلائل : جمع حَليلة وهى الزوجة .

قال ابن هشام فى السيرة : قال عُبَيدة بن الحارث بن المطَّلب[1] لمَّا أصيب فى قطع رجله يوم بدر : أمَا والله لو أدرك أبا طالب هذا اليومُ لعلم أنى أحقُّ بما قال منه حيث يقول :

كذبتم و بيت الله نُبزَى محمداً . . . . البيت وما بعده

ويَنهَضَ قوم فى الحديد إليكم نهوضَ الروايا تحت ذات الصَّلاصلِ)

وينهض بفتح الياء وهو منصوب معطوفا على نصرَّعَ ، والنهوض فى الحديد عبارة عن لُبسه واستعماله فى الحرب . والروايا : جمع راوية ، وهو البعير أو البغل أو الحمار الذى يستقىٰ عليه . وذات الصلاصل هى المزادة التى ينقل فيها الماء، وتسميها العامة الراوية، والصَّلاصل : جمع صُلصلة بضم الصادين وهى بقيَّة الماء فى الإداوة . يريد : أن الرجال — مثقلين بالحديد — كالجمال التى تحمل المياه مثقلة ، شبَّه قعقعة الحديد بصلصلة الماء فى المزادات .

(وحتَّى نرىٰ ذا الضغنِ يركب رَدعَه من الطَّعن فِعلَ الأنكَبِ المتحاملِ)

نرىٰ بالنون من رؤية العين . والضِّغن بالكسر الحقد . وجملة يركب حال من مفعول نرى ، يقال للقتيل . ركِب رَدْعَه : إذ خرَّ لوجهه على دمه . والرَّدع بفتح الراء وسكون الدال : اللَّطْخ والأثر من الدم والزعفران . ومن

---

(١) ط : « ابن الحارث بن عبد المطلب » ، صوابه فى ش . وانظر السيرة ٥٢٦ ـ ٥٢٧ . وقد ضبطه ابن دريد فى الاشتقاق ٨٣ بأنه تصغير عبدة ، أى هو بضم العين

الطعن متعلّق بيركب . والأنكب : المائل إلى جهة ، وأراد كفعل الأنكب ، فى الصحاح : « والنَّكَب أى بفتحتين : داء يأخذ الإبل فى مناكبها فتظلَع منه وتمشى منحرفة ، يقال نكِب البعير بالكسر ينكَب نَكَبا فهو أنكبُ » . وهو من صفة المتطاول الجائر . والمتحامل بالمهملة : الجائر والظالم .

(وإنّا لعمرُ الله إنْ جدَّ ما أرى لتلتبِسَنْ أسيافنا بالأماثلِ)

عمر الله مبتدأ والخبر محذوف أى قسمى ، وجملة لتلتبسنْ جواب القسم ، والجملة القسمية خبر إن . وقوله إن جدّ إن شرطيّة ، وجدّ بمعنى لجَّ ودام وعظم ، وما موصلة ، وأرى من رؤية البصر ، والمفعول محذوف وهو العائد ، وجواب الشرط محذوف وجوباً لسدّ جواب القسم محلّه . والالتباس : الاختلاط والملابسة ، والنون الخفيفة للتوكيد ، وأسيافنا فاعل تلتبس . والأماثل : الأشراف ، جمع أمثَل . والمعنى إنْ دام هذا العناد الذى أراه تنلْ سيوفُنا أشرافكم .

(بكفَّىْ فتيً مثلِ الشِهاب سَمَيدَعٍ أخى ثقةٍ حامِى الحقيقة باسلِ)

بكفَّىْ : تثنية كفّ ، والباء متعلقة بقوله تلتبس — وقد حقّق الله ما تفرّسه أبو طالب يوم بدر . وقوله : مثل الشهاب ، يريد أنه شجيع لا يقاومه أحدٌ فى الحرب ، كأنه شعلة نار يُحرق من يقرب منه . والسَّميدع بفتح السين ؛ وضمُّها خطأ ، وبفتح الدال المهملة وإعجامُها لا أصل له ، خلافاً لصاحب القاموس ؛ ومعناه السيّد الموطّأ الأكناف .

قال المبرّد فى أول الكامل[1] : « معنى موطّأ الأكناف : أن ناحيته

(١) الكامل ص ٣ ليبسك .

يتمكّن فيها صاحبُها(١) غير مؤذًى ولا ناب به موضعُهُ . والتوطئة : التذليل والتمهيد ، يقال دابّة وطىء افتى ، وهو الذى لا يحرِّك راكبه فى مسيره ؛ وفراش وطىء ، إذا كان وثيراً لا يؤذى جنبَ النائم عليه .

قال أبو العباس : حدّثنى العباس بن الفرج الرياشىّ قال : حدّثنى الأصمعى قال : قيل لأعرابىّ ، وهو المنتجع بن نبهان : ما السَّميدع ؟ فقال : السيّد الموطأ الأكناف . وتأويل الأكناف : الجوانب ، يقال فى المثل : فلان فى كَنَف فلان كما يُقال فلان فى ظلّ فلان وفى ذَرَا فلان(٢) وفى حيِّز فلان » . انتهى .

والثقة : مصدر وثقت به أثق بكسرهما : إذا ائتمنته . والأخ يستعمل بمعنى الملازم والمداوم . والحقيقة : ما يحقُّ على الرجل أن يحميه . والباسل : الشجيع الشديد الذى يمتنع أن يأخذه أحدٌ فى الحرب ؛ والمصدر البسالة ، وفعله بسل بالضم . وأراد بصاحب هذه الصفات الفاضلة محمّداً صلى الله عليه وسلم .

(وما تَرْكُ قوم لا أبا لكَ سيِّداً يحوطُ الذِّمارَ غير ذَرْب مُوا كِل)

ما استفهاميّة تعجبيّة مبتدأ عندسيبويه وتركُ خبر المبتدأ ، وعندالأخفش بالعكس . وقوله : لا أبا لك ، يستعمل كناية عن المدح والذم ، ووجه الأوّل : أن يرادنفى نظير الممدوح بنفى أبيه ، ووجه الثانى : أن يراد أنّه مجهول النسب ، والمعنيان محتملان هنا . والسيِّد من السيادة وهو المجد والشرف . وحاطه يحوطه حَوطا . رعاه وفى الصحاح : « وقولهم فلان حامى الذمار ، أى إذا ذَمِرَ وغضب حمى ، وفلان أمنع ذماراً من فلان . ويقال الذِّمار : ما وراء الرجل مما يحقّ عليه أن يحميه ، لأنهم قالوا : حامى الذمار كما قالوا حامى الحقيقة .

---

(١) فى النسختين : « صاحبه » ، والصواب من الكامل .
(٢) بين هذا وتاليه فى الكامل : « وفى ناحية فلان » .

وسمى ذماراً لأنه يجب على أهله التذمر له ، ومحيت حقيقة لأنه يحقّ على أهلها الدفع عنها . وظلّ يتذمر على فلان : إذا تنكّر له وأوعده » . والذّرب بفتح الذال المعجمة وكسر الراء ، لكنّه سكنّه هنا ، وهو الفاحش البذىّ اللسان . والمواكِل : اسم فاعل مِن واكلت فلاناً مواكلة : إذا اتّكلت عليه واتّكل هو عليك ، ورجل وَكَل بفتحتين ، ووُكَلة كهمزة ، وتُكَلة ، أى عاجز يَكِلُ أمره إلى غيره ويتّكل عليه .

(وأبيضَ يُستسقىْ الغمامُ بوجهه ثِمالَ اليتامىْ عصمةً للأراملِ)

أبيض : معطوف على سيِّد المنصوب بالمصدر قبله ، وهو من عطف الصفات التى موصوفها واحد ؛ هكذا أعربه الزركشىّ فى نكته على البخارىّ المسمّىْ بالتنقيح لألفاظ الجامع الصحيح ، وقال : لا يجوز غير هذا . وتبعه ابن حجر فى فتح البارى ؛ وكذلك الدمامينيّ فى تعليق المصابيح على الجامع الصحيح ، وفى حاشيته على مغنى اللبيب أيضاً . وزعم ابن هشام فى المغنى : أن أبيض مجرور بربّ مقدرة وأنّها للتقليل . والصواب الأوّل ؛ فإن المعنىْ ليس على التنكير ، بل الموصوف بهذا الوصف واحدٌ معلوم . والأبيض هنا بمعنى الكريم . قال السَّمين فى عمدة الحفاظ : عبّر عن الكرم بالبياض ، فيقال : له عندى يدبيضاء أى معروف ؛ وأورد هذا البيت . والبياض أشرف الألوان ، وهو أصلها إذْ هو قابل لجميعها ، وقد كنى به عن السُّرور والبشر ، وبالسَّواد عن الغمّ . ولما كان البياض أفضلَ الألوان قالوا : البياض أفضل ، والسواد أهول ، والحمرة أجمل ، والصفرة أشكل .

ويستسقىْ بالبناء للمفعول ؛ والجملة صفة أبيض . والثِّمال : العماد والملجأ والمُطعِم والمغنى والكافى . والعصمة : ما يعتصم به ويتمسّك ، قال الزركشىّ : يجوز فيهما النصب والرفع . والأرامل جمع أرملة وهى التى لا زوج لها ،

لافتقارها إلى من ينفق عليها ؛ وأصله من أرملَ الرجل : إذا نفِد زاده وافتقر ، فهو مرمل ، وجاء أرملُ على غير قياس . قال الأزهريّ : لا يقال للمرأة أرملة إلاَّ إذا كانت فقيرة ، فإن كانت موسرة فليست بأرملة ؛ والجمع أرامل ، حتى قيل رجل أرمل إذا لم يكن له زوج . قال ابن الأنباريّ : وهو قليل ؛ لأنه لا يذهب[١] بفقد امرأته ، لأنها لم تكن قيِّمة عليه . وقال ابن السكيت : الأرامل : المساكين ، رجالاً كانوا أو نساء .

قال السهيلي في الروض الأنف[٢] : « فإن قيل : كيف قال أبو طالب : وأبيضَ يستسقى الغمام بوجهه ، ولم يَره قطّ استُسقى به ، إنّما كانت استسقاءاته عليه الصلاة والسلام بالمدينة في سفَر وحضر ، وفيها شوهد ما كان من سرعة إجابة الله له ؟ فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك في حياة عبد المطّلب مادلّه على ما قال » انتهى .

وردّه بعضهم[٣] بأن قضيّة الاستسقاء متكرّرة ؛ إذ واقعة أبي طالب كان الاستسقاء به عند الكعبة ، وواقعة عبد المطّلب كان أوّلها أنهم أُمروا باستلام الركن ثم بصعودهم جبل أبي قُبيس ليدعوَ عبد المطلب ومعه النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمّن القومُ ؛ فسقُوا به .

قال ابن هشام في السيرة : « حدثني من أثق به قال : أقحط أهل المدينة فأتَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا ذلك إليه ، فصعد رسول الله

(١) ش : « لأنه يذهب » ، صوابه في ط واللسان (رمل ٣١٧) حيث نقل نص ابن الأنباري . وفيه : « لأن الرجل لايذهب زاده بموت امرأته اذا لم تكن قيمة عليه » .

(٢) الروض ١ : ١٧٩

(٣) هو ابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٣ . أنظر شرحه للهمزية بعد فراغه من تفسير قول البوصيري :

واذا حلت الهداية قلبا .. نشطت في العبادة الأعضاء

صلى الله عليه وسلم المنبرفاستسقى ، فمالبث أن جاءمن المطر ماأتاه أهل الضواحى يشكون منه الغرق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حوالَينا ولا علينا ! فانجاب السحابُ عن المدينة فصار حوالَيها كالإكليل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسرّه . فقال له بعض أصحابه (وهو على رضى الله عنه) : كأنك أردت يارسول الله قوله :

وأبيضَ يُستسقىٰ الغمامُ بوجهه . . البيت

قال أجل ! » انتهى .

وبتصديق النبي صلى الله عليه وسلم كونَ هذا البيت لأبى طالب —وعليه اتفق أهل السِّيرَ — سقَط ماأورده الدِّميرىّ فى شرح المنهاج فى باب الاستسقاء عن الطَبرانىّ وابن سعْدٍ : أن عبد المطّلب استسقى بالنبى صلى الله عليه وسلم فسقُوا ، ولذلك يقول عبد المطلب فيه يمدحه .

وأبيض يستسقىٰ الغمام بوجهه . . البيت

قال ابن حجر الهيتمى فى شرح الهمزّية : « وسبب غلط الدّميرىّ فى نسبة هذا البيت لعبد المطلب : ان رُقيقة (براء مضمومة وقافين) بنت أبى صيفىّ بن هاشم[1] ، وهى التى سمعت الهاتف فى النوم أوفى اليقظة ــ لما تتابعت على قريش سِنونَ أهلكتْهم ــ يصرخ : يا معشر قريش ، إن هذا النبىّ المبعوث قد أظلّتكم أيامُه ، فحيَّهلا بالحَيا والخصب . ثم أمرَهم بأن يستسقوا به ، وذكر كيفيّة يطول ذكرها . فلما ذكرت الرواية فى القصّة أنشأت تمدح النبىّ صلى الله عليه وسلم بأبيات آخرُها :

(١) فى النسختين : « هشام » تحريف ، صوابه فى شرح الهمزية وجمهرة ابن حزم ١٤ وسيرة ابن سيد الناس ١ : ٣٩ .

مبارَكُ الأمر يُستسقى الغمامُ به مافى الأنام له عدِل ولا خطَرُ (١)

فإنّ الدَّميرى لما رأى هذا البيت فى رواية قصة عبد المطلب التى رواها الطبرانى ـ وهو يشبه بيتَ أبى طالب إذ فى كلّ استسقاء الغمام به ـ توهمَّ أن بيت أبى طالب لعبد المطلب . وإنما هو لرُقيقة المذكورة . والحكم عليه بأنه عين البيت المنسوب لأبى طالب ليس كذلك ، بل شتّان ما بينهما . فتأمّلْ هذا المحلّ فإنه مهمّ . وقد اغترّ بكلام الدميرىّ مَن لاخبرة له بالسير » انتهى .

(يلوذ به الهُلّاكُ مِن آل هاشمٍ فهُم عنده فى رَحمة وفواضل)

يلوذ صفة أخرى لموصوفِ سيد . والهُلّاك : الفَقراء والصعاليك الذين ينتابون الناس طلباً لمعروفهم من سوء الحال ؛ وهو جمع هالك ، قال جميل :

أبيتُ مع الهُلّاك ضيفاً لأهلها وأهلى قريبٌ موسِعون ذَوو فضلِ

وقال زياد بن حَمل :

ترى الأرامل والهُلّاك تتبعُه يَستنّ منه عليهم وابلٌ رذِمُ

(جَزَى الله عنا عبدَ شمس ونوفَلا عقوبةَ شَرٍ عاجلا غير آجل)

نوفل هو ابن خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصىّ ، وهو ابن العدويّة ؛ وكان من شياطين قريش ، قتله على بن أبى طالب يوم بدر .

---

(١) قبله ، كما فى سيرة ابن سيد الناس :

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر

فجاد بالماء جونى له سبل دان فعاشت به الأنعام والشجر

منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر

وكان عبد المطلب قد خرج للاستقاء ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام .

(بميزان قسط لا يخِسُّ شعيرة[١]   له شاهدٌ من نفسه غير عائل)

بميزان متعلّق بجزىٰ اللهُ . والقِسط بالكسر : العدل . وخسّ يخِسّ من باب ضرب : إذا نقص وخفّ وزنه فلم يعادل ما يقابله . وله أى للميزان ، شاهد أى لسان من نفسه[٢] ، أى من نفس القسط ، غير عائل صفة شاهد أى غير مائل ، يقال عال الميزان يعول : إذا مال ؛ كذا فى العباب وأنشد هذا البيت كذا :

٢٥٩

بميزان صِدقٍ لا يغلّ شعيرة   له شاهـد . . . . . البيت[٣]

(ونحن الصَّميمُ من ذؤابة هاشمٍ   وآل قُصَىّ فى الخطوب اوائلِ)

الصميم : الخالص من كل شىء . والذؤابة : الجماعة العالية ، وأصله الخصلة من شعر الرأس .

(وكلّ صديق وابن أختٍ نعدّه   لَعمرى ، وجدنا غِبَّه غيرَ طآئلِ)

الغِبّ بالكسر : العاقبة . ويقال هذا الأمر لا طائل فيه ، إذا لم يكن فيه غَناء ومزيّة ؛ مأخوذ من الطَّول بمعنى الفضل .

(سِوى أن رهطا من كِلاب بن مرّةٍ   بَراءٌ إلينا من مَعقّةِ خاذلِ)

قال السهيلى : « يقال قوم بُراء بالضم وبَراء بالفتح وبِراء بالكسر : فأما بِراء بالكسر فجمع برىء مثل كريم وكرام ، وأما بَراء فمصدر مثل سَلام ، والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل ، ويقال رجل بَراء ورجلان بَراء ، وإذا كسرتها أو ضممت لم يجز إلا فى الجمع ، وأما بُراء بضمّ الباء فالأصل فيه برآء

(١) فى الديوان : « لا يغيض شعيرة » . وفى حواشيه : أنها فى رواية « يحص » وفى الروض الأنف ١ : ١٧٨ : « يخس شعيرة ، أى ينقص . والخسيس : الناقص من كل شىء . ويروى فى غير السيرة : « يحص بالصاد المهملة ، من حص الشعر ، اذا أذهبه » .

(٢) ط : « أى ميزان من نفسه » ، صوابه فى ش

(٣) يغل ، من الغلول ، وهو الاختلاس . وفى ط : « يقل » محرف .

مثل كرماء واستثقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الأولى ، وكان وزنه فُعَلاء فلما حذفوا التى هى لام الفعل صار وزنه فُعاء وانصرف لأنه أشبه فعالا » . والمَعَقَّة بفتح الميم : مصدر بمعنى العقوق .

(ونِعم ابنُ أختِ القوم غير مكذَّب زهيرٌ حساماً مفرداً من حمائلِ)

قال ابن هشام فى السيرة : « زهير هو ابن أبى أميّة بن المغيرة بن عبد الله ابن عُمر بن مخزوم[1] ؛ وأمّه : عاتكة بنت عبد المطلب » انتهى .

وزهير هو المخصوص بالمدح مبتدأ ، وجملة نعم ابن أخت القوم هو الخبر ، وغير مكذَّب بالنصب حال من فاعل نعم وهو ابن . ومكذَّب : على صيغة اسم المفعول ، يقال كذّبته بالتشديد : إذا نسبته إلى الكذب ووجدته كاذبا ؛ أى هو صادق فى مودّته لم يُلفَ كاذبا فيها . والحُسام : السيف القاطع ، وهو منصوب على المدح بفعل محذوف أى يشبه الحسام المسلول فى المَضاء . ورواه العينى فى شرح شواهد الألفية : (حسامٌ مفردٌ) برفعهما وقال : «حسام صفة لزهير، وقوله مفرد من حمائل صفة للحسام » وهذا على تقدير صحّة الرواية خبْطُ عشواء ؛ فإن زهيرا علَم وحساماً نكرة ! والمفرد : المجرّد . والحمائل : جمع حِمالة وهى عِلاقة السيف ، مثل المِحمَل بكسر الميم ، هذا قول الخليل ، وقال الأصمعى : حمائل السيف لا واحد لها من لفظها ، وإنما واحدها مِحمَل كذا فى العباب .

وهذا البيت استشهد به شرّاح الألفية على أنّ فاعل « نِعْمَ » مظهر مضاف إلى ما أضيف إلى المعرّف باللام .

(أشمّ ، من الشُّمِّ البهاليل يَنتمى إلى حسبٍ فى حَومة المجد فاضل)

(١) فى النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وانظر ما أسلفت من التحقيق فى ص ٢٧٢ طبعة أولى .

الشمم : ارتفاع فى قصبة الأنف مع استواء أعلاه ، وهذا مما يُمدح به ، وهو أشمّ من قَوم شُمّ والبهاليل : جمع بُهلول بالضم ، قال الصاغانى : والبهلول من الرجال : الضحّاك، وقال ابن عبّاد : هو الحيىّ الكريم . ويَنتمى : ينتسب. وفاضل بالضاد المعجمة صفة حَسَب .

(لَعمرى ، لقد كُلِّفتُ وجداً بأحمدٍ وإخوته دأبَ المحبِّ المواصلِ)

٢٦٠

كُلِّفت بالبناء للمفعول والتشديد :مبالغة كَلِفت به كَلَفا من باب تعب : إذا أحببته وأُولِعت به ؛ ووجداً أى كلفَ وجد ، يقال وجَدت به وَجداً : إذا حزِنت عليه . وبأحمد متعلّق بكلّفت ؛ وهو اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم — ويجوز أن يكون من كلّفته الأمرَ فتكلّفه ، مثل حمَّلته فتحمّله وزنا ومعنى مع مشقّة ، فوجداً مفعوله الثانى ؛ وبدون التضعيف متعدّ لواحد ، يقال كلِفت الأمرَ من باب تعب : حملته على مشقّة . وأراد بإخوته أولادَه جعفراً وعقيلاً وعليّاً رضى الله عنهم ؛ فإن أبا طالب كان عمّ النبى صلى الله عليه وسلم ، والعمّ أب فأولاده إخوة النبى صلى الله عليه وسلم . ودأبَ مصدر منصوب بفعله المحذوف أى ودأبت دأب المحبّ ، يقال فلان دأب فى عمله : إذا جدّ وتعب .

(فلا زالَ فى الدنيا جَمالاً لأهلها وزَيناً لمن ولاّه ذَبَّ المشاكلِ)

الذَّبّ : الدفع ؛ والمشاكل : جمع مُشكِلة .

(فمن مثلُه فى الناس ! أىُّ مؤمَّل إذا قاسَه الحكّام عند التفاضلِ !)

« أىّ » هى الدالة على الكمال ، خبر مبتدإ محذوف أى هو ؛ والمؤمّل الذى يُرجى لكلّ خير : والتفاضل بالضاد المعجمة ، وهو التغالب بالفضل .

(حليمٌ رشيدٌ عادل غيرُ طائش يُوالى إلهاً ليس عنه بغافلِ)

أى هو حليم . والطَّيش : النزق والخفّة : ويوالى إلَهًا أى يتخذه وليًا ، وهو فعيل بمعنى فاعل . من وليه : إذا قام به . ومنه : (اللهُ وَلىُّ الذين آمَنُوا) .

(فأيَّده ربُّ العباد بنَصره وأظهرَ ديناً حقُّه غير ناصلِ)

الحقّ : خلاف الباطل ، وهو مصدر حقّ الشىء من باب ضرب وقتل : إذا وجب وثبت . والناصل : الزائل المضمحلّ ، يقال نصل السهم : إذا خرج منه النصل ؛ ونَصل الشعر ينصُل نصولا : زال عنه الخضاب .

(فو اللهِ ، لولا أن أجىء بِسُبَّةٍ تُجرُّ على أشياخنا فى القبائل
لكُنَّا اتَّبعناه على كلِّ حالة من الدهر جِدًّا غير قول التهازل)

تقدّم شرحهما أوّلا[1]

(لقدْ عَلموا أنّ ابنَنا لا مكذَّب لدينا ولا يُعنىٰ بقول الأباطلِ)

فى النهاية : « يقال عُنيت بحاجتك أُعنىٰ بها فأنا بها مَعنىٌّ ، وعَنيت بها فأنا عانٍ ، والأول أكثر ، أى اهتممت بها واشتغلت » انتهى . وهو من باب تعب .

(فأصبح فينا أحمدٌ فى أرومَة يقصِّر عنها سَورةُ المتطاولِ)

تنوين أحمد للضرورة . والأُرومة بفتح الهمزة وضم الراء المهملة : الأصل . والسّورة بالضم : المنزلة ، وبفتح السين السطوة والاعتداء . والمتطاول من الطّول بالفتح ، وهو الفضل ، وهذا بالنسبة إلى المنزلة ؛ أو من تطاول عليه : إذا قهره وغلبه ، وهذا بالنسبة إلى السَّطوة .

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٥٦ من هذا الجزء

(حَدِبْتُ بنفسى دونه وحَمَيْته ودافعت عنه بالذُّرا والـكلاكل)

٢٦١

حدِب عليه كفرح وتحدب عليه أيضاً بمعنى تعطّف عليه ، وحقيقته جعل نفسه كالأحدب بالانحناء أمامه ليتلقَّى عنه ما يؤذيه . ودونه أمامه . والذُّرا بالضم : أعالى الشىء ، جمع ذروة بكسر الذال وضمها . والـكلاكل : جمع كَلْكَل كجعفر ، بمعنى الصدر .

(تنبيـــه)

رواية هذه القصيدة كما سطرت نقلتُها من سيرة الشامى[1] ، ورواها ابن هشام فى السيرة أزيد من ثمانين بيتا[2] ، ومطلعها عنده :

ولمَّـا رأيت القوم لاودّ فيهم وقد قطعوا كُل العُرَى والوسائل

ولم يَذكر البيتين الأوّلين مطلعَ القصيدة فى رواية الشامى ، ولا تعرّض لهما السُّهيلى بشىء .

أبو طالب

و (أبو طالب) هو عم النبي صلى الله عليه وسلم وناصره . ولد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وثلاثين سنة . ولمـا مات عبد المطلب وصّىٰ بالنبي صلى الله عليه وسلم إليه ، فـكفله وأحسن تربيته ؛ وسافر به إلى الشام وهو شابّ ؛ ولمـا بُعث صلى الله عليه وسلم قام بنصرته وذبّ عنه من عاداه ، ومدحه عدة مدائح .

واسمه عبد مناف على المشهور ، واشتهر بكنيته ؛ وقيل : اسمه عمران ،

(١) هو محمد بن على بن يوسف الشافعى الشامى المتوفى سنة ٦٠٠ . انظر كشف الظنون ٢ : ٣٩

(٢) وفى رواية أبى هفان لديوانه ١٠٩ بيتا .

وقيل : شَيبة . قال الواقدى : وتوفِّى أبو طالب فى النصف من شوال فى السنة العاشرة من النبوّة ، وهو ابن بضع وثمانين سنة .

واختلف فى إسلامه ، قال ابن حجر : رأيتُ لعلىّ بن حمزة البصرى جزءًا جمع فيه شعر أبى طالب ، وزعم أنه كان مسلماً ومات على الإسلام ، وأن الحشويَّة تزعم أنَّه مات كافراً ؛ واستدلّ لدعواه بما لا دلالة فيه . انتهى .

ومن شعره قوله :

ودعوتَني وزعمتَ أنك صادقٌ ... ولقد صدقتَ وكنتَ قبلُ أمينا

ولقد علمتُ بأنَّ دين محمّد ... مِن خير أديان البريَّة دينا

ومن شعره الذى قاله وهو فى الشِّعب :

ألا أبلغا عنّي علَى ذاتِ بيننا ... لؤيًّا وخُصّا من لؤىّ بنى كعبِ

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّدا ... نبيّا كموسىٰ خُطّ فى أوّل الكتْبِ

وأنَّ عليه فى العِباد مودّةً ... وخيّر فيمن خصّه الله بالحُبِّ[1]

وهى قصيدة جيِّدة على هذا الأسلوب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون[2] :

---

(١) كذا فى النسختين . وفى السيرة والروض الأنف ١ : ٢٢١ : « ولا خير ممن خصه الله بالحب » . وقد أفاض السهيلى فى تخريج البيت على هذه الرواية

(٢) ابن يعيش ١ : ١١٦ والأغانى ١٤ : ٤٠ ، ٤١ والحماسة ٨٧٥ بشرح المرزوقى ، ومعجم البلدان (راوند) ومعجم ما استعجم (خزاق) وشرح الشريشى للمقامات ٢ : ١٨٧ وسيرة ابن سيد الناس ١ : ٧٢ وفتوح البلدان للبلاذرى ٤٥٤

٩٢ ﴿ أَجِدَّ كُما لا تَقضِيانِ كَرا كُما ﴾

على أن (جِدَّ كما) ليس مصدراً مؤكِّداً لقوله : (لا تقضيان) بل هو إمّا منصوب بنزع الخافض ، وإمّا حال، وإمّا مصدر حُذف عامله وجوبا .

أما كونه ليس مؤكِّداً لمضمون الجملة بعده فلشيئين : الأوّل : أن قوله أجِدَّ كُما لَو جعل مؤكّداً لمضمون ما بعده لـكان مؤكِّداً لمضمون المفرد وهو الفعل فقط ، لا لمضمون الجملة ، كما بيَّنه الشارح . والثانى : أنه إنما يكون المصدر مؤكِّداً لغيره إذا أكّد معنىٰ القول الذى هو مضمون الجملة ، ولا يجوز أن يقدَّر أجدّ كما أقول لا تقضيان ، لفساد المعنى ؛ لأن القول من المتـكلم ، وعدم القضاء من المخاطب .

وأما كونه منصوبا بنزع الخافض فلأنه فى معنىٰ « حقّا » ، وهو على تقدير فى ، وجدّك وحقّا متقاربان معنًى ، فالأنسب تقاربهما فى الإعراب أيضا .

٢٦٢

وأما كونه حالاً فمعناه : لا تقضيان كرا كما جادّين ، فعامل الحال الفعلُ الذى بعدها ، وصاحبها ضمير التثنية .

وأما الثالث فهو مؤكِّد لنفسه ؛ لأنه أكّد مضمون المفرد لا مضمون الجملة ، لأنه أكّد الفعل بدون الفاعل ، والفعل يدلّ وحده على الحدث والزمان .

هذا محصل كلامه . والحاليّة لا تطرّد فى كل موضع ، ولهذا ذهب الإمام المرزوقىّ فى شرح فصيح ثعلب ، إلى أن انتصاب أجِدَّكما إمّا بنزع الخافض وإمّا بفعله المحذوف .

والمفهوم من كلام ابن جنى على هذا البيت فى إعراب الحماسة : أن أجدَّ كُما منصوب بفعله المحذوف. لـكنّ جعله جملة لا تقضيان حالا غيرُ جيِّد ، لأنها مقيَّدة وجِدَّ كما قيدٌ لها ، والمقيَّد هو أصل الـكلام . ثم جوابه عن إيراده

على جعله الجملة حالا أنها مصدّرة بعلَم الاستقبال ، بأن الشاعر أراد امتداد الحال فلما لاحظ حال الاستمرار والاستقبال أتى بلا ، غير صحيح ؛ فإن لا ليست للاستقبال على الصحيح ، والمضارع المنفيُّ بها يقع حالاً نحو : (ما لَكُمْ لا تَرْجُون لِله وَقارا) . وقد تعسّف أيضاً فى نحو « أجِدَّك لا تفعلُ » بأنه على إرادة استمرار حكاية الحال الممتدّة فيما مضىٰ .

قال أبو حيّان فى الارتشاف : ولا تفعلُ عند أبى علىّ حالٌ أو على إضمار أن فحذف أن وارتفع الفعل .

واعلم أن صنيع الشارح المحقّق ، فيه ردٌّ لمن جعل — كابن الحاجب — أجدَّك لا تفعل كذا ، من قبيل المصدر المؤكّد لغيره ، قال ابن الحاجب فى الإيضاح : « أصله لا تفعل كذا جدًّا ، لأن الذى ينبغى الفعل عنه يجوز أن يكون بجدّ منه ويجوز أن يكون من غير جدّ فإذا قال : جِدًّا فقد ذكر أحد المحتملين ؛ ثم أدخلوا همزة الاستفهام إيذاناً بأن الأمر ينبغى أن يكون كذلك ، على سبيل التقرير ؛ فقُدِّم المصدر من أجل همزة الاستفهام فصار : أجِدَّك لا تفعل ، ثم لمّا كان معناه تقرير أن يكون الأمر على وَفق ما أخبر صار فى معنى تأكيدِ كلام المتكلّم ، فيتكلّم به من يقصد إلى التأكيد وإن كان ما تقدم هو الأصل الجارى على قياس لغتهم . ويجوز أن يكون معنىٰ أجدّك فى مثله : أتفعله جدًّا منك ، على سبيل الإنكار لفعله جدًّا ، ثم نهاه عنه أو أخبر عنه بأنه لا يفعل ، فيكون أجدَّك توكيداً لجملة مقدرة دلّ سياق الكلام عليها . ومما يدلّ على أنهم يقولون أفعلُه جدًّا قولُ أبى طالب :

إذن لاتبعناه على كل حالة . . البيت »

هذا كلامه . وقوله « ثم نهاه عنه » يفهم منه أنّ أجدّك يقع بعدها النهى ،

وكذا قول بعضهم ، أجدَّك هل تفعل كذا ، يفهم منه أن الاستفهام يقع بعده .

وقد قال الشارح المحقق : إن أجدك لا يستعمل إلاّ مع النفى . ولم أرَ هذا التقييد لغيره ، وظاهره : سواء كان النافى لا أو ما أو لن ، كقوله :

أجدَّك لن ترى بثُعيلِباتٍ ولا بَيْدانَ ناجيةً ذَمولا[1]

أو لم ، كقول الأعشى :

أجِدَّك لم تغتمضْ ليلةً فترقَدها مع رُقّادها

٢٦٣ فإن قلتَ : قد وقع بعدها الاستفهام فى هذا البيت الذى أورده ثعلب فى فصيحه وهو :

أجِدَّكَ ما لعينِك لا تنامُ كأنّ جفونها فيها كِلامُ

قلتُ : النفى الذى يقع بعد أجدّك موجود وهو قوله لا تنام ، والاستفهام الثانى سؤال عن علّة عدم نوم عينه ، ومثله قول كعب بن مالك الصحابى رضى الله عنه فى غزوة الطائف :

أجِدَّهمُ أليس لهم نصيحٌ من الأقوام كان لنا عريفا[2]

يخبِّرهمْ بأنا قد جَمعنا عِتاقَ الخيلِ والبُختَ الطروفا[3]

وفى الارتشاف : ولا يستعمل أجدَّك إلاّ مضافا ، وغالباً بعده لا أو لم أو لن . وفى النهاية لابن الخبّاز قال الأعشى :

---

(١) للمرار بن سعيد الفقعى كما يفهم من اللسان (نشغ ٣٣٩) . وانشدة ثعلب فى مجالسه ١٥٩ وياقوت فى (ثعيلبات) بدون نسبة . وثعيلبات وبيدان : موضعان .

(٢) ش : « من الا ... » وتكملة « الأقوام » من ط والسيرة ٨٧٠ وفيها أيضا : « بنا عريفا » .

(٣) فى السيرة : « والنجب الطروفا »

* أجدَّك ودَّعتَ الدُّمى والولائدا[1] *

ودَّعتَ موجبٌ ، وجاء مع لا كثيراً . اهـ

وقد ذكر صاحب الصحاح وغيره : أن أجدّك يجوز في جيمه الكسر والفتح ، لكن الكسر هو الفصيح ، ولهذا قال ثعلب في فصيحه : وما أتاك أجِدَّك فمكسور وما أتاك وجَدّك فمفتوح[2] . وهو من الجِدّ ضد الهزل ، وأصله من الجِدّ في الأمر بمعنى الاجتهاد فيه ، لأنّ الهازل لا يبذل الاجتهاد في شيء .

وأغربَ صاحب القاموس حيث جعله مِن جادّهُ بمعنى حاققه ، ثم قال « وأجدّك لا تفعل ، لا يقال إلا مضافاً ، وإذا كسر استحلفه بحقيقته ، وإذا فتح استحلفه ببخته » انتهى . وهذا شيءٌ انفرد به ؛ وكأنه جنح لما ذهب إليه الشَّلَوبين حيث زعم أنّ فيه معنى القسم ، ولذلك قدّم .

وهذا المصراع من شعر لقُسّ بن ساعِدة . وهو :

خليليّ هُبّاً طالما قدْ رَقدتما	« أجَدَّكُما لا تقضيان كراكُما »
ألم تعلما أنّي بسَمعان مفرَداً	وماليَ فيه مِن خليلٍ سواكما !
مقيمٌ على قبريكما لستُ بارحاً	طوالَ الليالى أو يجيبَ صداكما !
أُبَكِّيكما طولَ الحياة ، وما الذى	يردّ على ذى لوعة أن بكاكما !
كأنّكما ، والموتُ أقربُ غائب[3]	بروحيَ فى قبريكما قد أتاكما !

(١) ط : « والولائد » ، صوابه فى ش والديوان ٤٨ . وعجزه :
* وأصبحت بعد الجور فيهن قاصدا *

(٢) نص الجوهرى : « قال ثعلب : ما أتاك فى الشعر من قولك أجدك فهو بالكسر ، فاذا أتاك بالواو وجدك فهو مفتوح » .

(٣) فى الأغانى وشرح المقامات : « أقرب غاية » .

أَمِنْ طول نوم لا تجيبان داعيا كأنّ الذى يسقى العُقار سقاكما!

فلو جُعِلتْ نفسٌ لنفسٍ وِقايةً لجُدتُ بنفسى أن تكون فداكما!

فى سيرة ابن سيِّد الناس بسنده إلى ابن عبّاس فى حديث الجارود ابن عبد الله لما قدم مؤمناً بالنبي صلى الله عليه وسلم وسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن قسّ بن ساعدة ، والحديث طويل ، إلى أن قال ابن عبّاس : وقام رجل أشدقُ أجشُّ الصوت فقال : لقد رأيت من قسّ عجَبا : خرجت أطلب بعيراً لى حتّى إذا عَسعس الليلُ وكاد الصبح أن يتنفّس ، هتف بى هاتف يقول :

يا أيها الراقد فى الليل الأحَمّ قد بعث الله نبيًّا فى الحَرمْ

مِن هاشم أهل الوفاء والكرمْ يجلو دُجُنّات الليالى والبُهَمْ

قال : فأدرتُ طرْفى فما رأيت [له[1]] شخصا ؛ فأنشأت أقول :

يا أيها الهاتف فى دُجى الظُّلَمْ[2] أهلاً وسَهلا بك مِن طيف ألَمْ

بَيِّنْ هَداك اللهُ ، فى لحن الكَلِمْ مَنِ الذى تدعو إليه تغتنِمْ

فإذا أنا بنحنحة وقائلٍ يقول : ظهر النور ، وبطل الزُّور ، وبَعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحبور ؛ صاحب النجيب الأحمر ، والتاج والمِغفر ، والوجه الأزْهر ، والحاجب الأقْر ، والطرْف الأحور ؛ صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله ؛ فذاك محمّد المبعوث إلى الأسود والأحمر ، أهل المدر والوبر . ثم أنشأ يقول :

الحمـــد لله الذى لم يخلق الخلقَ عبَثْ

(١) التكملة من مخطوطة عيون الأثر لابن سيد الناس رقم ١٧٦ تاريخ بدار الكتب وفى المطبوعة من عيون الأثر كما هنا .

(٢) الذى فى سيرة ابن سيد الناس : « داجى الظلم »

ولم يُخَلِّنا سُدًى من بعد عيسى واكترثْ
أرسل فينا أحمدا خيرَ نبيٍّ قد بُعثْ
صلّى عليه اللهُ ما حجَّ له ركبٌ وحَثّ

قال : ولاح الصباحُ فإذا أنا بالفَنيق ، يشقشق إلى النُوق ؛ فملكت خِطامه وعلوت سَنامه ؛ حتّي إذا لغِب فنزلتُ فى روضة خضِرة ؛ فإذا أنا بقُسّ ابن ساعدة فى ظل شجرة ، وبيده قضيبٌ من أراكٍ ينكُت به الأرض وهو يقول :

يا ناعيَ الموت والأمواتُ فى جدَث عليهم من بقايا بَزّهمْ خِرَقُ
دعهمْ ، فإن لهم يوماً يُصاحُ بهم فهم إذا انتبهوا من نومهم فَرِقوا
حتّي يعودُوا لحالٍ غيرِ حالهِم[1] خلْقاً جديداً كما مِن قبلِه خُلقوا
منهمْ عراةٌ ، ومنهمْ فى ثيابهم : منها الجديدُ ومنها المُنهَجُ الخلَق

قال : فدنوتُ منه فسلّمت عليه فردّ علىّ السلام ؛ وإذا [أنا[2]] بعين خرّارة فى أرض خوّارة ؛ ومسجد بين قبرين ، وأسدَيْن عظيمين يلوذان به ؛ وإذا بأحدها قد سبق الآخر إلى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء . فضربه بالقضيب الذى فى يده وقال : ارجعْ ثـكِلتك أمك ! حتّي يشربَ الذى ورد قبلَك ؛ فرجع ثم ورد بعده . فقلت له : ما هذان القبران ؟ قال : هذان قبرَا أخوين كانا لى ، يعبدان الله عزّ وجل معى فى هذا المكان لا يشركان بالله عز وجل شيئاً ، فأدركهما الموت فقبرتُهما ، وها أنا بين قبريهما حتى ألحقَ بهما ! ثم نظر إليهما وجعل يقول :

(١) فى عيون الأثر : « بحال غير حالهم »
(٢) من عيون الأثر .

خليلىَّ هُبَّا طالما قد رقدتما أجِدَّكما لا تقضيان كراكُما

. . . الأبيات السابقة : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله قسًّا ! إنى أرجو أن يبعثه الله أمّة وحدَه . انتهى .

الأمّة : الشخص المنفرد بدين ، أى يُبعث واحداً يقوم مقام جماعة . والأجشُّ : الغليظ الصوت . وعَسعس الليل : أدبر ؛ ويأتى بمعنى أقبل ، فهو ضدّ . والأحمّ : الأسود . والدُّجُنّة بضمتين وتشديد النون : الظُّلمة ، وكذلك البُهمة وجمعها بُهَم . ولحن القول ، قال الأزهرىّ : هو كالعنوان والعلامة تشير بها فيفطنِ المخاطَب لغرضك . والنجيب : الكريم من الإبل . والحاجب الأقر : أراد أنه مفروق ما بين الحاجبين فيكون أبلج نيِّرا . والفنيق : الفحل المكرم من الإبل الذى لا يُركب ولا يُهان لكرامته . ويشقشق : يهدر بشقِشقِته . ولغِبَ : تعب . والعين الخرّارة : الغزيرة النّبع ، من الخرير وهو صوت الماء . والأرض الخوارة : اللّينة السهلة ، من خار يخور : إذا ضعف .

٢٦٥

وهُبَّا : أمر مسند إلى ضمير الخليلين ، من الهبّ ، يقال هبّ من نومه من باب قتل : إذا استيقظ . وطالما : قال التبريزى فى شرح الحماسة : إن جُعلت ما مصدرية كُتبتْ منفصلة ، وإن جعلت كافّة فمتصلة » . والرقود : النوم فى ليل أو نهار ، وخصّه بعضهم بنوم الليل ؛ والأوّل هو الحقّ ، ويشهد له المطابقة فى قوله تعالى : (وتَحْسَبُهُمْ أيْقاظاً وهُمْ رُقودٌ) قال المفسّرون : إذا رأيتهم حسبتَهم أيقاظاً لأن أعينهم مفتّحة وهم نيام . وتقضيان : من قضيت وطرى : إذا بلغتَه ونِلته . والكرىٰ : النوم ؛ قالوا : أوّل النوم النُّعاس ، والوَسَن ثقل النعاس ، ثم الترنيق وهو مخالطة النعاس للعين ،

ثم الكَرى والغَمْض وهو أن يكون الإنسان بين النائم واليقظان ، ثم الهجود والهجوع ، وهو النوم الغرِق .

وسَمعان بفتح السين . موضع . وبارحاً بالموحدة والمهملة : فاعل من برح الشيء يبرح من باب تعب براحاً : إذا زال من مكانه . وطَوال الليالى بفتح الطاء بمعنى الطُول بضمها ، وهو منصوب على الظرفية ؛ يقال : لا أكلّمه طَوال الدهر وطُول الدهر ، وهما بمعنًى ؛ يريد إننى مقيم أبداً . وأو بمعنى إلى ، أو بمعنى إلاّ ، ويجيب منصوب بأن بعدها . والصَّدى هنا بمعنى ما يبقى من الميت فى قبره ، ومنه قول النَّمر بن تولب الصحابى رضى الله عنه :

أعاذِل ، إنْ يُصبح صَدايَ بقفرة بعيداً نآنى صاحبي وقريبي

ترَىْ أنّ ما أبقيتُ لم أكُ رَبَّه وأنّ الذى أنفقتُ كان نصيبي

وله معانٍ أخر : أحدها ذَكر البوم ؛ ثانيها : حُشوة الرأس ، يقال لذلك الهامَة والصَّدىٰ ، وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية : أنَّ الرجل كان عندهم إذا قُتل فلم يدرَك به الثأر ، أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهى الهامة والذكر الصدَىٰ — فيصيح على قبره : اسقُونى اسقونى ! فإن قُتل قاتله كفّ ذلك الطائرُ . قال :

يا عَمرو إن لا تدع شتْمى ومنقَصَتي أضرِبْك حتّى تقولَ الهامةُ اسقونى[1]

ثالثها : ما يرجع عليك من الصوت إذا كنت بمتّسِع من الأرض أو بقرب جبل . رابعها : بمعنى العطَش ، مصدر صدِى يَصدَىٰ — والصدأ بالهمزة : صدأ الحديد وما أشبهه ، كذا فى الكامل للمبرد .

---

(١) لذى الاصبع العدوانى فى المفضليات ١٦٠ ويروى : « حيث تقول الهامة »

وأبكّيكما ، قال الأصمعى : بكَيت الرجل وبكّيته بالتشديد ، كلاهما إذا بكيت عليه . وما اسم استفهام مبتدأ ، والذى خبره ، أو بالعكس ؛ والمعنى : أى شىء الذى يردّه البكاء على ذى اللوعة ؟ وهى الحُرقة . وروى (ذى عَولة) وهى رفع الصوت بالبكاء بمعنى العويل . أنْ بكا كما : بفتح الهمزة مصدرية ومؤولها فاعل يردّ ؛ وروى بكسر الهمزة ، فهى شرطية والجواب مدلول عليه بأبكيكما ، وفاعل يردّ ضمير مفهوم من أبكيكما وهو البكاء ، ويجوز أن يكون دلّ عليه قوله أن بكا كُما . وقوله كأنكما الخ . كأنّ هنا للتقريب ، وجملة قد أتاكما خبر كأنّ ، وفاعل أتى ضمير الموت ، والظرفان متعلقان به ، وجملة والموت أقرب غائب ، اعتراضية . والعُقار بالضم : الخمر .

٢٦٦ والفِدَى بكسر الفاء وفتحها وبالقصر : مصدر فداه من الأسر يفديه : إذا استنقذه بمال ، واسم ذلك المال الفِدية وهو عِوَض الأسير ؛ وأما الفِداء بالكسر والمدّ فمصدر فاديته مفاداة وفِداء : أخذت فِديته وأطلقته ؛ وقال المبرد : المفاداة : أن تدفع رُجلا وتأخذ رُجلا ، والفِدى : أن تشتريه ، وقيل هما واحد .

(تنبيه)

أورد أبو تمّام فى الحماسة هذه الأبيات على غير هذا النمط وقال : ذكروا ان رجليْن من بنى أسد خرجا إلى أصبهان ، فآخيا بها دِهقانا فى موضع يقال له راوند ، فمات أحدهما وبقىَ الآخر والدهقان ينادمان قبره ويشربان كأسيْن ويصبان على قبره كأساً ؛ فمات الدِّهقان فكان الأسدىُّ ينادم قبريْهما ويشرب قدَحاً ويصبُّ على قبريْهما قدحيْن ، ويترنّم بهذا الشعر :

خليليّ هبّا طالما قد رقدتما . . . . البيت
ألم تعلما ما لى براوند كلها ولا بخُزاق من صديق سوا كما ؟
أصبُّ على قبريكما من مُدامة فإلاّ تنالاها تُرَوِّ جُناكما
أقيم على قبريكما . . . . البيت
وأبكيكما حتى الممات وما الذى . . . . البيت
جرى النومُ بين الجلد واللحم منكما كأنكما ساقى عُقار سقاكما

وروى الأصبهانى فى الأغانى بسنده إلى يعقوب بن السكّيت ، أنّ هذا الشعر لعيسى بن قُدامة الأسديّ ، قدِم قاشانَ وله نديمان ، فماتا فكان يجلس عند قبريْهما وهما براوَند بموضع يقال له خُزاق ، فيشرب ويصبّ على القبريْن حتى يقضىَ وطره ثم ينصرف ، وينشد وهو يشرب — وروىْ ما رواه أبو تمام[1] ، وزاد عليه .

« تحمّل من يبغى القُفول وغادروا[2] أخا لكما أشجاه ما قد شجا كُما
وأىُّ أخ يجفو أخاً بعد موته فلستُ الذى من بعد موتٍ جفاكما
أناديكما كيما تجيبا وتنطقا وليس مُجاباً صوتُه من دعاكما
قضيتُ بأنى لا مَحالة هالكٌ وأنى سيعرونى الذى قد عراكما »

وروى الأصبهانى أيضاً بسنده إلى عبد الله بن صالح البجلىّ[3] أنه قال :

---

(١) فيه نظر ، فان هناك تخالفا فى الرواية وعدد الأبيات . انظر الأغانى ١٤ : ٤١

(٢) ط : « العقول » ، صوابه فى ش . وفى الأغانى : « من يهوى العقول » .

(٣) وكذا فى ش . وفى الأغانى عن البلاذرى : « عبد الله بن صالح ابن مسلم العجلى » . ونحوه فى فتوح البلدان للبلاذرى ٤٥٤

بلغنى أن ثلاثة نفرٍ من أهل الكوفة كانوا فى الجيش الذى وجّهه الحجّاج إلى الدَّيلم ، وكانوا يتنادمون ولا يخالطون غيرهم ، وإنّهم لَعَلَى ذلك إذ مات أحدهم ، فدفنه صاحباه ، فكانا يشربان عند قبره فإذا بلغَه الكأسُ هراقاها[1] على قبره وبكيا . ثم إنّ الثانى مات فدفنه الباقى إلى جنْب صاحبه ؛ وكان يجلس عند قبريْهما فيشرب ويصبّ كأسيْن عليهما ويبكى ويقول .... ثم ذكر الأبيات التى تقدم ذكرها ، وقال مكانَ (براوند) : (بقزوين[2]) . قال : وقبورهم هناك تعرف بقبور الندماء .

قال الأصبهانى : وذكر العتبى عن أبيه أنّ الشعر للحزين بن الحارث أحد بنى عامر بن صعصعة ؛ وكان أحدُ نديميْه من بنى أسد ، والآخرُ من بنى حنيفة فلما مات أحدهما كان يشرب ويصبّ على قبره ويقول :

لا تُصرِّدْ هامةً من كأسِها وأسقِهِ الخمرَ وإن كان قُبِرْ
كان حُرًّا ، فهوىٰ فيمن هوىٰ كلُّ عودٍ ذى شُعوب ينكسِرْ

ثم مات الآخر فكان يشرب على قبريْهما ويقول :

خليلى هبّا طالما قد رقدتما . . الأبيات

وأما أبو عبيد فى معجم ما استعجم ، وياقوت فى معجم البلدان ، فقد نسبا هذه الأبيات للأسدىّ وذكرا حكايته كأبى تمّام ؛ ثم قال ياقوت : وقال بعضهم : إن هذا الشعر لقسّ بن ساعدة فى خليليْن له كانا وماتا . وقال آخرون

---

(١) ط : « هرق » ش « هرقا » ، صوابهما فى الأغانى وفتوح البلدان

(٢) فى النسختين : « وقال : خزاق مكان براوند بقزوين » صوابه من الأغانى ومن صنيع البلاذرى

هذا الشعر لنصر بن غالب يرثي به أوس بن خالد [وأُنَسا(١)] ، وزاد في الأبيات ونقص ، وهذه روايته بعد البيت الأول :

أجِدَّكما ما ترثيان لموجَع　　حزين على قبريكما قد رثا كما
جَرى النوم بين العظم والجلد منكما　　. . . . . البيت
ألم تعلما مالى براوند كلِّها　　. . . . . البيت
أصبُّ على قبريكما من مُدامة　　فإلاّ تذوقاها تُرَوِّ ثراكما
ألم ترحمانى أننى صرت مفرَدا　　وأنّىَ مشتاق إلىٰ أن أراكما
فإن كنتما لا تسمعان فما الذى　　خليلىّ ، عن سَمْع الدعاء نهاكما
أقيم على قبريكما لست بارحا　　. . . . . البيت
وأبكيكما طول الحياة وما الذى　　. . . . . البيت

قال ياقوت « راوند : بُليدة قرب قاشان وأصفهان ، قال حمزة : أصلها راهاوند ، ومعناها الخير المضاعف . قال بعضهم : وراوند مدينة بالموصل قديمة بناها راوند الأكبر بن بيوراسف(٢) الضحاك » . انتهى .

وخُزاق بضم الخاء وبالزاى(٣) المعجمتين وآخره قاف : موضع فى سواد أصفَهان . كذا فى المعجم لأبى عبيد ، وأنشد هذا البيت . ورأيت فى هامشه بخط من يوثق به : خزاق اسم قرية من قرى راوَند من أعمال أصفهان . والجُثا بضم الجيم وبالثاء المثلثة : جمع جثوة مثلثة الجيم ، وهى الحجارة المجموعة ،

---

(١) التكملة من ياقوت

(٢) ط : « هراسف » ش : « شراسف » . قال الميمنى : « والصواب كما فى معجم البلدان : « بيوراسف ، وأصله بالفارسية بِيوَرْ أَسْب »

(٣) فى النسختين : « والزاى » ، والتصحيح لأحمد تيمور .

والجسد . والدِّهقان معرّب دِهجان(١) ومعناه رئيس القرية ؛ وفى القاموس : الدهقان بالكسر والضم زعيم فلاّحى العجم ، ورئيس الإقليم ، معرّب .
وقوله « ألم تعلما مالى . . الخ » ما : نافية ، قال ابن جنى فى إعراب الحماسة : « استعملها بعد العِلم وهى مقتضية لمفعولَيها لِما دخلها من معنى القسم ، فكأنه قال : والله مالى براوند من صديق غيركما وجاز استعمال العِلم فى موضع القَسَم من حيث كانا مثبِتين مؤكِّدين » انتهى .

قس ابن ساعدة

و(قس بن ساعدة) إيادىّ بكسر الهمزة ، وإياد : حىٌّ من معدّ بن عدنان .
قال الذهبىّ : قس بن ساعدة أورده ابن شاهين وعبدان فى الصحابة .
وكذلك قال ابن حجر فى الإصابة : ذكره أبو على بن السكن وابن شاهين وعبدان المرْوَزىّ وأبو موسى فى الصحابة ، وصرح ابن السكن بأنه مات قبل البعثة .

وفى سيرة ابن سيِّد الناس(٢) بسنده إلى ابن عباس قال : قدم الجارود ابن عبد الله ، وكان سيِّدا فى قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذى بعثكَ بالحقّ لقد وجدتُ صفتَك فى الإنجيل ، ولقد بشَّر بك ابنُ البَتول ؛ فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّك محمد رسول الله . قال : فآمن الجارود وآمن من قومه كلُّ سيِّد . فسُرّ النبى صلى الله عليه وسلم بهم ، وقال : يا جارود ، هل فى جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسًّا ؟ قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله ، وأنا من بين [يدى(٣)] القوم كنت أقفو أثره ،

---

(١) أصله بالفارسية « دِهكان » بالكاف الفارسية كما فى معجم استينجاس ٥٤٩
(٢) سيرة ابن سيد الناس ١ : ٦٩
(٣) التكملة من سيرة ابن سيد الناس

٢٦٨ كان من أسباط العرب(١) فصيحا ، عمّر سبعمائة سنة ، أدرك من الحواريين سمعان ، فهو أوّل من تألّه من العرب – أى تعبّد – كأنى أنظر إليه يقسم بالربّ الذى هو له ليَبلُغَنَّ الكتابُ أجلَه وليوَفّيَنّ كلّ عامل عمله ؛ ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من جواه ادّكارُ وليالٍ خلالَهن نهارُ

فى أبيات آخرها :

والذى قد ذكرتُ دلّ على الله نفوساً لها هدىً واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على رِسلك يا جارود ، فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أوْرق ، وهو يتكلم بكلام ما أظن أنى أحفظه . فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله ، فإنى أحفظه : كنت حاضراً ذلك اليومَ بسوق عكاظ فقال فى خطبته : يا أيها الناس اسمعوا وعوا ، فإذا وعيتم فانتفعوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكلّ ما هو آت آت . . إلى آخر ما أورده من الوعظ . انتهى .

والذى فى كتاب المعمّرين لأبى حاتم السجستانى : عاش قس بن ساعدة ثلثمائة وثمانين سنة وقد أدرك نبيّنا صلى الله عليه وسلم ، وسمع النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأول من توكأ على عصا ، وأول من قال أمّا بعد . وكان من حكماء العرب وهو أول من كتب [من فلان(٢)] إلى فلان ابن فلان .

وقال المرزبانى : « ذكر كثير من أهل العلم أنه عاش ستمائة سنة » .

---

(١) جمع سبط ، وهو الحسن القد .

(٢) التكملة من ش والمعمرين ٦٩.

وذكر الجاحظ فى البيان والتبيين[١] قساً وقومه وقال : إن له ولقومه فضيلة ليست لأحد من العرب ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى كلامه وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته . . وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه . وهذا شرف تعجز عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفّق الله ذلك لقسّ لاحتجاجه للتوحيد ، ولإظهاره الإخلاص ، وإيمانه بالبعث ومن ثَمّ كان قسّ خطيبَ العرب قاطبة .

وفى نسبه خلاف . فقيل : قس بن ساعدة بن حُذافة بن زفر[٢] (وقيل : حُذافة بن زُهر) بن إياد بن نزار . وقيل : هو قس بن ساعدة بن عمرو ابن عدى بن مالك بن ايدعان بن النمر بن واثلة بن الطشان[٣] بن عوذ بن مناة ابن يَقدُم بن أفصى بن دُعْمىّ بن إياد . وقيل : هو ابن ساعدة بن عمرو بن شمر ابن عدىّ بن مالك والله أعلم[٤] .

* * *

وأنشد بعده :

(أحقًّا بنى أبناءِ سَلمى بن جَندل تَهدُّدُكم إياىَ وسْط المجالسِ)

---

(١) هذا النقل تبع فيه البغدادى ما ذكره ابن حجر فى الاصابة فى ترجمة (قس) حرفا بحرف . وهو متصرف فيه كثيرا . انظر البيان ١ : ٥٢

(٢) هذا النسب من المعمرين . وفى الاصابة : « بن جذامة بن زفر » .

(٣) وهذا النسب من الأغانى ، وفيها : « واثله بن الطمثان بن زيد مناة بن تهدم » . الخ

(٤) فى الاشتقاق ١٦٩ : « واياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد ، فألحت عليهم الفرس فى الغارة فدخلوا الروم فتنصروا وجهل الناس أنسابهم » .

على أن (حقًّا) ظرف منصوب بتقدير (فى)

وتقدم شرحه فى الشاهد الرابع والستين من باب المبتدإ[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه[٢] :

٩٣ (دعوتُ لِما نابنى مِسوَراً فلَبَّيْ ، فلبَّيْ يدَىْ مِسوَرِ)

على أن (لبّيك) مثنًّى عند سيبويه لا مفرد كلدىْ قلبت ألفها ياء لمّا أضيفت إلى المضمر ، خلافاً ليونس ، بدليل بقاء يائها مضافة إلى الظاهر كما فى هذا البيت .

٢٦٩

أما الأوّل فقد قال أبو حيان فى الارتشاف : ذهب الخليل وسيبويه والجمهور إلى أن لبّيك تثنية لبّ . وحكى سيبويه عن بعض العرب لبٌ على أنه مفرد لبّيك غير أنه مبنيّ على الكسر كأمس ، وعلّق لقلّة تمكّنه ، ونصبه نصب المصدر كأنه قال : إجابةً . وزعم ابنُ مالك أنه اسم فعل . وهو فاسد لإضافته ، ويضاف إلى الظاهر تقول : لبَّيْ زيد ، وإلى ضمير الغائب قالوا : لبَّيه . ودعوى الشذوذ فيهما باطلة . انتهى .

وهذا مخالف لما قاله ابن هشام فى المغنى : أن شرط مجرور لبَّيْ وسعدَيْ وحنانَىْ[٣] ضمير الخطاب ، وشذّ :

---

(١) انظر ما مضى ص ٤٠١ من الجزء الأول
(٢) سيبويه ١ : ٧٦ . وانظر العينى ٣ : ٣٨١ وابن الشجرى ١ : ١١٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٠٧ واللسان (لبب ٢٢٧)
(٣) ش مع أثر تصحيح : « وحنانا » ، وليس بشىء .

دعونى فيالَبَّيْ إذا هدرتْ لهم شقاشقُ أقوامٍ فأسكتها بَدْرِى(١)

لعدم الإضافة(٢)، ونحو:

* لقلتُ لبَّيه لِمن يدعونى *

لإضافته إلى ضمير الغيبة، كما شذّ إضافته إلى الظاهر فى قوله:

* فلبَّيْ فلبَّيْ يدَى مِسوَرِ *

وأمّا (الثانى) فهو اسم مفرد مقصور عند يونس. قال ابن جنّي فى سرّ الصناعة: «أصله عنده لَبَّبٌ ووزنه فَعْلَلٌ، ولا يجوز أن تحمله على فَعَّل لقلّة فعّل فى الكلام وكثرة فعْلل، فقُلبت الباء التى هى اللام الثانية من لَبَّب ياءً هرباً من التضعيف، فصار لَبَّيْ، ثم أبدل الياء ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها فصارت لبّا ثم إنّها لما وصلت بالكاف فى لبّيك وبالهاء فى لبّيه قلبت الألف ياء، كما قلبت فى علىْ ولدَى إذا وصلتها بالضمير؛ ووجه الشبه بينهما: انه اسم ليس له تصرّفُ غيرِه من الأسماء، لأنه لا يكون إلاّ منصوباً

---

(١) جعلت فى ش مع أثر تصحيح «هدرى»، وهما روايتان. ومن عجب أن الشنقيطى فى نسخته من شرح شواهد المغنى للبغدادى ٢ : ٨٨١ نسخة دار الكتب رقم ٢ نحو ش يصححها أيضا بهذا الرسم مع أن البغدادى يقول فى تفسيرها هناك: «وبدرى: مبادرى ومسارعتى لأدفع عنهم».

(٢) أقول: فيه نظر، فان الذى يفهم من سياق كلام ابن هشام أن ذلك شاذ لاضافته الى ضمير المتكلم، كما أن البيت الآتى شاذ لاضافته الى ضمير الغيبة، وهما خلاف ضمير الخطاب. وقد صرح الأمير وكذا الدسوقى فى حاشيتيهما على المغنى بأنه مضاف الى ياء المتكلم. وقال الدسوقى: الذال ساكنة، ووقعت فى النسخ «اذا» بفتح الذال. فصدر البيت عندهما هكذا:

* دعونى فيالَبَّيَّ إذْ هدرتْ لهم *

ولا يكون إلا مضافاً ، كما أنّ إليك وعليك ولديك لا تكون إلاّ منصوبة المواضع ملازمة للإضافة ، فقلبوا ألفه ياء فقالوا : لبَّيك(١) كما قالوا : عليك . ونظير هذا كلا وكلتا فى قلب ألفهما ياء متى اتصلت بضمير وكانت فى موضع نصب أو جر ، ولم يقلبوا الألف فى موضع الرفع ياء لأنَّهما بعُدَا برفعهما عن شبه عليك ولديك ، إذْ كان لا حظّ لهنّ فى الرفع . واحتجّ سيبويه على يونس فقال : لوكانت ياء إليك بمنزلة ياء عليك ولديك لوجب متى أضفتها إلى المظهر أن تقرّها ألفاً ، فلبّيْ فى هذا البيت بالياء مع إضافته إلى المظهر دلالةٌ على أنه اسم مثنّي » .

وأجاب ابن جنّي فى المحتسب : بأن من العرب من يبدل ألف المقصور فى الوقف ياء فيقول : هذه عصَيْ ورأيت حبُلَيْ ؛ ومنهم من يبدلها واواً فيه أيضا فيقول : هذه عصَوْ وحبُلَوْ ، وفى الوصل أيضا نحو هذه حبلَوْ يا فتيْ ، ومنه قراءة الحسن : (يومَ يُدْعَوْ كُلُّ أُناسٍ) بضم الياء وفتح العين . وعلى هذا التخريج يسقط قول سيبويه عن يونس . قال أبو علىّ : يمكن يونسَ أن يقول : إنه أجرى الوصل مُجرىٰ الوقف ، فكما يقول فى الوقف : عصَيْ وفتَيْ ، كذلك قال : فلبَّيْ ، ثم وصل على ذلك . هذا ما قاله أبو علىّ . وعليه يقال : كيف يحسن تقدير الوقف على المضاف دون المضاف إليه ؟ وجوابه أن ذلك قد جاء ، أنشد أبو زيد :

* ضَخمُ نِجارى طيِّبٌ عُنصُرِّى *

أراد عنصرى ، فثقّل الراء لنيّة الوقف ثم أطلق ياء الإضافة من بعد .

---

(١) فى النسختين : « اليك » ، صوابه من سر الصناعة مخطوطة دار الكتب ١٢٠ لغة

وإذا جاز هذا التوهُّم مع أن المضاف إليه مضمر ، والمضمر المجرور لا يجوز تصوّر انفصاله ، فجوازه مع المظهر أولىٰ ، من حيث كان المظهر أقوىٰ من المضمر . ومثله قوله :

* ياليتها قد خرجتْ مِن فمِّه *

أراد : من فيهِ ، ثم نوى الوقف علَى الميم فثقّلها على حدّ قولهم فى الوقف: هذا خالدّ وهو يجعلّ ، ثم أضاف على ذلك . ويروىٰ : من فَمُ بضم الميم أيضا ، وفيه أكثر من هذا . انتهى .

٢٧٠

فوزن لبّيك عندهما(١) فعلَيك ، وعند يونس فَعْلَلْكَ .

واعلم أنّ الشارح جوّز أن يكون أصل لبيك إمّا « إلبابَيْنِ » [حذف(٢) منه] الزوائد وإمّا مِن لبّ بالمكان بمعنى أقام ، فلا حذف . وينبغى أن يكون المأخوذ منه هذا ؛ فإنه لا تكلّف فيه ، وفعله ووصفه ثابت ، أما الفعل فقد روىٰ المفضّل بن سلمة فى الفاخر : أنه يقال : لبّ بالمكان : إذا أقام فيه . وأنشد قول الراجز :

* لبَّ بأرض ماتخطّاها الغنم(٣) *

وأما الوصف فقد قال صاحب الصحاح : ورجل لَبٌّ أى لازم للأمر ، وأنشد :

* لبًّا بأعجاز المطىّ لاحقا *

---

(١) يعنى الخليل وسيبويه .

(٢) هاتان من ط ، وقد سقطتا من ش دون تبييض.

(٣) الشطر فى اللسان (لبب ٢٢٧ س ٥) والفاخر ٤ بدون نسبة فيهما .

ورجل لبيب مثل لَبّ قال :

فقلت لها فيئى إليكِ فإنّني حرامٌ وإنى بعد ذاك لبيب[١]

وقيل : هو بمعنى مُلَبٍّ بالحج ، من التلبية و : حرام بمعنى مُحرِم ، و : بعد ذاك أى مع ذاك . وقيل : إنه مأخوذ من قولهم : دارى تلُبُّ دارك أى تقابلها ؛ فيكون معناه : اتجاهى إليك وإقبالى عليك . حكاها المفضّل فى الفاخر ، وأسند أوّلها إلى الخليل عن أبى عبيد . وقيل : معناه إخلاصى لك، من قولهم : حسبٌ لُباب .

واختلف فى « كاف » لبّيك ، فقال أبو حيّان فى الارتشاف : وهى فى لبيك وسعديك وحنانيك الواقع موقعَ الذى هو خبر ، فى موضع المفعول ؛ وفى دواليك وهذاذيك وحنانيك إذا وقعت موقعَ الطلب ، فى موضع الفاعل . وذهب الأعلم إلى أن الكاف حرف خطاب فلا موضع لها من الإعراب. وحذفت النون لشبه الإضافة . ويجوز استعمال لبّيك وحده ، وأما سعديك فلا يستعمل إلاّ تابعا للبّيك . انتهى .

وقوله فى البيت (فلبّيْ) هو فعل ماض ، من التلبية ، وفاعله الضمير العائد إلى (مِسوَر) قال الشارح المحقق « وأما قولهم : لبّيْ يلبّي فهو مشتقّ من لبّيك ، لأن معنى لبّيْ : قال لبيك ، كما أن معنى سبّح وسلّم وبسمل : قال سبحان الله ، وسلام عليك ، وبسم الله » .

وهذا مأخوذ من سر الصناعة لابن جنّي فإنه قال : « فأما حقيقة لبّيت عند أهل الصنعة فليس أصلُ يائه باء ؛ وإنما الياء فى لبّيت هى الياء فى قولهم :

---

(١) للمضرب بن كعب ، أو المخبل السعدى . اللسان (لبب ٢٢٦) وأمالى القالى ٢ : ١٧١ وشروح سقط الزند ١١٤٣

لبّيك وسعديك ، اشتقّوا من الصّوت فعلا مجمّعا من حروفه ؛ كما قالوا من سبحان الله : سبّحت ، أى قلت سبحان الله ؛ ومن لا إله إلا الله : هلّلت ، ومن لا حول ولا قوّة إلا بالله : [حوقلت و(١)] حولقت ؛ ومن بسم الله : بسملت ؛ ومن هلم ـ وهو مركب من ها ولمّ عندنا وهلْ وأمَّ عند البغداديين ـ فقالوا : هلْمَمْت . وكتب إلى أبو علىّ فى شىء سألته عنه قال : قال بعضهم: سألتك حاجة فلالَيْتَ لى، أى قلت لى: لا، وسألتك حاجة فلو لَيتَ لى ، أى قلت لى : لولا ، وقالوا : بأبأ الصبيُّ أباه أى قال له بابا . وكذلك اشتقّوا أيضا لبّيت من لفظ لبّيك فجاؤا فى لبّيت بالياء التى للتثنية » .

ثم قال ابن جنى : « وقولُ من قال : إن لبّيت بالحج إنما هو من قولنا ألبّ بالمكان ، إلى قول يونس أقربُ منه إلى قول سيبويه . ألا ترى أن الياء فى لبّيك عند يونس(٢) إنما هى بدل من الألف المبدلةِ من الياء المبدلة من الباء الثالثة فى لبّب » . انتهى .

وعندى أن التلبية من مادّة معتلّة غير مادّة المضاعف ، ونظائره كثيرة مثل صرّ وصرّى ؛ فإن لبّي غير منحصر معناه فى قال لبّيك ، بل يأتى بمعنى أقام ، ولازمَ مثل ألبّ بالمكان ، قال طُفيل الغَنَوىّ ، أنشده المفضّل فى الفاخر :

رددنَ حصيناً من عدىٍّ ورهطِه وتيم تلبّي فى العروج وتحلُب(٣)

أى تلازمها وتقيم بها .

---

(١) التكملة من سر الصناعة
(٢) ط : « عند سيبويه » ، واثبت ما فى ش
(٣) الفاخر ص ٤٠ والعروج : جمع عرج بالفتح ، للقطيع من الابل

وقوله (لما نابنى) اللام للتعليل . وآستشهد به صاحب الكشّاف على أن اللام فى قوله تعالى : (يدعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم[١]) تعليليّة كما فى هذا البيت . و (مِسوَر) بكسر الميم : اسم رجل . والفاء الأولى عطفت جملة لَبَّىْ على جملة دعوت ؛ والثانية سببية ومدخولها جملة دعائيّة ؛ يقول : دعوتُ مِسوراً لدفع ما نابنى فأجابنى ، أجاب الله دعاءه !

قال الشاطبيّ فى شرح الألفيّة : روى فى بعض الأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا دعا أحدُكم أخاه فقال لبّيك فلا يقولَنَّ لَبَّىْ يديك ، وليقلْ أجابك الله بما تحبّ » . وهذا يشعِر بأنّ عادة العرب إذا دعت فأجيبت بلبّيك أن تقول : لَبَّىْ يديك ؛ فنهىٰ عليه الصلاة والسلام عن هذا القول وعوّض منه كلاماً حَسَناً .

وقال الأعلم : « يقول : دعوت مِسوراً لدفع نائبة نابتنى فأجابنى بالعطاء فيها وكفانى مُؤنتها . وكأنه سأله فى دِية . وإنما لَبَّىٰ يديه لأنهما الدافعتان إليه ما سأله منه ؛ فخصهما بالتلبية لذلك » .

وهذا البيت من الأبيات الخمسين التى لا يُعرف لها قائل . وقريبٌ منه هذا البيت وهو :

دعوت فتىً أجاب فتىً دعاه بلبَّيهِ أشمَّ شَمَرْدَلِىّ[٢]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون ، وهو من أبيات س[٣] :

---

(١) الآية ١٠ من سورة ابراهيم .

(٢) ط : « سمرذلى » صوابه فى ش والحماسة ١٨١٧ بشرح المرزوقى . والشمردل : الطويل .

(٣) سيبويه ١ : ١٧٥ . وانظر العينى ٣ : ٤٠١ والخصائص ٣ : ٤٥ والهمع ١ : ١٨٩ والمخصص ١٣ : ٢٣٢ وابن يعيش ١ : ١١٩ ومجالس ثعلب ١٥٧ .

٩٤ (إذا شُقَّ بُردٌ شُقَّ بالبُردِ مثلُه   دَوالَيكَ حتّي كُلُّنا غيرُ لابسِ[١])

على أن (دوالَيك) منصوب بعامل محذوف .

قال : يقال دواليك أى تداوَلِ الأمر[٢] دوالَين ؛ ظاهره أنّ دواليك بدل من فعل الأمر . وليس كذلك كما يعلم مما سيأتى .

اعلم أنّ دوالين مثنى دوال ؛ والدِوال بالكسر : مصدر داولت الشىء مداولة ودوالاً ، وبالفتح : اسم مصدر . ورُوى بالوجهين ما أنشده أبو زيد فى نوادره[٣] لضباب بن سُبيع بن عوف الحنظلىّ :

جزَونى بما ربّيتهم وحملتهم   كذلك ما أنّ الخطوبَ دِوالُ

والتداول : حصول الشىء فى يدِ هذا تارة وفى يد ذاك أخرى ؛ والاسم الدولة بفتح الدال وضمّها ، ومنهم من يقول : الدولة بالضم فى المال وبالفتح فى الحرب ؛ ودالت الأيام مثل دارت وزناً ومعنى . و (دواليك) معناه مداوَلة بعد مداوَلة ؛ وثنّي لأنه فعل اثنين . قال الشاطبيّ : ولا تجوز إضافته إلى الظاهر ،لا تقول : دوالَى زيد . وقال الأعلم : الكاف للخطاب ولذلك لم يتعرّف بها ما قبلها .

وأنشد سيبويه هذا البيت على أن دواليك مصدر وضع موضع الحال .

---

(١) اغفل هذا الشاهد فى طبعة شرح الرضى للكافية سنة ١٢٧٥ . انظر ١ : ١١٤ س ٦ وتختلف الرواية فى قافيته ، فيروى أيضا : « ليس للبرد لابس » كما عند سيبويه وغيره فيكون رويه مرفوعا .

(٢) ط . «تدوّل» مع تشديد الواو ، وفى ش : « تدول » من غير شد ، وأثبت ما فى شرح الرضى ١ : ١١٤

(٣) النوادر ص ١١٥

ودلّ قوله : إذا شُقّ برد ، على الفعل الذى نصَب دواليك ، أى نشقّهما متداوِلَين ، بإضمار فعل له ولها يعمل فى دواليك . ورُوى :

(إذا شقّ بردٌ شقّ بالبرد بُرْقُع)

يعنى أنه يشقّ برقعها وهى تشقّ برده . ومعناه : أن العرب يزعمون أنّ المتحابين إذا شقّ كلٌّ واحد منهما ثوبَ صاحبه دامت مودّتهما ولم تفسد[1] . وقال أبو عبيدة : كان من شأن العرب إذا تجالسوا مع الفتَيات للتغزّل أن يتعابثوا بشقّ الثياب لشدّة المعالجة عن إبداء المحاسن . وقيل : إنما يفعلون ذلك ليذكر كلٌّ واحد منهما صاحبه به . وقال العينىّ : كانت عادة العرب فى الجاهلية أن يلبس كلٌّ واحد من الزوجين بُرد الآخَر ، ثم يتداولان على تخريقه حتى لايبقىْ فيه لبس ، طلباً لتأكيد المودّة . وقال الجوهرىّ : يزعم النساء إذا شقّ أحدُ الزوجين عند البِضاع شيئاً من ثوب صاحبه دام الودُّ بينهما ، وإلاّ تهاجَرا .

٢٧٢

و (شُقّ) فى الموضعين بالبناء للمفعول ، وبردٌ ومثلُه : نائبا الفاعل ، والباء للمقابلة . والبُرد : الثوب من أىّ شىء كان ، وقال أبو حاتم : لايقال له برد حتّي يكون فيه وَشْى ، ، فإن كان من صوف فهو بُردة . وحتّي ابتدائية وكلّفا مبتدأ ، وغيرلابس خبره . ورويٰالعينيّ : (ليس َللبرد لابِسُ) كصاحب الصحاح . وهو غير صحيح ، فإن القوافى مجرورة . وأثبت صاحب الصحاح (هذاذَيك) موضع (دواليك)[2] والصواب ماذكرنا . وأنشده سيبويه أيضاً كصاحب الصحاح ، فيكون فيه إقواء .

(١) انظر لشق الثياب ما ورد فى صبح الأعشى ١ : ٤٠٧ ونهاية الأرب ٣ : ١٢٦ وابن أبى الحديد ٤ : ٤٤١ .

(٢) وذلك فى مادة (هذذ) . ورواه أخرى فى (دول) برواية سيبويه .

وهذا البيت من قصيدة لسُحَيم عبدِ بنى الحسحاس . وأولها :

أبيات الشاهد

(كأنّ الصُّبيريّاتِ يوم لقِينَنا ظِباءٌ حَنَتْ أعناقَها للمَكانِسِ

وهُنَّ بنات القوم إن يشعروا بنا

يكنْ فى ثياب القوم إحدى الدَّهارس)[1]

وقبل البيت الشاهد :

(فكمْ قد شَقَقْنا من رداء منيَّرٍ على طفلةٍ ممكورة غير عانس)

قال ابن السيد : أراد بالصبيريّات نساء بنى صُبيرة بن يربوع[2]. وحَنَت: أمالت . والمكانس : جمع مَكنِس بمعنى الكناس ، وهو موضع الظباء فى الشجر يكتنّ فيه ويستتر ، وكنَس الظبى يكنِس بالكسر . والدَّهارس بفتح الدال : الدواهى ، جمع دَهْرَس كجعفر ، والدهاريس جمع الجمع . والرداء المنيَّر : الذى له نِير بالكسر ، وهو علَم الثوب . وجارية طَفْلة بفتح الطاء أى ناعمة . والمناسب لقوله غير عانس أن يكون طِفلة بكسر الطاء . والممكورة : المطويّة الخلْق من النساء ، يقال : امرأة ممكورة الساقيْن أى جدلاء مفتولة . وقال ابن السيد : الممكورة : الطويلة الخلْق . والعانس بالنون ، فى الصحاح : « عنَست الجارية تعنُس عنوسا وعِناسا فهى عانس ، وذلك إذا طال مكثها فى منازل أهلها[3] بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار ، وهذا مالم تتزوّج فإن تزوّجت مرة فلا يقال عنست » . يقول : إذا شقّ هؤلاء

(١) ط : « ثبات » ، صوابه فى ش . وفى الديوان ١٥ والعينى : « يكن فى بنات القوم » وفى أمالى الزجاجى ١٣١ : « يكن بنات القوم »

(٢) فى النسختين : « صبيرة » ، صوابه فى الاشتقاق ٢٢١ وجمهرة أنساب العرب ٢٢٤ والعينى .

(٣) فى الصحاح : « منزل أهلها »

النساء اللاتى يلعبن معى بُردى شققت أنا أيضا أرديتَهن وبراقعَهُنّ حتى نَعرى جميعا . ومثل هذا قول رجل من بنى أسد :

كأنّ ثيابى نازعتْ شَوكَ عرُفُط
ترى الثوبَ لم يَخلُق وقد شُقّ جانبُهْ

ترجمة سحيم

و (سُحيمُ عبدُ بنى الحسحاس) من المخضرِمين : قد أدرك الجاهلية والإسلام . ولا يعرف له صُحبة . وكان أسودَ شديدَ السواد . وبنو الحسحاس ، قال ابن هشام فى السيرة : هم من بنى أسد بن خزيمة ؛ والحسحاس بمهملات هو ابن نفاثة بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس . ومن شعر سحيم :

إن كنتُ عبداً فنفسى حُرّة كرماً أو أسودَ اللون إنّى أبيضُ الخُلقِ

٢٧٣

وله القصيدة المشهورة التى مطلعها (وهو من شواهد مغنى اللبيب) :

عُميرةَ ودِّعْ إن تجهّزْتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

قال المبرّد فى الكامل : « وكان عبد بنى الحسحاس يرتضخ لُكنةً حبشيّة ، فلما أنشد عمرَ بنَ الخطاب رضى الله عنه هذا المطلع قال له عمر : لو كنتَ قدّمت الإسلامَ على الشيب لأجزتُك . فقال سُحيم :ما سَعرت — يريد ما شَعرت » .

وفى الأغانى للأصبهانىّ من طريق أبى عبيدة قال : كان سحيم أسود أعجمياً أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تمثّل النبي صلى الله عليه وسلم من شعره[1] روى المرزُبانىّ فى ترجمته ، والدِينَوَرىّ فى المجالسة ، من طريق

---

(١) النص فى الأغانى ٢٠ : ٢ : « ويقال انه تمثل بكلمات من شعره غير موزونة » . لكن البغدادى تابع ابن حجر فى الاصابة .

على بن زيد عن الحسن رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كفىٰ بالإسلام والشيب للمرء ناهيا ؛ فقال له أبو بكر رضى الله عنه إنما قال الشاعر :

* كفىٰ الشيب والإسلام للمرء ناهيا *

فأعادها النبي صلى الله عليه وسلم كالأول فقال أبو بكر : أشهد إنك لرَسولُ الله ، (وما عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وما يَنْبَغى له) . وقال عمر بن شَبَّة : قدم سُحيم بعد ذلك على عمر بن الخطاب فأنشده هذه القصيدة ، فقال له عمر : لو قدَّمت الإسلام لأجزتك .

وقتل سُحيم فى خلافة عثمان : قال ابن حجر فى الإصابة : يُقال : إن سبب قتله أن امرأةً من بنى الحسحاس أسرها بعضُ اليهود واستخصّها لنفسه وجعلها فى حِصن له ، فبلغ ذلك سحيما فأخذته الغَيْرة فما زال يتحيّل له حتّى تسوّر على اليهودىّ حصنَه فقتله ، وخلّص المرأة فأوصلها إلى قومها ؛ فلقيتْه يوماً فقالت له : يا سُحيم ، والله لوددت أنّى قدرت على مكافأتك على تخليصى من اليهودىّ ! فقال لها : والله إنكِ لقادرة على ذلك — عرّض لها بنفسها — فاستحيتْ وذهبتْ ، ثم لقيتْه مرة أخرى فعرّض لها بذلك فأطاعته ؛ فهوِيَها وطفِق يتغزّل فيها ، ففطِنوا له فقتلوه خشيةَ العار .

وقال ابن حبيب : أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قولَ سحيم عبد بنى الحسحاس :

الحمدُ للهِ حمداً لا انقطاعَ له فليس إحسانه عنّا بمقطوعِ

فقال : أحسنَ وصدق ، وإن الله يشكر مثل هذا ، ولَئنْ سدّد وقارب إنه لمن أهل الجنة . انتهى .

وقال اللخميّ فى شرح شواهد الجمل : « اسم عبد بنى الحسحاس سُحيم ، وقيل اسمه حيّة ، ومولاه جندل بن مَعبد من بنى الحسحاس . وكان سحيم حبشيًّا أعجمىّ اللسان ، ينشد الشعر ثم يقول : أهْشَنْدُ[١] والله ، يريد أحسنت والله وكان عبد الله بن أبى ربيعة قد اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفّان رضى الله عنه: إنى قد ابتعتُ لك غلامًا شاعرًا حبشيًّا . فكتب إليه عثمان: لاحاجةَ لى به فارددْه ، فإنما قُصارىْ أهلِ العبد الشاعر إنْ شبع أن يشبِّب بنسائهم وإن جاع أن يهجوَهم . فردّه عبد الله ، فاشتراه أبو معبد فكان كما قال عثمان ، رضى الله تعالى عنه : شبّب ببنته عميرة وأفحش وشهّرها . فحرقه بالنار . فمن ذلك قوله فيها :

أَلِكْني إليها عَمرَكَ اللهَ يافتىً ... بآيةِ ما جاءت إلينا تَهاديا
وبتنا ، وسادانا إلى عَلَجانةٍ ... وحِقفٍ تَهادَاه الرياحُ تَهاديا
وهبّتْ شَمَالٌ آخرَ الليلِ قُرَّةٌ ... ولا ثوبَ إلاّ بُردُها ورِدائيا
تُوسِّدُنى كفًّا وتَثنى بِمِعصَمٍ ... علىّ وتحوى رجلَها من ورائيا[٢]
فما زال بردى طيِّبًا من ثيابها ... إلى الحول حتىَ أنهج البرد باليا»

انتهى . أَلِكْني إليها : معناه أبلغْ رسالتى إليها . والألوك : الرسالة . وعلَجانة : شجرة معروفة . والحِقف : ما تراكم من الرمل . والقُرة بالضم : البَرْد . وأنهج : أخلق .

وذكر محمد بن حبيب فى كتاب مَن قُتل من الشعراء[٣] : أن سحيما كان

٢٧٤

(١) هذا ما فى ش واضحا . وفى ط : « أهسنت » .
(٢) وكذا فى ديوانه ٢٠ وحماسة ابن الشجرى ١٦٠ . وفى السمط ٧٢١ : « وتحنو رجلها » .
(٣) انظره فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢٧٢

صاحِب تغزّل ، فاتّهمه مولاه بابنته ، فجلس له فى مكانٍ إذا رعىٰ سحيم قالَ فيه[١] . فلما اضطجع تنفّسَ الصُعَداء ثم قال :

يا ذِكرةً مالكَ فى الحاضر تذكُرها وأنت فى السادر
مِن كلّ بيضاء لها كعثبُ مثل سَنام الرُّبَع المائرِ[٢]

فقال له سيّده — وظهر من موضعه الذى كان كمن فيه — : مالَك ؟ فلجلج فى منطقه . فلما رجع وهمّ على قتله خرجتْ إليه صاحبته فحدّثَتْه وأخبرتْه بما يرادُ به ؛ فقام ينفضُ بُرده ويعفّى أثره . فلما انطُلقَ به ليُقتل ضحكت امرأة كان بينه وبينها شىء[٣] فقال :

إنْ تضحكى منى فيارُبَّ ليلةٍ تركتُكِ فيها كالقَباء المفرَّجِ

فلما قُدِّم ليقتل قال :

شُدّوا وَثاقَ العبد لايغلبْكُمُ إنّ الحياة من الممات قريبُ[٤]
فلقدْ تحدَّر من جَبين فتاتكُم عَرَقٌ على ظهر الفراش وطِيبُ[٥]

فقتل . انتهى .

(تتمة)

قال ابن السيد فى شرح شواهد الجُمل ، وتبعه ابن خلف : إن سحيما مصغر أسحم وهو الأسود تصغير ترخيم ، ويجوز أن يكون مصغر سحم وهو ضرب

(١) من القيلولة ، وهو نوم القائلة .
(٢) ط : «لها كفل» ، صوابه فى ش ونوادر المخطوطات . والربع : الفصيل ينتج فى الربيع . والمائر : المضطرب من كثرة شحمه .
(٣) فى نوادر المخطوطات : « كان بينه وبينها هوى شماته »
(٤) فى نوادر المخطوطات : « لا يفلتكم » ، وهو الوجه .
(٥) فى النوادر وفوات الوفيات ١ : ٢١٣ : « رطيب »

من النبات ؛ والأول أجود ؛ لأنه كان عبداً أسود . وأما الحسحاس فالأشبه أن يكون اسماً مرتجلاً مشتقاً من قولهم : حسحستُ الشِّواء : إذا أزلتَ عنه الجمر والرماد ، وقد يمكن أن يكون منقولا ؛ لأنهم قالوا : ذو الحسحاس ، لموضعٍ بعينه انتهى . قال فى الصحاح : والحسحاس : الرجل الجواد ؛ قال الراجز :

* مَحبَّة الأبْرام للحَسْحاس *

فهو قطعاً منقول منه . وقوله : من حسحست الشواء .. الخ قال فى الصحاح « وحسَست اللحم وحسحسته بمعنًى : إذا جعلته على الجمر . . وحسَست النار : إذا رددْتها بالعصا على خُبزة المَلّة أو الشواء من نواحيه لينضَج . ومن كلامهم : قالت الُخبزة : « لولا الحسّ ما بالَيت بالدَسّ » . فكلامه لا يوافق شيئاً من هذا ، فتأمَّلْ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون وهو من أبيات سيبويه (١) :

٩٥ (ضرباً هَذاذيك وطَعناً وَخْضا)

على أن (هذاذيك) بمعنى أسرِعْ إسراعين ، أى ضرباً يقال فيه هذاذيك .

أراد أن هذاذيك بمعنى أسرعْ ، وأنه بدلٌ من فعل الأمر . ولا يخفى أنه بدل من الهذّ ، وهو فى جميع تصرفاته معناه السُّرعة فى القطع لا السرعة مطلقاً ، بل حكم اللِّحيانىّ فى نوادره أن الهذّ : القطع نفسُه . وأنشد هذا البيت . وكذلك صاحب القاموس ، قال : هذاذيك : قطعا بعد قطع .

(١) سيبويه ١ : ١٧٥ . وانظر العينى ٣ : ٣٩٩ وابن يعيش ١ : ١١٩ والهمع ١ : ١٨٩ ومجالس ثعلب ١٥٧ وأمالى الزجاجى ١٣٢ واللسان (هذذ ٥٤) والمخصص ٦ : ٨٨ ، ١٣/١٠٣ : ٢٣٣ وديوان العجاج ٥٤

٢٧٥

وهذاذيك ليس بدلاً من فعل الأمر حتى يُحتاج إلى تقدير القول ليصحّ وقوعه وصفاً لما قبله ، بل معناه ضربا يهُذُّ هذًّا بعد هذّ ، أى قطعاً سريعاً بعد قطع سريع ؛ فهو صفة بدون إضمار القول ؛ والأنسب تَهُذُّ به هذًّا ، بالخطاب ليظهر كونه مضافاً لفاعله .

وجوّز شُرّاح أبيات سيبويه وأبيات الجمل أن يكون بدلا من قوله ضرباً ، وأن يكون حالا منه على ضعف .

وقال ابن هشام اللخميّ : وقيل : إن هذاذيك منصوب بإضمار فعل من لفظه ، وذلك الفعلُ فى موضع نصب على الصفة للضرب ، وذلك الضربُ منصوب بإضمار فعل من لفظه ؛ كأنه قال : تضربهم ضرباً يهُذّ اللحم هَذًّا بعد هذّ ، أو تطعنهم طعناً وخضاً يردّدُ دماءهم فى أجوافهم . وقال ابن السِّيد : معنى ضربا هذاذيك : ضربا يَهُذّك هذًّا بعد هذّ . وهذا عكس المعنى المراد ، كأنه ظن أن المصدر مضاف لمفعوله ؛ وليس كذلك .

وهذا البيت من أرجوزة للعجّاج مدح بها الحجّاج بن يوسف الثقفىّ ، عامله الله بما يستحقّه ، وذكر فيها ابن الأشعث وأصحابَه . وقبله :

ارجوزة الشاهد

(تجزيهمُ بالطعن فرضاً فرضا وتارة يلقَون قرضاً قرضا
حتى تَقَضّى الأجلَ المنْقضّا ضرباً هذاذيك وطعنا وخضاً
يُمضى إلى عاصى العُروق النَّحْضاً)

وفيها يقول :

(جاءوا مُخِلّينَ فلاقَوْا حَمضا طاغِينَ لا يزجر بعضٌ بعضا)

قوله : تجزيهم ، الخطاب للحجّاج ، والضمير المنصوب لابن الأشعث

وأصحابه ، متعدّ لمفعولين[١] ، يقال : جزَاه الله خيراً . والطعن يكون بالرمح ، وفعله من باب قتل . والفرض بالفاء : الحزّ فى الشىء ، والثانى تأكيد للأول . والقرض بالقاف : القطع . وتُقضِّى بالبناء للفاعل والخطاب أيضا ، يقال قضّى حاجته بالتشديد كقضى بالتخفيف : أى أتمّها . والمنقضّ : الساقط ، يقال انقضَّ الجدار أى سقط ، وانقضَّ الطائر : هوى فى طيرانه . أى يجازيهم إلى أن يتم أجلهم المنقضّ عليهم انقضاضَ الطير على صيده .

وقوله : (ضرباً هذاذيك) ، ضرباً إما منصوب بفعل محذوف أى تضربهم ضربا والجملة حال من فاعل تُقضّى ، ويجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض أى بضرب . و (الوَخْض) بفتح الواو وسكون الخاء المعجمة : مصدر وخضه بمعنى طعنه من غير أن ينفذ من جوفه . يريد : إنك تضرب أعناقهم وتطعن فى أجوافهم . ويُمضى من الإمضاء ، يقال أمضيت الأمر : إذا أنفذته ، ومفعوله النحضَ ، وهو بفتح النون وسكون المهملة ، وهو اللحم . وعاصى العروق أى العروق العاصية . فى الصحاح : العاصى : العِرق الذى لا يَرقأ . ومُخِلِّين : اسم فاعل مِن أخل إذا طلب الخُلّة بضم الخاء ، وهى من النبت ما هو حلو . والحَمْض بفتح المهملة وسكون الميم : ما ملح وأمرّ من النبات كالأثل والطَّرفاء .

وترجمة العجّاج قد تقدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين[٢] .

* * *

---

(١) ش : « والجزاء الا أنه متعد لمفعولين » .

(٢) كذا . والصواب أنها فى الشاهد الخامس مع ترجمة ابنه رؤبة . انظر ص ٨٩ من الجزء الأول .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون[1] :

٩٦ (جاءوا بِمَذْقٍ هلْ رأيتَ الذئبَ قطّْ)

على أن قولهم : (هل رأيت . . الخ) وقعت صفة مَذق بتقدير القول ، يعنى أنّ الجملة التى تقع صفةً شرطها أن تكون خبرية ؛ لأنها فى المعنى كالخبر عن الموصوف ؛ فجملة هل رأيت . . الخ ظاهرها أنّها وقعت صفة لمذق مع أنها استفهامية ، والاستفهام قِسم من الإنشاء . فأجاب بأن التحقيق أنّها معمولة للصفة المحذوفة ، أى بمذق مقولٍ فيه : هل رأيت ، أو يقول فيه من رآه هذا القول ونحوَه .

وهذا البيت قد كرّر الشارح إنشاده فى هذا الكتاب ؛ فقد أورده فى النعت ، وفى الموصول مرتين ، وفى أفعال القلوب ، وفى الحروف المشبَّهة بالفعل . ورواه الدينَوَرىّ فى النبات ، وابن قتيبة فى أبيات المعانى ، والزجّاجىّ وابن الشجرىّ فى أماليهما :

* جاءوا بضَيح هل رأيتَ الذئب قط *

وقال الدينورىّ : نزل هذا الشاعر بقوم فقَرَوه ضَياحاً ، وهو اللبن الذى قد أُكثر عليه من الماء .

وقال ابن جنى فى المحتسب : « قوله هل رأيت الخ : جملة استفهاميّة إلا أنها فى موضع وصف الضَّيح حملاً على معناها دون لفظها ؛ لأن الصفة ضرب

(١) العينى ٤ : ٦١ والانصاف ١١٥ والهمع ٢ : ١١٧ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢١٤ والمعانى الكبير ٢٠٤ ، ٣٩٩ والكامل ٥١٨ وامالى الزجاجى ٢٣٧ وابن الشجرى ٢ : ١٤٩

من الخبر ، فكأنه قال : بضيح يشبه لون الذئب : والضيح هو اللبن المخلوط بالماء ، فهو يضرب إلى الخضرة والطُّلْسة » انتهى .

وأورده صاحب الكشَّاف عند قوله تعالى : (واتَّقُوا فِتنةً لا تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلَمُوا(١)) ، على أنَّ لا تصيبَنَّ صفةٌ لفتنة على إرادة القول كهذا البيت .

و (المَذْق) : اللبن الممزوج بالماء ، وهو يشبه لون الذئب لأن فيه غُبرة وكُدورة ؛ وأصله مصدر مذقت اللبن : إذا مزجتَه بالماء . و (قط) استعملت هنا مع الاستفهام مع أنها لا تستعمل إلاّ مع الماضى المنفى ، لأن الاستفهام أخو النفى فى أكثر الأحكام . لكن قال ابن مالك : قد تَرِد قطُّ فى الإثبات . واستشهَد له بما وقع فى حديث البخارىّ فى قوله : « قصَرْنا الصلاةَ فى السفر مع النبى صلى الله عليه وسلم أكثرَ ما كنا قطّ » . وأما قوله : جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قطُّ ، فلا شاهد فيه ، لأن الاستفهام أخو النفى . وهذا مما خفِىَ على كثير من النُّحاة . انتهى .

وتبعه الكَرْمانىّ عليه فى شرح هذا الحديث .

قال المبرِّد فى الكامل : « العرب تختصر التشبيه ، وربما أومأتْ به إيماء ، قال أحد الرُّجَّاز :

(بتنا بحسَّانَ ومِعزاهُ يَئِطّْ(٢) مازلتُ أسعىٰ بينهم وألتبطْ
حتّي إذا كاد الظلامُ يختلِطْ جاؤا بمذق هلْ رأيتَ الذئب قطّْ)

يقول : فى لون الذئب . واللبنُ إذا اختلط بالماء ضرب إلى الغُبرة » انتهى .

(١) الآية ٢٥ من سورة الأنفال .
(٢) كذا فى النسختين : « يئط » وهى صحيحة على القول بأن ألف « معزى » للالحاق . وفى اللسان : « وقال الفراء : المعزى مؤنثة ، وبعضهم ذكرها » . والرواية الغالبة : « تئط » .

وبتنا : ماضٍ من المبيت ؛ فى المصباح : بات بموضع كذا أى صار بِهِ سواء كان فى ليل أو نهار ، وبات يفعل كذا : إذا فعله ليلاً ، ولا يقال بمعنى نام . وحسّان : اسم رجل ، ينصرف إن أخذ من الحسن ، ولا ينصرف إنْ كان من الحسّ بالتشديد . والمِعزىٰ من الغنم خلاف الضأن ، وهو اسم جنس ، وكذلك المَعْز ، والواحد ماعِز ، والأنثىٰ ماعزة وهى العنْز . قال سيبويه : « ألف مِعزىٰ للإلحاق بدرهم لا للتأنيث ، فهو منوّن مصروف بدليل تصغيره على مُعيْز ، فلو كانت للتأنيث لم يقلبوها ياء كما لم يقلبوها فى حبيلىٰ » ، وهو مضاف إلى ضمير حسّان . ويئطّ : مضارع أطّ أى صوّت جوفُه من الجوع ، والمصدر الأطيط ، كذا فى الصحاح ، ويأتى بمعنى تصويت الرحْل والإبل من ثِقَل أحمالها ؛ وعليه اقتصر العينى ، ولا مناسبة له هنا . ورُوى بعده بيتان زيادة فى بعض الروايات وهما :

٢٧٧

* يلمس أُذنَه وحيناً يَمتخط[1] *

يقال : امتخط وتمخَّط أى استنثر ، وربما قالوا : امتخطَ ما فى يده : نزعه واختلسه ، كذا فى الصحاح .

* فى سَمَنٍ منه كثيرٍ وأقِط *

متعلق بقوله يمتخط . والسَّمْن بسكون الميم ، وفتحها هنا للضرورة . والأقِط : قال الأزهرى : اللبن المخيض يُطبخ ثم يترك حتى يَمصل ؛ وهذا يدلّ على خسّته ودنسه .

(مازلت أسعىٰ بينهم وألتبِط)

---

(١) فى شرح شواهد المغنى : « تلحس أذنيه وحينا تمتخط » .

أعاد الضمير من بينهم إلى حسّان باعتبار حيِّه وقبيلته ؛ وأسعىٰ بينهم أى أتردّد إليهم ؛ وألتبط : أعدو ، يقال التبط البعير : إذا عدَا وضرب بقوائمه الأرض ؛ وتلبّط : اضطجع وتمرّغ . وروى بدله : و (أختبطْ) أى أسأل معروفهم من غير وسيلة ؛ وهذا يدل على كمال شحّهم حيث كان ضيفاً عندهم لم يُشبعوه مع أنه يعرض لمعروفهم .

(حتّي إذا كاد الظلامُ يختلط)

غاية لقوله أسعىٰ وألتبط . وكاد : قرب . وروى :

* حتى إذا جَنّ الظلامُ واختلط *

يريد ستر الظلامُ كلّ شيء . وصفَهم بالشحّ وعدم إكرامهم الضيف ؛ وبالغَ فى أنهم لم يأتوا بما أتَوا به إلاّ بعد سعى ومُضىٍّ جانب من الليل ، ثم لم يأتوا إلا بلبنٍ أكثرُه ماء .

وهذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله . وقيل : قائله العجّاج والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه(١):

٩٧ (فقالتْ : حَنانٌ ، ما أتىٰ بك هٰهنا

أذو نسبٍ أمْ أنتَ بالحىِّ عارفُ)

---

(١) سيبويه ١ : ١٧١ وعجزه فى ١ : ١٧٥ . وانظر العينى ١ : ٣٥٩ وابن يعيش ١ : ١١٨ والهمع ١ : ١٨٩

على أن (لبّيك ودواليك) ونحوهما ، مصادرُلم تستعمل إلاّ للتكرير ، بخلاف (حنانيك) فإنه يستعمل حنان : يريد أن حنانيك لا يلزم أن يكون للتكرير ، بل قد يكون له وقد لايكون ، بل قد استعمل مفرداً كما فى هذا البيت . ويزاد عليه (دواليك) أيضاً فإنه لايلزم ، وقد استُعمل مفرده كما تقدّم قريباً[١] .

و (الحنان) الرحمة ، وهو مصدر حنّ يحِنّ بالكسر حناناً وتحنّن عليه : ترحّم ؛ والعرب تقول :حنانك ياربّ ،وحنانيك بمعنًى واحد أى رحمتَك، كذا فى الصحاح. وقال ابن هشام فى شرح الشواهد تبعاً للفارسىّ فى التذكِرة القصْريّة : والأصل أتحنّن عليك تحنّناً ، ثم حُذف الفعلوزائدُ المصدر فصار حناناً . انتهى: وهذا تكلّف مع وجود حنّ يحنّ .

وأنشده سيبويه على أن حناناً خبر مبتدأ محذوف ، أى شأنى حنان . والأصل أحنّ حناناً فحذف الفعل ورفع المصدر على الخبرية لِتُفيد الجملةُ الاسمية الدوامَ : و (ما) استفهامية مبتدأ ، وجملة (أتى بك) خبره : ثم سألَتْه عن علّة مجيئه : هل هو نَسب بينه وبين قومها ، أو لمعرفة بينه وبينهم ؟ والمعنى: لأى شىء جئتَ إلى هنا ، ألك قرابة جئتَ إليهم ، أم لك معرفة بالحىّ ؟ والصواب (تقول) موضع (فقالت) .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من جملة أبيات للمنذر بن دِرهمَ الكلبىّ ، ذكرها أبو محمد الأعرابى فى فرحة الأديب ، وياقوت فى معجم البلدان عن أبى الندىٰ ، وهى :

(سقى روضة المَثْرِىٌّ عنّا وأهلَها رُكامٌ سرىٰ من آخر الليل رادفَ
أمِنْ حبٍّ أمِّ الأشيَمين وذكرها فؤادُك معمودٌ له أو مقارف[٢]

(١) انظر الشاهد ٩٤ ص ٩٩ من هذا الجزء

(٢) فى معجم البلدان (روضة المثرى) : « وحبها » مكان «وذكرها» ولعل صواب هذه : « وحيها » .

٢٧٨

تمنيتُها حتى تمنيتُ أن أرىٰ من الوجد كلباً للوكيعين آلف[١]
أقول ومالى حاجةٌ فى تردّدى سواها بأهل الروض هل أنتَ عاطف[٢]
وأحدثُ عهدٍ من أمية نظرةٌ على جانب العلياء إذْ أنا واقف[٣]
تقول : حنان ما أتى بك هٰهنا أذو نَسبٍ أم أنتَ بالحىّ عارفُ!
فقلت لها : ذو حاجة ومسلِّمٌ فضُمَّ علينا المأزقُ المتضايفُ[٤]

قال ياقوت : روضة المثرىّ بالثاء المثلّثة ويروى بالمثنّاة . وأراد بالوكيعين: الوكيعَ بن الطُّفيل الكلبيّ وابنهَ . انتهى .

والظاهر أن المثرىّ اسم رجل أضيفت الروضة إليه لكونه كان صاحبها ؛ وهو اسم مفعول من قولهم : ثرى الله القومَ أى كثّرهم ، فالأصل مَثْرُوىٌ قلبت الواو ياء وأدغمت عملاً بالقاعدة . وأهلها : معطوف على روضةَ . وركامٌ : فاعل سقىٰ ، وهو بضم الراء السحاب المتراكم بعضه على بعض . والرادف نعته ، ومعناه الراكب خلف الشىء ؛ يريد : سحائب مترادفة بعضها خلف بعض . وجملة سرى . . الخ نعتٌ لركام وصف بها قبل الوصف بالمفرد وقوله أمن حبّ ، الهمزة للاستفهام . والأشيمين : مثنّى أشيَم ، وهو الذى به شامة . والمعمود : السقيم ، يقال عمده المرضُ أى فدَحه ، ورجل معمود وعميد أى هدّه العشق . وله : أى للحبّ والمقارف : المقارب ،

---

(١) فى معجم البلدان بعده : « وكيع بن أبى طفيل الكلبى وابنه » وهذا تفسير للوكيعين ، على سبيل التغليب .

(٢) فى النسختين : « بأهل الارض » ، صوابه فى معجم البلدان وفرحة الأديب ، مخطوطة دار الكتب رقم ٤٤٢١ وهى بخط البغدادى وفى المعجم : « حاجة هى تردنى » ، وكذلك هى فى احدى روايتى فرحة الأديب .

(٣) البيت محرف تحريفا شديدا فى معجم البلدان .

(٤) فى فرحة الأديب ومعجم البلدان : « فقلت أنا ذو حاجة ومسلم فضم » .

يقال : قارفه أى قاربه . وآلف : اسم فاعل من ألِف يألف ألفة ، مبتدأ ، للوكيعين خبره ، والجملة صفة كلب . وقوله هل أنت عاطف مقول أقول ، وهو خطاب لصاحبه يطلب منه العطف فى الذهاب إلى حيِّها معه. وأحدث عهد أى أقرب ما أعهده وأحفظه ، وهو مبتدأ و نظرة خبره . والعَلياء بفتح العين: موضع ، وكل مكان عال مشرفٍ . والمسلِّم ، من التسليم بمعنى التحيّة . وصُمّ بالبناء للمفعول أى سُدّ علينا ، من الصَّمم وهو انسداد الأذن ، وصَمّ القارورة أى سدّها وأصمَّها : جعل لها صِماما بالكسر وهو مايسدُّ به فمها . والمأزِق بالهمز كمجلس : المضِيق ، من أزِق بالزاى المعجمة والقاف كفرح وضرب أزَقا وأزْقا[1] : ضاق . والمتضايِف : المجتمع الذى أضيف بعضه على بعض .

وممن نسب البيت الشاهدللمنذر بن درهم الكلبي، ابنُ خلف والزمخشريّ فى شرح أبيات سيبويه وفى الكشاف ، استَشهد به على أن حنانا فى قوله تعالى (وحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا[2]) بمعنى الرحمة . وذَكر معه البيت الذى قبله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون :

٩٨ (أرِضاً وذُؤْبانُ الخطوبُ تَنوشُنى[3])

على أن (رِضاً) مصدر حذف فعله وجوباً للتوبيخ ، والأصل : أترضى رضا فالهمزة للإنكار التوبيخى ، وهو يقتضى أنّ ما بعدها واقع وفاعلَه ملوم ، والواو واو الحال . و (الذؤبان) : جمع ذئب جمع كثرة ؛ و (الخطوب)

---

(١) فى النسختين : « وأزوقا » ، صوابه من القاموس .
(٢) الآية ١٣ من سورة مريم .
(٣) لم أجد له مرجعا .

جمع خَطب بالفتح ، وهو الأمر الشديد ينزل على الإنسان ، والإضافة من قبيل لجين الماء ، أى المصائب التى كالذئاب . و (تنوشنى) مضارع ناشه نَوشا ، أى تنالُه وتصيبه . وجملة تنوشنى خبر المبتدأ الذى هو ذؤبان . والجملة الاسمية حال من فاعل الفعل المحذوف .

* * *

٢٧٩ وأنشد بعده وهو الشاهد التاسع والتسعون ، وهو من شواهد سيبويه[1] .

٩٩ (فاها لِفيكَ)

وهو قطعة من بيت وهو :

(فقلت له : فاها لِفيكَ ، فإنها قَلوصُ امرئٍ قارِيكَ ما أنت حاذِرُهْ)

على أن (فاها لفيك) وضع موضع المصدر ، والأصل فوها لفيك ، فلما صارت الجملة بمعنى المصدر أى أصابته داهية ، أعرب الجزء الأول بإعراب المصدر فصار فاها لفيك . وقيل فاها منصوب بفعل محذوف أى جعل الله فا الداهية إلى فيك . ولهذا الوجه أنشدهُ سيبويه . قال الأعلم : « الشاهد فيه وله فاها لِفيك أى فم الداهية ، ونصبُه على إضمار فعل ، والتقدير : ألصق الله فاها لفيك وجعل فاها لفيك . ووضع موضع دهاك الله فلذلك لزم النصب لأنه بدل من اللفظ بالفعل فجرىٰ فى النصب مَجرى المصدر . وخصّ الفم فى هذا دون سائر الأعضاء ، لأن أكثر المتالف يكون منه بما يؤكل أو يشرب من السُّموم . ويقال : معناه فمُ الخيبة لفيك ، فمعناه على هذا خيّبك الله » .

---

(١) سيبويه ١ : ١٥٩ . وانظر نوادر أبى زيد ١٨٩ ، ١٩٠ وابن يعيش ١ : ١٢٢ والقالى ١ : ٢٣٦ والسمط ٥٣٩

ومثله لأبى زيد فى نوادره ، قال : « وإذا أراد الرجل أن يدعو على رجل قال : فاها لفيك [أى لك الخيبة(١)] » . قال الأخفش فيما كتبه على نوادره : « والذى أختاره ما فسّره الأصمعى وأبو عبيدة فإنهما قالا : معنَى قولهم فاها لفيك : ألصق الله فاهاً لفيك ، يعنون الداهية والهَلَكة » .

والأول تقدير سيبويه ، وكلاهما صحيح .

وقوله : (فقلت له) أى لهوَّاس ، وهو الأسد . وقوله (فإنها) أى راحلتى و (القَلوص) : الناقة الشابة . وعنَى بامرئٍ نفسَه . وقوله (قاريك . . الخ) أى يجعل موضعَ قِراك وما يقوم لك مقام القِرى ما أنت حاذرُه من الموت ، أى ليس لك قِرىً عندى غير القتل ، مثل قوله تعالى : (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

وقيل : يفسِّر فاها لفيك : أنَّ الشاعر لما غشِى الأسدَ ضربه ضربة واحدة فعضّ التراب فقال له : فاها لفيك يعنى فمَ الأرض .

قال سيبويه : والدليل على أنه يريد بقوله فاها فمَ الداهية قولُ عامر ابن جُوين الطائىّ :

ودَاهيةٍ من دَواهى المَنون يحسَبها الناسُ لاَ فَا لهَا
دفعت سَنَا برقها إذْ بدت(٢) وكنت على الجهد حمّالهَا

ومعنى لا فا لها : لا مدخل إلى معاناتها(٣) والتداوى منها ، أى هى داهية مشكلة والمنون : الموت . وفا : منصوب بلا ، واللامُ مقحمة والخبر محذوف

(١) التكملة من النوادر ١٨٩ . وبدونها لا يتضح معنى المثلية
(٢) ط : « رفعت » ، صوابه فى ش
(٣) ط : « معاياتها » ، صوابه فى ش

أى فى الدنيا أو فيما يعلمه الناس . والسَّنا هو الضوء ، يريد : أنه دفع شرَّها والتهابَ نارها حِين أقبلت ، وكان هو حمّال ثقلها .

أبيات الشاهد

والبيت الشاهد من أبيات أولها :

(تحسَّبَ هوّاسٌ وأيقنَ أنّنى ... بها مفتدٍ من واحدٍ لا أغامرُه
ظَلِلْنا معاً جارَين نحترسُ الثأىٰ ... يسائرنى ، مِن خَتله ، وأسائره)
فقلت له فاها لفيك .... البيت

تحسَّب بمعنى حسِب بالتخفيف ، وقيل : هو بمعنى تحسّس ، يقال : فلان يتحسّس الأخبار أى يتجسّس ، وقيل : تحسّب فى معنى حسِبته فتحسّب مثل كفَيته فاكتفى ؛ قال النحّاس : معنى تحسّب اكتفى . وكذلك قال الأخفش فيما كتبه على نوادر أبى زيد عن المبرد أنه قال : معنى تحسّب اكتفىٰ ، من قولك حَسْبك ، كقوله تعالى : (عَطاءً حِسابا) أى كافياً . وتقول العرب : ما أحسَبَكَ فهو لى مُحسِب ، أى ما كفاك فهو لى كاف . والهوّاس : الأسد . سمّى هوّاسا لأنه يهوِّس الفريسة أى يدُقّها ، والهَوْس : الدقّ الخفىّ ؛ وقيل : الهوّاس : الذى يطأ وطْئاً خفيّاً حتّى لا يشعر به .

٢٨٠

قال السِّيرافى : معناه : أنه عرَض الأسدُ لناقة هذا الشاعر ؛ فحكىٰ عن الأسد أنّه توهم أننى أدع الناقة وأفتدى بها من لقاء الأسد ولا أغامره ولا أقاتله ولا أرِد معه غَمرات الحرب . والرواية : (تحسَّب هوّاس وأقبل) ، وروى أيضا (من صاحب لا أغاورُه) أى أغور عليه ويغُور علىَّ . وروى : (لا أناظره) . والثأىٰ بالمثلثة والهمز على وزن الفتيٰ : الخرم والفتق . والختل : المكر والخداع .

وهذه الأبيات ، قال الجرميّ : هى لأبى سِدرَة الأعرابىّ . وقال أبو زيد فى نوادره : إنها لرجل من بنى الهُجيم . وهما شىء واحد ، قال أبو محمد الأعرابى فى فُرحة الأديب : « أبو سدرة هو سحيم بن الأعرف من بنى الهُجَيم ابن عمرو بن تميم . وله مقطّعات مليحة(١) منها قوله (فى حسّان بن سعيد عامل الحجّاج على البَحْرَين) :

إلى حسّانَ مِن أكناف نجد رحَلْنا العِيسَ تَنفُخ فى بُراها
نعدُّ قرابة ونعدُّ صِهراً ويَسعد بالقرابة مَن رعاها(٢)
فما جئناك من عُدم ولكنْ يَهَشّ إلى الإمارة مَن رجاها
وأيًّا ما أتيتَ فإنّ نفسى تَعدُّ صلاح نفسك من غِناها »

قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء . وفيه وفى قبيلته يقول جرير :

وبنو الهُجيم قبيلة مذمومة صُفرُ اللِحىٰ متشابهو الألوانِ(٣)
لو يسمعون بأكلة أو شَربة بعُمان أصبح جمعُهم بعُمان

يريد : أنهم يوقدون البعر فتصفرُّ لحاهم بدخانه .

وهو شاعر إسلامىّ من معاصرى جرير والفرزدق .

---

(١) فى فرحة الأديب : « وله مقطعـــات مليحة فى كتاب بنى الهجيم » .

(٢) ورد بعده فى النسختين :
وأيـــا مـــا فعلت فـــان نفسى تعد صـــلاح نفســـك من غنـــاها
وهو تكرار للبيت الرابع مع شىء من التغيير ، وأثبت مافى فرحة الأديب والشعراء ٦٢٥

(٣) فى الشعراء : « حصى اللحى » . والأحص : المنجرد الشعر

المفعول به

أنشد فيه وهو الشاهد الموفى المائة ، وهو من أبيات سيبويه[١] :

١٠٠ (فواعِديه سَرْحَتى مالكٍ   أو الرُّبا بينهما أسهَلا)

على أن (أسهلَ) مفعول لفعل محذوف ، وهو صفة وموصوفه محذوف أيضا ، أى قُولى : ائت مكانا أسهل .

هذا البيت لعمر بن أبى ربيعة . ويفهم من تقدير الشارح : أن عشيقته أرسلت إليه امرأة تعيِّن له موضع الملاقاة ، وأمرتْها أن تواعدَه أحدَ هذينِ الموضعين . وكذلك قال ابن خلف : المعنى أنها قالت لأمَتِها : واعدِيه الليلة أن يقصِد السَّرْحتين ويلتمس مكانا سهلاً يقرب من ذلك الموضع ، لأنهما إذا علوا الرُّبا عُرف مكانُهما وشَنع أمرها . لكن المفهوم من كلام الأعلم : أنه هو الذى أرسل إليها امرأة ، فإنه قال : نصب أسهلَ بإضمار فعل دل عليه ما قبله ، لأنه لما قال فواعديه سَرحتى مالك أو الربا بينهما ، علم أنه مزعج لها داعٍ إلى إتيان أحدهما . فكأنه قال : ائتى أسهلَ الأمرين عليك .

٢٨١

وكذلك نقل النحّاس عن المبرد أن التقدير : وأْتى أسهل المواضع ؛ لأنه لما قال : فواعديه ، أزعجها ، فكأنه قال : اقصدى به أسهل المواضع .

والصواب الأول كما يعلم من البيت الذى بعده — ويأتى قريبا — وقدّر المحذوفَ بعضُهم من لفظ المذكور ، أى واعديه مكانا أسهل . والمعنىٰ قريب .

(١) سيبويه ١ : ١٤٣ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٤٤ وديوان عمر بن أبى ربيعة ٣٤١

و (أسهل) : أفعل تفضيل من السهولة ضد الحُزونة ، وقد سهل بالضم . وتقدير الشارح كابن خلف أسهل من باب حذف المفضَّل عليه أى أسهل منهما ، أصوَب من تقدير غيره المضافَ إليه أى أسهل الأمرين أو أسهل المواضع . قال ابن خلف : ويجوز أسهل أن يُعنيْ به سَهِلا كما يقال : رجل أوجلُ ووَجِل ، وأحمق وحَمِق ، إن أراد أنه يكون وصفاً من السهولة ، فمجىء أفعل بمعنى فَعِل وصفاً بابُه السماع ولم يسمع ؛ وإن أراد أنه من السهل نقيض الجبل فلم يُسمع إلاَّ مكان سهل وأرض سهلة . ثم قال : « وقد قيل إنه يجوز أن يكون أسهل اسماً لموضع بعينه » .

أقول : قد فتّشت كتب اللغة وكتب أسماء الأماكن كمعجم ما استعجم ، ومعجم البلدان ، فلم أجد له ذكراً فيها .

والمواعدة : مفاعلة من الطرفين ، ووعد يتعدّىٰ بنفسه إلى واحد ، وإلى ثان بالباء ، وقد تحذف فينصب بنزع الخافض ؛ والفعل إذا كان متعدِّيا إلى واحد فبنقله إلى باب المفاعلة يتعدّى إلى اثنين ، فالضمير فى واعديه مفعول أول و (سرحَتَى مالك) المفعول الثانى بتقدير مضاف ، أى مكانَ سرحتى مالك . وليس سرحَتَي مالك اسمَ مكان بل هما شجرتان لمالك . والسَّرحة : واحد السرح ، وهو كل شجر عظيم لا شوك له . والرُّبا : جمع ربوة بتثليث الراء ، وهو المكان المرتفع عما حوله ؛ وكانت الربا بين السرحتين .

وروى الأصبهانىّ فى الأغانى[1] البيتَ هكذا :

« سَلمىٰ عدِيه سَرحَتَيْ مالك أو الرُّبا دونهما مَنزلا »

(١) الأغانى ٨: ١٤٤

فعليه فلا شاهد فيه ، ومنزلا إما بدل من الرُّبا أوحال منه ، وسلمىُ منادى .

وبعد هذا البيت :

(إن جاء فليأتِ على بغلةٍ إنّى أخاف المُهرَ أن يَصهَلا)

وترجمة عمر بن أبى ربيعة تقدمت فى الشاهد السابع والثمانين(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد المائة :

١٠١ (كِلا طَرَفَىْ قَصدِ الأُمورِ ذَميمُ)

على أن (القصد) فى الأمر خلاف القصور والإفراط ، فإنه يقال : قصَد فى الأمر قصدا : توسّط ، وطلب الأشدّ ولم يجاوز الحدّ . فالقصد فى الأمور له طرفان : أحدهما : القَصْر والتقصير ، وهما بمعنى التوانى فيه حتى يضيع ويفوت ؛ وكذلك الفرْط والتفريط ، فإنه يقال : فرَط فى الأمر فرْطا من باب نصر ، وفرّط تفريطاً ؛ وأما القصور فهو مصدر قصَرت عن الشىء من باب قعد : إذا عجزَت عنه ، وليس هذا من التفريط فى شىء . والطرف الآخر : الإفراط وهو مصدر أفرط فى الأمر : إذا أسرَف وجاوز فيه الحدّ . فكان ينبغى للشارح أن يقول : خلاف القصر أو التقصير والإفراط ، أو يقول : خلاف الفرْط أو التفريط والإفراط . والذميم بالمعجمة : المذموم .

٢٨٢

وهذا المصراع عجز بيت ، وقبله :

أبيات الشاهد

(عليك بأوساط الأمور فإنّها طريقٌ إلى نَهْج الصواب قويمُ

(١) انظر ما مضى فى ص ٣٢ من هذا الجزء

ولا تكُ فيها مفْرِطا أو مفرِّطا كلا طرفى قصدِ الأمور ذميمُ)

وهذا نظم للحديث ، وهو : « الجاهلُ إمّا مُفْرِطٌ أوْ مفرِّط » .

ولا أعلم قائل هذين البيتين ولا رأيتُهما إلاّ فى كتاب العباب فى شرح أبيات الآداب (وكتاب الآداب : تأليف ابن سناءالملك بن شمس الخلافة ، وهو من كتب الأدب ، وقد اشتمل على أبيات ومصاريع كثيرة لغالب الشعراء المتقدِّمين والمتأخِّرين تنيف على ألفَىْ بيت. وقد نسَب كل بيت ومصراع فيه إلى قائله ، مع تتمّة الشعرِ حسنُ بن صالح العدوىّ اليمنىّ ، وسمّى تأليفه : العباب فى شرح أبيات الآداب) وكان المصراع الشاهدُ فى الأصل ، وكمّله بالمصاريع الثلاثة صاحب العباب . وقد ضمّنه أيضاً الإمام الخطابىّ فى نُتفة له وهى :

فسامِحْ ولا تستوفِ حقَّك كلَّه وأبقِ فلم يستقصِ قطُّ كريمُ
ولاتغلُ فى شىءمن الأمرواقتصدْ « كلا طرفى قصد الأمور ذميم »

و(الخطابى)هو الإمام أبو سليمان حَمْد[1] بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، ترجمة الخطابى من ولد زيد بن الخطّاب أخى عمر بن الخطاب ، صاحبُ كتاب معالم السنن وشرح البخارى وغير ذلك . وكان صديق أبى منصور الثعالبى ؛ وأورده فى كتاب يتيمة الدهر وأنشد له نُتَفا جيِّدة . وولد فى سنة تسع عشرة وثلثمائة ومات فى مدينة بُست فى رباط على شاطىء هِند مَنْد[2] يوم السبت السادس

(١) فى النسختين : « أحمد » . قال الميمنى : « وقد كثر هـذا الغلط عند كل من ترجم له كالسمعانى ٢٠٣ واليتيمة ٤ : ٢٣١ . والصواب فى اسمه حمد بسكون الميم . راجع معجم الأدباء . وكان فى ذلك العصر من اسمه حمد . وترى فى أبى العلاء وما اليه ص ١٦٢ ترجمة ابن فورجه ، وهو محمد بن حمد » .

(٢) ط : « هيرمند » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومن معجم البلدان والقاموس . وهندمند نهر تقع عليه مدينة بست .

عشر من ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، وأنشد له الثعالبي في اليتيمة :

وما غربة الإنسان في شُقّة النوىٰ ولكنّها والله في عدَم الشكلِ !
وإني غريبٌ بين بُست وأهلِها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي !

وأنشد له أيضا[1] :

وليس اغترابي في سجستان أنني عَدِمتُ بها الإخوان والدار والأهلا ![2]
ولكنّني مالي بها مُشاكِل ، وإنّ الغريبَ الفردَ مَن يعدِم الشّكلا !

وأنشد أيضا :

شرُّ السباع العوادي دونه وَزَرُ ، والناسُ شرُّهمُ ما دونه وزَرُ
كم معشر سلموا لم يؤذهم سبُعٌ وما نرى بشراً لم يُؤذِه بشرُ

وأنشد أيضا :

ما دمتَ حيًّا فدارِ الناسَ كلَّهمُ فإنّما أنت في دار المداراة
من يدرِ داريٰ : ومن لم يدرِ سوفَ يُرىٰ عمّا قليلٍ نديماً للندامات

وللثعالبيّ فيه :

أبا سليمان ، سِرْ في الأرض أو فأقِمْ فأنت عندي دنا مثواك أو شطَنا
ما أنتَ غيري فأخشىٰ أن يفارقني قرّبت روحك بل روحي فأنت أنا

---

(١) هذا سهو من البغدادي ، فإن الذي في اليتيمة : « وقد أخذ هذا المعنى عمر بن أبي عمر السجزي فقال » . وأنشد البيتين التاليين

(٢) في النسختين . « غربت » ، صوابه من اليتيمة .

قال السِّلَفى: أنشدنى أبو منصور الثعالبى بنيسابور للخطابى[١]، بقوله فى الثعالبى :

قلبي رهينٌ بنيسابورَ عند أخ ما مثله حين تُستَقرى البلادُ أخُ
له صحائفُ أخلاقٍ مهذبةٍ : منها التقىٰ والنُّهى والحلم تنتسخ[٢]

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثانى بعد المائة، وهو من شواهد س[٣] :

١٠٢ (جارِيَ، لا تَستنْكِرِى عذيرى)
(سَيرى وإشفاقى على بعَيرِى)

على أن (العذير) هنا بمعنى الحال التى يُحاوِلها المرء يُعذَر عليها، وقد بيّن بقوله : سَيرى وإشفاقى، الحالَ التى ينبغى أن يُعذَر فيها ولا يُلامَ عليها.

ومثله لابن الشجرىّ فى أماليه فإنه قال : «العذير : الأمر الذى يحاوله الإنسان فيُعذر فيه. أى لاتستنكرى ما أحاوله معذوراً فيه. وقد فسّره بالبيت الثانى» اهـ؛ وعليه فعذيرى مفعول تستنكرى، وسَيرى : عطف بيان له أو بدل منه أو خبر مبتدإ محذوف أى هو سيرى.. الخ. ويجوز أن يكون عذيرى مبتدأ خبره سَيْرى الخ — كما قال ابن الحاجب فى الإيضاح — وعلى هذا فمفعول تستنكرى محذوف.

(١) الحق أن البيتين التاليين لأبى الفتح البستى يقولهما فى الثعالبى، كما فى اليتيمة ٤ : ٢١٩ فى ترجمة أبى الفتح. والذى أحدث هذا الخلط أن كلا من أبى الفتح والخطابى بستى.

(٢) اليتيمة : منها الحجا والعلى والظرف تنتسخ.

(٣) سيبويه ١ : ٣٢٥، ٣٣٠ والعينى ٤ : ٢٧٧ وابن الشجرى ٢ : ٨٨ وابن يعيش ٢ : ١٦، ٢٠ واللسان (شقر أو عذر ٢٢٢) وديوان العجاج ٢٦

قال الزجاج : العذير : الحال . وذلك أنّ العجّاج كان يصلح حِلْسا لجَمله ، فأنكرته وهزئت منه ؛ فقال لها هذا . قال على بن سليمان الأخفش : العذير : الصوّت . كأنه كان يرجُز فى عمله بحِلسه فأنكرت عليه ذلك،أى لا تستنكرى صوتى ورفعَه بالحديث ، لأنّى قد كبِرت . والحِلْس للبعير ، وهو كساء رقيق يكون تحت البَرذَعة ، وهو بكسر المهملة وسكون اللام .

وأنشد سيبويه البيت الأول على أنّ (جارى) منادى مرخّم .قال الأعلم : الشاهد فيه حذف حرف النداء ضرورة من قوله جاريَ ، وهو اسم منكور قبل النداء لايتعرّف إلا بحرف النداء[1] . وإنما يطّرد الحذف فى المعارف . وردّ المبرّدُ على سيبويه جعلَه الجارِية نكرة ، وهو يشير إلى جارية بعينها فقد صارت معرفة بالإشارة . ولم يذهب سيبويه إلى ما تأوّله المبرِّد عليه : من أنه نكرة بعد النداء ؛ وإنما أراد أنه اسم شائع فى الجنس قبل النداء وهو نكرة وكيف يتأول عليه الغلط فى مثل هذا ، وسيبويه قد فرق بين ما كان مقصودا بالنداء من أسماء الأجناس وبين مالم يُقصد قصدَه ! وهذا من التعسّف الشديد والاعتراض القبيح » اهـ .

وقوله (سَيرى) هو مصدر سار يسير ، يكون بالليل وبالنهار ؛ ويستعمل لازماً ومتعدّياً ، يقال سار البعير وسِرتُه[2] ويفهم من كلام أبى عبيد القاسم بن سلام فى أمثاله ومن كلام الأعلم ، أنه فعل أمر وصرح به غيره فإنّهما قالا : ومعنى الشعر : ياجارية سِيرى ولا تستنكرى عذيرى وإشفاقى . ويردّه الرواية الأخرى وهى (سَعيى وإشفاقى) كما نقلها الصاغانى وغيره . و (الإشفاق) :

---

(١) فى النسختين : « لايتعرف الا عرف النداء » ، صوابه من الشنتمرى .

(٢) فى النسختين : « وسيرته » ، والوجه ما أثبت . وفى اللسان : « وسار دابته سيرًا وسيرة ومسارا ومسيرًا »

مصدر أشفقت عليه : إذا حنوتَ وعطفت عليه ، وأشفقت من كذا : حذِرت منه . وقوله (على بعيرى) متعلّق بأحد المصدرين على التنازع . .

وهذان البيتان[١] من رجز للعجّاج وبعده :

(وكثرةَ الحديث عن شقُورى)

(مع اَلجلا ولائحِ القتيرِ)

٢٨٤ فى الصحاح : « الشُّقور الحاجة ، وعن الأصمعى بفتح الشين ، قال أبو عبيد : الأول أصح لأن الشُّقور بالضم بمعنى الأمور اللاصقة بالقلب المهمّة له ، الواحدةُ شَقْر » اهـ . وفى أمثال أبى عبيد أفضيت إليه بشُقورى[٢] أى أخبرته بأمرى وأطلعته على ما أُسرُّه من غيره : وقال الزُّبيدى فى لحن العامّة : الشّقور : مذهب الرجل وباطن أمره . واَلجلا بفتح الجيم والقصر : انحسار الشعر من مقدّم الرأس يكون خِلقةً ويكون من كبر . والقَتير ، بفتح القاف : الشَّيب .

قال أبو عبيدة : معناه : لاتستنكرى حالى من الهَرم ياجارية ، ولا كثرةَ ما أحدِّث به من الأسرار . وذلك من أحوال الشيوخ المسانّ وتهاتُر الهرمىٰ .

وترجمة العجّاج تقدّمت فى الشاهد الحادى والعشرين[٣].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد المائة[٤] :

---

(١) يعنى الشطرين ، وكثيرا ما يطلق البيت على الشطر من مشطور الرجز والسريع والمنسرح .

(٢) ط : « أنصيت اليه » ، صوابه فى ش .

(٣) الصواب أنه الشاهد الخامس . انظر ص ٨٩ من الجزء الأول

(٤) أيضا الخزانة ٤ : ٢٩٠ وابن يعيش ٢ : ٣٩ وديوان ذى الرمة ٤٩٠

١٠٣ (وإنْ تعتذرْ بالمَحْلِ مِن ذى ضُروعِها
إلى الضَّيفِ ، يَجْرَحْ فى عَراقيبِها نَصْلى)

على أنه حذف مفعول (يَجرح) لتضمّنه معنى يؤثّر بالجرح .

وكذلك جعله ابن هشام فى مغنى اللبيب من باب التضمين ، قال : فإنه ضُمِّنَ معنى يَعِثْ أو يُفسِد ، فإنّ العَيث لازم يتعدّىٰ بفى ، يقال عاث الذئب فى الغنم أى أفسد ، وكذلك الإفساد ؛ قال الله تعالى : (لا تُفْسِدُوا فى الأرض[1]) .

وأنشده صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : (لَأُزَيِّنَنَّ لهم[2]) على أن أُزيّننّ متعدٍّ نزّل منزلة اللازم لإرادة الحقيقة . قال الطِّيبيّ : أى يَعِثِ الجرح فى عراقيبها نَصلى ،جُعل لازما ثم عدّى كما يعدّىٰ اللازم مبالغة .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من أواخر قصيدة لذى الرُّمّة عدّة أبياتها ستة وثلاثون بيتاً ، شبّب فيها بمىّ ووصَف فيها القفار وناقته . إلى أن قال :

(أعاذلُ عُوجى مِن لسانكِ عن عَذْلى ... فما كلُّ من يَهوىٰ رَشَادى على شَكلى
فما لام يوماً مِن أخٍ ، وهو صادقٌ ، ... إخاىَ ولا اعتلّت على ضيفها إبْلى
إذا كان فيها الرِّسْلُ لم تَأتِ دونه ... فِصالى ، ولو كانت عِجَافاً ، ولا أهْلى
وإن تعتذر بالمحل من ذى ضروعها ... . البيت)

وبعده أربعة أبيات وهى آخر القصيدة .

فقوله : أعاذل ، الهمزة للنداء وعاذل منادى مرخّم عاذلة . قال الأصمعىّ

---

(١) الآية ١١ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٣٩ من سورة الحجر .

فى شرح ديوانه : « عوجى من لسانك » أى كُفِّى ، ولفظ عوجى على الحقيقة اعطفى . والشَّكل : الضَّرب ؛ يقول ما كلّ من يهوىٰ ذلك منّى على طريقتى وعلى مذهبى .

وقوله : فما لام يوماً من أخ ، مِن زائدة وأخ فاعل لامَ ؛ والإخاء بكسر الهمزة : الأخوّة . قال الأصمعى : اعتلّت ، أطلق اللفظ على الإبل ، والمعنىٰ على أصحابها ؛ يقول : لم أبخل فأعتذرَ إلى الضيف .

وقوله : إذا كان فيها الرِّسْل ، ضمير فيها للإبل ، وضمير دونه للرسْل ؛ قال الأصمعى : الرِّسْل : اللبن حلوه وحامضُه ، وخاثره ورقيقه ؛ يقول : لا أسق فِصالى وأدع ضيفى ، ولو كانت عِجافاً مهازيل . يقال : عجِف الدابّةُ وأعجفه صاحبه ، وعجفت نفسى عن كذا : إذا صرفتها . وقوله : وإن تعتذر بالمحل ، قال الأصمعى : اعتذارها للضيف : أن لا يرى فيها مُحتَلَباً من شدّة الجدْب والزمان ، فإذا كانت كذلك عقرتُها . اه

و (المحْل) : انقطاع المطر ويُبْس الأرض من الكلأ ، وهو مصدر محِل البلدُ من باب تعب . والمراد بذى ضرعها : اللبن ، كما يقال ذو بطونها ، والمراد : الولد . قال الطّيبىّ : « المعنى إن اعتذرتْ بقلّة اللبن ، بسبب القحط ، إلى الضيف أعقِرها لتكون هى عوضَ اللبن » اه . والعقر : ضرب البعير بالسيف على قوائمه ، لا يطلق العقْر فى غير القوائم ؛ وربما قيل عقَره : إذا نحره . و (العراقيب) : جمع عُرقوب ، فى الصحاح : « عُرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها ، قال الأصمعىُّ : كل ذى أربع عرقوباه فى رجليه وركبتاه فى يديه . وعرقبت الدابة قطعت عرقوبها . والعرقوب من الإنسان : العصب الغليظ الموتَّر فوق العقب » . و (النَّصل) : حديدة السيف والسكين ، والمنصُلُ كقنفذ : نفسُه .

٢٨٥

وترجمة ذى الرمّة تقدّمت فى الشاهد الثامن(١).

* * *

المنادى

أنشد فيه ، وهو الشاهد الرابع بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه(٢) :

١٠٤ (يا بُؤْسَ لِلجهْل ضَرّاراً لِأقوامِ)

على أن المبرد أجاز أن يَنصب عاملُ المنادىٰ الحالَ ، نحو : يا زيدُ قائماً ، إذا ناديته فى حال قيامه . قال : ومنه يا بؤس للجهل . . الخ . والظاهر أنّ عامله بؤسَ الذى هو بمعنى الشدّة ، وهو مضاف إلى صاحب الحال ، أعنى الجهل تقديراً لزيادة اللام » .

أقول : مَن جعل عامل الحال النداء جعل الحال من المضاف ؛ وفيه مناسبة جيِّدة ، فإنّ الجهل ضارّ وبؤسَه ضرّار ، ومَن جعل ضرّاراً حالا من المضاف إليه جعل العامل المضاف . وممّن جعله من المضاف إليه الأعلم ، قال : «ونصب ضرّاراً على الحال من الجهل » . وإنما كان يرد هذا الاستظهار على المبرّد لو جعل ضرّاراً حالاً من المضاف إليه .

وقد أجاز ابن جنى فى قوله « بِقُرَّى » من قول الحماسى :

* أَلهفَىٰ بِقُرَّىٰ سَحْبلٍ حينَ أجلبت(٣) *

---

(١) انظر ما سبق في الجزء الأول ص ١٠٦

(٢) سيبويه ١ : ٣٤٦ . وانظر ابن الشجرى ٢ : ٨٠ ، ٨٣ والانصاف ٣٣٠ وابن يعيش ٣ : ٦٨/٥ : ١٠٤ والهمع ١ : ٧٣ وديوان النابغة ٧١

(٣) لجعفر بن علبة الحارثى فى الحماسة ٤٤ بشرح المرزوقى . وعجزه :

* علينا الولايا والعدو المباسل *

الوجهين ، قال : « يجوز أن تجعل بقرّى حالاً من لهفى(١) ، وأن يكون من الألف فى لهفىٰ ، وذلك أنها ياء ضمير المتكلم فأبدلت ألفاً تخفيفاً فيكون معنى هذا : تلهّفت وأنا بقرّىٰ أى كائناً هناك ، كما أن معنى الأول لو أنته : يا لهفتى كائنة فى ذلك الموضع . فيكون بقرّىٰ فى هذا الأخير حالاً من المنادى المضاف كقوله :

* يا بؤسَ للجهل ضرّاراً لأقوام *

أى يا بؤس الجهل ، أى أدعوه ضرّاراً . وإذا جعلته حالا من الياء المنقلبة ألفاً كان العامل نفس اللهف ، كقولك يا قيامى ضاحكاً ؛ تدعو القيام ، أى هذا من أوقاتك » اهـ .

وقد قرّر ابنُ الأنبارىّ مذهبَ المبرّد فى الإنصاف فقال : « حكى ابن السرّاج عن المبرّد أنه قال : قلت للمازنى : ما أنكرت من الحال للمدعوّ ؟ قال : لم أنكر منه شيئاً ، إلاّ أن العرب لم تدعُ على شريطة ، فإنّهم لا يقولون يا زيدُ راكباً ، أى ندعوك فى هذه الحالة ونمسك عن دعائك ماشياً ، لأنه(٢) إذا قال يا زيد فقد وقع الدعاء على كلّ حال . قلتُ : فإن احتاج إليه راكباً ولم يحتجْ إليه فى غير هذه الحالة ؟ فقال : ألستَ تقول يا زيد دعاء حقاً ؟ فقلت : بلى ! فقال : علام تحمل المصدر ؟ قلت : لأن قولى يا زيد كقولى أدعو زيداً ، فكأنى قلت : أدعو دعاء حقاً . فقال : لا أرى بأساً بأن تقول على هذا يا زيد راكباً فالزم القياسَ . قال المبرّد : ووجدت أنا تصديقاً لهذا قول النابغة :

(١) ش : « أن تجعل الياء حالا من لهفى » صوابه فى ط .
(٢) ط : ونمسك عن دعائك ماشيننا الا أنه » ش : « ماشيا الا أنه » . صوابه من الانصاف .

يا بؤس للجهل ضرّاراً لأقوام . » اه

وقال اللخميّ فى شرح أبيات الجمل : و (يا بؤس) منادى مضاف معناه التعجّب ، أى ما أبأس الجهل وما أضرّه للناس ؟ و (ضرّاراً) حال من الجهل أو نصب على القطع على مذهب الكوفيين ، ونظيره عندهم : (والهدْىَ مَعْكوفاً(١)) واللام فى لأقوام زائدة ؛ قال المبرّد : هذه اللام تزاد فى المفعول على معنى زيادتها فى الإضافة ، يقولون : هذا ضاربٌ زيداً ، وهذا ضارب لزيد، لأنّها لا تغير معنى الإضافة .

وأورد سيبويه هذا المصراع لكون اللام مقحمة بين المتضايفين وتقدّم الكلام عليها فى الشاهد التاسع والسبعين(٢) .

وهو عجز وصدره :

(قالت بنو عامرٍ خالُوا بنى أَسدٍ)

خالُوا : تارِكوا ، يقال خالىٰ يُخالى مخالاة وخِلاء ، كما يقال تارك يتارك ، ويقال للمرأة المطلقة « خليّة » من هذا ، وخلَيت النبت : إذا قطعته .

وهذا البيت مطلع أبيات عدّتها ثلاثة عشر بيتاً للنابغة الذبيانى ، قالها لزُرعة بن عمرو العامرى : حين بعث بنو عامر إلى حِصن بن حذيفة بن بدر وإلى عُيَينة بن حصن الذبيانيَّين : أن اقطعوا ما بينكم وبين بنى أسد من الحِلف ، وألحِقوهم بكنانة بن خزيمة بنى عمّهم ونحالفكم ، فنحن بنو أبيكم .

---

(١) الآية ٢٥ من سورة الفتح .

(٢) صوابه « فى الشاهد الحادى والثمانين . وانظر ص ٤٧٣ من الجزء الأول

فلما همّ عيينة بذلك قالت لهم بنو ذبيان : أخرِجوا مَن فيكم من الحلفاء ونُخرجَ مَن فينا ! فأبوا من ذلك .

فحكى النابغةُ قولَ بنى عامر . يقول : إن الجهل يضرّ الأقوام ويدعوهم إلى سفاهة الأحلام ؛ أى إن بنى عامر جهّال ، يأمروننا بترك هؤلاء الذين قد أحسنوا عنّا الدفاعَ ، وكثر بهم الانتفاع .

وبعد هذا البيت :

أبيات الشاهد

(يأبى البَلاء فلا نبغى بهم بَدَلاً ولا نُريد خِلاءً بعد إحكامِ
فَصَالِحُونا جميعاً إنْ بَدَا لكمُ ولا تقولوا : لنا أمثالُها عامِ
إنّى لأَخشى عليكمْ أنْ يكون لكمْ من أجلِ بَغضائهم يومٌ كأيّامِ
تَبْدو كواكبُه والشمسُ طالعةٌ لا النُّورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ)

وعامِ : منادى مرخّم عامر . وقافية البيت الخامس مرفوعة وما عداها مجرور ، وهو عيب يسمّى إقواء . روى المرزُبانىّ فى الموشّح[1] بسنده عن محمد بن سلام قال : « لم يُقوِ أحدٌ من الطبقة الأولى ولا من أشباههم إلاّ النابغةُ فى بيتين : قوله :

أمِنَ آل مَيّة رائحٌ أو مُغتدِى عَجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزوَّدِ
زعم البوارحُ أنّ رِحلتَنا غداً وبذاك خبّرنا الغداف الأسودُ

وقوله :

سقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه فتناولتْه واتّقتْنا باليدِ
بمخضّبٍ رَخْصٍ كأنّ بنانَه عنَمٌ ، يكاد من اللطافة يُعقَدُ

(١) الموشح ٣٨

ـ العنم : نبت أحمر يُصبغ به ـ فقدِم المدينةَ فعِيبَ ذلك عليه فلم يأْبَه له ، حتى أسمعوه إيّاه فى غناء ـ وأهل القُرَى ألطفُ نظراً من أهل البدو ، وكانوا يكتِّبون جواريَهم عند أهل الـكِتاب ـ فقيل للجارية : إذا صرتِ إلى قوله : يعقد ، والأسودِ ، فرتِّلى . فلما قالت : الغدافُ الأسودُ ويعقدُ وباليدِ ، علم فانتبه ولم يعُد فيه . وقال : قدمتُ الحجازَ وفى شعرى ضَيعة ، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس . وفى رواية أخرى أنَّه أصلح الأول بقوله : وبذاك تنعابُ الغداف الأسودِ » اهـ .

٢٨٧

ويزاد عليه ما ذكرناه هنا فيكون قد أقوىٰ فى ثلاثة مواضع .

وقوله : يأبىٰ البلاء فما نبغى الخ ، يقول : يأبىٰ علينا أن نخاليهم(١) ما بلَونا من نصْحهم ، ولا نريد خِلاءً أى متاركة ، بهم : ببنى أسد ، بعد إحكام الأمر بينهم .

وقوله : تبدو كواكبه والشمس طالعة الخ ، رأيت فى ديوانه المصراع الثانى كذا :

* نوراً بنور وإظلاماً بإظلام *

قال شارحه : روى الأصمعىّ :

* لا النورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلام(٢) *

يقول : هو يوم شديد تظلم الشمس من شدّته فتبدو كواكبه . وقوله : لا النور نور : لا كنوره نورٌ إنْ ظفِر ولا كظلمته إن ظُفر به . وقوله : نوراً بنور كأنه قال : نور مع نور ، يريد بريق البَيض والسيوف ، ونورُ الشمس

---

(١) ط : « نخالفهم » ، صوابه فى ش

(٢) ط : « لانور نور ولاالظلام اظلام » صوابه فى ش مع أثر تصحيح.

إذا أصاب البَيض صار نوراً مع نور . وقال ابن نصر : قوله : لا النور نور ، يريدُ أن نور هذا اليوم ليس من نور الشمس ، إنّما هو من نور السلاح وبريقه ، ولا إظلام هذا اليوم من ظلمة الليل ، إنما ظلمته من كثرة الغبار . وقال : أراد بقوله : تبدو كواكبه ، شَبَهَ بريقِ البيض وما ظهر من السلاح بالكواكب . وعلى هذا فلا إقواء .

النابغة الذبياني

و (النابغة) اسمه زياد بن معاوية . وينتهي نسبه إلى سعد بن ذبيان ابن بَغيض ، وكنيته أبو أمامة وأبو عقرب ، بابنتين كانتا له .

وهو أحد شعراء الجاهلية وأحد فحولهم ، عدّه الجمحيّ في الطبقة الأولى بعد امرئ القيس . وسُمّي النابغة لقوله :

* فقد نَبغتْ لنا منهم شئونُ *

وقيل : لأنّه لم يقل الشعر حتّي صار رجلاً . وقيل : هو مشتق من نبغَت الحمامة : إذا تغنّت . وحكى ابن ولاّد أنه يقال : نبغ الماء ونبغ بالشعر . فكأنه أراد أن له مادّة من الشعر لا تنقطع كمادّة الماء النابغ . قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء : ونبغ بالشعر بعد ما احتنك ، وهلك قبل أن يُهتَر (١) . وهو أحد الأشراف الذين تمحَّض الشِّعر منهم (٢)، وهو أحسنهم ديباجةَ شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتا . كأنَّ شعره كلامٌ ليس فيه تكلّف. قال الأصمعي : سألت بشاراً عن أشعر الناس ، فقال : أجمع أهل البصرة على امرئ القيس وطرَفة ، وأهل الكوفة على بِشر بن أبي خازم والأعشى ، وأهل الحجاز

(١) احتنك : أحكمته التجارب لتقدم سنه . واهتر : ذهب عقله . أراد أن مدة قوله الشعر كانت قصيرة .

(٢) هذه العبارة لم ترد في الشعر والشعراء .

على النابغة وزهير ، وأهل الشام على جرير والفرزدق والأخطل . ومات النابغة في الجاهلية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث .

والأبيات الدالية من قصيدة وصف بها المتجردةَ امرأةَ النعمان بن المنذر ، وكان النابغة من خواصّه وندمائه وأهل أنسه ، فرأى زوجته المتجرِّدة يوماً وغشيها أمرٌ سقط نصيفها(١) واستترت بيدها وذراعها . وذكر في هذه القصيدة أموراً عجيبة منها في صفة فرجها . ثم أنشدها النابغةُ مُرّةَ بنَ سعيد القُريعيّ فأنشدها مُرّةُ النعمانَ ، فامتلأ غضباً وأوعد النابغة وتهدّده . فهرب منه إلى ملوك غسّان بالشام .

وقيل : إن الذى من أجله هرب النابغة : انه كان هو والمنخَّل اليشكريّ نديمين للنُّعمان ، وكان النعمان دميماً قبيح المنظر ، وكان المنخّل من أجمل العرب ، وكان يرمىٰ بالمتجرِّدة ، وتكلّمت العرب أن ابنيْ النعمان منها كانا منه . فقال النعمان للنابغة : يا أبا أمامة ، صِف المتجرِّدة في شعرك . فقال تلك القصيدةَ ، ووصفها فيها ووصف بطنها وفرْجها وأردافها . فلحقت المنخّلَ من ذلك غَيرة ، فقال للنعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلاّ من جرّب ! فوقَر ذلك في نفس النعمان . فبلغ النابغةَ فخافه فهرب إلى ملوك غسّان ، ونزل بعمرو ابن الحارث الأصغر فمدحه ومدح أخاه ، ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان ، فصار معه إلى أن استعطف النعمانَ بن المنذر فعاد إليه .

ومما قاله في ملوك غسان ما أنشده ابن قتيبة في كتاب الشعراء عن الشَّعبي أنه قال : دخلتُ على عبد الملك ، وعنده رجل لا أعرفه ، فالتفتَ إليه عبد الملك فقال : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ! فأظلمَ ما بيني وبينه ، فقلتُ :

(١) كذا في النسختين ، بدون عائد على الموصوف .

٢٨٨

من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتعجّب عبدُ الملك من عَجَلَتى فقال : هذا الأخطل! قلت : أشعر منه الذى يقول :

هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُه مُسْتَقْبِلُ الخيْرِ سَرِيعُ التمامْ
للحارث الأكبر والحارث الأصغر والأعرج خيرِ الأنامْ
ثم لهندٍ ولهندٍ ، وقدْ يَنجع فى الرَّوْضات ماء الغمامْ
ستّةُ آباءٍ هُمُ ماهُمُ[1] همْ خير مَن يشرب صَفو المدامْ

فقال الأخطل : صدَق يا أمير المؤمنين ، النابغة أشعر منى . فقال لى عبد الملك : ما تقول فى النابغة ؟ قلت : قد فضّله عمر بن الخطاب على الشعراء غير مرّة ، خرج وببابه وفد غَطَفان ، فقال : أىُّ شعرائكم الذى يقول :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك رِيبة وليس وراء الله للمرء مطلبُ ؟

قالوا : النابغة . قال : فأىُّ شعرائكم الذى يقول :

فإنكَ كالليل الذى هو مدركى وإنْ خلتُ أن المنتأى عنك واسع ؟

قالوا : النابغة . قال : هذا أشعر شعرائكم !

وله القصائد « الاعتذاريّات » المشهورة إلى النعمان بن المنذر ، لم يقل أحد مثلَها . منها قوله :

نُبِّئتُ أن أبا قابوسَ أوعدَنى ولا قرارَ على زارٍ من الأسَدِ

---

(١) ط : « ستة آباؤهم ماهم » وأثبت ما فى ش . قال الميمنى : « وكذا فى مقدمة جمهرة الأشعار : ستة ، ولكنى أرى الصواب : خمسة ، كما فى ديوانه نسخة شيفر وملحق أشعار الستة والأغانى ٩ : ١٦٢ . وأرى أن تقرأ :

* خمسةُ آبائهِم ماهمُ *

ولو نونت خمسة اختل الوزن . وفى الشعراء ١٠٩ : « ستة آبائهم ماهم » .

وتمثّل به الحجّاج بن يوسف حين سَخِط عليه عبد الملك بن مروان .

ومما يُتمثَّل به من شعره :

فلو كُفِّى اليمينُ بغتْك خَوْنا لأفردتُ اليمينُ من الشمالِ

أخذه المثقِّب العبْدىّ فقال :

« فلو أنى تخالفنى شمالى خلافَكَ ما وصلتُ بها يمينى »

وقولُه :

فحمّلتنى ذنبَ امرئٍ وتركتَه كذى العُرّ يكوىٰ غيره وهو راتع[١]

أخذه الكميت فقال :

« ولا أكوى الصحاحَ براتعاتٍ بهن العُرُّ قبلى ما كُوينا »

(تتمة)

٢٨٩ من اسمه النابغة

ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف من يقال له النابغة ثمانيةً : أولهم هذا والثانى : النابغة الجَعْدىّ الصحابى . والثالث : نابغة بنى الديّان الحارثىّ . والرابع : النابغة الشيبانى . والخامس : النابغة الغنوىّ . والسادس : النابغة العَدْوانىّ . والسابع « النابغة الذبيانى » أيضا وهو نابغة بنى قِتَال بن يربوع . والثامن : النابغة التغلَبىّ ، واسمه الحارث[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد المائة[٣] :

---

(١) ط : « فحملتنا » وأثبت ما فى ش . والرواية : « لحملتنى » وفى شرح الوزير أبى بكر : « لكلفتنى » .

(٢) فى المؤتلف ١٩٣ : « واسمه الحارث بن عدوان ، أحد بنى زيد ابن عمرو بن غنم بن تغلب » .

(٣) العينى ٤ : ٢٣٢ وابن يعيش ١ : ١٢٧ ، ١٣٠ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٧٩ ونوادر أبى زيد ١٦٣ والانصاف ٣٢٥ ، ٦٨٢ والهمع ١ : ١٧٤

١٠٥ (يا أَبْجَرَ بن أَبجرٍ يا أنتا   أنتَ الذى طلّقتَ عامَ جُعتا)

على أن المضمر لو وقع منادى جاز نظراً إلى المظهر[١] ، فإن المظهر بصورة الرفع ، والضمير ضمير رفع .

قال ابن الأنبارى فى مسائل الخلاف نقلا عن البصريين « بأن[٢] المفرد المعرفة إنّما بنى لأنه أشبه كاف الخطاب ، وكاف الخطاب مبنيّة ، فكذلك ما أشبهها ووجه الشبه بينهما من ثلاثة أوجه : الخطاب ، والتعريف ، والإفراد . ومنهم من قال : إنّما بنى لأنه وقع موقع اسم الخطاب ، لأن الأصل فى قولك يا زيد : أن تقول : يا إياك ، أو يا أنت ، لأنّ المنادىٰ لمّا كان مخاطَبا كان ينبغى أن يُستغنىٰ عن اسمه ويُؤتى باسم الخطاب ، فيقال : يا إياك أو يا أنت ، كما قال :

(يا مُرّ يا ابن واقع يا أنتا)

فلما وقع الاسم المنادى موقعَ اسم الخطاب وجب أن يكون مبنيّا كما أنّ اسم الخطاب مبنىّ » .

وظاهر كلام الشارح المحقّق أن نداء الضمير مطّرد ، وأنه لافرق بين نداء الضمير المرفوع والضمير المنصوب .

قال ابن الحاجب فى الإيضاح : نداء المضمر شاذّ . وقد قيل إنّه على تقدير : يا هذا أنت ، ويا هذا إياك أعنى .

---

(١) نص الرضى ١ : ١٢٠ : « وان وقع المضمر منادى جاز : يا أنت (يريد أن يأتى ضمير رفع) نظرا الى المظهر ، قال : يا أبجر ... » الخ . ثم قال : « وجاز : يا اياك (يريد أن يأتى ضمير نصب) نظرا الى كونه مفعولا » . فتأمل عبارة البغدادى وما سيأتى من كلامه .

(٢) كذا فى النسختين . وفى الانصاف : « وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : انما قلنا انه مبنى وان كان يجب فى الأصل أن يكون معربا لأنه أشبه كاف الخطاب » .

وقال أبو حيّان فى تذكرته : « وأما يا أنتا فشاذّ ، لأن الموضع موضع نصب وأنت ضمير رفع ، فحقّه أن لايجوز كما لايجوز فى إياك ؛ لكن بعض العرب قد جعل بعض الضمائر نائباً عن غيره ، كقولهم : رأيتك أنت ، بمعنى رأيتك إياك ؛ فناب ضمير الرفع عن ضمير النصب ، وكذلك قالوا : يا أنتا ، والأصل يا إياك . وقد يقال : إن « يا » فى يا أنت حرف تنبيه ، وأنت مبتدأ وأنت الثانية تأكيد لفظىّ ، والخبر هو الموصول ؛ وهذا أولى من ادّعاء نداء المضمر بصورة المرفوع وجعله شاذّا . وقال ابن عصفور : ولا ينادىٰ المضمر إلاّ نادراً ، والأسماء كلها تنادىٰ إلاّ المضمَرات ؛ أما ضمير الغيبة وضمير المتكلم فهما مناقضان لحرف النداء ، لأنّ حرف النداء يقتضى الخطاب ؛ ولم يجمع بين حرف النداء والضمير المخاطب لأنّ أحدهما يغنى عن الآخر ، فلم يجمع بينهما إلاّ فى الشعر مثل قوله :

يا أقرعَ بنَ حابس يا أنتا أنت الذى . . . . . الخ

فمنهم من جعل ياتنبيها ، وجعل أنت مبتدأ ، وأنت الثانى إما تأكيداً أو مبتدأً أو فصلاً أو بدلاً ا هـ . ودل كلامُه على أنّ العرب لاتنادى ضمير المتكلم فلا تقول : يا أنا ، ولا ضمير الغائب فلا تقول : يا إياه ولا يا هو ، فكلام جهلة الصوفيّة فى نداء الله تعالى : يا هُو ، ليس جارياً على كلام العرب » ا هـ كلام أبى حيان .

وهذان البيتان من أرجوزة لسالم بن دارةِ ، وقد حُرِّف البيت الأول على أوجهٍ كما رأيت . وصوابه :

(يا مُرّ يا ابنَ واقعٍ يا أنتا)

٢٩٠

ورواه العينى كرواية الشارح ، وزعم أنّ قائله الأحوص . وهو وهم ، إنما

قوله نثر لا نظم : وهو أنه لمَّا وفد مع أبيه على معاوية خطَب ، فوثب أبوه ليخطُب فكفَّه وقال : يا إياك قد كفيتك .

ومنشأ الوهم : أن النحويين قد ذكروا هذا البيت عقب قول الأحوص مع قولهم (وكقوله) ، فظُنَّ أنَّ الضمير للأحوص .

وقد صحّفه أبو عبد الله بن الأعرابى أيضا فى نوادره ، ورواه :

* يا قُرُّ يا ابنَ واقع يا أنتا *

نبّه على تصحيفه أبو محمد الأسود الأعرابى فيما كتبه على نوادره وسماه « ضالة الأديب » فقال : صحّف أبو عبد الله فى اسم مَن قيل فيه هذا الرّجز فقال : ياقر ، وإنما هو يامرّ ، وهو مرة بن واقع أحد بنى عبد مناف بن فَزارة .

وقوله : (أنت الذى طَلّقت) ، كان القياس طلّق ، ليعود إلى الموصول ضمير الغائب . قال ابن جنى : هذا كلام العرب الفصيح ؛ وقد جاء أيضا الحمل على المعنى دون اللفظ كهذا البيت .

وكان من قصة سالم بن دارة ومُرّة بن واقع الفزارى : أن قِرفة[1] أحد بنى عبد مناف نَشلَ حِسياً بزُهمان ، فاستعان بسالم وبمرّة ــ واسم الحسى معلّق ــ فرجز سالم وهو يخرج عن مرة المِسْناة[2] :

أنزلنى قِرفة فى معلَّق أترك حبلى مرة وأرتقى

عن مرّة بن واقع واستقى[3]

---

(١) ط : « قرقة » ، صوابه فى ش وانظر الأغانى ٢١ : ٥١ وقولهم فى المثل : « أمنع من أم قرفة » .

(٢) ط : « المياه » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، يقال سنا الدلو ونحوها : جرها من البئر وانتزعها .

(٣) الأبيات فى معجم البلدان (معلق) محرفة تحريفا شديدا .

ثم قال :

ولا يزال قائلٌ : أبِنْ أبِنْ دَلوكَ عن حدِّ الضُّروس واللَّبِنْ(١)

فغضب مُرّة من ذلك ؛ وكان عند مرّة امرأةٌ من بنى بدر بن عمرو ، فأسَنَت مُرّةُ فطلّقها (وأهل البادية أفعلُ شيء لذلك) ، فلما أحيا أراد رَجعتها فأبت ؛ وكان مرّة يحسب أنّ له عليها رجعة ، وأنه إنّما فاكهها ، فاحتملت إلى أهلها ، ثم إنّ مرّة حجّ فى أُرْكُوب من بنى فَزارة حجّاج ، وخرج سالم فى أُرْكوب من بنى عبد الله بن غطفان حجاج ، فاصطحبوا ، فنزل مُرّة يسوق بالقوم فقال يرتجز :

لو أنّ بنت الأكرم البدرىّ رأتْ شحوبى ورأت بَذرِيِّ
وهنّ خُوصٌ شَبَه القِسىّ يلفُّها لفَّ حَصىٰ الأتيِّ(٢)
أروعُ سقَّاءٌ على الطوىّ

ثم نزل سالمٌ يسوقُ بالقوم ، وقد كانا تضاغَنا ، فرجز :

(يا مرَّ يا ابنَ واقع يا أنتا أنتَ الذى طلّقتَ عامَ جُعتا
فضمَّها البدرىّ إذْ طلّقتا حتى إذا اصطبحتَ واغتبقتا
أصبحْتَ مرتدًّا لمَا تركتا أردت أن تُرجعها ، كذبتا
أودىٰ بنو بدرٍ بها ، وأُنتا(٣) تقُسِمُ وسط القوم : ما فارقتا

(١) الرجز منسوب فى اللسان (ضرس ٤٢٥) الى ابن ميادة برواية : « أما يزال » . وكذا رواه فى (لبن ٢٥٩) لكن بنسبته الى سالم بن دارة ، ثم قال : « وقيل لابن ميادة » . وهو فى اصلاح المنطق ١٩٠ بدون نسبة برواية اللسان .

(٢) ط : « يلفهما لفى » ، صوابه فى ش .

(٣) من الأون ، وهو البطء ، كما فى التبريزى ١ : ٣٦٧ عند انشاد الرجز .

قد أحسن اللهُ وقد أسأتا فأدِّ رزقَها الذى أكلتا)

انتهى ما أورده الأسود الأعرابى .

وقوله : نثَل حِسيا بزُهمان ، يقال نثلت البئر نثْلاً وانتثلتها : إذا استخرجت ترابها ، وهو النثيلة بالنون والثاء المثلثة . والحِسى بكسر الحاء وسكون السين المهملتين : ما تنْشَفُه الأرضُ من الرمل[1] فإذا صار إلى صلابة أمسكتْه ، فتحفر عنه الرمل فتستخرجه ؛ وجمعه الأحساء . وزُهمان بضم الزاء المعجمة[2] وسكون الهاء : وادٍ لبنى فزارة متّصل بالرَّقم ـ بفتح الراء والقاف ـ وهو موضع بالحجاز قريب من وادى القُرىٰ ، كانت فيه وقْعة لغطَفان على عامر . كذا فى معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى .

٢٩١

وقوله : أبنْ أبنْ ، هو فعل أمر من الإبانة وهو الإبعاد . والضُّروس ، قال فى الصحاح : بضم الضاد : الحجارة التى طويت بها البئر . وأنشد هذا الشعر ؛ وبئر مضروسة وضريس أى مطويّة بالحجارة .

وقوله : فأسنَتَ مُرة ، أى أصابه السنة ، وهى القحط والجدب . وقوله : فلما أحيا ، فى الصحاح : قال أبو عمرو : أحيا القوم : إذا حسنت حال مواشيهم . فإن أردت أنفسَهم قلت : حيُوا . ثم قال : وأحيا القوم أى صاروا فى الحيا ، وهو الخِصب ، والحيا مقصور : المطر والخصب اهـ . وهو بالحاء المهملة وبعدها ياء آخر الحروف . وقوله فاكهها أى مازحها ، والمفاكهة : الممازحة .

وقوله : البدرىّ ، منسوب إلى بنى بدر بن عمرو . ولو للتمنى لا جواب لها . والشُّحوب : مصدر شحَب جسمه بالفتح يشحُب بالضم : إذا تغيّر . وقوله :

---

(١) ط : « ما تشتفه » ، صوابه فى ش والصحاح واللسان . والمراد ما تشربه الأرض الرملية من الماء .
(٢) ضبطه ياقوت بالضم وبالفتح أيضا .

بذريٍّ أي إبلي المفرّقة ؛ ويقال تفرقت إبله شِذَرَ بِذَرَ ، بفتح الشين والباء وكسرهما وما بعدهما مفتوح : إذا تفرّقت في كل وجه . وقوله : وهُنَّ خُوصٌ : أي غائرات العيون ، جمع أخوَص وخَوصاء ، والفعل خوِص بالكسر أي غارت عينه . ويلفّها : يضمّها ويجمعها . والأتيّ بفتح الهمزة وكسر المثناة الفوقية ، قال في الصحاح « وأتّيت للماء تأتية وتأتّيا أي سهلت سبيله ليخرج إلى موضع ؛ والأتيّ : الجدول يؤتّيه الرجل إلى أرضه ، وهو فعيل ؛ يقال : جاءنا سيل أتيّ وأتاويّ : إذا جاءك ولم يصبْك مطره » . وقوله أروع ، هو فاعل يلفّها ؛ ومعناه : السيد الذي يروعك بجماله وجلاله . وسقّاء : مبالغة ساقٍ . والطويّ : البئر المطويّة ، أي المبنية بالحجارة .

وقوله : أصبحت مرتدّا . أي راجعا ، والارتداد : الرجوع . وأودىْ بها : ذهب بها : وقوله : فأدِّ رزقها ، أي أعط صداقها الذى تغلّبْت عليه وأكلته .

سالم بن دارة

و (سالم بن دارة) هو سالم بن مُسافع بن عقبة بن يربوع بن كعب ابن عديّ بن جُشَم بن عوف بن بُهثَة بن عبد الله بن غَطَفَان .

ودارة : لقب أمه ، واسمها سَيقاء[1] ، كانت أخيذة : أصابها زيد الخيل من بعض غطفان وهى حُبلىْ (وهى من بنى أسد) فوهبها زيدُ الخيل لزهير ابن أبى سُلمى . فربّما نسب سالم بن دارة إلى زيد الخيل . كذا فى كتاب أسماء الشعراء المنسوبين إلى أمهاتهم تأليف أحمد بن أبى سهل بن عاصم الحلوانيّ ، ومن خطّه نقلت .

وقال التبريزى فى شرح الحماسة : ودارة هو يربوع ، وإنما سمّى دارة

(١) كذا بالقاف فى النسختين .

لأنّ رجلا من بنى الصارد بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، يقال له: كعب ، قتل ابن عمّ ليربوع بن كعب يقال له : دِرْص ، فقتل يربوعِ كعباً بابن عمه وأخذ ابنة كعب ، ثم أرسلها فأتت قومها فنعتْ أباها كعباً ؛ فقالوا : مَن قتله ؟ قالت : غلام كأنّ وجهه دارةُ القمر ، من بنى جُشَم بن عوف بن بهثة . فسمّى بذلك و نسب إليه سالم . اهـ .

ومثله فى الأغانى . والصحيح الأول ، ويدل له قول سالم :

أنا ابنُ دارة معروفاً بها نسبى وهلْ بدارة ، يا لَلناس ، مِن عار !

وسالم : شاعر مخضرم : قد أدرك الجاهلية والإسلام . وكان رجلا هجّاء وبسببه قتل .

٢٩٢

قال التبريزى نقلا عن أبى رياش . وكان الذى هاج قتله : أنه كان مُرّة بن واقع من وجوه بنى فَزارة ، وكانت عنده امرأة من أشراف بنى فزارة ، ففاكهته امرأته ذاتَ ليلة فطلّقها البتةَ واحتملتْ إلى أهلها — ومُرّة يظن أنه قادر على ردّها إذا شاء — حتى أتى لذلك عامٌ وهما كذلك . ثم خطبها حمل بن القليب الفزاريّ ، ورجل آخر من بنى فزارة يقال له علىّ ، وخطبها ابن دارة . فبلغ ذلك مرّة ، فأراد أن يراجعها فأبت عليه واختارت عليًّا . فركب مرّة بن واقع إلى معاوية — وقيل إلى عثمان — فقال : إن الأعراب أهل جفاء ، وإنى قد قلت كلمة بينىَ وبين امرأتى لم أردْ ما تبلغ ، فتزوّجتْ رجلا ، وإنما أتيتك مبادراً قبل أن يبنىَ بها ؛ فامنعْ لى امرأتى . فقال معاوية : لقد ذكرتَ أمراً صغيراً فى أمر عظيم [1] لا سبيل لك عليها .

(١) اغفل البغدادى جملة يكون الكلام بها واضحا ، وهى كما فى ١ : ٣٦٧ : « أمر الله عظيم ، وامرأتك أمرها صغير » .

ففرّق بينهما معاوية ، وهو يومئذ على الشام عاملاً لعثمان ، فقال سالم فى ذلك قبل أن يقدمَ مُرّة عند معاوية والقوم ينتظرونه :

يا ليت مُرّة يأتيها فيجعلَها خيرَ البناء ويجزى منهما الجازى

فجاء مرَّةُ وقد ابتنى بها علىّ : فغضب على سالم وجعل يشتمه حتى قال : أيُّها العبد مِن محوَّلة ، ما أنتَ وذكر نسائنا ؟ ! (ومحوَّلة بنو عبد الله بن غطفان ، وكان يقال لهم بنو عبد العزَّى ، فوفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : من أنتم ؟ فقالوا : نحن بنو عبد العزَّى فقال صلى الله عليه وسلم : بل أنتم بنو عبد الله ! فسمَّتهم العرب محوَّلة) فقال سالم بن دارة : مهلاً يامُرَّة ، فإنى لم أفعل تأبيداً (كأنه أراد لم آت بآبدة) وما بى بأس ، ولا ذنبَ لى ؛ وإنما مزحت . فأبى مُرّة إلاّ شتمه . فقال سالم ، وقد غضب :

* يا مُرّ يا ابن واقع يا أنتا *

أوقع « يا » على المنادى المحذوف كأنه قال : يامرّة أنت . وقد ادعى قوم أن أنت يجوز نداؤها . ولا ينبغى أن يُعدَل عن الوجه الأول . . . ثم ذكر الأبيات السابقة وقال :

ثم تواعدا أن يلتقيا ، وعظُم فى صدور بنى فزارة قولُ سالم ، فأغمضوا على ذلك . ثم تواقفَ[1] ابن واقع وسالم علىٰ رِهان ، وفيهم يومئذ ابن بيشة[2] . أحدُ بنى عبد مناف بن عقيل ؛ فقال سالم لجميع بنى فزارة : إنى أحمد الله كهدكم وبعدكم ، واستعهدكم من مُرَّة . فقال مرّة : والله لا أزال أهجوك مابلّ ريقى لسانى . وجاءت بنو فزارة بامرأةٍ من بنى غراب ترجُزُ يقال لها : غاضرة . فلما رآها سالم نَهق كما ينهق الحمار ثم قال :

(١) وكذا فى التبريزى ١ : ٣٦٨ . وفى ش : « توافق » .
(٢) وكذا فى التبريزى . وجعلها الشنقيطى فى نسخته : « بثينة » .

قد سبَّنى بنو الغراب الأحمرْ[١] جُبْناً وجهلاً ، وتمنَّوا منكَرى
كلُّ عجوز منهم ومُعصِرِ غاضرَ ، أدِّى رِشوتى لا تغدرى
وأبشِرى بعَزَب مصدَّر شرّابِ ألبان الخلايا ، مقفرِ
يحمل عَرْداً كالوظيف الأعجَرِ وفَيشةً متىٰ ترَيها تشفرى[٢]
حمراء كالنُّورج فوقَ الأندَر تقلِب أحياناً حماليقَ الحِرِ
معقَّدٍ مشعَّرٍ مسيَّرِ[٣] كأنَّما أحسَّ جيش المنذرِ
إن تمنعى قَعوكِ أمنع محورى لقعوِ أخرى كشَبٍ مدوّرِ

293

(النورج : شيء يدقّ به أهل الشام حَبّهم) : فلما قالها سالم ألهاها الاستماعُ الردَّ عليه ؛ ثم لوىٰ دِرعها فكشَف عنها ، فحجز الناس بينهما وافترقوا ، ولابن دارة الظفر . وعمَّ بنى فزارة بالهجاء لما أعانت عليه بنو غراب[٤] ، وقال يهجو مُرَّة بن واقع الفزارى[٥] :

حَدَبْدَبا بَدْبَدبا منكَ الآن استمعوا أُنشدكُمْ ياولدانْ
إنّ بنى فَزارة بن ذبيان قد طرّقت ناقتُهم بإِنسانْ
مُشَيَّإٍ أعجِبْ بخلق الرحمٰن[٦] غلبتم الناسَ بأكل الُجردانْ
كلَّ مِتَلٍّ كالعمود جَوْفانْ وسَرق الجارِ ونيك البعُرانْ

(١) التبريزى : « يقول الغربان تكون بقعا وسودا وأنتم بنو غراب أحمر ، ينسبهم الى الأعاجم ، لأن الحمرة فيهم أكثر » .

(٢) فى حواشي ش بخط ناسخها : « شفرت المرأة تشفر اذا قربت شهوتها » . وعند التبريزى : « تسفرى » .

(٣) ش : « مقعر مسعر مسير » .

(٤) ط : « بنوغراب » ، صوابه فى ش والتبريزى .

(٥) ط : « المرنى » ، صوابه فى ش .

(٦) التبريزى : « المشيأ : المقبح الوجه . ط : « مشيا » ، صوابه فى ش .

(حدبدبا : كلمة جاء بها فى معنى التعجب مما هو فيه . وأصلها لُعبة يلعب بها الصبيان ــ ويختلف فى لفظها ، فبعضهم يقول حدبدبا بباءين ، وبعضهم يقول : حدندبا ، ومنهم من يقول حديدبا ــ يقول : اجتمعوا ياصبية لتلعبوا هذه اللعبة . وإنما غرضُه أن يعجّب الناس مما هو فيه ، ويعْلمهم أنه فى أمر كلعب الصبيان) .

وقال قصيدةً طويلة فى هجوهم ، منها :

بلّغ فزارة أنّى لن أسالمها حتّى ينيك زميلٌ أمَّ دينارِ

(هى أم زميل وكانت تكنى أمّ دينار) فحلف زُميل بن أُبير ، أحدبنى عبد الله بن عبد مناف : أن لا يأكل لحماً ولا يغسل رأسه ولا يأتى امرأة حتى يقتله . فالتقىٰ زُميل وابن دارة منحدرٌ إلى الكوفة ، وزميل يريد البادية : فقال له سالم : لاأبالَك؟ ألم يأنِ لك أن تحُلّ يمينك[1] ؟ فقال له زميل : إنى أعتذر إليك ، واللهِ مافى القوم حديدة إلاّ أن يكون مِخْيطا . فافترقا . وسار سالم حتى قدم على أخيه بالكوفة فمكث غيرَ بعيد ، ثم لحق بقومه بالبادية ، ثم ورد المدينة ، ثم خرج منها فلقى زُميلاً عِشاء ، وزميل داخل المدينة ، فكلّمه وناداه وقال . . ألا تحُلّ يمينك ؟ ثم انطلق واتبعه زميل وغشِيه بالسيف ، فدفع الراحلة ، وأدركه زميل فضربه فأصاب مُؤخِرة الرحْل وحذا عضدَه ذباب السيف حَذيةً أوضحت ، ورجع إلى المدينة يتداوى بها . فزعموا أن بُسرة بنت عيينة بن أسماء ــ ويقال إنها بنت منظور بن زبّان ، وكانت تحت عثمان بن عفّان ــ دسّتْ إلى الطبيب سمّاً فى دوائه فمات ، وقال قبل موته :

أبلغ أبا سالم عنّي مغلْغلَة فلا تكونَنّ أدنى القوم للعارِ
لاتأخذَنْ مائةً منهم مجلّلة ، واضربْ بسيفك منظورَ بن سَيَّارِ

(١) ط : « يمينى » صوابه فى ش . والذى حلف هو زميل .

وقال الناس لما قُتل : قد محَوا عن أنفسهم . وفى ذلك يقول الكميت ابن معروف :

فلا تُكثروا فيها الضَّجاج فإنه محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا

انتهى ما أورده التبريزى .

وقال محمد بن حبيب ، فى كتاب المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام[١] : إن سالم بن دارة هجا زميل بن أُبير ، وهو ابن أمّ دينار ، فقال فى قصيدة له طويلة :

آلىْ ابنُ دارة جَهداً لا يصالحكمْ حتَّى ينيك زميل أمَّ دينار

وحكى الحكاية كما ذكرتُ . إلى أن قال : ثم إن زميلا قدم المدينة فقضىْ حوائجه ، حتّى إذا صدَر عن الشُّقْرة[٢] سمع رجلا يتغنّي بشعر ، فعَرف زُميل صوت سالم ، فأقبل إليه فضربه ضربتين وعقَر بعيره . فحُمل سالم إلى عثمان بن عفّان ، فدفعه إلى طبيب نصرانى ، حتى إذا برأ والتأمت كلومُه دخل النصرانىّ ، وإذا سالم يُشامع امرأتَه[٣] فاحتنقها عليه[٤] فقال له النصرانى: إنى لأرى عظما ناتئا ، فهل لك أن أجعل عليه دواء حتى يسقط ؟ قال : نعم ، فافعلْ . فسمَّه فمات . ويقال : إن أمّ البنين بنتَ عيينة بن حصن الفَزارىّ ، وكانت عند عثمان بن عفّان ، جعلت للطبيب جُعلاً حتَّى سمه فمات . اهـ .

٢٩٤

(١) نشرته محققا فى نوادر المخطوطات ٢ : ١٠١ ــ ٢٧٨ . وهذا النص فى ص ١٥٦ ــ ١٥٧ .

(٢) الشقرة ، بالضم : قرية على طريق المدينة . معجم ما استعجم ٧٤٩ .

(٣) فى النسختين : « واذا سالم مع امرأته » ، صوابه فى كتاب ابن حبيب . شامعها : لاعبها وضاحكها .

(٤) فى كتاب ابن حبيب : « فاحتقنها عليه » .

وافتخر زميل بقتله وقال :

أنا زُميل قاتل ابن دارَهْ وغاسل المخْزاة عن فَزاره[١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد المائة ، وهو من شواهد س[٢] :

١٠٦ (سَلامُ اللهِ يا مطرٌ عليها وليس عليكَ يا مطرُ السلامُ)

على أنه إذا اُضطرّ إلى تنوين المنادى المضموم اقتصر على القدر المضطرّ إليه من التنوين . والقدرُ المضطَر إليه هو النون الساكنة ؛ فألحقت وأبقيتْ حركة ما قبلها على حالها ، إذ لا ضرورة إلى تغييرها ، فإنها تندفع بزيادة النون .

وهذا مذهب سيبويه والخليل والمازنى . قال النحّاس والأخفش المجاشعى فى المعاياة : وحجتهم أنّه بمنزلة مرفوع ما لا ينصرف ، فلحقه التنوين على لفظه .

واختار الزجّاجى فى أماليه هذا المذهب ؛ لـكنّه ردّ الحجّة فقال : الاسم العلم المنادىٰ المفرد مبنيّ على الضم ، لمضارعته عند الخليل وأصحابه للأصوات ، وعند غيره لوقوعه موقع الضمير ، فإذا لحقه [التنوينُ[٣]] فى ضرورة الشعر فالعلّةُ التى من أجلها بُنى قائمةٌ بعدُ فيه ؛ فينوّن على لفظه ، لأنا قد رأينا من المبنيّات ما هو منوّن نحو إيهٍ وغاقٍ وما أشبه ذلك . وليس بمنزلة ما لا ينصرف لأن ما لا ينصرف أصله الصرف ، وكثير من العرب لا يمتنع من صرف شىء فى ضرورة [شعرٍ[٣]] ولا غيرهِ إلاّ « أفْعَلَ مِنك » فإذا

---

(١) ط : « أيا زميل » ، صوابه فى ش والتبريزى ١ : ٣٧٢ . ولزميل ترجمة فى الاصابة ٢٩٧٣

(٢) سيبويه ١ : ٣١٣ . والعينى ١ : ١٠٨ / ٤ : ٢١١ والانصاف ٣١١ وابن الشجرى ١ : ٣٤١ ومجالس ثعلب ٩٢ ، ٢٣٩ ، ٥٤٢ والهمع ٢ : ٨٠ وأمالى الزجاجى ٨١ وشرح شواهد المغنى ١٦٠ والأغانى ١٤ : ٦١ ، ٦٢

(٣) التكملة من أمالى الزجاجى

نوّن فإنما يردّ إلى أصله ، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منصوبا منوّنا قط في غير ضرورة شعر . فهذا بيّن واضح . اهـ

وتبعه اللخميّ في أبيات الجمل ، ونقل هذا الكلام بعينه .

قال النحّاس : وحكى سيبويه عن عيسى بن عمر (يا مطراً) بالنصب ؛ وكذلك رواه الأخفش في المعاياة وقال : نصب مطراً لأنه نكرة . وهذا ليس بشيء . قال المبرد : أما أبو عمرو وعيسى ويونس والجرميّ فيختارون النصب ، وحجّتهم أنهم ردّوه إلى الأصل ؛ لأنّ أصل النداء النصب كما ترده الإضافة إلى النصب ، قال : وهو عندى أحسن لردّه التنوين إلى أصله كما في النكرة .

وهذا البيت من قصيدة للأحوص الأنصارى ، وبعده :

أبيات الشاهد ٢٩٥

(فلا غفرَ الإلهُ لمنكحيها ذنوبَهمُ وإنْ صلّوا وصاموا
كأنَّ المالكين نكاحَ سَلمى غداةَ نكاحِها مطرٌ ، نيامُ
فلو لم ينكحوا إلاّ كَفيئاً لكان كفيئَها الملكُ الهُمامُ
فإنْ يكن النكاحُ أحلَّ شيء فإن نكاحَها مطراً حرامُ
فطلِّقها فلستَ لها بكفءٍ وإلاَّ يعلُ مفرِقَك الحسامُ !)

في الأغانى بسنده إلى محمد بن ثابت بن إبراهيم بن خلاَّد الأنصارى قال :

قَدِم الأحوص البَصرة ؛ فخطب إلى رجل من بنى تميم ابنته ، وذكر له نسبه ، فقال : هاتِ لى شاهداً يشهد أنك ابن حَمِيِّ الدَّبْر وأزوِّجَك . فجاءه بمن شهد له على ذلك . فزوّجه إياها ، وشرطت عليه أن لا يمنعها من أحد من أهلها . فخرج بها إلى المدينة ، وكانت أختها عند رجل من بنى تميم قريباً من طريقهم ، فقالت له : اعدِلْ بى إلى أختى . ففعل ، فذبحت لهم وأكرمتهم ،

وكانت من أحسن الناس ، وكان زوجها فى إبلِهِ فقالت زوجة الأحوص له : أقمْ حتى يأتى . فلما أمسَوا راحَ مع إبله ورعائه(١) وراحت غنمُه فراح من ذلك شىء كثير(٢) ، وكان يسمّىٰ مطراً . فلما رآه الأحوص ازدراه واقتحمته عينه ؛ وكان شيخاً دمياً ، فقالت له زوجته : قم إلى سلفك فسلِّم عليه . فقال الأحوص وأشار إلى أخت زوجته بإصبعه :

سلام الله يا مطر عليها . . . . . الأبيات

وأشار إلى مطر باصبعه ، فوثب إليه مطرٌ وبنوه ، وكاد الأمر يتفاقم حتى حُجز بينهم . انتهى

وقال الزجاجى فى أماليه الوسطىٰ ، وتبعه اللخمىّ : كان الأحوص يهوىٰ أخت امرأته ويكتم ذلك ويَنْسِب فيها ولا يفصح ؛ فتزوّجها مطر فغلبه الأمر وقال هذا الشعر(٣) . وبعضهم لما لم يقف على منشأ الشعر قال : مطر اسم رجل وكان دمياً أقبح الناس ، وكانت امرأته من أجمل النساء وأحسنهن وكانت تريد فراقه ولا يرضى مطر بذلك فأنشد الأحوص هذه القصيدة يصف فيها أحوالها . هذا كلامه .

قوله : غداة نكاحها الخ ، الغَداة : الضَّحوة ، وأراد مطلق الوقت . ونكاحها : مصدر مضاف لمفعوله ؛ ومطر : فاعل المصدر ، وهو هنا بمعنى التزوّج والعَقد فى الموضعين ؛ ونيام : خبر كأن ، وروى بدله :

---

(١) فى النسختين : « راجع ابله ورعاءه » ، صوابه من الأغانى . والتصحيف هنا جد قريب .

(٢) الأغانى : « فراح من ذلك أمر كثير » .

(٣) فى الأمالى : « فبلغه الأمر وقال هذا الشعر . والكلام بعد هذا ليس فى الأمالى

* غداة يَعُرّهم مطرٌ نيام *

مضارعُ عرّهم من باب قتل عُرّة بالضم ، وهو الفضيحة والقذر والجرب[١] ، يقال: فلان عُرّة كما يقال قذر للمبالغة .

وقوله : فلو لم ينكحوا . . الخ هو مضارع أنكحت الرجلَ المرأة ؛ فهو متعدّ لمفعولين بالهمزة ، والمفعول الأول ضمير سلمىٰ محذوف ؛ والكفىء على وزن فعيل بمعنى الكفء والمماثل ، ويقال الكَفوء أيضاً على وزن فَعول .

وقوله : أحلّ شىء ، هو منصوب خبر يكن ، وهو أفعل تفضيل من الحلال ضدّ الحرام ؛ وروى الزجاجى (أحلَّ شيئاً) ، بنصب شىء ، فيكون أحلّ فعلاً ماضياً ؛ وقوله : فإن نكاحها مطراً ، يروى برفع مطر ونصبه وجرّه : فالرفع على أنه فاعل المصدر وهو نكاحها فيكون مضافاً إلى مفعوله ، والنصب على أنه مفعول المصدر فيكون مضافاً إلى فاعله ، والجر على أنه مضاف إليه ووقع الفصل بين المتضايفَين بضمير الفاعل أو المفعول . وقد أورد ابن هشام هذا البيت فى شرح الألفية شاهداً لهذا .

وقوله : وإلاّ يعلُ مفرِقك . . الخ أى وإنْ لم تطلِّقها . وهذا البيت شاهد للنُّحاة فى اطّراد حذف الشرط فى مثله . والمفرق بفتح الميم وكسر الراء : الموضع الذى ينفرق فيه الشعر من الرأس ، وأراد به هنا الرأس .

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الخامس والثمانين[٢] .

* * *

(١) ط : « والحرب » ، صوابه فى ش

(٢) انظر ص ١٦ من هذا الجزء .

٢٩٦

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد المائة:[١] .

١٠٧ (يا لَلْكهول ولِلشُّبانِ للعجبِ)

على أنَّ لام المستغاث إنْ عطفت بغير يا كُسِرت ، فلام للشبّان مكسورة ، والقياس فتحها ؛ وجاز الكسر لعدم اللبس . وهذا عجز وصدره :

(يَبكيك ناءٍ بعيدُ الدارِ مغتربُ)

يقال بكيته : بمعنى بكيت عليه . والنائى : أراد به بعيد النسب . وبعيدُ الدار وصف ناءٍ ، ولا تضرُّ الإضافة إلى المعرفة لأنّها فى نية الانفصال لأن الدار فاعلة فى المعنى .

يقول: يبكى عليك الغريب ، ويسرّ بموتك القريب ، وهو أحد الأعاجيب .

والكهول : جمع كهل . والشُّبّان : جمع شابّ ؛ قال ابن حبيب . زمان الغلوميّة سبعَ عشرة سنة ، منذ يولد إلى أن يستكملها ، ثم زمان الشبابيّة سبع عشرة سنة إلى أن يستكمل أربعاً وثلاثين ؛ ثم هو كهل سبع عشرة سنة إلى أن يستكمل إحدىٰ وخمسين سنة ؛ ثم هو شيخ إلى أن يموت .

وهذا البيت من شواهد جمل الزجاجي وغيره . ولم ينسبه أحد إلى قائله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه[٢]:

١٠٨ (يا لَعَطّافنا ويا لَرِياحِ)

على أن اللام فى المعطوف فُتحت كلامِ المعطوف عليه ، لإعادة يا . وبعده :

(١) العينى ٤ : ٢٥٧ والهمع ١ : ١٨٠ والأشمونى ٣ : ١٦٥

(٢) سيبويه ١ : ٣١٩ . وانظر العينى ٤ : ٢٦٨ وابن يعيش ١: ١٢٨، ١٣١ والهمع ١ : ١٨٠ والأشمونى ٣ : ١٦٥

(وأبِي الحشْرَج الفتىٰ النفّاحِ)

فأبِي الحشرج معطوف على يا لَعطافنا . وعطّاف ورِياح وأبو الحشرج : أعلامُ رجال . والنفّاح : الكثير النفح أى العطية : وقبله :

يا لَقومى ، مَن للعلا والمساعى يا لقومى ، مَن للندىٰ والسماح)

المساعى : جمع مَسعاة فى الكرم والجود .

رثىٰ هذا الشاعر رجالا من قومه وقال : لم يبق للعُلا والمساعى مَن يقوم بها بعدهم .

وهذا من الشواهد الخمسين التى لم يُعرف لها قائل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد المائة :

١٠٩ (فيا للهِ من ألمِ الفِراقِ)

على أنَّ المستغاث له قد يجر بمن كما يجر باللام .

قال الدمامينى فى شرح التسهيل : واعلم أنَّ قولنا المستغاث من أجله أعمُّ من أن يراد المستنصَر له والمستنصَر عليه ؛ إذ كلّ منهما وقعت الاستغاثة به لأجله أى بسببه ؛ فإذا كان المستغاث من أجله من النوع الأول لايجوز جرّه بمِن ألبتة بل يجر باللام ؛ وإذا كان من النوع الثانى جاز الوجهان ، فإن جرّ بمن وجب تعليقها بفعل التخليص أو الإنصاف ، وإن جرّ باللام فهى للتعليل ، وتتعلق بالفعل أو الاسم . اهـ

وهذا المصراع من شعر لعُبيد الله بن الحُرّ الجُعفىّ ، رثى به الحسينَ بن علىّ رضى الله عنهما . وأوله :

أبيات الشاهد

(يالكِ حسرةً ، ما دمتُ حيًّا تردَّدُ بين حلقي والتراقي
حسيناً ، حين يَطلبُ بذلَ نصري[١] على أهل العداوة والشقاقِ

٢٩٧ ولو أنّي أواسيه بنفسي لنِلت كرامةً يومَ التلاقي
مع ابن المصطفى ، نفسي فِداه ! فيا لله مِن ألم الفراقِ
غداةَ يقولُ لي بالقصْر قولا : أتتركنا وتُزمِع بانطلاق
فلو فلَق التلهّفُ قلبَ حيٍّ لهمَّ اليومَ قلبي بانفلاق !
فقد فاز الأُلى نصروا حُسيناً وخاب الآخرون أولو النفاق)

قوله : يالك حسرة ، هذا مخروم ، والخرم : إسقاط أوّل الوتِد . لكِ بكسر الكاف : ضمير مفسر لقوله حسرةً . وتَردّدُ : مضارع محذوف من أوله التاء . وحسيناً منصوب باذكرْ محذوفا .

وقوله : * فيالله من ألم الفراق *
روى بدلَه : * فولّى ثم ودّع بالفراق *

وعليه فلا شاهد فيه .

قال أبو سعيد السكّري في كتاب اللصوص بسنده إلى أبي مِخْنَف لوط ابن يحيىٰ بن سعيد الأزْدي[٢] قال :

كان مِن حديثُ عبيد الله بن الحرّ : أنّه كان شهد القادسية مع خالَيْه : زهير ومرثد : ابني قيس بن مَشجَعة . وكان شجاعاً لايعطي الأمراء طاعةً ، ثم صار مع معاوية فكان يكرمه ، وكان ينتاب عبيدَ الله أصحابٌ له ، فبلغ ذلك معاويةَ فبعث إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال : يا ابن الحرّ ، ما هذه

(١) في مقتل أبي مخنف لوط ص ٢٩ : « نصر مثلي » .
(٢) أبو مخنف لوط بن يحيى أخباري تالف لا يوثق به ، قال ابن عدي : شيعي محترق ، روى عن جابر الجعفي ومجالد ، وروى عنه المدائني وعبد الرحمن بن مغراء . مات قبل السبعين ومائة . لسان الميزان ٤ : ٤٩٢ والفهرست ١٣٦

الجماعةُ التي بلغني أنّها ببابك ؟ قال: أولئك بِطانتي ، أقيهمْ وأتّقي بهم، إن نابَ جَور أمير. فقال معاوية : لعلّك يا ابن الحرّ قد تطلّعتْ نفسُك نحو بلادك،ونحوَ عليّ بن أبي طالب ! قال عبيد الله : إنْ زعمتَ أنَّ نفسي تطلّعُ إلى بلادي وإلى عليّ إني لجدير بذاك ، وإنّه لقبيح بي الإقامةُ معك وتركي بلادي . فأما ما ذكرتَ من عليّ فإنك تعلم أنك على الباطل . فقال له عمرو بن العاص : كذبتَ يا ابن الحرّ وأثمتَ ! فقال عبيد الله : بل أنت أكذبُ مني ! ! ثم خرج عبيد الله مغضَبا وارتحلَ إلى الكوفة في خمسين فارساً ، وسار يومَه ذلك ، حتّي إذا أمسى بلغ مَسالح معاوية فمُنع من السير ، فشدّ عليهم وقتل منهم نفراً وهرب الباقون ؛ وأخذ دوابّهم وما احتاج إليه ؛ ومضىٰ لا يمرّ بقرية من قرى الشام إلا أغارَ عليها ، حتى قدم الكوفة — وكانت له امرأة بالكوفة وكان أخذها أهلُها فزوّجوها من عِكرِمة فولدت له جارية[1] — فقدم عبيد الله فخاصمهم إلى عليّ بن أبي طالب ؛ فقال له : يا ابن الحرّ ، أنت المالئُ علينا عدوَّنا . فقال ابن الحر : أمَا إنّ ذلك لو كان لكان أثرِي معه بيِّنا ، وما كان ذلك ممّا يُخاف من عدلك . وقاضىٰ الرجلَ إلى عليّ فقضى له بالمرأة . فأقام عبيد الله معها منقبضاً عن كلّ أمر في يدَيْ عليّ ، حتّي قُتل عليّ رضى الله عنه ، وحتّي ولى عُبيد الله بن زياد وهلك معاوية وولى يزيد ، وكان من أمر الحسين ما كان .

قال أبو مِخنَف : لما أقبل الحسين بن عليّ — رضوان الله عليهما — فأتىٰ قصر بني مُقاتل ، فلمّا قَتل عبيدالله بن زياد مسلم بن عَقيل بن أبي طالب وتحدّث أهل الكوفة : أن الحسين يريد الكوفة ؛ خرج عبيد الله بن الحرّ منها متحرِّجاً من دم الحسين ومَن معه من أهل بيته ، حتى نزل قصر بني مقاتل ، ومعه خيل مضمَّرة ومعه ناسٌ من أصحابه . فلما قدِم الحسين رضى الله

(١) كذا في ش . وفي المطبوعة (حارثه)

تعالى عنه قصرَ بنى مقاتل ونزل ، رأى فسطاطاً مضروباً فقال : لمن هذا الفسطاط ؟ فقيل : لعبيد الله بن الحرّ الجُعفىّ — ومع الحسين يومئذ الحجاج ابن مسروق ، وزيد بن معقل الجُعفيّان . فبعث إليه الحسينُ الحجاجَ بنَ مسروق ؛ فلما أتاه قال له : يا ابن الحرّ ، أجب الحسينَ بن علىّ . فقال له ابن الحرّ : أبلِغ الحسينَ : أنه إنما دعانى إلى الخروج من الكوفة حين بلغنى أنك تريدها ، فِرارٌ من دمك ودماء أهل بيتك ، ولئلا أعينَ عليك ؛ وقلتُ إن قاتلتُه كان علىَّ كبيراً وعند الله عظيما ، وإن قاتلتُ معه ولم أُقتل بين يديه كنت قد ضيّعت قتله ؛ وأنا رجل أحمَى أنفاً من أن أمكّن عدوّى فيقتلنى ضَيعة ، والحسين ليس له ناصر بالكوفة ولا شيعةٌ يقاتل بهم. فأبلغ الحجّاجُ الحسينَ قولَ عبيدالله فعظُم عليه ، فدعا بنعليه ثم أقبل يمشى حتّي دخل على عبيدالله بن الحرّ الفسطاطَ ؛ فأوسع له عن صدر مجلسه وقام إليه حتّي أجلسه . فلما جلس (قال يزيد بن مرة : فحدّثنى عبيد الله بن الحرّ قال : دخل علىَّ الحسينُ رضى الله عنه ولحيتهُ كأنّها جَناح غراب ! وما رأيت أحداً قطّ أحسنَ ولا أملأ للعين من الحسين ! ولا رققت على أحد قطّ رِقّتى عليه حين رأيتُه يمشى والصِّبيان حولَه) فقال له الحسين : ما يمنعك يا ابن الحرّ أن تخرج معى ؟ قال ابن الحرّ : لو كنتُ كائناً من أحد الفريقين لكنتُ معك ، ثم كنت من أشدّ أصحابك على عدوّك ؛ فأنا أحِبُّ أن تعفيَنى من الخروج معك ، ولكنْ هذه خيل لى مُعَدَّة وأدلاء من أصحابى ، وهذه فرسى «المحلّقة[1]» فاركبْها ، فوالله ما طلبتُ عليها شيئاً قطّ إلّا أدركتُه ، ولا طلبنى أحدٌ إلا فُتّه ! فاركبْها حتّي تلحقَ بمأمَنك ، وأنا لك بالعِيالات حتّي أؤدّيَهم إليك أو أموتَ وأصحابى عن آخرهم ؛ وأنا كما تعلم إذا دخلت فى أمر لم يضمنى فيه أحد . قال الحسين : أفهذه نصيحة لنا منك يا ابن الحر ؟ قال : نعم واللهِ الذى لا فوقه

---

(١) فى القاموس (حلق) : « وكمعظمة » : فرس عبيد الله بن الحر » .

شيء ! فقال له الحسين : إني سأنصح لك كما نصحتَ لي ، إن استطعتَ أن لا تسمع صُراخنا ولا تشهدَ وقْعتنا فافعلْ ؛ فوالله لا يسمعُ داعيَتنا أحدٌ لا ينصرُنا إلا أكبّه الله في نار جهنم ! ثم خرج الحسين من عنده ، وعليه جبّةُ خزٍّ وكساء وقلنسوة مورّدة (قال : ثم أعدت النظر إلى لحيته فقلت : أسوادٌ ما أرى أم خضاب ؟ قال : يا ابن الحرّ عجّل على الشيب . فعرفت أنه خِضاب) وخرج عبيدالله بن الحرّ حتى أتى منزله على شاطىء الفرات فنزله . وخرج الحسين رضي الله عنه فأصيب بكرْبلاء ومَن معه ، وأقبل ابن الحرّ بعدَ ذلك فمرّ بهم، فلما وقف عليهم بكَى . ثم أقبل حتى دخل الكوفة ،فدخل على عبيدالله بن زياد بعدَ ثالثة، وكان أشراف الناس يدخلون عليه ويتفقّدهم — فلمّا رأى ابنَ الحرّ قال له : أين كنت ! قال : كنتُ مريضا . قال : مريض القلب أم مريض الجسد(١) ؟ قال : أمّا قلبي فلم يمرضْ قطّ ، وأما جسدي فقد مَنّ الله تعالى عليّ بالعافية . قال : قد أبطلْت ! ولكنّك كنتَ مع عدوّنا . قال : لو كنت مع عدوّك لم يخْفَ مكاني . قال : أمّا مَعنا فلم تكن ! قال : لقد كان ذاك . ثم استغفل ابنَ زياد والناس عنده فانسلّ منه ثم خرج فنزل المدائن، وقال : لئن استطعت أن لا أرى له وجهاً لأفعلنّ ؛ ورثى الحسينَ وأصحابَه الذين قُتلوا معه بالشعر المتقدّم(٢)، وبقوله :

يقولُ أميرٌ غادرٌ حقُّ غادرٍ : ألا كنتَ قاتلتَ الشهيدَ ابنَ فاطمهْ

(١) في الطبري ٦ : ٢٧٠ عن أبي مخنف : « مريض القلب أو مريض البدن » .

(٢) ذكر الميمني أن الشعر المتقدم ليس في الرثاء ، وانما أنشده على قعوده عن نصرة الحسين بعد أن سار الى كربلاء وفارقه . وقال : « غير أن الأبيات الميمية ليست له البتة ، وانما هي للحر بن يزيد الرياحي ، كما هو عند أبي مخنف ٤٥ . فلا أدري هل هذا الوهم من أبي سعيد ، أو من نساخ كتابه ، أو من البغدادي » . هذا ماذكره ، لكن الطبري يعزو الشعر التالي الميمي الى عبيد الله بن الحر . انظر ٦ : ٢٧٠ — ٢٧١ .

٢٩٩

ونفسى على خِذلانه واعتزاله وبيعةِ هذا الناكثِ العهد لائمه (١)
فواندمى أن لا أكونَ نصرتَه ! ألا كلُّ نفس لا تسدِّد ، نادِمَهْ ! (٢)
وإنّى ، لأنّى لم أكن من حُماته ، لذو حسرةٍ ما إن تفارقُ ، لازمه!
سقى الله أرواحَ الذين تآزروا على نصره سُقياً ، من الغيث ، دائمه!
وقفتُ على أجداثهم ومَجالِهم فكاد الحشا ينقضّ والعين سَاجمه (٣)
لَعمرى لقد كانوا مصاليتَ فى الوغى سِراعاً إلى الهَيجا حُماةً ضَبارمَه (٤)
تآسَوا على نَصْر ابن بنت نبيِّهم بأسيافهم آسادَ غِيلٍ ضراغمَه (٥)
فإن يُقتلوا فكلُّ نفسٍ زكيّةٍ على الأرض قد أضحت لذلك واجمه (٦)
وما إن رأى الراءون أصبرَ منهم لدى الموت ساداتٍ وزُهراً قَماقِه (٧)
أتقتلُهم ظُلماً وترجو ودادَنا فدَعْ خطّةً ليست لنا بملائمه
لعمرى لقد راغمتمونا بقتلهم فكم ناقمٍ منّا عليكم وناقِه
أهمُّ مراراً أن أسير بجحفلٍ إلى فئةٍ زاغتْ عن الحقّ ، ظالمَه
فكُفّوا ! وإلاّ زرتكم فى كتائب أشدَّ عليكم من زُحوف الديالِمَه ! (٨)

ثم إن ابن الحرّ لم يزل يشغَب بابن زياد وبالمختار وبمصعَب بن الزبير . وجرت بينه وبين مصعَب محارَبات عديدة . ثم سار إلى عبدالملك بن مرْوان

(١) لم يروه الطبرى
(٢) أبو مخنف : « لا تؤاسيه نادمه »
(٣) الطبرى : « ينفض » أبو مخنف : « ينفت » ط : « ومحالهم » صوابه فى ش وعند ابى مخنف : « على أجسادهم وقبورهم »
(٤) ط : « ضيارمة » صوابه بالباء كما فى ش ، ولعلها جمع ضبارم، وهو الشديد الخلق من الأسد . وعند أبى مخنف : « ليوثا ضراغمه » ، وفى الطبرى : « حماة خضارمه » .
(٥) أبو مخنف : « قشاعمه » .
(٦) الطبرى : « فكل نفس تقية »
(٧) الطبرى : « أفضل منهم »
(٨) الطبرى : « والا ذرتكم » ، وما هنا صوابه

وقال له : إنّما أتيتك لتوجِّه معى جنداً لقتال مصعَب بن الزبير . فأكرمه عبدالملك وأعطاه أموالاً وقال له : سرْ فإنى أقطع البعوث وأُمدّك بمائة ألف . فسار ابن الحرّ حتّي نزل بجانب الأنبار ، واستأذنه أصحابه فى دخول الكوفة . وبلغ ذلك عبيدَالله بن العباس السُّلَمىّ فاغتنم الفرصة فسأل الحارثَ بن عبدالله، وكان خليفة مصعَب على الكوفة ، وأخبره بتفرّق أصحابه عنه . فبعثه فى مائة فارس من قيس ، واستمدَّ خمسمائة فارس منهم أيضا وسار حتّى لَقُوه ، وهو فى عشرة من أصحابه . فأشاروا عليه بالذّهاب فأبى ؛ وقاتلهم حتّي فشتْ فى أصحابه الجراحاتُ فأذن لهم فى الذّهاب ؛ وقاتلهم على الجسر فقتل منهم رجالا كثيرة ، حتّي انتهى إلى المِعبر فدخله . فقالوا : لنبَطىٍّ : هذا الرجلُ بُغيةُ أمير المؤمنين ، فإن فاتكم قتلنا كم . فوثب إليه نبطىٌّ قوىٌّ فقبض على عضدَى ابنِ الحرّ ، وجراحاته تشخَب، وضربه الآخرون بالمجاديف . فلما رأى ابن الحر أن المِعبَر قد قرُب إلى القيسيّة قبض على الذى قبض عليه ، فعالجه حتّي سقطا فى الماء لا يفارقه ؛ حتى غرقا جميعا (وسُمع شيخ يُنادى وينتِف لحيته ويقول : يا بَخْتيار ؟ يا بختيار ؟ فقيل له : مالَكَ ياشيخ ؟ قال : كان ابنى بختيار يقتل الأسد ، وكان يُخرج هذا المِعبَر من الماء فيقرّه ثم يعيده وحدَه ، حتى ابتُلى بهذا الشيطان الذى دخل السفينةَ فلم يُملكه من أمره شيئاً حتّي قذف به فى الماء فغرقا جميعا ! فجعلوا يسكّنونه وهو يقول : ما كان لِيُغرق ابنى إلا شيطان !) فلما انتهى الخبر إلى عبد الملك جزع عليه جزعاً شديداً وندم على بعثِه إيّاه ، وتمنى أن يكون بعث معه الجيوش .

وقد فصَّل السكرىّ وقائعه وحروبه ، وجمعَ أشعاره فى كتاب اللصوص(١) بما لا مزيد عليه .

(١) الميمنى : « هو الذى طبع منه المستشرق رايت الانكليزى بليدن فى مجموعة جرزة الحاطب ديوان طهمان الكلابى اللص من غير أن يشعر بذلك . فانظر رسوم أمكنته فى معجم البلدان تجزم بما قلنا » .

٣٠٠ وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد المائة وهو من شواهد س [١]:

١١٠ (يالَبَكرٍ أنشِرُوا لى كليباً   يالَبَكرٍ أين أينَ الفِرارُ)

على أن هذه اللام داخلة على المنادى المهدَّد [٢].

وهذا المعنى هو الجيّد ، ومأخذه من هذا البيت واضحٌ لاخفاء به ، ولا معنى للاستغاثة فيه كما حققه الشارح .

وفيه مخالفة لسيبويه فى جعلها للاستغاثة .

وحملها النحّاس على الاستهزاء فقال : إنما يدعوهم ليهزأ بهم ، ألا تراه قال : أنشروا لى كليبا .

وقال الأعلم : والمستغاث من أجله فى البيت هو المستغاث به ، والمعنى : يا لَبَكر أدعوكم لأنفسكم مطالباً لكم فى إنشار كليب وإحيائه ؛ وهذا منه استطالة ووعيد ، وكانو قد قتلوا كليبا أخاه فى أمر البسوس ا هـ .

وكأنّ الشارحَ انتزع ما قاله من هنا . والله أعلم .

أبيات الشاهد

وهذا البيت لمهلهل : أخى كليب ، أول أبيات ثلاثة [٣] قالها بعد أن أخذ بثار أخيه كليب ، ثانيها :

---

(١) سيبويه ١ : ٣١٨ . والخصائص ٣ : ٢٢٩ والعقد ٥ : ٤٧٨

(٢) بعده فى الرضى ١ : ١٢١ : « نحو يالزيد لأقتلنك » .

(٣) الميمنى : « الأبيات فى حديث البسوس ٥٢ ثمانية مصحفة ، حاكها بعد تصحيحها وتصحيح ما فى الخزانة بقدر الطاقة :

يا لَبَكرٍ أنشروا لى كليباً   يا لبكر أين أين الفرار

يا لبكرٍ اظْعنوا ثم حُلّوا   صَرَّحَ الشرُّ وباحَ السرار

=

(تلك شيبانُ تقول لبكرٍ : صرّح الشرّ وباح الشّرار[1]
وبنو عِجْلٍ تقول لقيس ولتَيم الله : سيروا . فساروا)

وقوله (أنشروا) بفتح الهمزة وكسر الشين ، يقال أنشر الله الميت : إذا أحياه ، ويتعدَّى بدون الهمزة أيضاً ، فإنّ نشر من باب قعد جاء لازماً نحو : نَشر الموتىٰ : أى حَيُوا ، ومتعدّياً نحو نشرهم الله .

وصرُح الشىء بالضمّ صَراحة وصُروحة : خلَص من تعلُّقات غيره . وباح الشىء يبوح من باب قال : ظهر . والشرار : ما تطاير من النار ، الواحدة شرارة .

= سفهت شيبانُ لما التقينا إنّ عود التغلبى نُضار
يا كليبَ الخيرلستُ براضٍ دون روح تراح منه الديار
أو أغادر قتلى تقرُّ بعينى ويؤدّى ما عنده المستعار
اسألوا جهرة إياداً ولخماً والحليفين حين سرنا وساروا
إذ دلفناهم وبكراً جميعاً فأسرنا سَراتَهم حين ساروا
وقتلنا قيس بن عَيلان حتى أمعنوا فى الفرار حيث الفرار

والأبيات كما ترى من وزنين مختلفين ، الأولى من الرمل ، والآخرة من الخفيف ، فضلا عن الأغلاط . وهى أكثر فى الأصل مما بقى منها هنا . وأرى بعض الأشعار لا سيما الطوال منها مفتعلة ، وان رواها ابن اسحاق والكلبى » .

(١) الميمنى :«وهن على وهن ، والصواب : السرار ،أى ظهر السر . نعم لو كان : باخ الشرار ، بالخاء والشين بمعنى خمدت النار لكان شيئا » .

ترجمة المهلهل

و (مهلهل) قال الآمدى : اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث[١] بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب[٢] وهو الشاعر المشهور . ويقال اسمه عدىّ . اهـ .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : مهلهل بن ربيعة هو عدىّ بن ربيعة . وسُمِّىَ مهلهِلا لأنه هَلْهل الشعر أى أرقّه ؛ ويقال : إنه أوَّل من قَصَّد القصيد ، قال الفرزدق :

* ومهلهلُ الشعراء ذاك الأولُ *

وهو خال امرىء القيس بن حُجْر صاحب المعلّقة . انتهى .

والصحيح هذا . ويدلّ له أنه ذكر اسمه فى شعره فقال :

---

(١) وكذا فى سمط اللآلىء ١١١ ثم قال : « وقيل : اسمه عدى ، والشاهد لذلك قوله :

ضربت صـدرها إلىّ وقـالت ... ياعـديا لقـد وقتـك الأواقى

ومن قال : ان اسمه امرؤ القيس يروى هذا البيت :

ضربت صـدرها إلىّ وقـالت ... يا امرأ القيس حان وقت الفراق

أو يقول : ان هذا انما هو أخوه» . قال الميمنى : «والبيت من قصيدة فى خبر البسوس ص ١١٤ فى خمسة عشر بيتا والأغانى ٤ : ١٤٧ وعند العينى ٤ : ٢١١ . وهذا لفظه : « ضربت صدرها الى وقالت ياعديا ... البيت . أقول قائله هو مهلهل ، واسمه امرؤ القيس .. الخ . فكأنه يرى أن عديا هو أخو امرىء القيس مهلهل . ولكن فى خبر البسوس ٢٩ : « كان لكليب أربعة اخوة : عدى وهو مهلهل ، والسجاد الشاعر ، وامرؤ القيس ، وعبد الله ، بنو ربيعة » . قلت : وفى جمهرة ابن حزم ٣٠٥ : « ومن بنى الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب : كليب ، ومهلهل ، وعدى ، وسلمة ، بنو ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم » .

(٢) فى النسختين : « غانم بن تغلب » ، صوابه فى الجمهرة ٣٠٣ والأغانى ٤ : ١٤٨

ضربتْ صدرها إليّ وقالتْ : يا عديّ لقدْ وقَتْكَ الأواقى !

ولم يقل أحدٌ قبله عشرَة أبيات . وقال الغزل وعنى بالنسيب فى شعره . ويقال سُمِّىَ مهلهلا بقوله :

* هلهلتُ أثأر مالـكا أو صِنْبِلا [(١)] *

قال ابن سلاّم : زعمت العربُ أنه كان يتـكثّر ويدّعى فى قوله بأكثر من فِعله . وكان شعراء الجاهلية فى ربيعة أولهم المهلهل ، والمرقِّشان ، وسعد ابن مالك[(٢)] .

و (المهلهل) : أخو كليب الذى هاج بمقتله « حرب البسوس » ، وهى حرب بكر وتغلب ابنى وائل . وكان من خبرها ما حكاه ابن عبد ربه فى العقد الفريد والأصبهانى فى الأغانى . وقد تداخل كلام كلّ منهما فى كلام الآخر .

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب : ما اجتمعت معدٌّ كلُّها إلا على ثلاثةِ رهط من رؤساء العرب ، وهم عامر ، وربيعة ، وكليب . فالأول[(٣)] عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث . وهو قائد معدّ يوم

(١) ط : « ضنبلا » بالضاد المعجمة ، صوابه فى ش واللسان (هلل) والمزهر ٢ : ٤٣٤ . وفى القاموس (صنبل) : « وكخندف : علم رجل من تغلب » . وهلهلت : قاربت . وصدره :

لما توغل فى الكراع هجينهم

(٢) النص فى ابن سلام ٣٣ ــ ٣٤ مع بعض خلاف . وبعده فى ابن سلام : « وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميئة ، والحارث بن حلزة ، والمتلمس ، والأعشى ، والمسيب بن علس » . ط : « سعيد بن مالك » صوابه فى ش وابن سلام

(٣) فى النسختين : « فهو » ، وما أثبته من العقد ٥ : ٢١٣

٣٠١ البيداء[١] حين تمذجحت مذحج وسارت إلى تهامة وهى أول وَقْعة كانت بين تهامة واليمن[٢] .

والثانى : ربيعة بن الحارث بن مرّة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ابن كعب وهو قائد معدّ يوم السُّلّان[٣] ، وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن .

والثالث : كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه « أعزّ من كليب وائل » وقاد معدًّا كلها [يوم خُزاز[٤]] ففضّ جموع اليمن وهزمهم ، فاجتمعت عليه معدّ كلها وجعلوا له قَسْم الملك وتاجَه ، وتحيّته وطاعته ، فغبر بذلك حيناً من دهره ، ثم دخله زهوٌ شديدٌ وبغىٌ على قومه ؛ حتّى بلغ من بغيه أنه كان يحمى مواقعَ السحاب فلا يُرعىٰ حِماه ؛ وكان يحمى من المرعىٰ مدى صوت كلب فيختصّ به ، ويشاركهم فى غيره ؛ ويجيرُ على الدهر فلا تخفر ذمّته ، ويقول : وحش أرضِ كذا فى جوارى فلا يُهاجُ ، ولا يورِد مع إبله أحد ، ولا توقَدُ نار مع ناره ؛ حتى قالت العَرب : « أعزّ من كليبِ وائل » .

وكانت بنو جشم وبنو شيبان فى دارٍ واحدة بتهامة ، وكان كليب قد تزوّج [جليلة[٥]] بنت مرّة بن ذهل بن شيبان ، وأخوها جسّاس بن مرّة ؛ وكانت لجسّاس خالة تسمى « البَسوس بنت منقذ التميميّة » ، جاورت ابن أختها

---

(١) البيداء : اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة ، وهى الى مكة اقرب . معجم البلدان .

(٢) فى النسختين : « وهى اول وقيعة كانت بين تهامة واليمن » ، صوابه فى العقد

(٣) فى النسختين : « الميلان » صوابه من العقد . وانظر معجم البلدان .

(٤) التكملة من العقد . وهو جبل بطخفة بين البصرة الى مكة .

(٥) التكملة من العقد

جسّاساً ، وكان لها ناقة يقال لها . سَراب ، ولها(١) تقول العرب : « أشأمُ من سَراب » ، و «أشأمُ من البَسوس » ، فمرّ إبل كليب بسَراب وهى معقولة بفِناء البسوس ؛ فلما رأت سرابُ الإبلَ خلخلت عقالها(٢) وتبعتْ إبلَ كليب فاختلطتْ بها ، حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معه قوسٌ وكنانة ؛ فلما رآها أنكرها فرماها بسهم فى ضرعها ، فنفرت سرابُ وولّت حتى بركت بفِناء صاحبتها ، وضرعُها يشخَب دماً ولبناً ، فبرزت البسوس صارخةً ، يدها على رأسها ، تصيح : واذُلّاه ؟ وأنشأت تقول :

لعمرىَ ، لو أصبحتُ فى دار منقذ لما ضِيم سعدٌ وهو جارٌ لأبياتى(٣)
ولكنّنى أصبحتُ فى دارِ غُربْةٍ متى يَعدُ فيها الذئبُ يعدُ على شاتى
فيا سعدُ لا تُغرَرْ بنفسك وارتحلْ فإنك فى قوم عن الجار أموات

فلما سمع جسّاسُ صوتَها سكّنها وقال : والله ليُقتلنّ غداً جملٌ عظيمٌ أعظمُ عَقراً من ناقتك . فبلغ كليباً فظن أنه أراد قتلَ (عُلَيّان) ، وهو فحل كريم له ، فقال : هيهات ، « دون عُلَيَّان خَرطُ القتاد » ثم انتجع الحىُّ فمروا على نهر يقال له «شُبَيْث»(٤) فنهاهم كليب عنه ، ثم على آخر يقال له « الأحصّ » فنهاهم عنه ، حتى نزلوا على الذنائب(٥) فمر جساسٌ بكليب وهو على غدير

---

(١) فى النسختين وكذا فى العقد : « ولها » ، والوجه ما اثبت .
(٢) فى العقد : « نازعت عقالها حتى قطعته » .
(٣) فى حرب البسوس ص ٣٥ : « فى آل منقر » . وبعد هذه الأبيات الثلاثة فيها أربعة أخرى .
(٤) ط : « شبيب » صوابه فى ش والأغانى ٤ : ١٠٤ . وانظر معجم البلدان (الأحص ، وشبيث) وفى رسم الأحص : « فمروا على نهى يقال له شبيث » . ونحوه فى الأغانى .
(٥) ط : « السائب » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح والأغانى

الذنائب منفردا فقال : أطردْت أهلنا[١] عن المياه حتّى كدتَ تقتلُهُم عطشاً ؟ ! فقال كليب: ما منعناهم من ماءٍ إلاّ ونحن له شاغلون . فقال جسّاس : هذا كفعلك بناقة خالتي قال : أوقد ذكرتها ، [أما إنى[٢]] لو وجدتها فى غير إبل مرّة لاستحللت تلك الإبل . فعطف عليه جسّاس فطعنه فأذراه[٣] ووجد الموتَ فقال : يا جسّاسُ اسقنى ؟ فقال : هيهات ، تجاوزتَ شُبيثاً والأحصّ ؟

وُروى أن البسوس لمّا صرخت وأحمت جسّاساً ركب فرساً له ، وتبعه عمرو بن الحارث بن ذُهل بن شيبان ، ومعه رمحه ، حتى دخلا على كليبِ الحمىٰ ، فضربه جسّاس فقصم صُلبه ، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع قَطَنه ، فوقع كليب يفحص برجلِه ؛ فلما فرغ من قتله جاء إلى أهله وأخبرهم بأنه قتل كليباً ثم هرب . وكان همّام بن مرة أخا جسّاس ، وكان ينادم المهلهل أخا كليب ، وكان قد صادقه وواخاه وعاهده أن لا يكتم عنه شيئاً . فجاءت أَمَةٌ إليه فأسرّت إليه قتلَ جساس كليباً ، فقال له مهلهل : ما قالت لك ؟ فلم يخبره . فذكّره العهد ؛ فقال: أخبرتْ أن أخى قَتل أخاك . فقال: استُ أخيك أضيق من ذلك ! فسكت ؛ وأقبلا على شرابهما ، فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمّام يشرب شرب الخائف ؛ فلم تلبث الخمر أن صرعت مهلهِلا ، فانسلّ همام فأتىٰ قومه بنى شيبان وقد قوّضوا الخيام وجمعوا الخيل والنَعم ورحلوا حتى نزلوا بماء يقال له النهى .

٣٠٢

(١) ط : « ابلنا » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ومعجم البلدان (الأحص) والأغانى ٤ : ١٤٠ .
(٢) التكملة من معجم البلدان والأغانى .
(٣) أذراه : ألقاه . وهكذا وردت فى النسختين .

ولما ظهر قتل كليب وأفاق مهلهل اجتمعت إليه وجوه قومه ؛ فاستعدّ لحرب بكر ، وترك النساء والغزل ، وحرّم القِمار والشراب ، وأرسل إلى بنى شيبان وهو فى نادى قومه . فقالت الرسل : إنكم أتيتم عظيما بقتلكم كليباً بناب من الإبل ؛ فقطعتم الرحم ، وانتهكتم الحرمة ، وإنّا كرهنا العجلة عليكم دون الإعذار إليكم ؛ ونحن نعرِض عليكم إحدى خلال أربع ، لكم فيها مخرَج ولنا مَقنَع. فقال مرّة : ما هى؟ قالوا : تحيي لنا كليباً ؛ أو تدفع إلينا جسّاساً قاتلَه نقتله به ؛ أو همّاماً فإنه كفء له ؛ أو تمكّننا من نفسك فإن فيكَ وفاءً من دمه . فقال : أما إحيائى كليباً فهذا ما لا يكون ؛ وأما جسّاس فإنه غلام طَعن طعنةً على عجَل ثم ركب فرسه فلا أدرى أىُّ البلاد احتوت عليه ؛ وأما همّام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلُّهم فرسان قومه ، فلن يسلموه إلىّ فأدفعَه إليكم ليُقتل بجريرة غيره ؛ وأمّا أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جَولة فأكون أوّل قتيل فيها(١) فما أتعجّل من الموت ؛ ولكن لكم عندى إحدى خَصلتين : أما إحداهما فهؤلاء بَنىَّ الباقون فعلِّقوا فى عنق من شئتم نِسعة وانطلقوا به إلى رحالكم فاذبحوه ذبحَ الخروف(٢) وإلاّ فألفُ ناقةٍ سوداء المُقَل(٣) ، أقومُ(٤) لكم بها كفيلاً من بكر بن وائل . فغضب القوم وقالوا : لقد أسأتَ فى الجواب وسُمتَنا اللبنَ من دم كليب . ووقعت الحرب بينهم ، ولحقت زوجة كليب بأبيها وقومها . ودعت تغلبُ النمر بن قاسط فانضمّت إليها(٥) وصاروا يداً معهم على بكر ، ولحقت بهم غُفَيلة بن

(١) فى العقد ٥ : ٢١٦ : « بينها » .
(٢) فى العقد : « ذبح الجزور » .
(٣) فى النسختين : « المقلة » ، صوابه فى ش .
(٤) العقد : « أقيم » . وفى الأغانى : « وان شئتم فلكم الف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل » .
(٥) العقد : « فانضمت الى بنى كليب » .

قاسط[١]، واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة بنى شيبان ومساعدتهم على قتال إخوتهم ، وأعظَموا قتلَ جساس كليباً بناب من الإبل ، فظعنت لُجيم عنهم وكفّت يشكُر عن نُصرتهم ، وانقبض الحارث بن عُباد فى أهل بيته (وهو أبو بجير[٢] وفارس النعامة) .

قال أبو المنذر : أخبرنى خِراش : أن أول وقعة على ماء كانت بنو شيبان نازلة عليه[٣] ، ورئيس تغلب المهلهل ، ورئيس شيبان الحارث بن مُرّة ، فكانت الدائرة لتغلِب ، وكانت الشوكة فى شيبان ، واستحرّ القتلُ فيهم ، إلّا أنه لم يقتل فى ذلك اليوم أحد من بنى مُرة .

يوم الذنائب

ثم التقوا بالذنائب وهو أعظم وقعة كانت لهم ، فظفرت بنو تغلب وقُتلت بكرٌ مقتلة عظيمة ، وفيها قتل شَراحيل بن مرّة بن همّام بن مرّة بن ذُهْل بن شيبان (وهو جد الحَوْفَزان ، وهو جدّ معْن بن زائدة . والحوفزان هو الحارث بن شَريك بن عمرو بن قيس بن شَراحيل) قتله عتّاب بن قيس بن زهير بن جُشَم ، وقُتِل الحارث بن مرّة بن ذُهْل بن شيبان ، قتله كعب بن زهير بن جشم وقُتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرُو بن مندوس بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة ، وقتل من بنى تيم الله جَميل بن مالك بن تيم الله ، وعبدالله بن مالك بن تيم الله وقُتل من بنى قيس بن ثعلبة [سعد بن ضُبيعة بن قيس ، وتميم ابن قيس بن ثعلبة ، وهو أحد الخرِفين[٤]] ، وكان شيخاً كبيراً . فهؤلاء من أصيب من رؤساء بكر يوم الذنائب .

٣٠٣

(١) غفيلة بن قاسط بن هنب كما فى جمهرة ابن حزم ٣٠٠ ومختلف القبائل ١٣ ونهاية الأرب ٢ : ٣٣٠ والقاموس (غفل) وفى النسختين : « عقيلة » تحريف .
(٢) وفى رواية أنه ابن أخيه ، كما سيأتى فى ص ١٧٢
(٣) هو « النهى » كما فى العقد ٥ : ٢١٨
(٤) التكملة من العقد .

يوم واردات

ثم التقوا بواردات ، وعلى الناس رؤساؤهم الذين سمَّينا ،فظفرت بنو تغلب واستَحَرَّ القتل فى بنى بكر ، فيومئذ قتل شَعْثَم وعبد شمس ابنا معاوية بن عامر ابن ذهْل بن ثعلبة ، وسيّار بن حارث بن سيّار ، وفيه قُتل همّام بن مرّة أخو جساس ، فمر به مهلهلٌ مقتولا فقال له : والله ما قُتل بعد كليب قتيل أعزُّ علىَّ فقداً منك ؟ وقتلَه ناشرة ، وكان همّام ربّاه وكفلَه ، كما كان ربّى حذيفةُ ابن بدر قِرْواشاً فقتله يوم الهَباءة .

يوم عنيزة

ثم التقوا بُعنيزة ، فظفرت بنو تغلب ، ثم كانت بينهم معاودة ووقائعُ كثيرة ، كلُّ ذلك [كانت(١)] الدائرة فيها لبنى تغلب على بنى بكر .

وقال مهلهل يصف الأيام وينعاها على بكر ، فى قصيدة طويلة أوّلها :

أليلَتنا بذى حُسُمٍ أنيرى إذا أنتِ انقضيتِ فلا تَحُورى

وقال مهلهل لما أسرف فى القتل :

أكثرتُ قتلىَ بنى بكر بربِّهم حتّى بكيتُ وما يَبكى لهم أحدُ

آليتُ بالله لا أرضى بقتلهم حتى أُبهرِج بكراً أينما وُجدوا

(قال أبو حاتم : أبهرج : أدعُهم بَهرَجا لا يقتل فيهم قتيل ولا يؤخذ لهم دية ويقال : المبهرَج من الدَّراهم من هذا) . وقال أيضاً :

يا لَبكر أنشروا لى كليباً . . الأبيات الثلاثة

وله أشعار كثيرة فى رثاء أخيه كليب .

ثم إن المهلهل أسرفَ فى القتل ، ولم يبال بأى قبيلة من قبائل بكر أوقَع ، وكانت أكثرُ بكر قعدت عن نُصرة بنى شيبان لقتلهم كليباً ، وكان الحارث

---

(١) التكملة من العقد . وفيه بعده : « الدائرة فيه » .

ابن عُباد قد اعتزل تلك الحروب وقال : « لا ناقةَ لِيَ في هذا ولا جَمَل »

بجير

فذهبت مثلا . فاجتمع قبائل بكر إليه فقالت : قد فَنِي قومك ! فأرسل بجيراً ابنَ أخيه إلى مهلهل وقال له : قل له : إني قد اعتزلتُ قومي لأنهم ظلموك ، وخلّيتك وإياهم . وقد أدركتَ ثأرك وقتلت قومك . فأتى بجير إليه فقتله مهلهل (كما تقدّم شرحه عند الكلام على قوله :

مَنْ صَدّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيس لا بَرَاحُ

وهو الشاهد التاسع والسبعون[1]) فبعد ذلك نهض الحارثُ للحرب فقاتَل تغلبَ حتّى هرب المهلهلُ ، وتفرّقت قبائل تغلب وكان أوَّلَ يوم شهده الحارث ابن عُباد يومُ قِضَة (وهو يوم تَحلاق اللِمَم) وفيه أسر الحارث بن عُباد مهلهلا وهو لا يعرفه (واسمه عديّ بن ربيعة) فقال له : دُلَّني على عَديّ وأخَلّي عنك فقال له : عليك العهد بذلك إن دللتك عليه ؟ قال : نعم ؛ قال : فأنا عديّ ! فجزّ ناصيتَه وتركه . وقال فيه :

لهفَ نفسى على عدى ولم أعـ ـرِفْ عديًا إذْ أمكنتنى اليدانِ

وفيه قتل عمرو وعامر التغلبيان ، قتلهما جَحدر بن ضُبيعة[2].

ثم إن مهلهلا فارقَ قومه ولم يزل مقيما في أخواله بني يشكر ضجراً من الحرب وأرسل الحارث بن عمرو بن معاوية الكندي وهو جد امرىء القيس

٣٠٤

ابن حجر في الصُّلح بينهم والتمليك عليهم ؛ وقد كانوا قالوا : إنّ سُفهاءنا غلبوا علينا وأكل القويّ منا الضعيف ، فالرأي أن نملّك علينا ملكا نعطيه البعير والشاة فيأخذ من القويّ ويردّ الظالم ، ولا يكون من بعض قبائلنا فيأباه

---

(١) صوابه « الحادي والثمانون » . انظر ص ٤٦٧ من الجزء الأول .

(٢) في النسختين « حجر بن ضبيعة » صوابه من الأغاني والعقد .

الآخرون فلا تنقطع الحروب فأصلح بينهم وشغلهم بحرب اللخميين من بنى غسان ملوك الشام ، وبقى مهلهل وحيداً عند أخواله إلى أن مات . قيل : وُجد ميّتاً بين رجلَىْ جمل هاج عليه . وقيل بل مات أسيراً ، وذلك أنه لما نزل اليمن نزل فى بنى جَنْب (وجَنْب من مَذحِج) فخطبوا إليه ابنته فقال لهم : إنى طريدٌ بينكم فمتى أنكحتكم ؟ قالوا : اقتسروه . فأجبَروه على تزويجها وساقوا إليه فى صَدَاقها أدَماً فقال :

أنكحها فقدُها الأراقمَ فى جَنْب وكان الحِباء من أدمِ

فى أبيات .. ثم انحدر فلقيه عوف بن مالك ، أبو أسماء صاحبةِ المرقّش الأكبر ، فأسره فمات فى أسره .

قال السكّرىّ فى أشعار تغلب : أسر مهلهلا عوفُ بن مالك أحد بنى قيس بن ثعلبة ، وإن شبّاناً من شيبان بنى قيس بن ثعلبة أتوا عوفَ بن مالك ، أحد بنى قيس فقالوا : أرسل معنا مهلهلاً ، فأرسلَه معهم ، فشرب فلما رجع جعل يتغنّي بهجاء بكر بن وائل ، فسمعه عوف بن مالك فغاظه فقال : لاجرم إن لله علىّ نذراً إنْ شرب عندى قطرةَ ماء ولاخمر حتى يُورَدَ الخُضَير[1] (بمعجمتين مصغّرا ، وهو بعير لعوف لايرد الماء إلا سِبْعاً[2]) فقال له أناسٌ من قومه : بئسَ ما حلَفتَ ! فبعثوا الخيولَ فى طلب البعير فأتوا به بعد ثلاثة أيام ، ومات مهلهل عطشا . وقيل بل قتل[3] . وكان السبب فى قتله : أنه أسنّ وخرِفَ ، وكان له عبدانِ يخدُمانه فملّاه ، وخرج بهما إلى سفر ، فبينما هو فى بعض

(١) ش : « حتى يؤوب الخضير » .
(٢) السبع بالكسر : ظمء من أظماء الابل ، وهو أن ترد الماء فى اليوم السابع لشربها الأول .
(٣) انظر كتاب البسوس ١١٦ والعمدة ١ : ٢١١

الفلوات عزما على قتله ، فلما عرف ذلك كتب على قَتَب رَحْلِه ، وقيل أوصاهُما :

مَن مُبلغٌ الحيَّينِ أنّ مهلهِلا ... لله درُّ كما ودَرُّ أبيكما

ثم قتلاه ورجعا إلى قومه فقالا : مات : وأنشداهم قوله . فقال بعض ولده قيلَ هى ابنته ـ إنّ مهلهلا لايقول مثل هذا الشعر ! وإنما أراد :

مَن مبلغ الحيَّين أنّ مهلهلا ... أمسىٰ قتيلاً فى الفَلاة مجدَّلا

لله درُّ كما ودرّ أبيكما ... لايبرحُ العَبدانِ حتى يُقتَلا

فضربوا العبدَينِ حتّى أقرّا بقتله[1].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] :

١١١ (أيا شاعراً لاشاعرَ اليومَ مثلُه ... جريرٌ ولكنْ فى كليب تواضعُ)

على أنّ المنادىٰ من قبيل الشبيه بالمضاف إذا كان موصوفا بجملة ؛ فإن جملة (لاشاعر اليوم مثله) من اسمِ لا وخبرها وهو مِثْله ، صفةٌ للمنادى ، والوصف متقدم على النداء . وبه يسقط ما ذهب إليه سيبويه من أن الوصف بعد النداء ؛ وتكلّف حتى جعل المنادى فى مثله محذوفا ، وجعل شاعراً منصوبا بفعل محذوف .

٣٠٥

قال الأعلم : الشاهد فيه على مذهب الخليل وسيبويه نصب شاعراً بإضمار

(١) انظر خبرا مماثلا لهذا فى طبقات الشافعية للسبكى ١ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠

(٢) سيبويه ١ : ٣٢٨ والكامل ٦٥٩ والشعراء ٤٧٧ وأمالى القالى ٢: ١٤٢ والمؤتلف ١٤٥

فعل على معنى الاختصاص والتعجب ؛ والمنادىٰ محذوف ، والمعنى : ياهؤلاء أو ياقوم ، عليكم شاعراً أو حسبكم به شاعراً .

وقال النحاس : كأنه قال : ياقائلَ الشعر عليك شاعراً ؛ وإنما امتنع عنده أن يكون منادى لأنه نكرة يدخل فيه كل شاعرٍ بالحضرة وهو إنما قصد شاعرا بعينه وهو جرير ؛ وكان ينبغى أن يبنيه على الضمّ على ما يجرى عليه المخصوص بالنداء . وقال أحمد بن يحيى : ياشاعراً نصب بالنداء ، وفيه معنى التعجب ؛ والعرب تنادى بالمدح والذمّ وتنصب بالنداء : فيقولون : يارجلاً لم أرَ مثله ! وكذا ، ياطيبكِ من ليلة ؟ وكذا ياشاعرا . اهـ

ومثله قول التبريزى أيضا عند قول الحماسى [1]:

أيا طعنةَ ماشيخ كبيرٍ يفَنٍ بالى

المنادى محذوف .

وشاعراً ليس بمنادى لأنه مقصود إلى واحدٍ بعينه ؛ والمحذوف يجوز أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ، فكأنه قال لمن بحضرته : يا هذا حسبُك به شاعراً ، على المدح والتعجّب منه ، ثم بيّن أنه جرير ؛ ويشبَّه هذا الإضمار بقولهم : نعم رجلا زيد . ويجوز أن يكون حسبُك به على شريطة التفسير وبه فى موضع اسم مرفوع لابدّ منه . ويجوز أن تكون الهاء للشاعر الذى جرىٰ ذكره ثم وكّده بقوله جرير ، أى هو جرير . وتقديرُ الخليل ويونس ياقائل الشعر : على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال يا شعراء عليكم شاعراً لا شاعر اليومَ مثلُه : أى حسبكم به شاعراً ، فهذا ظاهر كلام سيبويه . ويجوز أن يكون يا قائل الشعر المحذوف هو الشاعر

(١) هو الفند الزمانى . الحماسة ٥٣٧ بشرح المرزوقى .

المذكور ، وينتصب شاعراً على الحال ولا شاعر اليوم فى موضع النعت ، واحتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه حتى يكون المنادىٰ معرفة ، كأنه قال : يا قائل الشعر فى حال . ما هو شاعرٌ لا شاعر مثله اهـ .

وهذا البيت من قصيدة للصَّلَتانِ العبدىّ عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتاً أوردها المبرّد فى كتاب الاعتنان ، والقالى فى أماليه ، وابن قتيبة فى كتاب الشعراء إلا أنه حذف منها أبياتا (والاعتنان معناه المعارضة والمناظرة فى الخصومة ، يقال عنّ له : إذا جادَلَه وعارَضَه . والمِعَنّ بكسر الميم وفتح العين : المعارِض : ومضمون كتاب الاعتنان : بيان الأسباب التى اقتضت التهاجى بين جرير والفرزدق) فادَّعى أنّهما حكّماه بينهما فقضى بشرف الفرزدق على جرير وبنى مجاشع على بنى كليب ، وقضى لجرير بأنه أشعرهما . وكليب رهط جرير ومجاشع رهط الفرزدق . والقصيدة هذه :

قصيدة الشاهد

(أنا الصَّلتانُ والذى قد علمتم ... متى ما يُحَكَّمْ فهو بالحُكم صادعُ[(١)]

أتتنى تميمٌ حين هابتْ قُضاتُها ... وإنى لبالفَصْل المبيّن قاطع[(٢)]

كما أنفذَ الأعشىٰ قضيّةَ عامرٍ ... وما لتميم من قَضَائى رَوَاجع

ولم يَرجِع الأعشى قضيّة جعفرٍ ... وليس لحُكْمى آخرَ الدهر راجع

سأقضى قضاء بينهم غيرَ جائرٍ ... فهل أنتَ للحُكْم المبيَّن سامِع

قضاء امرىء لا يتّقى الشتمَ منهم ... وليس له فى الحمد منهم مَنَافع[(٣)]

قضاء امرىء لا يرتشى فى حُكومةٍ ... إذا مال بالقاضى الرُّشا والمطامعُ

٣٠٦

---

(١) فى الشعراء والأمالى : « أنا الصلتانى »
(٢) ش : « بالفصل المبين لقاطع »
(٣) فى الأمالى والشعراء « فى المدح » .

فإنْ كنتما حَكّمتمانىَ فاصمُتا ولا تَجزعا وليرضَ بالحكم قانع
فإن تجزعا أو ترضيا لا أُقِلْكما ، وللحقّ بين الناس راضٍ وجازع
فأقسِم ، لا آلو عن الحقّ بينهمْ فإنْ أنا لم أعدِلْ فقُلْ أنت ضالع
فإن يك بحرُ الحنظليَّيْنِ واحداً فما يستوى حيتانُه والضفادع !
وما يستوى صَدر القناة وزُجُّها وما يستوى شُمّ الذُّرا والأجارِعُ !
وليس الذُّنابَى كالقُدامَى وريشِهِ وما تستوى فى الكفّ منك الأصابع
ألاَ إنّما تَحظَى كُليبٌ بشِعرها وبالمجْد تحظى دارمٌ والأقارع
ومنهم رءوسٌ يُهتدَى بصدورها والاذنابُ قِدماً للرءوس توابع
أرى الخطَفى بَذَّ الفرزدقَ شعرُه ولكنّ خيراً من كُليب مُجاشِع
« فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مثلُه جريرٌ ولكن فى كُليب تَوَاضع »
جريرٌ أشدّ الشاعرَيْنِ شكيمةً ولكنْ علَتْه الباذخاتُ الفوارع[(١)]
ويرفعُ من شعر الفرزْدقِ أنه له باذخ لذِى الخَسِيسة رافعُ
وقد يُحمَدُ السيفُ الدَّدَانُ بجفنِه وتَلْقاه رَثّا غِمْدُه وهو قاطع
يناشدنى النّصرَ الفرزدقُ بعدَما ألحّتْ عليه من جريرٍ صَواقِعُ
فقلت له : إنى وَنصرَكَ كالذى يُثَبّت أنفاً كَشمَتْه الجوادِع
وقالت كُليبٌ : قد شرُفنا عليهم فقلت لها : سُدّت عليك المطامع[(٢)]

قال المبرّد : قال أبو عبيدة : فأمّا الفرزدق فرضى حين شرّفه عليه وقومَه

(١) ط : « عليه » ، صوابه فى ش والأمالى والشعراء
(٢) ط : « شدت » صوابه فى ش والأمالى والشعراء . وفى الأمالى والشعراء : « المطالع » باللام .

على قومه وقال : إنّما الشعر مُروءةُ من لا مُروءةَ له ، وهو أخسّ حظّ الشريف ، وأما جريرٌ فغضب من المنزلة التي أنزله إيّاها فقال يهجوه (وهو أحد بني هِجْرِس) :

أقولُ ولم أملكْ سوابقَ عَبْرةٍ : متى كان حُكْمٌ في بيوت الهجارسِ ؟
فلو كنتَ من رهط المعلّى وطارقٍ قضيتَ قضاءً واضحاً غيرَ لابس

قال : والمعلّى أبو الجارود أو جَدّه ، وطارق : ابنُ النعمان من بني الحارث ابن جَذيمة ، وأم المنذر بن الجارود بنت النعمان . وقال جرير أيضاً :

أقول لعيني قد تحدّر ماؤها متى كان حكم الله في كَرَب النخل[1]

فلم يجبه الصّلتان فسقط . ا هـ .

أقول : قد أجابه الصلتان بقوله :

تعيّرنا بالنخلِ والنخلُ مالُنا وودَّ أبوكَ الكلبُ لو كان ذا نَخْلِ !
وأيُّ نبيّ كان من غير قريةٍ ! وهل كان حُكْمُ الله إلا مع الرسْلِ

وقيل : هما لُخلَيد عيْنَين . أحد بني عبدالله بن دارم ، وكان ينزل في قرية بالبحرين يقال لها عَيْنَين ، كذا في شرح أمالي القالي لأبي عُبيد البكري[2]

٣٠٧ وقوله « أنا الصلتان والذي » ، روى ابن قتيبة :

* أنا الصَلَتانيّ الذي قد علمتمُ *

بالنسبة إلى الصَّلَتان ، ومعناه في اللغة : النشيط الحديد من الخيل ، والحمار الشديد .

---

(١) في الشعراء والسمط ٧٦٦ : « أقول ولم أملك سوابق عبرة وفي المؤتلف : « أقول وعيني » .
(٢) السمط ٧٦٦ والروض الأنف ٢ : ١٣٥

وقوله « كما أنفذَ الأعشىٰ قضيّة عامر » ، أشار إلى ما حكم به أعشى قيس بينَ عامر بن الطفيل لعنة الله عليه ، وبين ابن عمّه عَلقَمة بن عُلاثة الصحابىّ رضى الله عنه ، وغلّب الأعشى عامراً على علقمة بالباطل وزعم أنهما حكّماه ؛ وهو كذب ، وقد تقدّم بيانه فى الشاهد السادس والعشرين[1] . والرواجع : جمع راجعة من رَجعَه بمعنى ردّه ، وأراد بتميم القبيلة .

وقوله : فاصمُتا : أمر من صمَت من باب دخل : إذا سكت وروى المبرّد « فأنصِتا » من أنصت بمعنى سكت واستمع الحديث فالياء من حكّمانى مفتوحة على الرواية الأولى ، ساكنةٌ على الرواية الثانية .

وقوله : لا أُقلْكما : من الإقالة وهى رفع العقد ؛ فإنه عُقد له فى الحكم عليهما كما زعمَ ؛ وهو مجزوم فى جواب الشرط .

وقوله : فأقسم لا آلو : أى لا أقصّر ، من الألْو وهو التقصير وروى المبرّد « لا أُلوى » بمعنى لا أُعرض ولا أحيد . وقوله : فقل أنت ضالع : هو من ضلع من باب نفع : مال عن الحقّ ، يقال ضَلْعك مع فلان أى ميْلك وروى المبرّد « ظالع » بالظاء المشالة ، من ظلع البعير والرجل من باب نفع أيضاً : إذا غمز فى مشيه ، وهو شبيه بالعرَج .

و « الحنظليّين » بالتثنية ، لأن كليب بن يربوع بن حَنظلة قومُ جرير ، ومالكَ بن حنظلة قومُ الفرزدق . والزُّج بضم الزاى المعجمة : الحديدة التى فى أسفل الرمح ، وصدر القناة من السنان إلى ثلثها . وشُمّ الذُرا : أى جبال شُم الذُرا ، يقال جبل أشم أى طويل ، والذُّرا : جمع ذِرُوة وهو أعلى الشىء . والأجارع : جمع أجرَع ، وهو رملة مستوية لا تنبت شيئاً ؛ ومؤنثه الجرعاء .

---

(١) أنظر الجزء الأول ص ١٨٤

وروى ابن قتيبة والمبرّد : « والأكارع » جمع أكرُع جمع كُراع ، وهو في الغنم والبقر ، بمنزلة الوظيف في الفرس والبعير ، وهو مُستدَقّ الساق .
فالمراد : بالذرا : جمع ذِرُوة ، بمعنى أعلى السنام .

وقوله : « وليس الذُنابى كالقُدامى » الذنابى بضم الذال والقصْر : ذنَب الطائر وهو أكثر من الذنب ؛ والقدامى بضم القاف والقصْر : إحدى قوادم الطائر ، وهى مقاديم ريشه ، وهى عشرٌ فى كل جناح ، ويقال قادمة أيضاً وجمعها قَوادِم .

وتحظى : من الحظوة بالظاء المعجمة بمعنى الصّلف والافتخار . و « دارِم » هو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . واسم دارم « بحر » وذلك أن أباهُ أتاه قوم فى حَمالة أى فى طلب دِيَة ، فقال له : يا بحرُ آئتنى بخريطة ، وكان فيها مال، فجاء يحملها وهو يدرِم تحتها من ثِقَلها ، فسمّى دارما ، يقال درَم فلان : إذا قارب الخُطا . و « الأقارع » أراد به الأقرعَين ، وهما الأقرع بن حابس وأخوه مرْثَد التميميّان .

وقوله : أرى الخَطَفَى ، بفتح الخاء المعجمة والطاء والفاء والقصر : اسم والد جرير ؛ سمّاه باسم أبيه . وبذّه : غلبه . وشعرُه : فاعله . والتواضع : الانحطاط من الذل ، والوضيع : الدنىء من الناس . والشكيمة : الشدّة ، يقال فلان ذو شكيمة : إذا كان لا ينقاد ، وفلان شديد الشكيمة : إذا كان شديد النفس أبيّا .

الباذخات : أى المراتب العاليات ، يقال شرف باذخ أى عال ، وكذلك الفوارع : يقال فرّعت قومى : أى علوتهم بالشرف أو بالجمال :

وقوله « ويرفع من شعر الفرزدق . . الخ » ، يقال : رفعت من خسيسته :

إذا فعلتَ به فعلا تكونُ فيه رفعتُه . يريد أن الفرزدق له شرف باذخ ، ولكن شِعره دنِيء . فالقول يرتفع برفعة القائل . وروى المبرّد :

٣٠٨

* ينوء ببَيتٍ للخسيسة رافِع *

أى ينهض ويقوم بالبيت الردىء من الشعر فيرفعه .

والسيف الدَّدَان : الذى لا يقطع . وهذا المصراع ناظرٌ لقوله :

* جرير أشد الشاعرَيْن شكيمةً *

والرثُّ : البالى . والجَفن : قِراب السيف ، وهو الغِمد أيضاً . وهذا المصراع ناظر إلى قوله :

ويرفع من شعر الفرزدق أنه .. البيت

والصواقِع : جمع صاقِعة لغة فى الصاعقة . وقوله « كشّمته الجوادع » قال القالى فى أماليه : « كشَم أنفه . إذا قطعه» . والجوادع : جمع جادعة وهى التى تقطع الأنف . وروى المبرد : « هشَمته الجوادع » .

الصلتان العبدى

و (الصَّلَتَان) اسمه قُثَم (بضم القاف وفتح المثلثة) ابن خَبِيَّة (بفتح الخاء المعجمة وكسر الموحدة وتشديد المثناة التحتية ، وأصلها الهمز) وهو أحد بنى محارب بن عمرو بن وَديعة [بن لُكيز بن أفصى [1]] بن عبْدِ القَيس ، وينسب إليه فيقال (العبدىّ) .

قال الآمدى فى المؤتلف : هو شاعر مشهور خبيث . وشاعران آخران يقال لهما : الصَّلَتان :

أحدهما الصلتان الضبّيّ — قال الآمدى — ولستُ أعرفه فى شعراء بنى

(١) التكملة من المؤتلف ١٤٥

ضبّة وأظنّه متأخراً . قال أبو عمرو بُندار[١] فى كتاب معانى الشعراء[٢] قال أبو زيد — أحسبه أنشدنيه — فى صفة ناقته .

كأن يدَىْ عنْسى إذا هىَ هَجّرت هِراوةُ حُبِّى تنفُض الغصُنَ اللَّدْنا[٣]

حبِّ : امرأته .

والثانى : الصلَتان الفهْمىّ ، قال الآمدى : لستُ أعرفه فى شعرائهم وأظنّه متأخّراً . أنشد له الجاحظ فى البيان والتبيين[٤] :

العبدُ يُقرعَ بالعصا والحُرّ تكفيه الإشاره

وذكره ابن المعتز فى سرقات الشعراء ، وحكاه أيضاً عن الجاحظ .

ومن مشهور شعر الصَّلَتان العبْدىّ ما أنشده ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[٥] قوله :

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكبيرَ كرُّ الغداة ومرُّ العشِى

إذا هرِمَت ليلةٌ يومَها أتَى بعد ذلك يومٌ فتِي

نروحُ ونغدُو لحاجاتِنا وحاجةُ مَن عاش لا تنقضى

تموتُ مع المرء حاجاته وتبقَى له حاجةٌ ما بقى

---

(١) بندار بن لُرَّة الكرجي كما ذكر الميمنى انباه الرواة ١ : ٢٥٧ ومعجم الأدباء ٧ : ١٢٨ . ويصحف بابن لزة ، وابن لدة . والكرخى . وفى المؤتلف : « بندار بن لزّة الكرخى » .

(٢) فى المؤتلف : « معانى الشعر » .

(٣) ش : « هراوة عيسى » ط : « هراوة حتى » ، صوابهما فى المؤتلف .

(٤) البيان ٣ : ٣٧ . وفيه أن اسم الشاعر « الفلتان الفهمى »

(٥) الشعراء ٤٧٨ . وانظر الحماسة ١٢٠٩ بشرح المرزوقى ومعاهد التنصيص ١ : ٢٧ والسمط ٧٦٦ والحيوان ٣ : ٤٧٧ وذكر الجاحظ أن هذه الأبيات للصلتان السعدى ، وهو غير العبدى ، فهو صلتان رابع .

إذا قلتَ يوماً لمن قد ترى : أرونى السرىَّ ، أرَوْكَ الغنِي
ألم ترَ لُقمانَ أوصى بَنيه وأوصيتُ عَمْراً ونعم الوَصِى
بُنىَّ ، بداخِبُ نجوى الرجالِ فكنْ عند سرِّك خَبَّ النجى(١)
وسرُّك ما كان عند امرىء وسرُّ الثلاثة غيرُ الخفى
وزاد عليه أبو تمّام فى الحماسة :
كما الصَّمتُ أدنىَ لبعض الرشاد فبعضُ التكلُّم أدنى لعى(٢)
ودع النفس اتباع الهوى فما للفتى كل ما يشتهى(٣)
ومطلع هذه الأبيات من شواهد تلخيص المفتاح للقزوينى .

* * *

وأنشد بعده . وهو الشاهد الثانى عشر بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه(٤) :

١١٢(أعَبداً حلَّ فى شُعَبي غريباً ألؤْماً لا أبالَكَ واغترابَا)(٥)

٣٠٩ على أنّ (جملة حلّ) صفة للمنادى قبل النداء ؛ وهو من قبيل الشبيه

---

(١) قال المرزوقى : « فالخب المكر بكسر الخاء ، والخب بفتحها : المكار. والنجوى مصدر ، وهو يستعمل فيما يتحدث فيه اثنان على طريق الستر والكتمان فيقول : اذا ناجيت صاحباً لك فكن خبا فيما تودعه من سرك، فان نجوى الرجال اذا بدأ خبها ومكر أربابها فيها عادت وبالاً وفضيحة » . ش: « بنى اذا خب نجوى » ط : « بنى بدا خبء نجوى » ، صوابهما من الحماسة.
(٢) هذا البيت من رواية التبريزى فقط .
(٣) وهذا البيت لم يرد فى الحماسة ، وليس له مرجع . وفى ط : ودع التقى ... فما للتقى » وأثبت مافى ش
(٤) سيبويه ١ : ١٧٠ ، ١٧٣ . وانظر العينى ٣ : ٤/٤٩ : ٢١٥ . ٥٠٦ ومعجم البلدان (شعبى) وديوان جرير ٦٢
(٥) ضبط فى ش : « اعبدٌ » بالرفع ، وهو خطأ .

بالمضاف وعند سيبويه ما تقدّم ذكره قبل هذا .

قال ابن خلف — تبعاً للنحّاس — : « وقوله أعبداً ، أجاز س أن يكون منادى منكوراً ، وأن يكون منصوباً على الحال كأنه قال : أتفخر في حال عبوديّة ولا يليق الفخر بالعبوديّة ! » اهـ .

وعلى هذا فالهمزة للاستفهام ، [وعبداً[1]] وجملة حلّ وغريباً أحوال من ضمير تفخر ، وعلى الأوّل فجملة حلّ صفة للمنادى ، وغريباً حال من ضمير حلّ ، وقيل صفة أخرى للمنادى :

وقد نقل ابن السِّيد في شرح أبيات الجمل الوجهين : النداء والاستفهام عن سيبويه .

وأنشد سيبويه هذا البيتَ على أن لؤماً واغتراباً منصوبان بفعل محذوف على طريق الانكار التوبيخي ؛ كأنه قال : أتلؤم لؤماً وتغترب اغتراباً ، ويجوز أن يكون التقدير : أتجمع لؤماً واغتراباً فتنصبها بفعل واحد مضمر . وهذا أحسن لأنّ المنكَر إنما هو جمعُ اللؤم والغربة ؛

(و (اللؤم) بالهمز : ضدّ الكرم ، وهو فعل الأمور الخسيسة الدنيئة ، وفعله من باب كرم .

وقوله (لا أبالك) جملة معترِضة ، وهذا يكون للمدح : بأن يراد نفي نظير الممدوح بنفي أبيه ، ويكون للذم : بأن يراد أنه مجهول النسب وهذا هو المراد هنا . وقال السيوطي في شرح شواهد[2] المغني . « هي كلمة تستعمل عند

---

(١) التكملة من ش ، وهي تدل على السهو الذى نبهت عليه فى الحاشية السابقة .

(٢) انظر شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٩٠ . وليس الكلام فيه خاصا بهذا الشاهد ، بل لقول جرير :

يا تيم تيم عدى لا أبالكم لا يلقينكم فى سوءة عمر

الغلظة فى الخطاب ، وأصله أن ينسب المخاطب إلى غير أبٍ معلوم ، شتماً له واحتقاراً ، ثم كثر فى الاستعمال حتى صار يقال فى كل خطاب يُغلَّظ فيه على المخاطب . وحكى أبو الحسن(١) [ابن] الأخضر : كان العرب تستحسن لا أبالك ، وتستقبح لا أمَّ لك ، لأنَّ الأمَّ مشفقة حنينة(٢) » اهـ .

وقال العينى : وقد يُذكر فى معرض التعجّب دفعاً للعين ، كقولهم : لله درّك ! وقد يستعمل بمعنى جِدّ فى أمرك وشمِّر ، لأن من له أب يتّكل عليه فى بعض شأنه .

قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل : اللام فى لك مقحَمة والكاف فى محل خفض بها ، لأنه لو كان الخفض بالإضافة أدّىٰ إلى تعليق حرف الجرّ ، فالجرُّ باللام وإن كانت مقحمة كالجرّ بالباء وهى زائدة ؛ وإنما أقحمت مراعاة لعمل لا ؛ لأنها لا تعمل إلاّ فى النكرات ، وثبتت الألف مراعاة للإضافة ؛ فاجتمع فى هذه المسألة شيئان متضادّان : اتصال وانفصال : فثبات الألف دليل على الاتصال من جهة الإضافة فى المعنى ، وثباتُ اللام دليل على الانفصال فى اللفظ مراعاة لعمل لا . فهذه مسألة قد روعيت لفظاً ومعنى . وخبر « لا » التبرئةِ محذوف ، أى لا أبالك بالحضرة .

---

(١) فى النسختين : «أبو الحسن الأخفش» ، صوابه من شرح شواهد المغنى للسيوطى ، ومما سيأتى من نقل البغدادى عنها فى الشاهد ١٣٢ ص ٣٦٠ بولاق . وأبو الحسن بن الأخضر ، هو على بن عبد الرحمن بن مهدى الاشبيلى ، تلميذ الأعلم وأستاذ القاضى عياض . توفى باشبيلية سنة ٥١٤ . انظر بغية الوعاة .

(٢) فى النسختين : «وتستقبح لا أم لك أى مشفقة حنينة» والصواب من السيوطى ، ومما سيأتى فى الشاهد ١٣٢

و (شُعَبَيْ) بضم الشين والقصر والألف للتأنيث . قال السكرى فى أشعار تغلب : هى جبال منيعة متدانية بين أيسر الشّمال وبين مغيب الشمس من ضَرِيّة ، على قريب من ثمانية أميال . وقيل جبل أسود وله شعاب فيها أوشال تحبس الماء من سنة إلى سنة . وفى معجم ما استعجم للبكرى : « قال يعقوب : شعبيْ : جبيلات متشعّبة ، ولذلك قيل شعبيْ ، وقال عمارة : هى هضبة بحمى ضريّة . ومن أصحاب شعبيْ العباسُ بن يزيد الكندى ، وكان هناك نازلاً فى غير قومه ، قال جرير يعنى العباسَ :

أعَبداً حلّ فى شعَبيْ غريباً . . . البيت » انتهى .

ومثله لابن السيد فى شرح أبيات الجمل .

قال أبو محمد الأعرابى فى فُرحة الأديب : وإنما عيرَّ جريرٌ العباسَ بن يَزيد بِحلوله فى شعبيْ ، لأنه كان حليفاً لبنى فَزَارة ، وشعبيْ من بلادهم ، وهو كندىّ والحِلف عندهم عار .

٣١٠ قال : وكان السبب فى قول جرير هذا الشعر : أنه لما هجا الراعىَ النميرىّ بقوله من قصيدة :

إذا غضبتْ عليك بنو تميم حسبتَ الناسَ كلّهم غضابا

عارضَه العباسُ بن يزيد الكندىّ ، وكان مقيما بشُعَبيْ ، فقال :

ألا رغِمتْ أنوف بنى تميم فُساة التمر إن كانوا غضابا

لقد غضبتْ علىَّ بنو تميم فما نكأت بغضْبتها ذُبابا

لو اطلع الغرابُ على تميم وما فيها من السوءات شابا

فقال جرير يهجوه :

إذا جَهِل الشقىُّ ولم يقدِّرْ لبعض الأمر أوشكَ أن يُصابا

ستطلعُ من ذُرا شُعَبي قوافٍ على الكندىِّ تَلتهبُ التهابا
أعَبداً حلَّ فى شُعَبيْ غريباً . . . . البيت
فما تخفَى هُضيبةُ حين تمشِى ولا إطعام سَخلَتِها الكلابا[(١)]
تُخرِّقُ بالمشاقص حالبيها وقد حَلَّت مشيمتَها الثيابا[(٢)]

انتهى . ومثله فى الأغانى حكاية عن جرير مع الحجّاج بن يوسف الثقفى قال : هجانى العباس بن يزيد الكندى بقوله :

ألا رغمت أنوف بنى تميم . . . الأبيات

فتركته خمس سنين لا أهجوه ، ثم قدِمت الكوفة فأتيت مجلس كِندة ، فطلبت إليهم أن يكفّوه عنى [فقالوا : مانكُفُّه[(٣)]] وإنه لشاعر ، وأوعدونى به فمكثتُ قليلاثم بعثوا إلىّ راكباً فأخبرونى بمثالبه وجواره فى طيىء حيث جاور غِفاراً[(٤)] وأحبل أخته هضيبة[(٥)] . فقلت :

إذا جهل الشقى ولم يقدِّر . . . . البيت

(١) هضيبة : أخت العباس بن يزيد الكندى .

(٢) الخطاب فيه للعباس، وكانت هضيبة فجرت، فقتل العباس ولدها فرمى به وقتلها هى أيضا فرمى بها كما سيأتى وكما فى شرح الديوان . وفى الديوان : « يقطع بالمعابل » . وفى الأغانى ٧ : ٤٣ : « وقد بلت مشيمتها الترابا » .

(٣) التكملة من الأغانى .

(٤) فى الأغانى « عتابا » . وفى ديوان جرير ٦٣ :

أعنابا تجاور حين أجنت نخيل أجا وأعنزه الربابا

وعناب هذا . رجل من بنى نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيىء ، وهو أبو حريث بن عناب

انظر المؤتلف ١٦١ وشرح الحماسة للمرزوقى ٢٥٥ .

(٥) كذا . والصواب : « وحبلَ أخته هضيبة » ، لأن الذى أحبلها فيما يبدو هم بنو عناب ، قال جرير بعد البيت السالف :

أصابوا الجار ليلة غاب عنهم فبئس القوم اذ شهدوا وغابا

أعَبداً حلّ فى شُعَبَى غريباً . . . . البيت
فما تخفى هُضَيبة حيث تمشى (١) . . . . البيت
تخرّق بالمشاقص حالبيها . . . . البيت
فقد حملت ثمانيةً وأوفتْ بتاسعها وتحسبُها كعابا

انتهى . أراد بَسخلتها : ولدها الذى ولدته لزِنْية ورَمَتْه للكلاب فأكلته . والمشاقص : جمع مِشْقَص ، وهو النَّصل العريض يكون فى السهم . والحالبان: عِرْقان مكتنفان بالسرّة . ومَشِيمتها : مايخرج بعد الولد . . يعنى أنها لما حبلت(٢) شقّت حالبيها بمِشْقص لترمى الولد(٣) . والكَعاب بالفتح ، وهى الكاعب ، وهى الجارية التى نَهد ثديُها .

وقال اللخمىّ : هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها البَعيث ، واسمه خِداش بن بشر المجاشعى . ثم أنشد هذه الأبيات . وقال : أراد بالعبد البعيث .

وقال العينى : هو من قصيدة لجرير يهجو بها خالد بن يزيد الكندىّ(٤) وأولها :

أخالدُ ، عادَ وعدكُمُ خِلابا ومنّيت المواعدَ والكِذابا
أخالدُ ، كان أهلك لى صديقاً فقد أمسوا بحبِّكم حِرابا(٥)

---

(١) فى الأغانى ٧ : ٤٣ : « حين تمسى » .
(٢) ط : « حلبت » ، صوابه فى ش
(٣) الوجه : « شققت » بالخطاب لعباس ، لأن الذى فعل ذلك تخلصا من عارها هو أخوها العباس .
(٤) الظاهر أن هذا وهم من العينى ، فان خالد هنا مرخم خالدة لامرأة يشبب بها ، على عادة الشعراء فى الغزل ، ومطلع قصيدته غزل وفى الديوان ٦٠ بعد البيت الأول من الأبيات التالية :
ألم تتبينى كلفى ووجدى غداة يرد أهلكم الركابا
(٥) ط فقط : « بحيكم » بالياء المثناة ، وأثبت ما فى ش والعينى ، وفى الديوان : « لحبكم » . والحراب : المحاربة ، أو جمع حربة .

بنفسى مَن أزور فلا أراه ويَضرب دونه الخدمُ الحجابا !
أخالد ، لو سألتَ علمتَ أنى لقيتُ بحبكَ العجب العُجابا
ستطلعُ من ذُرا شُعَبي قوافٍ . . . . البيت
أعَبداً حلّ فى شُعَبىٰ غريباً . . . . البيت
ويوماً فى فزارة مستجيراً ويوماً ناشداً حِلفاً كِلابا
إذا جَهِل اللئيم ولم يقدِّر . . . . البيت . اهـ

والظاهر أن هذه الأبيات ليست منتظمة فى نسق واحد . والله أعلم .

٣١١

(فائدة)

قد جاء على (فُعَلىٰ) تسع كلمات : إحداها : شُعَبيٰ ؛ وقد شرحت . وثانيها : أُدَمىٰ بالدال والميم ، وهو موضع ، وقيل حجارة حمر فى أرض قُشَير . ثالثها : أُرَبىٰ بالراء المهملة والموحدة ، وهى الداهية . رابعها : أُرَنىٰ بالراء والنون : حَبٌّ يجعل فى اللبن فيثخّنه (١) . خامسها : حُلَكىٰ بالحاء المهملة واللام والكاف لضرب من العَظاء ، وقيل دابّة تغوص فى الرمل . سادسها : جُنَفىٰ بالجيم والنون والفاء ، وهو اسم موضع . سابعها : حُنَفىٰ بالحاء المهملة والنون والفاء ، وهو اسم جبل . ثامنها : جُعَبيٰ بالجيم والعين والموحدة للعِظام من النمل . تاسعها : جُمَدىٰ بالجيم والميم والدال وهو اسم موضع .

وترجمة جرير قد تقدّمت فى أوائل الكتاب فى الشاهد الرابع (٢) .

* * *

(١) ط : « يسخنه » صوابه فى ش . وانظر اللسان والقاموس (أرن) .

(٢) أنظر ما مضى فى الجزء الأول ص ٧٥

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه (١) :

١١٣ (أداراً بحُزْوىٰ هِجْتِ للعين عَبرةً فماء الهوىٰ يَرْفَضُّ أو يترقرقُ)

على أن المنادىٰ من قبيل الشبيه بالمضاف ؛ والجارّ والمجرور صفته قبل النداء .

ولهذا أنشده سيبويه . قال الأعلم : الشاهد فيه نصبُ داراً لأنه منادى منكور فى اللفظ لاتصاله بالمجرور بعده ، ووقوعه موقع صفته ؛ كأنه قال : أداراً مستقرّةً بحُزْوى ؛ فجرى لفظه على التنكير وإن كان مقصودا بالنداء معرفةً فى التحصيل . ونظيره مما ينتصب ، وهو معرفة ، لأن ما بعده من صلته ، فضارعَ المضافَ (٢) قولُهم : يا خيراً من زيد ؛ وكذلك ما نقل إلى النداء موصوفاً بما توصف به النكرة جرى عليه لفظ المنادىٰ المنكور ، وإن كان فى المعنى معرفة اهـ .

و (حُزْوىٰ) بضم المهملة وسكون الزاى المعجمة ، قال البكرىّ فى معجم ما استعجم : هو موضع فى ديار بنى تَميم ، وقال الأحول : حُزوىٰ وخَفّان : موضعان قريبان من السَّواد والخورنق(٣) من الكوفة » .

(وهِجتِ) جواب النداء ، ويقال له : المقصود بالنداء . وقال ابن السِّيد: « جملة هجتِ صفة ثانية للمنادى ، أو خبر مبتدإ محذوف أى أنت هجت » .

---

(١) سيبويه ١ : ٣١١ وانظر العينى ٤ : ٢٣٦ ، ٥٧٩ وديوان ذى الرمة ٣٨٩ .

(٢) فى النسختين : « مضارع المضاف » ، صوابه من الشنتمرى ١ : ٣١١ .

(٣) فى النسختين : « والخوارق » صوابه من معجم ما استعجم .

وفيه نظر . وهاج هنا متعدٍّ ، يقال هجت الشىء وهيّجته : إذا أثَرْتَه ، ويأتى لازما ، يقال هاج الشىء : إذا ثار . و (عَبْرةً) مفعوله بفتح العين بمعنى الدمعة و (للعين) كان فى الأصل صفة لعبرة ، فلما قدِّم صار حالا منها . والعَبْرة تكون جارية ومتحيّرة وساكنة وقاطرة . و (ماء الهوى) هو الدَّمع ، وأضافه إلى الهوى أى العشق ، لأنه هو الباعث لجريانه . و (يرفضّ) بالفاء والضاد : يسيل بعضه فى إثر بعض ؛ وكلُّ متناثر مرفضّ . و (يترقرق) : يبقى فى العين متحيِّرا يجىء ويذهب ؛ ورقراق السراب من ذلك . وحكى بعضهم أن يترقرق هنا بمعنى يترقّق .

وهذا البيت مطلع قصيدةٍ طويلة لذى الرُّمّة ، عدة أبياتها سبعة وخمسون بيتاً ، كلّها غزل وتشبيب بمىّ . وقد أخذهُ من « زُهير بن جناَب » ، وهو شاعرٌ جاهلى من قصيدة فيها :

وذِى دارُ سلمى قد عرَفت رسومَها فعُجتُ إليها والدموع تَرقرَقُ

وكادتْ تُبين القولَ لمّا سألتُها وتُخبرُنى ، لو كانت الدار تنطق !

فيا دار سلمى هجتِ للعين عبَرة فماء الهوى يرفضّ أو يتدفّق

و « أو » فى البيتين بمعنى الواو . وقد أخذ منه بيتا آخر وهو :

وَقفْنا فسلّمنا فكادت بمُسرِفٍ لعِرفانِ صوتى ، دِمنةُ الدارِ تَنطقُ

و « مُسرِف » بضم الميم وسكون السين وكسر الراء المهملتين(١) اسم موضع .

ومن قصيدة ذى الرُّمّة :

٣١٢

(١) هكذا نص البغدادى ، وصوابه « مشرف » بالشين المعجمة ، وبذلك صححها الشنقيطى فى نسخته . وانظر معجم البلدان .

(وإنسانُ عيني يَحسِرُ الماءُ تارةً فيبدو ، وتاراتٍ يَجُمّ فَيغرَقُ)

وهو من شواهد مغنى اللبيب . وحسر الماء من باب ضرب : نضَب عن موضعه وغار . ويَجمُّ بضم الجيم وكسرها : مضارع جمَّ الماء جموما أى كَثر وارتفع . ويغرَق ، بفتح الراء : مضارع غرِق بكسرها . وفى إفراد تارةً أولاً وجمعِها ثانياً إشارةٌ إلى أن غلَبة البكاء عليه هى غالب أحواله .

وجملة يحسِر الماء وقعت خبرًا عن قوله إنسان عينى ، وهى خالية عن رابط محذوف ، أى يحسر الماء عنه ؛ وقيل : هو ألْ فى الماء ، لنيابتها عن الضمير والأصل ماؤه ؛ وقيل هو على تقدير أداة الشرط ، وقدّره شارح ديوان ذى الرمّة محمدُ بن حَبيب : (إذا) ، وقدره غيره : (إنْ) ، وهو الصحيح لأنّها أمّ الباب ، فلما حذفت ارتفع الفعل ، والجملة الشرطية إذا وقعت خبراً لم يُشترط كون الروابط فى الشرط بل فى أيّهما من الشرط والجزاء وُجد كفى . وقال ابن هشام فى المغنى ، تبعا لأبى حيان : الفاء السببية نزّلتْ الجملتين منزلةَ جملةٍ واحدة فاكتُفِى منهما بضمير واحد ، فالخبر مجموعهما .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد المائة[1] :

١١٤ (ألا يا نخلةً مِنْ ذات عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السلامُ)

على أن الجار والمجرور صفة لنخلة قبل النداء ، والمنادىٰ من قبيل الشبيه بالمضاف . وقوله (عليك ورحمة الله السلام) مذهب أبى الحسن الأخفش :

(١) انظر الهمع ١ : ١٧٣ ، ٢/٢٢٠ : ١٣٠ ، ١٤٠ وشرح شواهد المغنى ٢٦٣ وابن الشجرى ١ : ١٨٠ والخصائص ٢ : ٣٨٦ ومجالس ثعلب ٢٣٩ وأمالى الزجاجى ٨١ وتحرير التحبير ١٤٥ . وهو تكرار للشاهد ٦٣ .

أنه أراد عليك السلام ورحمة الله ، فقدّم المعطوف ضرورةً ؛ لأن السَّلام عنده مرفوع بالاستقرار المقدّر فى الظرف . ولا يلزم هذا على مذهب سيبويه ، لأن السلام عنده مرفوع بالابتداء ، وعليك خبر مقدّم ، ورحمة الله معطوف على الضمير المرفوع فى عليك . غير أنه من عطف ظاهر على مضمر من غير تأكيد ، وذلك جائز فى الشعر ؛ وقد أجازه قوم فى سعة الكلام ، كذا فى شرح أبيات الجمل لابن السِّيد واللَّخمىّ .

وروى ثعلب فى أماليه المصراع الثانى هكذا :

* بَرُودَ الظلِّ شاعَكُمُ السلامُ *

شاعكم : تبعكم . انتهى . و (ذات عرق) : موضع بالحجاز ، وفى المرصَّع لابن الأثير : ذات عِرْق : ميقات أهل العراق للاحرام بالحجّ .

وهذا البيت أوّل أبيات ثلاثة نُسبت للأحوص ، أوردها الدَّميرى وابن أبى الإصبَع فى تحرير التحبير . والبيتان الآخران هما :

٣١٣

سألتُ الناسَ عنكِ فخبَّرونى هَنًا من ذاكِ تَكرهه الكرامُ

وليس بما أحلَّ اللهُ بأسٌ إذا هو لم يخالطْه الحرامُ

قال ابن أبى الإصبع : « ومن مليح الكناية : النخلة ، فإن هذا الشاعر كنَى عن المرأة بالنخلة ، وبالهناة عن الرَّفث ؛ فأما الهناة فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك ، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ظريف الكناية وغريبها » انتهى .

وأصل ذلك : أن عمر بن الخطاب كان نهىٰ الشعراء عن ذكر النساء فى أشعارهم ، لما فى ذلك من الفضيحة ؛ وكان الشعراء يكنُون عن النساء بالشجر وغيره ، ولذلك قال حُميد بن ثور الهلالىّ :

وهلْ أنا إن علّلت نفسي بسَرحة من السَرحِ مسدودٌ عليَّ طريقُ

أبى اللهُ إلاّ أنّ سَرْحةَ مالك على كلّ أفنانِ العضاهِ تروقُ

وعُلِم بهذا سقوط قول اللخميّ : سلّمَ على النخلة لأنّها معهَدُ أحبابه ، أو ملعبُه مع أترابه ؛ لأن العرب تقيم المنازل مُقام سكّانها ، فتسلّم عليها وتُكثر من الحنين إليها ؛ قال الشاعر :

هو البحتري
ديوانه ٨٢ المعارف

وكمثلِ الأحبابِ ، لو يعلَمُ العا ذل عندى منازلُ الأحبابِ

ويحتمل أن يكون كنى عن محبوبته بالنخلة لئلا يشهرَها ، وخوفاً من أهلها وقرابتها . انتهى .

وترجمة الأحوص تقدمت فى الشاهد الثامن والثمانين[1]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد المائة ، وهو من شواهد س[2] :

١١٥ (فيا راكباً، إما عرَضْتَ فبلِّغنْ نَداماىَ من نَجْرانَ أن لا تلاقِيا)

على أن المنادى هنا عند الكسائى والفرّاء إمّا معرفة بالقصد ، وإمّا أصله يا رجلا راكباً ؛ لأنّهما لا يجيزان نداء النكرة مفردَة ، بل يوجبان الصفة . والصحيح جواز نداء النكرة غير المقصودة .

وأنشده سيبويه لِما قلنا . قال الأعلم : الشاهد فيه نصب راكب ، لأنه

(١) صوابه الشاهد ٨٥ . وانظر أيضا الشاهد ٩٠

(٢) سيبويه ١ : ٣١٢ . وانظر العينى ٣ : ٤٢ / ٤ : ٤٠٦ وابن يعيش ١ : ١٢٧ - ١٢٩ والخصائص ٢ : ٤٤٨ وأمالى القالى ٣ : ١٣٢ والمفضليات ١٥٦ والأغانى ١٥ : ٧٢ وشرح شواهد المغنى ٢٣١

منادى منكور ، إذْ لم يقصد به قصد راكب بعينه ، إنما التمس راكباً من الركْبان يُبلِغ قومَه خبرَه وتحيّته ؛ ولو أراد راكباً بعينه لبناه على الضمّ ولم يَجزْ له تنوينه ونصبه . انتهى .

وأغربَ أبو عبيدة حيث قال : أراد يارا ِكباه للندبة ، فحذف الهاء كقوله تعالى: (يا أَسَفَا عَلَىٰ يُوسُفَ) ، مع أنّ الثقاتِ رَوَوْه بالنصب والتنوين ، إلاّ الأصمعىّ فإنه كان ينشده بلا تنوين . كذا نقله ابن الأنبارىّ فى شرح المفضليّات .

وهذا البيت من قصيدة عدّتها عشرون بيتاً لعَبد يَغُوثَ الحارثىّ اليمنىّ . قالها بعد أن أسِر فى يوم الكُلاب الثانى : كُلاب تَيم واليمن[1] وقتل أسيراً[2] .

ولمالك بن الرَيْب قصيدةٌ على هذا الوزن والروىّ ، فيها بيت يشبه البيتَ الشاهد ، وهو :

« فيا صاحبي إمّا عرضتَ فبلِّغنْ بنى مازنٍ والرَيْبِ أن لاتلاقيا »

وهذا غير ذاك قطعاً . فقول شرّاح أبيات سيبويه فى البيت الشاهد : إنه لعبديغوث ، ويروى لمالك بن الريب ، غير جيّد .

و . . . .[3] بن جَهم ، أحد بنى الحارث بن سعد من بنى أسد وهو :

أياراكباً إمّا عرَضْتَ فبلغن بنى عمِّنا من عبد شَمس وهاشِم

---

(١) ش : « تميم واليمن » ، صوابه فى ط . وانظر (كلاب) فى معجم البلدان وما سيأتى فى ٣١٦ بولاق .

(٢) ش : « أسر » ، وبعدها بياض ، مع اسقاط كلمة « وقتل » « قبلها »

(٣) بياض فى الأصل بمقدار ست كلمات .

٣١٤ أمن عمل الجَرَّافِ أمس وظلمِهِ وعُدْوانِه أعتبْتمونا براسِمِ[1]

عرّضت هنا بمعنى تعرّضت والجَرّاف : اسم رجل ، وراسم كذلك : وكان الجرّاف ولى صدقاتِ هؤلاء القوم فظلَمهم ، فشكوا فعُزِل وولى راسمٌ مكانه ، فظلَم أكثرَ من الجرّاف . والإعتاب : الإرضاء[2] وإزالة الشكوى ، وروى: (أعنتّمونا) : من الإعنات ، وهو الإيقاع فى العنَت والمشقّة .

و (قصيدة عبد يغوث) مسطورة فى المفضليات ، وفى ذيل أمالى القالى[3] .

وقد شرحنا يوم الكُلاب الثانى فى الشاهد الخامس والستين[4] .

وكان الذى أسر عبدَ يغوث فتًى من بنى عبد شمس أهوجُ ، فقالت أمُّه : مَن هذا ؟ فقال عبد يغوث: أنا سيّد القوم ، فضحكت وقالت: قبحَك الله مِن سيّدِ قوم ، حين أسرَك هذا الأهوج . (وإلى هذا أشار بقوله :

وتضحكُ منى شيخة عبشمّية . . البيت)

فقال : أيتها الحرّة ، هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أعطى ابنكِ مائةً من الإبل وينطلق بى إلى « الأهتم » ؛ فإنى أخاف أن تنتزعنى سعدٌ والرِباب منه فضمن لها مائةً من الإبل وأرسل إلى بنى الحارث فوجّهوا بها إليه ، فقبضها العبشمىّ وانطلق به إلى الأهتَم ؛ فقال عبد يغوث :

---

(١) أنشده سيبويه ١ : ٢٨٨ مع بيت تال له وهو :
أميرى عداء ان حسبنا عليهما بهائم مال أوديا بالبهائم
وكذا أنشدا فى اللسان (جرف) .
(٢) ط : « الارخاء » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .
(٣) وكذا فى البيان ٢ : ٤/٢٩٧ : ٤٥ والنقائض ١٥٢ والأغانى ١٥ : ٧٢ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٣١ .
(٤) الجزء الأول ص ٤١٠ .

أأهتَمُ ، ياخيرَ البريّة والداً ورهطاً إذا ما الناسُ عدُّوا المساعيا
تَدارك أسيراً عانياً فى حبالكم ولا تَثْقَفَنِّي التيمُ أَلقَ الدواهيا

فمشت سعد والرِّباب إلى الأهتم فيه ، فقالت الرِّباب : يابنى سعد ، قُتل فارسُنا (وهو النعمان بن جساس) ولم يقتل لكم فارس ، فدفعه إليهم ، فأخذه عصمة بن أُبَير التيمىّ فانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يابنى تيم ، اقتلونى قِتلةً كريمة ، فقال عصمة : وما تلك القتلة ؟ قال : اسقونى الخمر ، ودَعونى أنوحُ على نفسى ، فجاءه عصمة بالشراب فسقاه ، ثم قطع عرقه الأكحل وتركه ينزف ومضى ، وجعل معه رجلين فقالا لعبد يغوث : جمعتَ أهلَ اليمن ثم جئت لتصطلِمَنَا ! كيف رأيت صُنعَ الله بك! فقال هذه القصيدة .

قصيدة الشاهد

(ألا لا تلومانى كفى اللومَ ما بيا ، فما لكما فى اللوم خيرٌ ولا ليا)

فالخطاب لاثنين حقيقة . واللوم مفعول مقدم ، وما فاعل مؤخر . أى كفى اللومَ ما أنا فيه ، فلا تحتاجون إلى لومى مع ماترون من إسارى وجَهدى .

(ألم تَعلما أنّ الملامَةَ نفعُها قليلٌ ، وما لومى أخى من شِماليا)

شِمال بالكسر بمعنى الخلق ؛ ويروى (أخاً) .

وهذا البيت من أبيات شرح الشافية للشارح ، نقل فيه عن أبى الخطاب : أن شِمالا يأتى مفرداً وجمعا ، وفى هذا البيت جمع ، أى من شمائلى .

(فيا راكباً إما عرَضْتَ فبلِّغَنْ نداماىَ مِن نجْران أن لا تلاقيا)

الراكب : راكب الإبل ، ولا تسمِّى العرب راكباً على الإطلاق إلاّ راكبَ البعير والناقة والجمع رُكبان ، والرَّكْب : اسم للجمع عند سيبويه ، وعند غيره جمع راكب كتاجر وتجْر . ويقال لعابر الماء فى زورق ونحوه راكب ، ويجمع على رُكّاب بالضم وبالتشديد ، ولا يقال رُكّاب إلا لركّاب البحر ، ولم يقولوا فيه ركب .

٣١٥ و (إمّا) مركبة من إن الشرطية وما المزيدة ، وعرضْتَ : قال فى الصحاح « عرَضَ الرجلُ : إذا أتى العُروض ، وهى مكة والمدينة وما حولها » ، وأنشد هذا البيت . وقال شرّاح أبيات سيبويه والجُمل : عرّضْتَ بمعنى تعرّضْت وظهرْت . وقيل معناه بلغت العِرْض وهى جبال نجد ، تعرف بذلك .

والنَّدامىٰ : جمع نَدمان بالفتح بمعنى نديم ، وهو المُشارب ، وإنّما قيل له نَدمان من النَّدامة لأنه إذا سكر تكلّم بما يندم عليه ؛ وقيل : المنادمة مقلوبة من المدامنة ، وذلك إدمان الشراب ؛ ويكون النَّدمان والنديم أيضاً المُجالسَ والمُصاحبَ على غير الشراب . ونَجْران ، بفتح النون وسكون الجيم ، قال أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم : « مدينة بالحجاز من شِقّ اليمن ، سمِّيت بنَجْران بن زيد بن يشجب بن يعرُب ، وهو أول من نزلها . وأطيب البلاد نجْران من الحجاز ، وصَنعاء من اليمن ، ودِمشق من الشام ، والرَّىّ من خُراسان » انتهى .

وبهذا عُرِف حُسنُ تفسير الصحاح لعرّضْت .

وأنْ مخفّفة من الثقيلة ؛ لأن التبليغ فيه معنى العلم ، واسمها ضمير شأن محذوف ، والجملة من اسم لا التبرئةِ وخبرها المحذوف أى لنا خبرها ، وجملة أن لا تلاقيا فى موضع المفعول الثانى للتبليغ ، وجوز اللخمىّ أن تكون تفسيريّة . وقوله «منْ نجران» حال من نداماىَ ، لا وصف له ، خلافاً للخمى .

(أبا كَرِب والأيْهَمَيْنِ كِلَيهما وقيساً بأعلىٰ حضْرَموتَ اليمانيا)

هؤلاء كانوا نداماه هناك ، فذكرهم عند موته وحنّ إليهم ؛ وهو بدل من نداماى . وأبو كرب والأيهَمانِ من اليمن ، وقيس هو ابن معد يكرب ، أبو الاشعث بن قيس الكندىّ ؛ قال صاحب الأغانى ، وكذا اللخمىّ :

يروى أن قيساً هذا لما بلغه هذا البيت قال: لبيّكَ ، وإن كنت قد أخّرتنى »

(جزَىٰ الله قومى بالكُلاب مَلامَةً   صَريحَهُمُ والآخَرينَ المواليا)

الصريح :الخالص والمحض . والموالیا : الحلفاء المنضمين إليهم، والكُلاب بضم الكاف : اسم موضع الوقعة .

(ولو شئتُ نجّتنى من الخيل نَهْدَةٌ   تَرَىٰ خلفَها الحُوُّ الجيادُ تواليا)

النّهدة : المرتفعة ، وكل ما ارتفع يقال له نهد . والحُوّ من الخيل : التى تضرب إلى خضرة ، والحوّة . الخضرة ؛ قال الأصمعى : وإنما خصّ الحوُّ لأنه يقال : إنها أصبرُ الخيل وأخفُّها عِظاماً(١) إذا عرقت لكثرة الجرى . وتواليا : جمع تالية أى تابعة ، أى إن فرسى خلفتها تسبق الحوّ فهى تتلو فرسى .

(ولكنّنى أحمى ذِمارَ أبيكُمُ   وكان الرِّماحُ يَختطِفْنَ المُحاميا)

الذِّمار : مايجب على الرجل حفظه : مِنْ منعِه جاراً أو طلبه ثاراً .

وقوله : وكان الرماح الخ ، قال القالى : هذا مثل .

(أقول ، وقد شدُّوا لسانى بِنِسْعَة :   أمعشرَ تَيْمٍ أطلِقوا عَنْ لِسانيا(٢))

النِّسعة بكسر النون : سَيْر منسوج . وفيه قولان : الأول أن هذا مثل ، وذهب إليه شرّاح أبيات الشعراء والقالى فى أماليه ، وحكاه ابن الأنبارىّ فى شرح المفضّليّات وقال : لأنَّ اللسان لا يُشدّ بنِسعة ، وإنما أراد : افعلوا بى خيراً لينطلقَ لسانى بشكركم ، وإنكم ما لم تفعلوا فلسانى مشدود ، لا أقدر على مدحكم . والثانى أنهم شدّوه بِنِسْعة حقيقةً ، وإليه ذهب الجاحظ فى البيان

٣١٦

(١) شرح شواهد شرح الشافية للبغدادى ١٣٥ — ١٣٨ وكذا فى أمالى القالى ٣ : ١٣٣ ، وهو كناية عن خفة الحركة

(٢) ويروى : « اطلقوا لى لسانيا » .

والتبيين[١] ، والأصفهانىّ فى الأغانى ، وحكاه أيضاً ابن الأنبارى : بأنّهم ربطوه بنِسعة مخافةً أن يهجوَهم ، وكانوا سمعوه ينشِد شعراً ، فقال : أطلقوا لى عن لسانى أذمّ أصحابى وأنوح على نفسى ؛ فقالوا : إنك شاعر ، ونحذر أن تهجوَنا . فعاهدَهم أن لا يهجوَهم ، فاطلقوا له عن لسانه . قال الجاحظ : وبلغ من خوفهم من الهجاء أن يبقى ذكره فى الأعقاب[٢] ، ويُسبّ به الأحياء والأموات ، أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق ، وربّما شدّوا لسانه بنِسْعة ؛ كما صنعوا بعبد يغوث بن وقّاص الحارثى ، حين أسرته تيمٌ يوم الكُلاب .

(أمَعشرَ تيم قدْ ملكْتُمْ فأسجِحوا   فإنّ أخاكم لم يكنْ من بَوَائيا)

أسجحوا ، بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، بمعنى سهلوا ويسّروا . والبَواء : السَّواء ، أى لم يكن أخوكم[٣] نظيراً لى فأكون بَواءً له .

(فإنْ تقتلُونى تقتلوا بِىَ سيِّداً   وإنْ تُطلقونى تَحْرُبونى بماليا)

وتَحْرُبونى : تسلبونى وتغلبونى .

(أحقًّا عبادَ اللهِ أنْ لستُ سامعاً   نَشيد الرِّعاءِ المُعْزِبينَ المتاليا)

الرِّعاء : جمع راع . والمعزِب : المتنحِّى بإبله ، وهو اسم فاعل من أعزب بالعين المهملة والزاى المعجمة . والمتَالى : التى نُتج بعضُها وبقى بعض ، جمعُ مُتليَة وهو اسم فاعل .

---

(١) انظر البيان ٤ : ٤٥

(٢) ط : « ذكرهم فى الأعقاب » . صوابه فى ش . والذى فى البيان : « أن يبقى ذكر ذلك فى الأعقاب » .

(٣) فى النسختين : « أخواكم » تحريف . وفى الامالى : « ان أخاكم لم يكن نظيرا لى »

(وتضحكُ منّي شيخةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كأنْ لم ترَىْ قبلى أسيراً يمانيا)

هذا البيت من أبيات مغنى اللبيب[1]، قال القالى فى ذيل الأمالى: «قال الأخفش: رواية أهل الكوفة (كأن لم ترى) بالألف، وهذا عندنا خطأ، والصواب ترىْ بحذف النون علامة للجزم». وقال ابن السيد: قوله: كأن لم ترىْ، رجوع من الإخبار إلى الخطاب، ويروىٰ على الإخبار: وفى إثبات الألف وجهان: أحدهما أن يكون ضرورة، والثانى أن يكون على لغة من قال راء. مقلوب رأى، فجزم فصار ترَأْ ثم خفّف الهمزة فقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها، وهذه لغة مشهورة وكأنْ مخفّفة، واسمها مضمر فيها، تقديره على الوجه الأول: كأنكِ لم ترىْ وعلى الوجه الثانى كأنّها لم ترأ.

(وظَلّ نساء الحىّ حَوْلىَ رُكّداً يُراوِدْنَ منّي ما تريدُ نسائيا)

(وقد علِمَتْ عِرسى مُلَيْكةُ أنّني أنا الليثُ مَعْدُوًّا علىَّ وعاديا)

هذا من شواهد س، وأورده الشارح فى شرح الشافية[2]، وقد وقع فى روايتهما «معدّياعليه وعادِياً» فقال: هذا شاذّ والقياس معدُوًّا عليه، لأنه من العُدوان، لكنه بناه على عُدِىَ عليه.

(وقد كُنتُ نَحّار الجَزورِ ومُعمِل الـ مَطِىّ وأمضى حيثُ لا حىّ ماضيا)

(وأنحَرُ للشَّرْب الكِرامِ مطيّتى وأصدَعُ بين القَيْنَتَيْنِ ردائيا) ٣١٧

الشَّرب: جمع شارب، كصَحْب جمع صاحب. وأصدع: أشقّ. والقَينة: الأمَةُ مغنّيةً كانت كما هنا أم لا.

(وكنتُ إذا ما الخيلُ شَمَّصها القنا لَبيقاً بتصريف القَناةِ بنانيا)

(١) شرح شواهد المغنى ٢٢١ فى الكلام على شواهد (لم).
(٢) سيبويه ٢: ٨٣٢ وشرح شواهد الشافية ٤٠٠.

ويروى . « شَمّسها » ، بالسين ، وهى أجود . ويروى : « نفّرها » .
واللبيق : فعيل من اللَّباقة .

(وعاديةٍ سَوْمَ الجرادِ وزَعتُها بكفّى وقد أنحَوا إلىّ العواليا)

العادية : القوم يعدُون ، من العدْو وهو الركض وسَوْمَ الجراد أى كسَوْمه ، وهو انتشاره . وزَعتُها : كففتها ، والوازع : الكافُّ والمانع . وأنحَو الرماح : أما لوها وقصدوا بها ، من النَّحو وهو القصد . والعالية من الرمح : أعلاه ، ويقال مادون السِّنان بذراع .

(كأنّى لم أركَبْ جواداً ولم أقلْ لخيلىَ كُرّى نفّسى عن رجاليا
ولم أسبأ الزِّقّ الروىّ ولم أقل لأيْسارِ صِدقٍ أعظِمُوا ضوء ناريا)

نفّسى : وسعّى ، وروى « قاتلى » ، والسِّباء ، بالكسر والمد : اشتراء الخمر للشرب لا للبيع . والأيسار : الذين يضربون القداح ، جمع ياسر ، وفعله من باب ضرب وهذان البيتان مأخوذان من قول امرىء القيس :

كأنّىَ لم أركبْ جواداً للذّة ولم أتبطّن كاعباً ذاتَ خلخالِ
ولم أسبأ الزِّقّ الروىَّ ولم أقلْ لخيلىَ كُرّى كَرّةً بعد إجفال

ولم يَرِدْ على عبد يغوث ما ورد على امرىء القيس .

عبد يغوث الحارثى

و (عبد يغوث) هو ابن الحارث بن وقّاص الحارثّى القحطانى .
كان شاعراً من شعراء الجاهلية ، فارسا سيّد قومه من بنى الحارث ابن كعب ، وهو الذى كان قائدَهم يوم الكُلاب الثانى فأسرته تيم وقتلته ، كما ذكرنا . وهو من أهل بيت شعر معرق فى الجاهلية والإسلام ، منهم اللَّجلاج الحارثىّ ، وهو طفيل بن زيد بن عبد يغوث وأخوه مُسْهر فارس

شاعر ، وهو الذى طعن عامر بن الطفيل فى عينه يوم فَيف الريح . ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُلْبَةَ بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث ، وكان شاعراً صعلوكاً أُخِذ فى دم فحبس بالمدينة ثم قتل صبراً (وستأتى ترجمته فى باب إن المشدّدة فى أواخر الكتاب) .

قال الجاحظ فى البيان والتبيين(١) : ليس فى الأرض أعجب من طرَفة ابن العبد وعبد يغوث ، فإن قسنا جودة أشعارهما فى وقت إحاطة الموت بهما فلم تكن دون سائر أشعارهما فى حال الأمن والرفاهِيَة .

* * *

وأما قصيدة مالك بن الرَّيْب فهى ثمانية وخمسون بيتاً ، وهى هذه(٢) :

ألا ليت شِعرى هل أبيتَنَّ ليلةً … بجنب الغَضى أُزجى القلاصَ النواجيا

فليتَ الغَضى لم يقطع الرَّكب عَرضَه … وليتَ الغَضى ماشى الركابَ لياليا

لقد كان فى أهل الغضى لودنا الغضى … مَزارٌ ولكنّ الغَضى ليس دانيا

ألم ترنى بعتُ الضلالةَ بالهدى … وأصبحتُ فى جيش ابنِ عفّان غازيا !

وأصبحت فى أرض الأعادى بُعيد ما … أرانىَ عن أرض الأعادىّ قاصيا

دعانى الهوىٰ من أهل أُودَ وصحبتى … بذى الطَّبَسيْنِ فالتفتُّ ورائيا

أجبتُ الهوىٰ لمّا دعانى بزَفرةٍ … تقنّعت منها ، أنْ أُلامَ ، ردائيا

أقول وقد حالت قُرى الكُرْدِ دوننا : … جزَى الله عَمراً خير ما كان جازيا

إنِ الله يرجعْنى من الغزو لا أُرىٰ … وإنْ قلّ مالى طالباً ما ورائيا

تقول ابنتى ، لما رأتْ طولَ رحلتى : … سِفاركَ هذا تاركى لا أباليا

٣١٨

(١) البيان والتبيين ٢ : ٢٦٨
(٢) انظر الأمالى ٣ : ١٣٥ والعقد ٣ : ٢٤٥ والعينى ٣ : ١٦٥ والسيوطى ٢١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٤٣ ومعجم البلدان عند ذكر أسماء المواضع التى وردت فيها

لعمرى ، لئن غالتْ خُراسانُ هامتى ... لقد كنتُ عن بابَىْ خراسانَ نائيا
فإن أنجُ من بابَى خراسان لا أُعدْ ... إليها ، وإن منَّيتمونى الأمانيا
فلله درِّى ، يوم أتركُ طائعا ... بنىَّ بأعلى الرَّقمتين ، وماليا
ودرُّ الظباء السانحاتِ عشيَّةً ... يخبِّرنَ ، أنى هالكٌ ، مَنْ ورائيا
ودَرُّ كبيرَىَّ اللذين كلاهما ... علىَّ شفيقٌ ناصحٌ لو نهانيا
ودَرُّ الرجال الشاهدين تفتُّكى ... بأمرىَ ألاّ يقصُروا مِن وَثاقيا
ودرُّ الهوىٰ من حيث يدعو صحابه ... ودرُّ لَجاجاتى ودرُّ انتهائيا[1]
تذكَّرتَ من يبكى علىَّ فلم أجدْ ... سِوى السيفِ والرمح الردينىِّ باكيا
وأشقرَ محبوكٍ[2] يجُرُّ لجامَهُ ... إلى الماءِ لم يترك له الموتُ ساقيا
ولكن بأكناف السُّمينة نِسْوةٌ ... عزيزٌ عليهنّ العشيَّةَ ما بيا
صريعٌ على أيدى الرجال بقَفْرة ... يُسَوُّون لحدى حيثُ حُمَّ قضائيا
ولمَّا تراءتْ عند مَرْوَ مَنيَّتى ... وخلَّ بها جسمى وحانتْ وفاتيا
أقول لأصحابى : ارفعونى فإنه ... يقَرُّ بعينى أنْ سهيلٌ بدا لِيا
فياصاحبَىْ رحلى ، دنا الموتُ فانزلا ... برابيةٍ ، إنِّى مقيمٌ لياليا
أقيما علىَّ اليومَ أو بعضَ ليلةٍ ... ولا تُعجِلانى ، قد تبيَّنَ شانيا
وقوما ، إذا ما استُلَّ رُوحى ، فهيِّئا ... لىَ السِّدْرَ والأكفانَ عِند فَنائيا
وخُطَّا بأطراف الأسِنَّةِ مَضجَعى ... ورُدَّا على عَينىَّ فضلَ ردائيا

---

(١) الأمالى : « يدعو صحابتى » .
(٢) الأمالى : « محبوكا » ، وكلاهما جائز فى العربية : أن تعطف على لفظ المجرور بسوى ، أو على معناه . وفى الجمهرة : « وأشقر خنذيذ »

ولا تحسُدانى ، باركَ الله فيكما ، من الأرض ذات العَرْض أن تُوسعاليا

خُذانى فجُرّانى ببُرْدى إليكما فقد كان قبلَ اليوم صعباً قِيَاديا

وقد كنتُ عطّافاً إذا الخيلُ أدْبرتْ سريعاً إلى الهيْجا[1] إلى مَنْ دعانيا

وقد كنتُ صبّاراً على القِرْنِ فى الوغى

وعن شتمىَ ابنَ العمّ والجارَ وانيا

فطوراً ترانى فى ظِلالٍ[2] ونَعْمَةٍ ويوماً ترانى والعِتاقُ رِكابيا

ويوماً ترانى فى رَحًى مستديرة تخرّقُ أطرافُ الرماح ثِيابيا

وقوما على بئر السُّمينة[3] أسمعا بها الغُرَّ والبيضَ والحسانَ الروانيا :

بأنّكما خلّفتُمانى بقفرةٍ تَهِيلُ علىَّ الريحُ فيها السوافيا

ولا تَنسيا عهدى خليلىَّ بعدما تَقطّعُ أوصالى وتَبلىٰ عِظاميا

ولنْ يَعْدَمَ الوالُونَ بَثّاً يصيبهم ولن يَعدَمَ الميراثَ منّي المواليا

يقولون : لاتَبْعَد ، وهم يدفِنُونَنى ، وأينَ مكانُ البعد إلاّ مكانيا !

غداة غدٍ يالهفَ نفْسى على غدٍ إذا أدْلجوا عنّي وأصبحتُ ثاويا

وأصبَح مالى مِنْ طَرِيفٍ وتالد لغيرى ، وكان المالُ بالأمس ماليا

فياليتَ شِعْرِى هل تغيّرَت الرَحىٰ رحى المِثْلِ[4] أو أمْستْ بفَلْجٍ كما هيا

٣١٩

(١) فى الأمالى : « لدى الهيجا » ، وهو أوفق .

(٢) الأمالى : « فى ظلال » . وفى الجمهرة : « فى ظلال ومجمع »

(٣) ط : « السنينة » ، صوابه فى ش والأمالى . وفى الجمهرة : « بئر الشبيك »

(٤) المثل بضم الميم كما نبه عليه البغدادى فيما يأتى ، وكما فى القاموس . وضبطت فى الأمالى بكسرها كما فى ياقوت (رحى المثل) ولم يصرح بنص فى ضبطها ، وكذا ضبطت فى اللسان (مثل) بالكسر .

إذِ الحىّ حلّوها جميعاً ، وأنزلوا بها بقراً حُمّ العُيون سَواجيا(١)

وعِين وقد كان الظلام يُجِنّها يسُفْنَ الخُزامى مَرّة والأقاحيا(٢)

وهل أترك العِيسَ العَبالىَ بالضحىٰ بر ُكبانها تعلو المِتانَ الديافيا(٣)

إذا عُصَبُ الرُكْبانِ بين عُنيزة وبَولانَ عاجُوا المبقِياتِ النواجيا(٤)

فيا ليتَ شِعْرى،هل بكتْ أمُّ مالكٍ كما كنتُ لو عالَوْا بنَعيكِ(٥) باكيا !

إذا مِتُّ فاعتادِى القبورَ فسلّمى على الرَّمْس،أُسقيتِ السَحابَ الغواديا

على جدَث قد جرّتِ الريحُ فوقَهُ تراباً كسَحْقِ المَرْنَبانىِّ هابيا

رهينة أحجارٍ وتُرْبٍ تضمّنتْ قرارتُها منّى العظامَ البواليا

فيا صاحبي ، إمّا عرَضتَ فبلّغنْ بنى مازن والرَّيْب أن لا تلاقيا(٦)

وعَطّلْ قلوصى فى الرِّكابِ فإنّها ستَفلِقُ أكباداً وتُبكى بواكيا(٧)

(١) الأمالى : « اذا الحى » · وفى الجمهرة : « اذا القوم » ·

(٢) وعين ، كذا فى النسختين · وفى الأمالى وياقوت والجمهرة ، « رعين » ، من الرعى · وفى الأمالى وياقوت : « كاد الظلام » · يسفن ، من السوف ، وهو الشم · وفى الجمهرة : « نورها والأقاحيا

(٣) فى الأمالى : « العيس العوالى » · والديافيا ، لم يفسرها البغدادى · وفى الأمالى : « الفيافيا » وياقوت : « القواقيا » ، وفى الجمهرة :

وهل ترك العيس المراقيل بالضحى تعاليهـا تعلو المتـون القيـاقا

(٤) الجمهرة : « المنقيات المهاريا » · وفى شرحها : « المنقيات : السمان · والمهارى : جمع مهرية » ·

(٥) ياقوت فى (بولان) والأمالى : « نعيك » ·

(٦) الأمالى : « فيا صاحبا » ، والجمهرة : « فياراكبا » ، و « بنى مالك » ·

(٧) الأمالى : « وعر قلوصى » · وفى الأغانى ١١ : ١٤٢ : « ستبرد أكبادا » ، ونسبه الى جعفر بن علبة الحارثى ثم قال : « وهذا البيت بعينه يروى لمالك بن الريب فى قصيدته المشهورة التى يرثى بها نفسه » · وقد روى فى الجمهرة برواية الأغانى ·

وأبصرت نارَ المازنيّاتِ مَوهِناً بعَلياء يُثنى دونَها الطرفُ وانيا(١)
بِعودَى ألَنْجُوجٍ أضاء وقودُها مهاً فى ظلال السِدْرِ حُوراً جَوازِيا(٢)
بَعيدٌ غريبُ الدار ثاوٍ بقَفْرة يدَ الدهرِ ، معروفاً بأن لا تدانيا
أقلّبُ طرفى حولَ رحلى فلا أرى بهِ من عيون المؤنِسات مُراعيا
وبالرمل منّا نسوةٌ لو شهِدْنَني بكينَ وفدَّين الطبيبَ المداوِيا
وما كان عهدُ الرملِ عندى وأهلِه ذميماً ، ولا ودّعتُ بالرمل قاليا(٣)
فمنهنّ أمّى وابنتاها وخالتى وباكيةٌ أخرى تَهيج البواكيا(٤)

وهذا تفسير ما فيها على الإجمال :

الغضىَ : شجر ينبت فى الرمل ، ولا يكون غضىً إلاّ فى رمل . وأُزجى : أسُوق ، يقال أزجاه إزجاء ، وزجّاه تزجية . والنواجى : السِّراع . وقوله : فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه : أى ليته طال عليهم الاسترواح إليه والشوق . والركاب : الإبل ، جمع راحلة من غير لفظه . وقوله . وليت الغضى ماشَى الركاب أى ليت الغضى طاوَلَهم . وقوله : لقد كان فى أهل الغضى . . الخ يعنى بعتُ ما كنت فيه من الفتك فى الضلالة ، بأن صرت فى جيش سعيد بن

(١) البيت ساقط من الجمهرة . وفى الأمالى : « رانيا » ، وهو الصواب

(٢) وكذا لم يرو هذا فى الجمهرة . ط : « بعود » مفردا ، وأثبت ما فى ش . وفى ط : « حواريا » ، وش : « جواريا » صوابه من الأمالى

(٣) الجمهرة : « ولا بالرمل ودعت » . وهذا البيت فى الجمهرة مؤخر عن تاليه هنا

(٤) وكذا فى الجمهرة وياقوت . وفى الأمالى : « أمى وابنتاى » وقد ذكر ياقوت هذه القصيدة فى مواضع شتى من معجمه ، ومبدؤها (خراسان) وهو ينبه فى كل موضع على الذى يليه حتى أتمها فى (بولان) . وفى الأغانى ١٩ : ١٦٩ : « قال أبو عبيدة : الذى قاله ثلاثة عشر بيتا ، والباقى منحول ولده الناس عليه » .

عثمان بن عفان . وقوله : دعانى الهوى .. الخ، أُود بضم الهمزة قال البكرى : موضع ببلاد مازن . . وأنشد هذا البيت ، وقال : الطَّبَسانِ : كُورتان بخراسان . يقول : دعانى هوایَ وتشوُّقى من ذلك الموضع ، وأصحابى بالموضع الآخر .

٣٢٠ وقوله : أجبت الهوى .. الخ ، يقول : لما ذكرت ذلك الموضعَ استعبرت فاستحييتُ فتقنّعتُ بردائى ، لكى لا يُرىٰ ذلك منّي . . قال الشاعر :

فكائنْ ترىٰ فى القوم من متقنّعٍ على عَبْرة كادت بها العينُ تسفحُ

وقوله : لا أباليا ، قال القالى : روى « أباً » بالتنوين وبغير تنوين . وقوله : لئن غالت خراسان هامتى ، يريد . أهلكتْ هامتى . وقوله : فلله درّى ، تعجب من نفسه كيف تغرّب عن ولده وماله . قال ابن أحمر :

بان الشبابُ وأفنيٰ ضعفَه العمُرُ لله درّى ، فأىَّ العيش أنتظرُ !

تعجّب من نفسه ، أى عيش ينتظر . ويريد بالسانحات : الظباء سنحت له فتطيّر منها . ووراء بمعنى قدام . وقوله : تفنَّكى ، يروى تفنكى بالنون ؛ يقال فنّك فى الشىء : إذا تمادى فيه ، قال الشاعر[١] :

ودِّعْ لَميسَ وَداعَ الصارمِ اللاحى إذْ فنّكتْ فى فسادٍ بَعد إصلاحِ

وقوله : تذكرت من يبكى علىّ . . الخ ، يقول : كنت أستعمل السيف والرمح فهما لى خليلان ، وأنا هنا غريب فليس أحد يبكى علىّ غيرها .

والمحبوك : الفرس القوىّ . وقوله : ولكن بأكناف السُّمينة ، بلفظ مصغر السُّمنة ، وهو موضع قريب من أُود المذكور . ومَرْو : مدينة بخراسان .

---

(١) نسب فى اللسان (فنك) الى عبيد بن الأبرص . والحق أنه لأوس بن حجر مطلع قصيدة فى ديوانه ١٣ . وكثيرا ماتلتبس نسبة أبيات قصيدتيهما الى بيتين .

وقوله : وخلَّ بها جسمى : أى اختلّ واضطربَ . وقوله : يقرّ بعينى أنْ سهيل بدا ليا ، يريد أن سهيلاً لا يُرىٰ بناحية خراسان ، فيقول : ارفعونى لعلّى أراه فتقرّ عينى ؛ لأنه يُرىٰ فى بلده .

وقوله : خُطًّا : أى احفِرا بالرماح . وقوله : فى رحًى مستديرة ، الرحىٰ : موضع الحرب ، ومستديرة : حيث يستدير القوم للقتال . وقوله : البيض الحسان الروانيا : أى النواظر ، جمع رانية ، والرُّنوّ : النظر الدائم . والغُرّ : البيض . والوالون : جمع وال . والموالى : بنو العم والأقربون . والبثّ : أشد الحزن . وقوله : رحىٰ المُثل ، هو بضم الميم وسكون المثلثة : موضع بفلج يقال له : رحى المثل ؛ وفلج : موضع فى بلاد بنى مازن وهو فى طريق البصرة إلى مكة . وقوله : حَلُّوها : نزلوا بها . وأراد بالبقر النساء ، ويروى : « جُمّ القرون » ، أى ليست لها قرون ، شبّهها بالبقر . وسواجى : سواكن . والعِين : بقر الوحش ، والأعيَن : ثوره . والخزامىٰ ، بالقصر خِيرِىّ البرّ ، زهره أطيب الأزهار نفحة . والأقاحىّ : جمع أقحاء ، وهو جمع . والعِيس : الإبل التى تضرب إلى البياض . والعبالى : جمع عبلى(١) وهى الضّخمة . والمِتَـان : جمع متن ، وهو ما صلب من الأرض . وعُنـيزة : قارَة سوداء فى وادى بطن فلْج . والمبقِيات : التى تُبقى سيرَها . والنواجى : التى تنجو سيرها أى تسرع . والمرَنْبانىّ : كساء من خزّ ، ويقال : مِطْرَف من وبَر الإبل . وهابياً : من هبا هَبْواً (٢) .

وقوله : رهينة أحجار . . الخ ؛ أى فى القبر علىَّ الترب والحجارة . والقرارة : بطن الوادى حيث يستقرّ الماء ؛ وصيَّره مثلا للقبر وبطنِه . وقوله :

---

(١) كذا . ولعل صوابها « عبلاء » مؤنث الأعبل

(٢) ش : « هبا يهبو » .

يدَ الدهر ، يقال : يدَ الدهر ، ومدَى الدهر ، وأبدَ الدهر ؛ وكلُّه واحد .

مالك ابن الريب

و (مالك بن الرَّيْب) بفتح الراء وسكون المثناة التحتيّة ؛ هو من مازن تميم ، وكان لصاً يقطع الطريق مع شِظاظ الضبيّ الذى يُضرب به المثلُ فيقال : « ألصُّ مِن شِظاظ » .

قال القالى فى ذيل أماليه(١) . « قال أبو عُبيدة : لما ولّىٰ معاويةُ سعيدَ

٣٢١

ابن عثمان بن عفّان خراسانَ ، سار فيمن معه فأخذ طريقَ فارس ؛ فلقيه بها مالك بن الرَّيْب بن حَوط بن قُرط بن حِسْل بن ربيعة بن كابية (٢) بن حُرقوص ابن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم — وأمّه شهلة بنت سَنيح بن الحُرّ ابن ربيعة بن كابية (٢) بن حرقوص بن مازن — قال : وكان مالك بن الرَّيْب ، فيما ذُكر ، من أجمل العَرب جمالاً وأبينهم بيانا . فلما رآه سعيد(٣) أعجبه (وقال أبو الحسن المدائنى : بل كان مرّ به سعيد بن عثمان بالبادية وهو منحدر من المدينة يريد البصرة حين ولاّه معاويةُ خراسان) ومالكٌ فى نَفَر من أصحابه . فقال له : ويْحك يا مالك ؟ ما الذى يدعوك إلى ما يبلغنى عنك من العَدَاء (٤) وقطْع الطريق ! قال : أصلح الله الأمير ! العجز عن مكافأة الإخوان . قال : فإن أغنيتُك واستصحبتُك ، أتكفّ عما تفعلُ وتتّبعنى ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ! أكفّ كفًّا ما كفّ أحدٌ أحسنَ منه . فاستصحبه وأجرىٰ عليه خَمسَمائة دينار فى كلّ شهر ، وكان معه حتى قتل

(١) ط : « قاله القالى فى ذيل أماليه » فيكون الكلام مرتبطا بسابقه ، وليس كذلك ، فان شظاظا لم يرد له فى الأمالى ولا فى ذيلها ذكر . وانما المذكور هو الخبر التالى . انظر الأمالى ٣ : ١٣٥ . والكلام المتقدم لابن قتيبة فى الشعراء ٣١٢ .

(٢) فى النسختين : « كايبة » صوابه بتقديم الباء ، كما فى الأمالى والاشتقاق ٢٠٤ ومختلف القبائل ٣٦ .

(٣) ط : « سعد » ، صوابه فى ش والأمالى .

(٤) العَداء ، بالفتح : تجاوز الحد فى الظلم .

بخراسان . قال : ومكث مالك بخراسان فمات هناك فقال يذكر مرضه وغربته . وقال بعضهم ، بل مات فى غزو سعيد ، طعن فسقط وهو بآخر رَمَق وقال آخرون : بل مات فى خان ، فرثته الجنّ [1] لِما رأت مِن غُربته ووَحْدته ، ووضعت الجنّ الصحيفةَ التى فيها القصيدة تحت رأسه . والله أعلم أىّ ذلك [كان [2]] » اهـ .

قال ابن قتيبة : ومن شعره يهجو الحَجّاج [3] :

فإن تُنصفوا يا آل مَرْوانَ نقتربْ إليكُمْ وإلاّ فأْذَنوا ببِعادِ

فإنّ لَنا عنكمْ مَزاحا ونزحة [4] بِعيس إلى ريح الفَلاة صوادى

فماذا عسىٰ الحجّاجُ يَبلُغ جَهْدُه إذا نحن جاوزْنا حَفيرَ زيادِ

فلولا بنُو مرْوانَ كان ابن يُوسفٍ -كما كان- عبداً مِن عَبيد إيادِ

زَمانَ هو العبدُ المقِرُّ بذلّة يراوحُ صِبيان القُرىٰ ويُغادى [5]

وليس له عقب . ومما سَبق إليه فأخذ عنه قوله :

العبدُ يُقرَعُ بالعصا والحُرّ يَكفيه الوعيدُ [6]

(١) فى الأمالى : « الجان » .
(٢) التكملة من ش والأمالى .
(٣) الشعراء ٣١٤ والكامل ٢٩٠ مع النسبة لمالك ، وفى الحماسة ٦٧٦ بشرح المرزوقى مع نسبتها الى الفرزدق . ومعجم البلدان بزيادة ونقص فى (حفير زياد) ونسبها الى البرج بن خنزير التميمى ، وقال : « وكان الحجاج قد ألزمه البعث الى المهلب لقتال الأزارقة فهرب منه الى الشام » .
(٤) الشعراء : « ومزحلا » وفى الحماسة : « مزاحا ومذهبا »
(٥) يقال ان الحجاج كان فى صدر حياته معلما .
(٦) البيان ٣ : ٣٧

وقال آخر[١] :

العبدُ يقرَع بالعصا والحُرّ تكفيه المَلامة(١)

وقال آخر[٢] :

العبدُ يقرعُ بالعصا والحرّ تكفيه الإشاره

* * *

توابع المنادى

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس عشر بعد المائة ، وهو من شواهد س[٣]:

١١٦ (ياذا المخوِّفنا بمقتلِ شَيخِهِ حُجرٍ تَمَنِّيَ صاحِبِ الأحْلامِ)

على أن (المخوِّفنا) نعت لاسم الإشارة الواقع المبنىّ على ضمة ؛ وهو مضاف إلى ضمير المتكلم مع الغير إضافةً لفظيّة .. قال ابن الشجَرىّ : «هذا سهو، فإن الضمير فى المخوِّفنا منصوب لا مجرور» . ويأتى بيانه فى الشاهد السابع عشر[٤] .

و (أل) موصولة بمعنى الذى . و (بمقتل) متعلق بالمخوِّف ، وهو مصدر

---

(١) هو يزيد بن مفرغ . البيان ٣ : ٣٧ وأمالى الزجاجى ٤٣ والأغانى ١٧ : ٥٤ .

(٢) هو الصلتان الفهمى . الحيوان ٥ : ٦٢ والبيان ٣ : ٣٧ .

(٣) سيبويه ١ : ٣٠٧ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٢٠ وديوان عبيد بن الأبرص ٢٠ .

(٤) صوابه « العشرين » أى بعد المائة ، وبذلك صححها الشنقيطى فى هامش نسخته ، كما نبه عليه أحمد تيمور .

٣٢٢

مضاف إلى مفعوله ، والفاعل محذوف . أي يامن يخوّفنا بسبب قتلنا شيخَه ؛ وأراد بشيخه : أباه . و (حُجْر) . بدل من شيخه أو عطف بيان له ، وهو بضم الحاء وسكون الجيم : اسم والد امرئ القيس . وقوله (تَمَنِّيَ صاحبِ الأحلامِ) منصوب على أنه مصدرٌ عاملُه محذوف ، أي تمنّيتَ تمنّيَ صاحبِ الأحلام ، فإنك لا تقدِر على الانتقام . والأحلام : جمع حُلُم بضمتين ، وهو الرؤيا .

وهذ البيت لعَبِيد بن الأبرَص الأسَديّ ، يخاطب به امرأ القيس صاحبَ المعلقة المشهورة . وبعده :

لا تَبكِنا سفَهاً ولا ساداتِنا   واجعلْ بكاءكَ لابن أمِّ قَطامِ

وسبب قول عَبيدٍ هذا الشعر : أنّ قوم عبيد بنى أسد قتلوا أبا امرىء القيس حجراً ، وهو ابن أمّ قَطام (كما تقدّم بيانه فى الشاهد التاسع والأربعين(١)) فتوعّدهم امرؤ القيس بقوله :

واللهِ لايذهبُ شيخى باطلا   حتى أُبيدَ مالكا وكاهلا !

(وهما حيّانِ من بنى أسد) . فقال له عَبيد ذلك ؛ وجعل وعيدَه كاذبا وما تمنّاه فيهم غيرَ واقع ، كأضغاث أحلام ، وقال عَبيد أيضا :

يا ذا المخوّفنا بقتـ   ـل أبيه إذلالا وَحينا

أزعمتَ أنّكَ قد قَتلـ   ـتَ سَرَاتَنا كذِباً ومَينا

هلاّ على حجرِ بن أمِّ   قطامِ تبكى لا علينا

إنا إذا عضّ الثِّقا   ف برأس صَعْدتنا لوَينا

نَحمى حقيقَتنا وبعـ   ـضُ القوم يَسقط بينَ بَينا

(١) الجزء الأول ص ٣٢٣ .

هلاّ سألتَ جُموعَ كنـ ـدةَ يوم ولّوا : أينَ أينا

أيام نضربُ هامهم ببواتر حتّى انحنينا

وجموعَ غسّانَ الملو كِ أتينَهُمْ وقد انطوينا(١)

نحن الأُلىٰ ، فاجمعْ جمو عَك ثمّ وجِّهْهم إلينا

واعلم بأنّ جيادَنا آلَيْنَ لا يقضين دينا

ولقد أبحنا ما حميـ ـتَ ، ولا مُبيحَ لما حَمينْا

وهذا نصف القصيدة .

وقوله : إذلالاً ، مفعول ثان للتخويف ، وهو مصدر أذَلّه الله ، متعدِّى ذلّ الرجل: إذا ضعف وهان. والحَيْن بالفتح : الهلاك ، مصدر حان.والسَّراة ، بفتح السين : الأشراف ، جمع سرىّ ، وأصله سَرُوىٌ على وزن فَعول من السَّرْوِ ، وهو كرمٌ فى مروءة . والمَين: مرادف للكذب . والثِّقاف ، بكسر المثلّثة : ما يسوّىٰ به الرماح . والصَّعْدة بالفتح ، قال فى الصحاح : « هى القناة المستوية تنبت كذلك ، لا تحتاج إلى تثقيف » ، وقيل : الرمح القصير، ولوىٰ الرجل رأسه وألوىٰ برأسه : أماله وأعرض . والحقيقة مايحقّ على الرجل أن يحميه كالأهل والولد والجار .

وقال فى الصحاح: « هذا الشىء بينَ بينَ أى بين الجيد والردىء » . ثم أنشد هذا البيت وقال : « أى يتساقط ضعيفاً غير مُعتَدٍّ به . وألف بينَ

---

(١) أتينهم . يعنى الخيل وان لم يجر لها ذكر . انطوين : ضمرن . وفى النسختين : « أتيتهم » صوابه فى ديوان عبيد ٢٨ والأغانى ١٩ : ٨٥ ومختارات ابن الشجرى ٩٠ وفى حواشى المختارات : « يعنى الخيل انطوين من الضمرة » . وبعده فى الأغانى والمختارات :

لحقـا أياطلهن قد عالجن أسفاراً وأينا

٣٢٣ الثاني إشباع وبُنيا لتضمُّنهما لواو العطف[١] ». والبواتر: جمع باتر، وهو السيف القاطع، وكأنه لحظ في السيف مَعنى الحديدة أو آلة القطع فجمعه هذا الجمع، يدلُّك عليه « انحنين » بضمير الإناث العائد إلى البواتر، وأنه غلب عليه الاسمية.

والألى بمعنى الذين اسم موصول، وحذفت الصلة لادّعاء شهرتها؛ أي نحن الذين عُرفوا بالشجاعة. والجياد: جمع جَواد، وصفٌ من جاد الفرس: أي صار رائعا، يجود جُودة بالضم فهو جَواد؛ للذكر والأنثى. وآلين: أي حلفن، من الأليَّة بمعنى اليمين.

عبيد بن الأبرص

(وعَبيد) هو، بفتح العين وكسر الموحدة، ابن الأبرص بن عوف ابن جُشَم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة ابن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، الأسديّ الشاعر، من فحول شعراء الجاهلية. جعله ابن سلاّم الجُمَحيّ في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية، وقرن به طرَفة وعَلقمة بن عبدَة.

قال ابن قتيبة في كتاب الشعراء: عاش عَبيدٌ هذا أكثرَ من ثلثمائة سنة.

وقال أبو حاتم السجستاني في كتاب المعمَّرين: « عاش عبيد مائتي سنة وعشرين سنة. ويقال بل ثلثمائة سنة، وقال في ذلك:

ولَتأتِيَنْ بَعْدِى قُرونٌ جَمّـةٌ ترعىْ مخارم أيكة ولدودا[٢]

فالشمسُ طالعة، وليلٌ كاسفٌ، والنجمُ يَجرى أنحُساً وسُعودا

---

(١) في الصحاح: « وهما اسمان جعلا اسما واحدا وبنيا على الفتح ».

(٢) ط: « محارم » صوابه بالخاء المعجمة كما في ش والمعمرين ٦٠ والديوان ٨١.

حتى يقال لمن تعرّق دهره : ياذا الزمانة ، هل رأيتَ عبيدا
مائتي زمانٍ كامل ونصيّة[1] عشرين عشتُ معمّرا محمودا
أدركتُ أوّل مُلك نصرٍ ناشئا وبناء شدّادٍ وكان أبيدا
وطلبت ذا القرنين حتّى فاتني ركضاً ، وكدت بأن أرى داودا
ما تبتغي من بعد هذا عيشةً إلاّ الخلودَ ! ولن تنال خلودا
وليفنيَنْ هذا وذاك كلاهما إلاّ الإلهَ ووجهَه المعبودا

وقال أيضاً :

فنيتُ وأفناني الزمان وأصبحتْ لِداتي بنو نَعْش وزهْرُ الفراقد » اهـ

ومن شعره :

تذكّرتُ أهلَ الخير والباعِ والندى وأهلَ عتاقِ الخيل والخمرِ والطّيبِ
فأصبح منّي كلُّ ذلك قدْ خلا وأيُّ فتى في الناس ليس بمكذوب !
ترى المرء يَصبو للحياة وطيبها وفي طولِ عيش المرء برحٌ بتعذيب

ومضمون البيت الأخير مما تداوله الناس قديماً وحديثاً ، قال بعض شعراء الجاهليّة :

كانت قناتي لاتلين لغامزٍ فألانَها الإصْباحُ والإمساءُ[2]

---

(١) النصية : البقية . قال كعب بن مالك :
ثلاثة آلاف ونحن نصيـــة ثلاث مئين ان كثرنا وأربع
ط : « وبضعة » ش والمعمرين : « ونصيته » والوجه ما أثبت مطابقا للديوان ٨٢ .

(٢) هو عمرو بن قميئة كما في زهر الآداب ٢٢٣ وليس في ديوانه والبيت مع قرينه التالي بدون نسبة في الكامل ١٢٥ وعيون الأخبار ٢ : ٣٢٢ والعقد ٣ : ٥٨

وقال النمِر بن تولب الصحابىّ رضى الله عنه :

يودّ الفتىٰ طولَ السلامة والبقا فـكيف ترىٰ طولَ السلامة يفعلُ[١]!

وتبعه حُميد بن ثَوْر الهلالىّ ، الصحابىّ أيضاً ، رضى الله عنه :

أرىٰ بصرى قد رابنى بعد صحّة وحسبُك داء أنْ تصحّ وتسلما[٢]

٣٢٤

وقال آخر :

ودعوتُ ربّي بالسلامة جاهداً ليُصحِّني ، فإذا السلامةُ داء[٣]

وفى معناه قول الخيمىّ من المتأخّرين :

إذا كان موتُ المرء إفناءَ عُمرهِ ففى موته من يوم يولَدُ يُشْرَعُ

وأحسن من هذا كلّه قوله ﷺ : « كفىٰ بالسَّلامة داء » ، فإنه أبلغ وأوجز وأسلس وأرشق مما ذكر .

قال محمد بن حَبيب ، فى كتاب من قتل من الشعراء[٤] : ومنهم عَبيد ابن الأبرص الأسدىّ ، وكان المنذر بن امرئ القيس اللخمىّ بن ماء السماء (وهو الذى يسمّىٰ ذا القرنين ، وهو جدّ النعمان بن المنذر) له يوم بؤس ويوم نعيم ،

---

(١) البيان ١ : ١٥٤ والحيوان ٦ : ٥٠٣ والمعمرين ٦٣ والأغانى ١٩ : ١٥٩ .

(٢) البيان ١ : ١٥٤ والحيوان ٦ : ٥٠٣ وزهر الآداب ٢٢٣ والعقد ٣ : ٥٧ وديوان حميد ٧ .

(٣) هذا البيت قرين البيت الهمزى السابق ، كما فى الكامل وعيون الأخبار وزهر الآداب .

(٤) أسماء المغتالين فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢١١ . والنص هنا أضفى مما فى أسماء المغتالين .

وكان يقتل أولَ من رأى في يوم بؤسه ، فخرج المنذر في يوم بؤسه فلقى عبيدَ ابنَ الأبرص فقال له : هلاّ كان المذبوح غيرك يا عَبيد ! فقال « أتتْكَ بحائنٍ رِجْلاه ! » وأرسلَه مثلا ، فقال له : أَنشِدْنا ياعَبيد ، فقال : «حالَ الجريضُ دونَ القَريض ، وبلغ الحِزامُ الطُّبْيَين» وأرسلَهما مثلا ، فقال له أنشدْنى ، فقال: «المنايا على الحوايا ! » وأرسله مثلا ، فقال بعض القوم : أَنشِدِ الملكَ ، هبِلَتْك أمُّك ! فقال : « وما قولُ قائل مقتول ؟ وأرسَله مثلا ، وقال آخر : ما أشدّ جزَعك بالموت ! فقال « لا يرحلنْ رحلكَ مَن ليس معَك ! » وأرسلَه مثلا ، فقال الملك: قد أمللْتنى فأرِحْني قبل أن آمُرَ بك ! فقال عبيد : « منْ عزّ بزّ » ، وأرسلَه مثلا ، فقال الملك : أَنشِدْنا قولك :

* أقفرَ من أهلِه مَلحوبُ *

فأنشدَه :

أقفر من أهلِه عبيـدُ فاليومَ لايُبدى ولا يُعيدُ

(وأنشد هذا البيتَ صاحبُ الكشّاف عند قوله تعالى : « قُلْ جاء الحقُّ وما يُبدىءُ الباطلُ وما يُعيد(١) » على أن هذه الكلمة قد صارت مثلاً في الهلاك ، من غير نظر إلى مفرداتها ، وهو في الأصل كناية ، لأن الهالك لم يبق له إبداء ولا إعادة ، كما يقال : لا يأكل ولا يشرب ، أى مات) . فقال له الملك : ويْحك يا عَبيد ! أنشدِنى قبلَ أن أذبحك ! فقال عبيد : واللهِ إنْ مُتّ ما ضرّنى ! فقال له : لابد من الموت ، فاختر : إن شئت من الأكحَل ، وإن شئت من الأبجَل ، وإن شئت من الوريد : فقال عبيد :

---

(١) الآية ٤٩ من سورة سبأ .

ثلاثُ خصالٍ كَسَحَاباتِ عاد ، واردُها شرٌّ ورَّاد[1] وحادِيها شرٌّ حاد ، ومعادُها شرٌّ معاد ، ولا خير فيها لمرتاد ، فإن كنتَ لا بدَّ قاتلى فاسقنى الخمر ، حتّى إذا ذهلَتْ منها ذواهِلى ، وماتت لها مفاصلى فشأنَك وما تريد . ففعل به ما أراد ، فلما طابت نفسُه ودعا به ليقتله أنشأ يقول :

وخيَّرنى ذو البؤسِ فى يوم بؤسِهِ ... خِصالاً أرى فى كلِّها الموتَ قد برَقْ

كما خُيِّرتْ عادٌ من الدهر مرّةً ... سحائبَ ما فيها لذى خِيرة أنَقْ[2]

سحائبَ ريحٍ لم توكَّل ببلدة ... فتتركها إلاّ كما ليلةِ الطلَقْ

* * *

وأنشد بعده لرؤبة ، وهو الشاهد السابع عشر بعد المائة ، وهو من شواهد س[3] :

١١٧ (إنّى وأسْطَارٍ سُطِرْنَ سَطْرًا ... لَقائلٌ : يانصرُ نصرٌ نصرًا) ٣٢٥

على أن التوكيد اللفظىّ فى النداءِ حكمُه فى الأغلب حكمُ الأوّل ، وقد يجوز إعرابه رفعاً ونصباً ، فنصر الثانى رفع إتباعاً للفظ الأوّل ، والثالثُ نصب إتباعا لمحلّ الأوّل .

---

(١) فى النسختين : « وارد » ، صوابه « وراد » كما يقتضيه السجع ، مطابقا لما فى الأغانى ١٩ : ٨٧ ومعجم البلدان (الغريان) . وفى سمط اللآلىء ٨٤٥ :

خيرتنى بين سحابات عاد ... أردت من ذلك شر المراد

والشطر الأول من هذا الذى يوهم أنه شعر ، فى طراز المجالس ١٢٠ .

(٢) هذا ما فى ط والأغانى ١٩ : ٨٧ . وفى ش : « لذى الموت قد برق » ، وهو سهو من الناسخ .

(٣) سيبويه ١ : ٣٠٤ والعينى ٤ : ١١٦ وابن يعيش ٢ : ٣/٣ : ٧٢ والخصائص ١ : ٣٤٠ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٧٤ وهمع الهوامع ١ : ٢/٢٤٧ : ١٢١ وملحقات ديوان رؤبة ١٧٤ .

وضعّف الشارح المحقّق البدلَ والبيانَ فى مثله وقال : « لأنهما يفيدان مالا يفيده الأوّلُ من غير معنى التأكيد ، والثانى فيما نحن فيه لا يفيدُ إلاّ التأكيد » .

ومَنع أبو حيّان كونَه من التأكيد اللفظىّ أو البدل ، وحصَره فى البيان فقال : « لا يجوز أن يكون نصر الثانى توكيداً لفظياً . قيل : لتنوينه والأوّل ليس كذلك ، ورُدّ بأن هذا القدر من الاختلاف مغتفَر فى التأكيد اللفظىّ . وقيل : للاختلاف فى التعريف : فيا نصرُ عُرِّف بالإقبال عليه لا بالعلميّة ، والثانى معرَّف بالعلميّة ، فكما لا يجوز جعلُ الثانى فى : جاء الغلامُ غلامُ زيد ، تأكيداً لفظيًّا لاختلافهما فى التعريف ، فكذلك هذا . ولا يجوز أن يكون بدلاً لأنه منوَّن ، ولا نعتا لأنّه علم » اهـ .

وفيه نظر . فإن اتحاد جهة التعريف فى التأكيد غير مسلّمة ، بل يكفى اختلافها .

ثم قال أبو حيّان : « ولا يجوز أن يكون مرفوعاً على أنه خبر مبتدإ مضمر ، ولا نصبُه على إضمار فعل ؛ لأن هذا النوعَ من القطع إنما تكلّمت به العرب إذا قصدَتِ البيانَ أو المدحَ أو الذمّ أو الترحّم ، ونصر لا يُفهَم منه شىء من ذلك » اهـ .

وفيه أنه يصحّ نصبه على المدح بدليل ما بعده ، وهو :

(بلّغك اللهُ ، فبلِّغْ نصرا   نصرَ بنَ سيّارٍ يُنبِئني وَفْرَا)

فإنه رُوى أن نصراً فى البيت الأوّل ، وهو صاحبُ نصرِ بن سيّار ، منعه من الدخول إلى نصر بن سيّار وهو أمير خُراسان فى الدولة الأمويّة ، فتلطّف به وأقسَم له بأنّه يدعو له ، وطلب منه المعونة .

وقون خضر الموصِلى ، شارح شواهد التفسيرَين : بأنه يجوز نصبه

على الذمّ ؛ لأنّ الحاجب منعه من الدخول إلى الأمير ، غفلةٌ عن البيت الثانى.

ورُوى نصبه أيضاً : إمّا لما ذكرنا ، وإما للإتباع على محلّ الأوّل ، وإما لأنّه مصدرٌ بدلٌ من فعل الأمر أى انصرنى — وقال بدرُ الدين فى شرح الخلاصة : يجوز كونه مصدراً دعائيّا كسَقياً ورَعياً — فيكون نصر الثالث تأكيداً على الوجوه الثلاثة .

وروى الجَرمىّ عن أبى عبيدة أن النصر : العطية ، يريد : يا نصر عطيّةً عطيّةً . ويردّه رواية الرفع . وزعم أبو عبيدة أيضاً : أن نصراً الثانى هو حاجبُ نصر بن سيّار ، والأوّلَ هو ابن سيّار ، فنصبه على الإغراء ، أى يا نصر عليك نصرًا . ويردّه شيئان : رواية الرفع ، والدعاء ؛ وفيه أيضاً غفلة عن البيت الثانى .

وروى فى (نصر) الثانى أيضاً ضمُّه بلا تنوين كالأول ، على أنه توكيد لفظىّ له تبِعَهُ فى البناء . وروىٰ صاحب اللباب فيه وجهاً رابعاً : وهو جرّه مع نصب الأول ؛ قال شارحه الفالى[1] : « فيكون المضاف إليه على هذا جنساً ، كما تقول : طلحة الخيرِ ، وحاتِم الجودِ . والتنكير للتفخيم » .

وملخّص ما ذكرنا : أن نصراً الأوّل روى فيه وجهان : ضمُّه ونصبُه ؛ والثانى رُوى فيه أربعة أوجه : ضمُّه ورفعُه ونصبُه وجرُّه ؛ والثالث روى فيه وجه واحد وهو النصب .

---

(١) الفالى ، بالفاء : نسبة الى فالة ، بلدة قريبة من أيذج من بلاد خوزستان وهو محمد بن سعيد بن محمد بن أبى الفتح السيرافى ، قال السيوطى فى البغية : « صاحب شرح اللباب ، لم أعثر له على ترجمة » وسمى فى اقليد الخزانة « اسماعيل الفالى » قال الميمنى : « منه نسخة كتبت سنة ٧٧٥ هـ بحيدر أباد . ويوجد كثير من نسخه بالهند » .

٣٢٦ واعلم أن الصاغانىّ قال فى العباب ، وتبعه صاحب القاموس : أن اسم الحاجب إنّما هو « نضْر » بالضاد المعجمة ، وأنّ الثلاثة فى البيت الأول بالإعجام ، وإهمال الصاد تصحيف ؛ وأما نصر فى البيت الثانى فهو بالإهمال لا غير . وكذا قال ابن يَسعون : رأيت فى عرْض كتاب أبى إسحاق الزجّاج بخطّ يده وهو أصله الذى قرأ فيه على أبى العبّاس : نضر الذى هو الحاجب بالضاد معجمة .

وأنشده سيبويه بنصب نصر الثانى ؛ قال الأعلَم : الشاهد فيه نصبه نصراً نصراً ، حملاً على موضع الأوّل ، ولو رفع حملاً على لفظ الأوّل لجاز .

قال النحّاس : وقد خُولف فى هذا : فقال الأصمعىّ : النصر : المعونة ؛ فهو على هذا منصوب على المصدر كأنه قال : عوناً عونا .

وقوله :(لقَائلُ) خبر إنّ . وجملة القَسَم أعنى قوله : (وأسطار . . الخ) اعتراضٌ بين اسم إنّ وخبرها ، والواو للقسم ، أى وحقٍّ أسطارِ المصحَف ، وهو جمع سطْر جمع قلّة كأسطر ، وفى الكثرة : سِطار وسُطور ، ويجمع أسطار على أساطير .

واستشهد صاحب الكشّاف بهذا البيت عند قوله تعالى : ﴿ إنْ هذا إلاّ أساطيرُ الأوَّلين[1] ﴾ على أن أساطير جمع أَسطار بفتح الهمزة جمع سطر .. وجملة (سُطِرْن) بالبناء للمفعول صفة لأسطار . و (سطراً) مفعول مطلق . وقوله (يا نصر) إلى قوله (بلّغك الله) مقول القول . وبلّغ بالتشديد متعدّ إلى مفعولين ثانيهما محذوف أى مرادَك ؛ وثلاثيُّه متعدّ إلى واحد ، يقال

(١) من الآية ٢٥ من الأنعام و ٣١ من الأنفال .

بلغت المنزل : إذا وَصلته . وبلِّغْ : فعـل أمر ومفعوله الأول محذوف : أى أرْجوزتى ومديحى ونحوها . و (نصر) الثانى عطف بيـان للأوّل .
و (يثِبْنى) مجزوم فى جواب بلِّغْ ، يقـال : أثابه الله أى جزاه وأعطاه .
و (الوفر) المال الـكثير .

وترجمة رؤبة تقدمت فى الشاهد الخامس[1] . والعجب من الصاغانى حيث ردّ على سيبويه فى أن هذا الشاهد ليس لرؤبة ولم يبين قائله .

نصر بن سيار

وأما (نصر بن سيّار) فقد كان أمير خُراسان فى الدولة الأمويّة ؛ وكان أوّل مَن ولاّه هشام بن عبد الملك . وكانت إقامتـه فى مرو ، إلى أن جاء أبو مسلم الخراسانى إلى مروَ وأرسل إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله وسنة رسوله و « الرِضا » من آل محمّد صلى الله عليه وسلم . فلما رأى نصرٌ ما مع أبى مسلم من اليمانية والربَعيّة والعجَم ، وأنهّ لا طاقة له بهم ، أظهر قَبول ما أتاه به وأنه يأتيه ويبايعه ، واستمهلهم ؛ ثم هرب نصر إلى سَرخْس ، واجتمع عليه ثلاثة آلاف رجل ، ثم سار نصر فنزل جِوارَ الرَىّ وكاتَبَ ابنَ هُبَـيرة يستمدُّه ، وهو بواسط ، وقال له : أَمِدَّنى بعشرة آلاف قبل أن تمِدَّنى بمائة ألْف ثم لا تغنى شيئا . فحبس ابنُ هبيرة رُسلَه وتباطأ ، فأرسل نصر إلى مرْوان ابن محمد يُعْلمه ما فعل ابن هُبيرة . فـكتب مرْوان إلى ابن هبيرة يأمره أن يمدّه . فجهّز ابن هبيرة جيشا كثيفاً أمّر عليهم « ابن عُطيف » إلى نصر . ولما قدِم نصرٌ إلى الرَّىّ أقام بها يومين ثم مرض ، فحمل إلى ساوةَ فمات بهـا لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول من سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وعمره خمس وثمانون سنة .

---

(١) الجزء الأول ص ٨٩ .

وهذه نسبته من الجمهرة : نصر بن سيّار بن رافع بن حَرِّى (بفتح الحاء وكسر الراء المشددة المهملتين) ابن ربيعة بن عامر بن هلال بن عوف بن جُندُع بن ليث ؛ وينتهى نسبه إلى مدركة بن إلياس بن مضر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد المائة(١) :

١١٨ (علا زيدُنا يومَ النقَّا رَأْسَ زيدِكُمْ
بأبيَضَ ماضى الشَّفْرَتَيْنِ يَمانِ)

٣٢٧

على أن العلَمَ إذا وقع فيه اشتراك لفظى جاز إضافته للتعيين .

والعلمية قد ذهبت بالإضافة كما يأتى بيانه بعد هذا .

وأورده ابن عقيل فى شرح الألفية على أن(٢) الإضافة من قبيل إضافة الموصوف إلى القائم مقام الوصف ، أى علا زيد صاحبُنا رأس زيد صاحبِكم ، فحذف الصفتان وجعل الموصوف خلفا عنهما فى الإضافة .

و (النقَّا) بالقصر : الكثيب من الرمل ؛ والتعريف للعهد . وأراد باليوم الوقعةَ والحربَ التى كانت عند النقا ، وهذا معنى قولهم : « أيام العرب » . و (الأبيض) السيف ، والماضى : النافذ بالقطع . و (الشَّفرة) بفتح الشين : حدّ السيف ؛ وثنّاه باعتبار وجهيه .

ورواه المبرِّد فى الكامل بتغيير بعض ألفاظه مع بيت آخر وأورده فى أول الثلث الثالث منه فى باب هذه ترجمته : « بابٌ يجمع فيه طرائفُ من

(١) سيأتى أيضا فى ٢ : ٣/١٦١ : ٢٥٢ . وانظر العينى ٣ : ٣٧١ وابن يعيش ١ : ٤٤ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦٠ والكامل ٥٢٤ وزهر الآداب .

(٢) ط : « من أن » ، صوابه فى ش .

حسَن الكلام وجيِّد الشعر وسائر الأمثال ومأثور الأخبار » ثم قال : « وقال رجل من طيِّء — وكان رجل منهم يقال له زيدٌ ، مِن ولد عُروة بن زيدِ الخيلِ ، قتلَ رجلا من بنى أسد يقال له زيد ، ثم أُقِيدَ به بعدُ — :

علا زيدُنا يوم الحمى رأسَ زيدِكم   بأبيضَ مشحوذ الغِرار يَمانِ
فإن تَقتلُوا زيداً بزيد فإنما   أقادكمُ السلطانُ بعد زمان . اهـ

ومثله فى أواخر زهر الآداب للحصْرىّ قال : « قال[1] رجل من طيِّء — وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل قتل رجلاً [اسمه زيد[2]] فأقاد منه[3] السلطان — فقال يفتخر على الأسديين . . » وأنشد البيتين كرواية المبرِّد . . ولم أر مَن رواه : « يوم النقا[4] » وظهر بهذا أنه شعر إسلامىّ . فإنَّ زيد الخيلِ من الصَّحابة رضى الله عنهم .

والمشحوذ : مفعول من شحذت السيف أشحَذه شحذاً من باب منع أى حددته ، والمِشْحَذة بالكسر : المِسَنّ ، والتَّشحيذ : جعل الشىء حاداً . والغِرار بكسر الغين المعجمة ، قال فى الصحاح « والغِراران . شَفرَتاَ السيف ، وكلّ شىء له حدّ فحدُّه غِرارُه » . وقوله : أقادكم السلطان ، أى مكَّنكم من قتله قوَداً [5] ويقال أقاد السلطانُ القاتلَ بالقتيل : قتله به قَوَداً .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد المائة[6] :

---

(١) ط : « كان » ، صوابه فى ش وزهر الآداب

(٢) التكملة من زهر الآداب

(٣) ط : « عنه » صوابه فى ش وزهر الآداب

(٤) سيأتى قريبا ان ابن جنى روى : « يوم النقا » ، فى الشاهد التالى . وكذا فى روايات الكامل وابن يعيش .

(٥) ط : « أى كفكم عن قتله قودا » ، وهو عكس المعنى المراد ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح فى « مكنكم » فقط .

(٦) انظر أيضا الخزانة ٣ : ٢٥٢ والعينى ١ : ٢١٨ ، ٥٠٩ وابن يعيش ١ : ٤٤ والانصاف ١٩٨ وشرح شواهد الشافية للبغدادى ١٢

١١٩ (رأيتُ الوليدَ بنَ اليزيد مباركاً
شديداً بأحناءِ الخلافةِ كاهِلُه)

على أن العلَم إذا وقع فيه اشتراكٌ اتفاقى جاز تعريفه باللام . يعنى : ويزول تعريف العلمية بأن ينكّر ثم يعرف باللام .

قال ابن جنىّ فى سرّ الصناعة — ومن خطه نقلت — : واعلم أن قولك : جاءنى الزيدان ، ليس تثنية زيدٍ هذا العلم المعروف ؛ وذلك أن المعرفة لايصحّ تثنيتها فلا تصحّ إلاّ فى النكرات ؛ فلم تثنّ زيداً حتّى سلبتَه تعريفَه فجرى مجرى رجل وفرس ، وحينئذ لم يُستنكر دخولُ لام المعرفة . وقد جاء فى الشعر منه ، قال ابن ميّادة : (وَجدنا الوليد بن اليزيد) يريد : يزيدَ . ومما يؤكّد جوازَ خلع التعريف قوله :

* علا زيدُنا يوم النَقا رأسَ زيدِكم *

٢٢٨ فإضافة الإسم تدلّ على أنه قد كان خَلع عنه ما كان فيه من تعرفه ، وكساه التعريفَ بإضافته إياه إلى الضمير ، فجرىٰ فى تعريفه مَجرىٰ أخيك وصاحبك ؛ وليس بمنزلة زَيد ، إذا أردتَ العلَم ، وعلى هذا : لو سألت عن زيد عمرو فى قول من قال : رأيت زيدَ عمرٍو ، لما جازت الحكاية ولكان بالرفع لا غير ا ه ملخصاً .

و (اللام) فى الوليد للمح الأصل ؛ قال بعضهم : نكتة إدخالها فى اليزيد الإتباع للوليد . واستشهد به ابن هشام فى شرح الألفيّة على أن ما لا ينصرف إذا دخلته ألْ ، ولوكانت زائدة ، صُرِفَ كما فى اليزيد . فجعلَها زائدة لامعرفة . و (رأيت) هنا عِلْميّة . و (مباركا) هو المفعول الثانى . و (شديداً) من تعدّد المفعول الثانى ، لأن جزأى باب علم أصلهما المبتدأ والخبر ، والخبر قد

وأنشد بعده، وهو الشاهد العشرون بعدالمائة ، وهو من شواهد س[١] :

١٢٠ (يا صَاحِ ياذَا الضامرُ العَنْس)

على أن (الضامر العنْس) و (المخوِّفنا) تركيبان إضافيّان قد وقعا صفتين للمنادىٰ الذى هو اسم إشارة ، وصفة المنادىٰ إذا كانت مضافةً وجب نصبُها فكيف رُفِعتْ إتْباعا للمنادىٰ المفرد ؟

وهذا إشكاله ظاهر . . ونقل الشارح حلّه جوابين ، من الإيضاح لابن الحاجب :

أحدهما : أن أل فى الضامر وفى المخوفنا موصولة ، وهو الواقع صفة : أى الذى ضَمَرتْ عنْسُه والذى خوَّفنا ، والإعراب فى الحقيقة للموصول ، لكنْ لما كان على صورة الحرف نُقل إعرابه إلى صلته عاريَّة .

ثانيهما : أنّ الضامرُ العنْسِ والمخوِّفُنا صفتان لصفةِ اسمِ الإشارة ، أى ياذا الرجل الضامرُ العنْس وياذا الرجل المخوِّفُنا ؛ وإنما قُدِّر هذا : لأن صفة اسمِ الإشارة لا تكون إلاّ مفردة ، وإعراب الرجل رَفْع ، فيجب رفع وصفِه بالتبعيّة له . .

وهذا محصّل كلامه ؛ ويُفهم من هذين الجوابين : أنه لم يُجزْ نصبه ، وهو مخالف لما نقله الفالى[٢] فى شرح اللباب قال : « جوّزوا فى نحو :

---

(١) سيبويه ١ : ٣٠٦ . وانظر مجالس ثعلب ٣٣٣ ، ٥١٣ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٣٢ ، ٣٢٢ والخصائص ٣ : ٣٠٢ ومجالس العلماء ١١١ والأغانى ١٥ : ١٣

(٢) فى النسختين : « القالى » ، وقد نبهت على صوابه فى حواشى ص ٢٢١ وسيتكرر هذا الخطأ فى الأصل ، فاكتفيت بتكرار التنبيه عليه هنا .

* يا صاحِ ياذا الضامرِ العنْس *

نصْبَ الضامر ورفعَه ، كما لو قلت : ياذا الضامر ، رفعاً ونصباً . وكون الوصف فى المخوّفنا مضافاً إلى الضمير كإضافة الضامر إلى العنس وقع مثله للسيرافى ، قال ابن الشجرىّ فى أماليه : الثانى صحيح لأن الضامر غير متعدّ والاسم الذى بعده فيه أل . وكون المخوِّف مثلَه سهوٌ ، لأنه متعدّ وليس بعده اسم فيه أل ، وأنت لا تقول المخوِّف زيدٍ ؛ فالضمير فى المخوّفنا منصوب لا مجرور . اهـ

وهذه المسألة غير متَّفَق عليها فإنَّ الرمّانىّ ، والمبرِّد فى أحد قوليه ، والزمخشرىّ قد ذهبوا لما قاله السيرافىّ . كما نقله الشارح المحقِّق فى باب الإضافة ؛ فلا ينبغى الحكم بالسهو على مثل الإمام السيرافىّ .

وأنشد سيبويه هذا المصراعَ برفع الضامر على أن ذا اسم إشارة .. وأُورِدَ عليه أنه لا يستقيم ، لأن ما بعده :

(والرَّحْلِ والأقتاب والحِلْسِ)

فإن الثلاثة معطوفة على العنْس ، وهى لا توصَف بالضمور(١) . فالصواب إنشاده بالجرّ على أن « ذا » بمعنى صاحب كما أنشده الكوفيّون .

قال أبو جعفر النحّاس : أنشده س وشبّهه بقولك : ياذا الحسنُ الوجهِ . قال أبو إسحاق : وهذا غلَط عند جميع النحويّين : وذلك أن الرواية بالجرّ ، يدلّك أنّ بعده :

(والرَّحْلِ والأقتاب والحِلس)

---

(١) وهى ، أى الرحل والأقتاب والحلس

يتعدد . . وإن كانت بَصريّة فمباركاً حال من مفعولها — وشديداً تعدّد من تعدُّد الحال أو من ضمير مباركا ، فهى حال متداخلة ؛ والوجهُ الأولُ ، ويؤيده : أنه روى : (وجَدْتَ) بدل رأيت . و (الوليد) هو ابن يزيد بن عبد الملك بن مرْوان الأمويّ . وشديداً صفة مشبَّهة يعمل عمل فعله : و(كاهله) فاعله . وزعم السيوطى أن فعيلا أُعمل لاعتماده على ذى خبر ، وفيه الفصل بينه وبين مرفوعه بالجار والمجرور . انتهى فتأمل . و (الأحناء) : جمع حِنْو بالكسر ، وهو الجانب والجهة ، وقيل : هو هنا بمعنى السَّرج والقتَب ؛ كُنيَ به عن أمور الخلافة الشاقّة . و (الكاهل) ما بين الكتفين . ورُوى (بأعباء الخلافة) جمع عبء ، وهو كالحمل لفظاً ومعنى . وقال العينىّ : شبّهه بالجمل المحمَّل ، وشبّه الخلافة بالقتَب : وأراد كأنه يحمل شدائدَ أمورِ الخلافة .

أبيات الشاهد

وهذا البيت من قصيدة لاميّةٍ ، لابن ميّادة يمدح بها الوليد المذكور ، وليسَ هو أوّلَ القصيدة كما زعم العينيّ ؛ بل هو أوّل المديح ؛ وقبله :

(هممتُ بقولٍ صادقٍ أن أقولَه   وإنّى على رَغْم العَدُوّ لقائلُهْ)

وبعده :

(أضاء سِراجُ المُلْكِ فوقَ جَبينه   غداةَ تَناجى بالنجاحِ قوابِلُهْ)

وهذا كقول الشاعر :

فى المهد يَنطقُ عنْ سَعادة جَدِّهِ   أثرُ السِّيادةِ ساطِعَ البُرْهانِ

وأول القصيدة :

(ألا تسألُ الرَبْعَ الذى ليسَ ناطقاً   وإنى على أن لا يُبينَ لَسائِلُه)

أى إنى مع عدم إبانته لَسائِلُه .

وترجمة ابن ميّادة تقدّمت فى الشاهد التاسع عشر[١] .

الوليد بن يزيد

و (الوليد بن يزيد) بويع سنة خمسٍ وعشرين ومائة بعد موت عمّه هشام ابن عبد الملك . وقُتل الوليد فى سنة ستٍ وعشرين ، لأنه رمى بالكُفر وغِشْيان أمّهات أولاد أبيه . وكان منهمكا فى اللهو وشرب الخمر وسَماع الغِناء . ومما اشتهر عنه : أنه استفتَح المصحفَ الكريمَ فخرج له قوله تعالى : (واسْتَفتَحُوا وَخابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنيد[٢]) ، فألقاه ونَصبَه غرَضاً ورماه بالسِّهام ، وقال :

تُهَدِّدُنى بجبَّارٍ عنيد فها أنا ذاك جبارٌ عنيد
إذا ماجئتَ ربَّكَ يومَ حشْرٍ فقلْ يا ربٍّ مزَّقَني الوليد

فلم يلبثْ بعدذلك إلاّ يسيراً حتى قُتل[٣] كذا فى تاريخ النُّوَيرِىّ وغيره .

٣٢٩

وقُطع رأسُ الوليد ونصب على رمحٍ وطِيفَ به دِمَشْق ، ثم دُفع إلى أخيه سليمان بن يزيد ، فلما نظر إليه سليمان قال : بُعداً له ! أشهد أنه كان شَرُوباً للخمر ماجناً فاسقاً ، ولقد أرادنى على نفسى — وكان سليمان هذا ممن سعى فى خلعه — وكان عمرُ الوليد حينئذ اثنتين وأربعين سنة،وقيل ثمانى وثلاثين ، وقيل غير هذا . وكانت مدة « سلطنته » سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً .

* * *

(١) الجزء الأول ص ١٦٠ وما بعدها .
(٢) الآية ١٥ من سورة ابراهيم .
(٣) انظر أمالى المرتضى ١ : ١٣٠ حيث أورد القصة والشعر . وأيضا رسالة الغفران ٣٧٨ — ٣٨٠ وترجمته فى الأغانى ٦ : ٩٨ حيث أوردا طرفا من شعره الخبيث

وبه يتبيّن أن ذا بمعنى صاحب ، وكأنه لم يبلغه ما بعده . قال أبو جعفر : سمعت أبا الحسن الأخفش يقول : بلغنى أنّ رجلا صاحَ بسيبوَيهِ من منزله وقال : كيف تنشد هذا البيت ؟ فأنشده إياه مرفوعاً ، فقال الرجل : وإنَّ بَعدَه : والرحل والأقتاب والحِلس ! فتركه سيبويه وصعِد إلى منزله . فقال له : أبِنْ لى علامَ عُطِف ؟ فقال سيبويه : فلِمَ صعِدْتُ الغُرفة ! إنّى فررت من ذلك . اه .

٣٣٠

وكذا حكىٰ ثعلبٌ هذه الحكايةَ فى أماليه فى موضعين(١) وقال : « الصواب جَرّ الضامر » . وكذا حكىٰ أبو علىّ فى المسائل البصريّة وابن جنّى فى الخصائص . وقد صحَّحوا كلام سيبويه بأوُجه :

أحدها : قال السيرافى : هذا من باب :

* عَلفتُها تِبْناً وماءً بارداً(٢) *

وقوله :

يا ليتَ زوجَكِ قد غدا متقلِّداً سَيفاً ورُمحا(٣)

على أن يجعل الثانى على ما يليق به ، ولا يخرج عن مقصد الأوّل : فيكون معنى الضامر : المتغيّر ، والرحل محمول عليه ، كأنه قال : المتغير العنْس والرحل . اه وتبعه على هذا شُرّاح أبيات الكتاب ، وأبو علىّ الفارسىّ فى المسائل القَصْرية ، بالقاف .

ثانيها : قال أبو علىّ فى إيضاح الشعر — وتبعه ابن جنّي فى الخصائص — :

(١) الحق أنه فى الموضع الأول فقط ص ٣٣٣

(٢) سيأتى الكلام عليه فى ص ٤٩٩ بولاق .

(٣) نسب لعبد الله بن الزبعرى فى الكامل ١٨٩ .

القول فى جرّ الرحل : أنه معطوف على مادلّ عليه ما تقدّم ؛ لأن قوله : ياذا الضامر العنس ، يدلّ على أنه صاحب ضامر ، فحمل الرّحل على مادلّ عليه هذا الكلامُ من الصاحب .

ثالثها : قال بعض النحويّين : إن أصله وياصاحب الرحل ، فحذف صاحب لدلالة قوله : يا صاح ، عليه وبقى الجرّ على حاله . قال أبو على : يرِدُ عليه أن كونه صاحبًا للمنادىٰ لايدل على أنه صاحب رحل كما يدل قوله : ياذا الضامر العنس ، على أن له عنسًا .

رابعها : قال ابن الحاجب فى الإيضاح : إن سيبويه استدلّ بانشاد هذا المصراع بانفراده على ماروواه الثقات ممن لم يعلم تتمّته اهـ . وهذا مُصادِمٌ لما نقله ثعلبٌ والنّحاس وغيرهما من تلك الحكاية .

و (صاح) : مرخّم صاحب . و (الضامر) من ضمَر الحيوانُ وغيرُه من باب قعد : دقّ وقلّ لحمه . و (العَنْس) بفتح العين وسكون النون : الناقة الصُلبة الشديدة . و (الرحل) قال فى المصباح : « كل شىء يعدّ للرحيل من وِعاء للمتاع ومَرْكَب للبعير وحِلسٍ ورَسَن . وجمعه أرْحُل ورِحال » . و (الأقتاب) : جمع قتَب بالتحريك ، قال فى الصحاح : هو رَحْل صغير على قدر السَّنام . وروى ابن الشَجَرىّ فى أماليه بدلَه : (والأقتادِ) وقال : هو جمع قتَد وهو خشب الرَحْل . و (الحِلس) بكسر المهملة : كساء يجعل على ظهر البعير تحت رَحْله والجمع أحلاس .

وهذا البيت نسبَه بعضُ شُرَّاح أبيات الكتاب، والزمخشرى فى مفصّله ، لخُزَزِ بنِ لَوذانَ السدَوسىّ . قال الأصبهانىّ فى الأغانى فى ترجمة عُلَيّة بنت المهدىّ العباسىّ : « خُزَز : شاعرٌ يقال إنه قَبْلَ امرئ القيس » .

وخزز ، بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى الأولى ، وهو فى الأصل ذَكر الأرنب . ولَوذان ، بفتح اللام وسكون الواو بعدها ذال معجمة .

و نسبه الأصبَهانى فى الأغانى لخالد بن المهاجر ، وزاد بعده بيتا ورواه هكذا:

(ياصاح ياذا الضامر العنْس والرَّحْل ذى الأنساع والحِلْس

تسرى النهارَ ولستَ تاركه[1] وتَجِدُّ سيراً كلَّما تمسى)

فعلى هذا فالرحل هنا بمعنى برذعة البعير ، والأنساع : جمع نِسعة بكسر النون[2] . قال فى الصحاح : « وهى التى تُنسَج عريضًا للتصدير » . والسير يكون بالنهار وبالليل ، ويكون لازماً كما هنا ومتعديًا ، يقال سرت البعيرَ ، وهو منصوب على الظرفية ، وكذا النهارَ . وتجدّ . من الجدّ فى الأمر بمعنى الاجتهاد فيه ، يقال جدّ يَجِدّ من باب ضرَب وقتل ، والاسم الجِدّ بالكسر . وتُمسى : مضارع أمسى الرجل : إذا دخل فى المساء ، والمساء : خلاف الصباح، قال ابن القُوطيّة : هو ما بين الظُّهر إلى المغرب .

٣٣١

وروى صاحب الأغانى أيضا[3] :

أمَّا النهار فلا تقصّره دَرَكا يزيدُك كلَّما تمسى

وروى أيضا[4] :

---

(١) كذا فى النسختين ، ولا يكون السرى بالنهار ، انما يكون بالليل ، فالصواب رواية أبى الفرج ١٥ : ١٣ : « سير النهار فلست تاركه »

(٢) الحق أنه جمع نسع ، بطرح التاء . أما النسعة فواحدة النسع بالكسر .

(٣) الأغانى ٩ : ٤٩ ـ ٥٠

الأغانى ٩ : ٦٣ .

أمَّا النهــار فأنت تقطعه رَتَكا ، وتصبحُ مثلَ ما تُمسى

والدَّرَك بالتحريك : التَبِعة ، يقال ما لحِقك من دَرَك فعلىَّ خلاصُه ، قال رؤبة :

* ما بعدنا من طلب ولا درك *

وتسكَّن راؤه أيضا . والرَّتك بفتح الراء ، والتاء تفتح وتسكَّن : ضَرب من سير الإبل فيه اهتزاز ومقارَبة الخطو فى رَفَلان ، يقال رتَك يرتِك كضرب يضرب .

خالد بن المهاجر

و(خالد) قال الأصفَهانى : هو ابن المهاجر بن خالد بن الوليدبن المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم[1] . وكان المهاجر والد خالد مع على عليه السلام بصِفِّين ، وكان خالد على رأى أبيه هاشمىَّ المذهب ، ودخل مع بنى هاشم الشِّعب ، فاضطغن ذلك ابنُ الزبير عليه ، فألقىٰ عليه زقَّ خمر وصبَّ بعضه على رأسه ، وشنَّع عليه بأنه وجده ثملاً من الخمر فضربه الحدّ . وكان عمُّه عبدُ الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية فى صِفِّين ، ولهذا كان خالد بن المهاجر أسْوأَ الناسِ رأيا فى عمِّه . ثم إنَّ معاوية لما أراد أن يُظهر العهدَ ليزيد قال لأهل الشام : إنِّى قد كبِرَت سِنِّى ، ورقَّ جلدى ودقَّ عظْمى ، واقتربَ أجلى ؛ وأريد أن استخلفَ عليكم ، فمنْ تَرون ؟ فقالوا : عبدَ الرحمن بنَ خالد . فسكت وأضمرها ، ودسَّ إلى ابن أُثال الطبيب ، فسقاه سمًّا فمات ، وبلغ ابنَ أخيه خالدَ بنَ المهاجر خبرُه ، وهو بمكة ، فقال له عروة بن الزبير : أتدع ابن أثال يُفنى[2] أوصال

---

(١) ط فى النسختين : « عمرو بن مخزوم » ، وهو خطأ يكثر وروده ، والصواب « عمر بن مخزوم » . انظر الجمهرة ١٤٢ ونسب قريش ٤٩٩

(٢) فى النسختين : « أبقى » وفى طبقات الأطباء ١ : ١١٧ ، ١١٨ « نقى » ، صوابهما من الأغانى ١٥ : ١٣

عمِّك بالشام وأنت بمكة مسبلٌ إزارك . تجرُّه وتخطِر فيه متخايلا ؟ ! فحمِيَ خالد ، ودعا مولًى له يدعىٰ نافعاً ، فأعلمه الخبر وقال له . لابدّ من قتل ابن أثال ! فخرجا حتى قدِما دمشق ، وكان ابن أثال يُمسى عند معاوية ، فجلس له فى مسجد دمشق إلى أسطُوَانة ، وجلس غلامه إلى أخرىٰ . . فلما حاذاه وثب إليه خالد فقتله ، وثار إليه مَن كان معه ، فحملا عليهم فتفرّقوا حتى دخل خالد و نافع زُقاقاً ضيِّقا ففاتا القوم . وبلغ معاويةَ الخبرُ فقال . هذا خالد بن المهاجر ! اقلبوا الزُّقاق الذى دخل فيه . . فأُتىَ به . فقال له معاويه : لا جزاك الله مِنْ زائرٍ خيراً ! قتلتَ طبيبي ! فقال خالد : قتلتُ المأمورَ ، وبقى الآمر فقال : عليك لعنة الله ! واللهِ لو كان تشهَّدَ مرّةً واحدة لقتلتك به ! أمعَكَ نافع ؟ قال . لا . قال : بلىٰ ، واللهِ ما اجترأتَ إلاّ به . ثم أمر بطلَبه فأُتى به فضربه مائة سوط ، وحبَس خالداً ، وألزم بنى مخزوم دِيةَ ابن أثال اثنى عشرَ ألف درهمٍ(1) .وقال خالد فى الحبس :

إمّا خُطـاىَ تقارَبت(2) ... مشىَ المقيَّد فى الحصـارِ
فَبِمـا أمشىَ فى الأبا ... طحِ يَقتفى أثَرى إزارى
دعْ ذا ، ولـكن هلْ ترىٰ ... ناراً تُشَبُّ بذى مرارِ(3)
ما إن تُشَبُّ لِقِـرَّةٍ ... للمصطلين ولا قُتـارِ(4)

(1) بعده فى الأغانى : « أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم ، وأخذ ستة آلاف درهم ، ولم يزل ذلك يجرى فى دية المعاهد حتى ولى عمر بن عبد العزيز ، فأبطل الذى كان يأخذه السلطان لنفسه ، وأثبت الذى يدخل بيت المال » .

(2) فى الأصل : « اما خطاى فقاربت » ، والوجه ما أثبت من الأغانى . وجواب « ان » فى البيت بعده : « فبما أمشى » .

(3) ط والأغانى : « بذى مزار » ، وأثبت ما فى ش وطبقات الأطباء .

(4) الأغانى : « بالمصطلين » .

ما بالُ ليلك ليس يَنـــقُص طولَه طولُ النهـارِ
لتقــاصر الأزمانِ أم غَرِضَ الأسيرُ من الإسارِ(١)

ولما بلغت معاويةَ هذه الأبياتُ رقّ له وأطلقه . فرجع إلى مكة ؛ ولمّا لَقِى عُروةَ بن الزُبير قال : أمّا ابن أثال فقد قتلتَه ، وذاك ابن جُرْمُوز يُفنى(٢) أوصال الزُّبير بالبَصرة فاقتله إن كنت ثائرا !(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد س(٤) :

١٢١ (جاريةٌ مِنْ قَيسٍ آبنِ ثَعْلَبَهْ)

على أن تنوين (قيْسٍ) شاذّ ، لأن « ابن » وقع بين علمين مستجمِعَ الشروط ، فكان القياس حذفَ تنوين قيْس ، إلاّ أنّه نوّنه لضرورة الشعر .

قال ابن جنّي فى سرّ الصناعة : «من نوّنه لزِمَهُ إثباتُ الألف فى ابن خطًّا» .

وقال ابن الحاجب فى الإيضاح : « وزعم قوم أن ابن ثعلبة بدلٌ ، وقصده أن يخرجه عن الشذوذ ؛ وهو بعيد ، لأن المعنى على الوصف ، وأيضا : فإن خرج عن الشذوذ باعتبار التنوين لم يخرج باعتبار استعمال ابن بدلا » اهـ

(١) غرض : مل . وفى الأغانى :
أتقــاصر الأيـــام أم عرض الأسير من الإسـار

(٢) فى النسختين : « أبقى » ، صوابه من الأغانى

(٣) تمام الخبر فى الأغانى : « فشكاه عروة الى بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، فاقسم عليه أن يمسك عنه ، ففعل » .

(٤) سيبويه ٢ : ١٤٨ . وانظر ابن الشجرى ١ : ٣٨٢ والخصائص ٢ : ٤٩١ والهمع ١ : ١٧٦ وابن يعيش ٢ : ٦ .

ومن أولئك القوم ابنُ جنّي ، قال فى سرّ الصناعة : إلى هذا رأيتُ جميعَ أصحابنا يذهبون . والذى أرى أنّ الشاعر لم يُرد أن يُجرىَ ابناً وصفاً على ما قبله ؛ ولو أراد لحذفَ التنوين ؛ ولكنْ أراد أن يَجرى ابناً بدلاً ممّا قبله ، وحينئذ لم يُجعَل معه كالشىء الواحد ، فوجب أن يُنوىٰ انفصالُ ابنٍ مما قبله ، ووجب أن يُبتدأ ، فاحتاج إذاً إلى الألف لئلاّ يلزم الابتداء بالساكن. وعلى ذلك تقول : كلمت زيداً ابنَ بكر ، كأنك قلت : كلمت ابنَ بكر ، فكأنك قلت : كلمت زيداً كلمْت ابن بكر ؛ لأن ذلك شرط البدل ، إذِ المبدَل فى التقدير من جملة ثانية .

وهذا البيت مطلع أرْجوزة للأغلَب العِجْلىّ . وبعده :

(كريمةٌ أخوالها والعَصَبَهْ قَبّاء ذاتُ سُرة مقَعَّبَهْ

كأنّها حُقّةُ مِسكٍ مُذْهَبَهْ ممكورةُ الأعلىٰ رَدَاح الجَجَبَهْ

كأنّها حِليَة سَيفٍ مُذْهَبَهْ أهوىٰ لها شيخٌ شديدُ العصبَهْ

خاظى البَضيعِ أيره كالخشَبَهْ فضَرَبتْ بالوَدِّ فوق الأرنَبهْ

ثم انثنتْ به فُويقَ الرقبَهْ فأعلنتْ بصوتها : أنْ يا أبهْ)

(كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعْجَبَهْ)

وأراد بجارية : امرأةً من العرب اسمُها كلبة ، كان بينهما مهاجاة ؛ ومن قولها فيه :

ناكَ أبو كلْبة أمّ الأغلبْ فهى على جُردَانه توثّبْ

توثُّبَ الكلْب لِحسِّ الأرنبْ

و (جارية) خبر مبتدإ محذوف أى هذه جارية . و (من قيس) صفة لها . وقيس بن ثعلبة : قبيلة .

وهذا البيت من شواهد مغنى اللبيب أيضا ، ولم يورده السيوطى فى شرحها .

٢٢٣ والقبّاء : الضامرة البطن ، مؤنث الأقبّ . من القَبَب وهو دقة الخصر .
والمقعَّبة : السُّرَّة التى دخلت فى البطن وعلاَ ما حولها حتى صار كالقعب ، وهو
القدَح المقعَّر من الخشب . وضمير كأنها للسرّة . والممكورة : المطويّة الخَلْق .
وأراد بالأعلَى : البطنَ والخصر . والرَّداح بفتح الراء : المرأة الثقيلة الأوراك .
والحَجَبة بفتح الحاء المهملة والجيم : رأس الوَرِك .وضمير كأنها للجارية. وحِلية
السَّيف : زينته . ومُذهَبة صفة حلية ؛ وروى الزمخشرىّ فى مستقصى الأمثال :

(كأنها خِلّة سيفٍ مُذهَبه)

بكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام ، قال فى الصحاح : « الخِلّة بالكسر :
واحدة خِلَل السيوف ، وهى بطائنُ كانت تغشَّى بها أجفان السيوف منقوشةٌ
بالذهب وغيره » . وأهوىْ بالشىء : إذا أومأ إليه ، وأهوىْ إلى الشىء بيده :
مدّها ليأخذه إذا كان عن قرب ، فإن كان عن بعد قيل : هوىْ إليه ،
بلا ألفٍ . والخاظى بمعجمتين : المكتنز والمتداخل . والبَضيع : اللحم .
والأير : آلة الرجل ؛ وروى الزمخشرى فى المستقصى (عَرْدُهُ كالخشَبه) ،
والعَرد بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الشىء الصلْب ، وأراد به الأير .
والوَدّ : الوتِد . والأرنبة : طرف الأنف . وأن مفسرة ؛ وروى الزمخشرى :

(وصرَخَتْ منهُ وقالتْ يا أبَهْ)

وقوله : كل فتاة . . الخ ، هو من إرسال المثل ، وليس من كلامها ؛ قال
الزمخشرىّ : هو مثل يُضرب فى إعجاب الرجل برهطه وإن كان غير أهل
لذلك[1] .

(١) المثل للعجماء بنت علقمة السعدية ، كما فى الميدانى ٢ : ٧٢
والفاخر ٢٥٣ .

الأغلب العجلى

و (الأغلَبُ العِجْلىّ) قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو الأغلب ابن عمرو[١] بن عُبيدة (بالتصغير) ابن حارثة بن دُلَف بن جُشَم بن قيْس ابن سعْد بن عِجْل بن لُجَيم (بالتصغير) بن الصَّعْب بن علىّ بن بكر بن وائل . وهو أرجَز الرُّجّاز . وأرصنهُم كلاما وأصحُّهم معانىَ . وهو القائل :

الحِلْمُ بَعْدَ الجهلِ قد يثوبُ[٢] وفى الزمانِ عجبٌ عجيبُ
وعِبرةٌ ، لو ينفع التجريبُ واللبُّ لا يَشقىٰ به اللبيبُ
والمرء مُحصًى سَعيُه مرقوبُ يَهرَمُ أو تعتــاقه شَعُوبُ

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء : كان الأغلبُ جاهليًّا إسلاميًّا ، وقُتل بنَهاوَند . وهو أوّل من أطال الرجزَ ، وكان الرجلُ قبلَه يقول البيت والبيتين إذا فاخَر أو شاتَم . وقد ذكره العجاج بقوله :

إنّى أنا الأغلبُ أضحىٰ قد نُشِرْ . . اهـ

وعدّه ابن الأثير فى « أسْد الغابة » من الصحابة .

قال ابن حجر فى الإصابة : « قال ابن قتيبة : أدرك الإسلامَ فأسلم وهاجر ، ثم كان ممن سار إلى العراق مع سعْد ، فنزل الكوفة واستُشهِد فى وقْعةِ نَهاوَند . وقد استدركه ابن الأثير . قلتُ : ليس فى قوله : وهاجر ، ما يدلّ على أنه هاجر إلى النبي ﷺ : فيحتمل أنه أراد : هاجر إلى المدينة بعد موته ﷺ . ولهذا لم يذكره أحد من الصحابة[٣] .

(١) وكذا فى المؤتلف ٢٢ . وفى الاصابة وأسد الغابة والشعراء ٥٩٥ والسمط ٨٠١ والأغانى ١٨ : ١٦٤ : « الأغلب بن جشم بن عمرو » .
(٢) فى المؤتلف : « قد ينوب » ، بالنون
(٣) أى من جملة الصحابة . وفى الاصابة : « من الصحابة » .

وقد قال المرزُبانيّ في معجمه : هو مخضرَم » اهـ . ولم يذكر ابنُ قتيبة هجرته كما نقلنا ، ولعلّه نقله من كتابٍ آخر . والله أعلم .

وقال أبو عُبيد البكريّ في شرح نوادر القالي : الأغلب العجليّ آخرُ من عمّر في الجاهلية عُمراً طويلا ، وأدرك الإسلام فحُسن إسلامُه ، وهاجر ، واستُشهِد في وقعة نهاوَند .

الأغالبة

قال الآمديّ : مَن يُقال له (الأغلبُ) من الشعراء ثلاثة : أحدهم هذا .

٣٣٤

والثاني : الأغلب الكلبيّ ؟ ولم أجدْ له في أشعار كلب شعراً ، وأظنّ شعرَه دَرس فلم يُدرَك .

والثالث : الأغلب بن نباتة الأزديّ ثم الدّوسيّ ، أنشد له بُندار شعراً في معاني الشعر ، ولم أرَ له ذكراً في أشعار الأزْد ، وأظنّه إسلاميا متأخراً اهـ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد المائة[1] :

١٢٢ (طلَبَ المعقِّبِ حَقَّهُ المظلومُ)

على أن فاعل المصدر ــ وإن كان مجروراً بإضافة المصدر إليه ــ محله الرفع فالمعقِّب فاعل المصدر ، وقد جُرّ بإضافته إليه ، ومحله الرفع بدليل رفع وصْفِه وهو المظلوم .

وهذا عجز ؛ وصدره :

(حتّي تهَجّرَ في الرواح وهاجَها)

(١) العيني ٣ : ٣١٥ والانصاف ٣٣٢ ، ٣٣١ وابن يعيش ٢ : ٢٤ ، ٦/٤٦ : ٦٦ والهمع ٢ : ١٤٥ وديوان لبيد ١٢٨ .

وهو من قصيدة للبيد بن رَبيعة الصحابيّ . وصفَ به مع أبيات حماراً ، وأتانهُ ، شبّه به ناقته . وقبله :

(لَوْلا تُسَلِّيكَ اللُّبانةَ حُرَّةٌ   حَرَجٌ كأحناءِ الغَبيطِ عَقيمُ) قصيدة الشاهد

لولا هنا تحضيضية. والتسلية : إزالة الهم ؛ وضمّنه معنى النسيان . واللُّبانة : الحاجة . والحرَج ، بفتح الحاء والراء المهملتين والثالثُ جيم : الناقة الضامرة . والغَبيط ، بفتح الغين المعجمة : الرَّحل ؛ وهو للنساء يُشدّ عليه الهَودَج . وأحناؤه : عِيدانه ، فى الصحاح : « الحِنو بالكسر : واحد أحناءِ السَّرْج والقَتَب . وحِنو كل شىء أيضا : اعوجاجه » . والعقيم : التى لا تلد ؛ يريد : أنها قويّة صُلبة لم يصبْها ما يوهنُها من فقد أولادها وغير ذلك .

(حَرْفٌ أضرَّ بِها السِّفار ، كأنّها   بعد الكلال مُسَدَّم محجومُ)

الحرف : الناقة الشديدة . وأضرّ ، بالضاد المعجمة ، بمعنى لصق ودنا دنوًّا شديداً ؛ يقال أضرّ بفلان كذا : أى لصق به ودنا منه . والسِّفَار : فاعل أضرّ ؛ وهو مصدر سافر يسافر مسافرة وسفاراً . والكَلال : مصدر كَلّ من المشى : إذا أعيا . والمسدَّم : اسم مفعول ، يقال فحل مسدَّم . إذا جعل على فمه الكِمام بالكسر ، وهو شىء يجعل فى فم البعير ، يقال كَمَمتُ البعيرَ : إذا شددت به فمه فى هياجه ، فهو مكموم . والسَّدِم ، بكسر الدال : الفحل الهائج المشتهى الضِراب . والمحجوم : مِن حجمت البعير أحجمُه : إذا جعلتَ على فمه حِجَاما ، وذلك إذا هاج للضراب ؛ والحِجام بتقديم المهملة المكسورة على الجيم : شىء يجعل فى مقدَّم أنف البعير كى لا يعَضّ عند هيجانه .

(أو مِسْحَلٌ شَنِجٌ عِضادةَ سمْحَجٍ   بِسَراته نَدَبٌ لها وكُلومُ)

المِسحل ، بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين : الحمار الوحشىّ ؛

وصف ناقته بأبلغ ما يمكن من النشاط والقوّة على السير ؛ وذلك أنه شبهها بعد أن كلّت وأعيت بالفحل الهائج أو بالحمار الوحشى ، وهما ما هما فى القوّة والجلَد ! فما ظنّك بهذه الناقة قبل الإعياء ؟ ! وشَنْج بفتح المعجمة وسكون النون من الشنج ، وهو فى الأصل التقبّض ؛ وأراد به هنا المُلازم . والعِضادة بالكسر : الجنب . والسَّمْحج ، بفتح السين وسكون الميم وآخره جيم قبلها مهملة : الأتان الطويلة على الأرض . والسَّراة ، بفتح المهملة : الظَّهر . والنَّدَب ، بفتح النون والدال أثر الجرح . والكُلُوم : الجراحات ، جمع كلم بالفتح (وهذا البيت من شواهد سيبويه[1] : أورده على أن عضادة ، منصوب بشَنْج نصبَ المفعولِ به) يقول : إنه ملازم لأتانه ، ولشدّته وصلابته قد لازمَها وقبضَ الناحيةَ التى بينها وبينه ، ولم يحجزه عن ذلك رَمحُها وعضُّها ، اللذان بظهره منها نَدَب وكُلوم .

٣٣٥

ثم أخذ يصفه مع أتانه : بأنهما كانا فى خِصب زمانا ، حتّى إذا هاج النبات ونضَب الماء أسرع معها إلى كُلِّ نجدٍ ، يريدانِ أطيب الكلأ وأهنأ المرعى . . إلى أن قال :

(يُوفى ويَرتقِبُ النِّجادَ كأنّه ذو إربةٍ كلَّ المَرَام يَرومُ
حتّى تهجَّر فى الرواح وهاجَها « طلبَ المعقِّب حقَّه المظلومُ »
قَرَباً يشُجُّ بها الحُزونَ عشيّةً[2] رَبِذٌ كَقِلاءِ الوليدِ شَتيمُ)

يُوفى : يشرف ؛ وفاعله ضمير مِسحل . والنِّجاد : جمع نجد ، وهو المرتفع من الأرض ؛ أى يشرف على الأماكن المرتفعة كالرقيب ، وهو الرجل الذى

---

(١) سيبويه ١ : ٥٨ وابن يعيش ٦ : ٧٢ . ولم يرد فى شواهد الرضى

(٢) ط : « يشج به » ، صوابه فى ش والديوان .

يكون رَبيئة القوم يرتفع على مكان عالٍ[١] متجسِّساً . والإربة ، بالكسر : الحاجة . وكلٌّ : مفعول مقدم ليروم .

والتهجّر : السير فى الهاجرة ، وهى نصف النهار ، عند اشتداد الحر . وحتى بمعنى إلى . والرَّواح : اسمٌ للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، وهو نقيض الغدوِّ لا الصباح ، خلافا للجوهرى . وهاجها : أزعجها . وطلبَ : مصدرٌ تشبيهىّ أى هاج هذا المِسحل أتناه لطلب الماء طلباً حثيثا كطلب المعقِّب ، وهو اسم فاعل من التعقيب ، وهو الذى يطلب حقّه مرّةً بعد مرّة . واستشهد به صاحب الكشّاف عند قوله تعالى : ﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ[٢]﴾ على أن المعقِّب : المقتضِى الذى يطلب الدَّين من الغريم ؛ يقال عقّبَ فى الأمر : إذا تردّد فى طلبه مجدّا .

والقرَب ، محرّكة : سير الليل لورد الغد ، وهو منصوب بيشجّ : أى يقطع ، يقال شجَجْتُ المفازة : إذا قطعتَها ، والباء بمعنى مع . والحُزون : جمع حَزن بالفتح ، وهو ما غلُظ من الأرض . ورَبِذ : أى هو ربذ بفتح الراء وكسر الموحدة وبالذال المعجمة، وهو السريع الخفيف القوائم فى المشى . والمِقلاء ، بالكسر والمد كمِفْعال ، والقُلَة بالضم والتخفيف : هما عودان يلعب بهما الصِبيان ، والأوّل يضرَب به والثانى ينصب ليضرب ؛ يقال قلوت القُلَة بالمِقلاء أقلو قَلْواً . أى أنه يسوقها كما أن المِقلاء يسوق القُلَة . والشَّتِيم : الكريه الوجه يُشتَم لعنفه وغِلْظته ؛ وهو صفة رَبِذ .

وقوله : (طلبَ المعقِّب حقّه) يجوز أن يكون حقّه مفعولَ المصدر ،

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط

(٢) الآية ٤١ من سورة الرعد .

وهو الطلب ، ويكونَ مفعولُ المعقِّب محذوفاً ؛ وأن يكونَ مفعولَ المعقِّب ، لأنّه بمعنى الطالب والمقتضِي ، ويكونَ مفعولُ المصدر محذوفاً : على التنازع . وإلى هذا جنح الفارسيّ وقال : فلو قدّم المظلوم على حقّه لم يجزْ ، لأنّك لاتصف الموصول ، وهو أل هنا ، حتّى يتمّ بصِلته ، وصلتُه لم تتمّ بعد ، لأن حقّه من صلة المعقِّب ومن تمامه .

وتوجيه هذا الشاهد على ما ذكره الشارح المحقّق هو المشهور والمتداوَل بين الناس ، وهو ليعقوب بن السكِّيت . وقال أبو حيّان فى تذكِرته : أنشده الفرّاء وهشام . (وهاجَه) بتذكير الضمير ، على أنه عائد على الحار ؛ وقال : الطلب عندهما فى هذه الرواية مرفوع . وفى البيت تخاريج أخر .

(ثانيها) لأبى حاتم السجستانىّ قال : المظلوم جارٍ على الضمير الذى فى المعقِّب : يريد أنه بدلُ كلٍّ من الضمير لتساويهما فى المعنى . وقال العينىّ : « هو بدل اشتمال من الضمير » . وفيه أنّ بدل الاشتمال لا بدّ له من ضمير .

٣٣٦

(ثالثها) لأبى على الفارسىّ فى المسائل البَصْرية والقصْرية : وهو أن يكون المظلوم فاعلَ المصدر ويكونَ المصدرُ مضافاً لمفعوله ؛ والمعقِّب حينئذ معناه الماطل ، يقال عقّبنى حقّى أى مطلَني . وعلى هذا فحقّه مفعول المعقِّب لاغير ، وحينئذ لا يجوز تقديم المظلوم عليه لما تقدّم . وكأنه قال : طلبَ المظلومِ الماطلَ حقَّه ، فتكون الهاء راجعة إلى المظلوم على نحو : ضرب غلامَه زيدٌ ، لأنها متّصلة بالمفعول ؛ أى طلبَ المدينِ للماطلَ حقَّه أى حقّ المدين فإن الحقّ له لا للمستدين . وقد يجوز أن تكون راجعة للمستدين ، يريد حقّه أى الذى يجب عليه الخروج منه ، وكذلك قوله تعالى (ولِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ

دِينَهُمْ(١)) فأضاف الدّين إليهم لِما كان واجباً عليهم الأخذُ به وإن لم يكونوا متدينِّين به . وكذلك قولُه تعالى : (زَيَّنا لِكلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهم(٢)) أى العملَ الذى أُمروا به ونُدِبوا إليه وشُرع لهم . . قال : وعلى هذا يحتمل أن تكون راجعة إلى المعقِّب بأسره ، وأن تكون راجعة إلى أل ، على قول أبى بكر ، وأن تكون راجعة إلى الذى دلّت عليه أل على قول أبى عثمان . . ونسب أبو حيّان فى تذكِرته قولَ الفارسىّ إلى جماعة من قدماء اللغويِّين ، وقال : تلخيصه : وهاج الحمار الأتان هيجاناً مِثلَ طلبِ المعقِّب حقَّه . وقالوا : موضعُ المعقِّب نصْبٌ بالطلب ، وناصبُ الحقِّ المعقِّبُ ، وفاعلُ الطلب المظلومُ . وتفسير يعقِّب حقَّه يطلبه مرّة بعد أخرى ا هـ . ولا يخفى أنّ هذا تخليط بين القولين .

(رابعها) لابن جنّى فى المحتسب : أنّ المظلومُ فاعل حقَّه . قال فى سورة النحل فى توجيه قراءة ابن سِيرينَ : (وإن عَقَّبْتُمْ فعقِّبوا(٣)) . أى إن تتبّعتم فتَتَبَّعُوا بقدر الحقِّ الذى لكم ، ولا تزيدوا عليه ، قال لَبيد :

حتى تَهَجّرَ فى الرواح وهاجَهُ طلبَ المعقب . . . . . . إلخ

أى هاجه طلباً مثلَ طلبِ المعقِّب حقَّه المظلوم ، أى عازَّه(٤) ومنعه المظلوم ، فحقَّه على هذا فعل حقه يحُقُّه أى لواه حقَّه . ويجوز طلبَ المعقب حقَّه ، فتنصب حقَّه بنفس الطلب مع نصب طلب ، كما تنصبه مع رفعه ، والمظلوم صفة المعقب على معناه دون لفظه ، أى أن طلب المعقب المظلوم حقه فى الموضعين جميعاً .

---

(١) الآية ١٣٧ من سورة الأنعام .
(٢) الآية ١٠٨ من سورة الأنعام .
(٣) الآية ١٢٦ من سورة النحل .
(٤) عازه معازة : غالبه . ط : « عاذه » صوابه فى ش.

هذا كلامه . وعليه فينظر : ما فاعل حقَّه مع نصب طلب ؟ وأما مع رفعه فهو فاعل هاجه . وينظر أيضاً : ما موضع جملة حقَّه المظلومُ من الاعراب . على أنّ حقّه بمعنى لواه حقَّه لم أجده فى كتب اللغة . وقوله : « كما تنصبه » أى تنصب الحقّ . وقوله : « مع رفعه » أى مع رفع الطلب . وقوله « فى الموضعين جميعاً » أى فى نصب الطلب ورفعه . وبالجملة كلامه هنا خلافُ كلامِ الناس ، وفيه تعقيد لا يظهر معه المراد . فليُتأمّل .

وقال ابن برِّىّ فى شرح أبيات الإيضاح لأبى علىّ . قوله : وهاجه ، أى أثاره يعنى العَير ، والفاعل التهجُّر أو الطلب ، والتقدير : هاجه مثل طلب المعقِّب فحذف المضاف ؛ ويروى « هاجَها » أى هاج العيرُ الأتان ، وطلبَ منصوب على المصدر بما دلّ عليه المعنى ، أى طلبَ الماء كطلب المعقِّب ؛ وإن شئتَ جعلته مفعولا من أجله ، أى هاجها للطلب ، وحقَّه مفعول بالمصدر ، والمعقِّب فاعلٌ أضيف إليه المصدر ، وهو الذى يتبع عقب الإنسان فى طلب حقّ أو نحوه ، والمظلومُ نعت للمعقّب على الموضع . وقال يعقوب : المعقِّب : الماطل ، عقَّبنى حقى أى مطَلنى . فعلى هذا يكون المعقِّب مفعولا والمظلوم فاعلا . وقيل : المظلوم بدل من الضمير فى المعقب اه كلامه .

٢٣٧

لبيد بن ربيعة

و (لَبيد) هو ابن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كِلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعْصعَة الصحابىّ رضى الله عنه . قَدِم على النبى صلى الله عليه وسلم ، سنةَ وفدَ قومُه بنو جعفر بن كلاب ، فأسلم وحسُن إسلامه . وكان لبيد وعَلقمة ابن عُلاثة العامريَّانِ من المؤلَّفة قلوبهم ؛ وهو معدود فى فحول الشعراء المجوِّدين ، كذا فى الاستيعاب .

وقال ابنُ قتيبة فى كتاب الشعراء : كنيته أبو عقيل . وكان من شعراء

الجاهليّة وفُرسانهم . وكان الحارث الغسّانيّ ، وهو الأعرج ، وجّه إلى المنذر ابن ماء السماء مائة فارسٍ وأمَّره عليهم ؛ فساروا إلى عسكر المنذِر وأظهروا أنهم أتوه داخلين عليه فى طاعته ، فلما تمكّنوا منه قتلوه وركبوا خيلهم فقُتِل أكثرهم ونجا لَبيد ، فأتىٰ ملكَ غسّان فأخبره ، فحملَ الغسّانيون على عسكر المنذِر فهزموهم — فهو يوم حَليمة . وحليمة : بنْتُ ملك غسّان ؛ وكانت طيَّبتْ هؤلاء الفِتيان وألبستهم الأكفان . ولما أسلم مع قومه رجع قومه إلى بلادهم ، وقَدِم هو الكوفةَ ؛ فأقام بها إلى أن مات ؛ فدفن فى صحراء بنى جعفر بن كلاب . ويقال : إن وفاته كانت فى أوّل مدّة معاوية رضى الله عنه ومات وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة . انتهى .

وقال فى الاستيعاب : قد قيل : إنه مات بالكوفة أيام الوليد بن عُقبة فى خلافة عثمان وهو أصحّ . فبعث الوليد إلى منزله عشرين جَزُوراً فنُحِرَتْ عنه .

ثم قال ابن قتيبة : ولم يقل شعراً فى الإسلام إلاّ بيتاً واحداً ، قال أبو اليقظان وهو قوله :

الحمدُ لله ، إذ لم يأتنى أجلى   حتّى كسانى من الإسلام سِرْبالا !

وقال غيره : بل هو قوله :

ما عاتَبَ المرءَ الكريمَ كنفْسِهِ   والمرء يُصْلِحُهُ الجليسُ الصالحُ

وكتب عمر بنُ الخطاب إلى عامله المغيرة بن شعبة بالكوفة : أن استنشِدْ مَنْ عندك مِن شعراء مِضْرك ما قالوه فى الإسلام . فأرسل إلى الأغلب العِجْلىّ أن أنشدنى ، فقال :

لقدْ طَلبتَ هيِّناً موجودا   أرجَزاً تريدُ أم قَصيدا

ثم أرسل إلى لبيد : أن أنشِدْنى ، فقال : إن شئت ما عُفى عنه (يعنى الجاهلية) قال : لا ، ما قلتَ فى الإسلام . فانطلق إلى بيته فكتب سُورةَ البقرة فى صحيفة ثم أتى بها فقال : أبدلنى اللهُ هذه فى الإسلام مكانَ الشعر . فكتب بذلك المغيرة إلى عمر ، فنقصَ من عطاء الأغلب خمسمائة ، وزادها فى عطاء لبيد ، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة . فكتب الأغلب إلى عمر : يا أمير المؤمنين تنقصُ عطائى أنْ أطعْتُك ! فردَّ عليه خمسمائة وأقرَّ لبيداً على الألفين والخمسمائة فلما كان زمنُ معاويةَ رضى الله عنه وأراد أن يجعل عطايا الناس ألفين قال له : هذان الفَوْدان فما هذه العِلاوة [1] ! فقال له لَبيد : أموتُ ويبقى لك الفَوْدانِ والعِلاوة ، وإنما أنا هامةُ اليوم أو غد ! فرقَّ له وترَك عطاءه على حاله . فمات بعد ذلك بيسير ولم يقبِضها .

وفى الاستيعاب : ذكر المبرِّدُ وغيره : أن لبيداً كان شريفاً فى الجاهلية والإسلام ، وكان نذر أن لا تهُبَّ الصبَا إلاَّ نحَرَ وأطعم ، وأنَّ الصبا هبَّتْ يوماً ، وهو بالكوفة مقْتِر مُملِق ، فعلم بذلك الوليدُ بن عقبة بن أبى مُعَيْط — وكان أميراً عليها لعثمان — فخطب الناسَ فقال : إنكم قد عرفتم نذر أبى عَقيل ، وما وكّد على نفسه ، فأعينوا أخاكم . ثم نزل ، فبعث إليه بمائة ناقة وبعث الناسُ إليه ، فقضىْ نذره — وفى خبر غيرِ المبرّد : فاجتمعتْ عنده ألفُ راحلة — وكتب إليه الوليدُ :

أرَى الجزّارَ يَشحذ شَفرتَيه ... إذا هبّتْ رياحُ أبى عَقيلِ
أغرُّ الوجه أبيضُ عامرىٌّ ... طويلُ الباع كالسَّيف الصَّقيلِ

[1] فى الشعراء ٢٣٣ : « فما بال العلاوة ؟ » وبعده : « يعنى بالفودين الألفين ، وبالعلاوة الخمسمائة ، وأراد أن يحطه اياها » . وأصل الفود : العدل من أعدال البعير . أما العلاوة فما يكون بين العدلين من خشبته ونحوها .

وَفى ابنُ الجعفرىّ بحلفَتيهِ(١) على العِلاّتِ والمالِ القليل
بِنَحْرِ الكُومِ إذ سُحبت عليه ذيول صَباً تجاوَبُ بالأصيلِ

فقال لَبيد لابنته(٢) : أجيبيه ، فقد رأيتنى وما أعيا بجواب شاعر ! فأنشأتْ تقول :

إذا هبّتْ رياحُ أبى عقيلٍ دَعونا عند هَبّتها الوَليدا
أشمَّ الأنف أصيدَ عَبشَمِيا أعان على مُروءته لَبيدا
بأمثال الهِضاب ، كأنّ رَكبا عليها من بَنى حامٍ قُعودا
أبا وهبٍ ، جزاك الله خيراً نَحرْناها وأطعَمْنا الثريدا(٣)
فعُدْ ، إنّ الكريم له مَعاد وظَنّي بابنِ أروىَ أن يَعُودا(٤)

فقال لها لبيد : قد أحسنتِ لولا أنك استزدْتِه ! فقالت : والله ما استزدْته إلاّ لأنّه مَلِك ، ولو كان سُوقة لم أفعَل .

وقالت عائشة رضى الله عنها : رحم الله لبيداً حيث يقول :

ذهبَ الذين يُعاشُ فى أكنافهمْ وبَقِيتُ فى خَلْفٍ كجلد الأجرَبِ
لا ينفَعونَ ولا يُرَجّىَ خيرُهم ويُعابُ قائلُهم وإن لم يشغَبِ

قلت : فكيف لو أدرك زمانَنا ! انتهى . . والخلف بسكون اللام :

---

(١) كذا فى الاستيعاب ١٣٣٦ والشعراء . وفى أمالى ابن الشجرى : « بما عليه » وفى الكامل ٤٦٦ : « بما لديه »

(٢) فى الاستيعاب : « فلما أتاه الشعر وكان قد ترك قول الشعر قال لابنته » .

(٣) ط : « الوليدا » صوابه فى ش والمراجع السابقة وفى الكامل .

(٤) الكامل ٤٦٧ : «فعِيدانُ الكريم له معاد» والاستيعاب والشعراء . « يا ابنى أروى » لكن فى الشعراء « أن تعودا » ، وأثبت ما فى ش والكامل . وأروى أم الوليد ، وهى أروى بنت كريز

النسل الطالح ؛ وبفتح اللام : النسل الصالح . والشَّغْب : تحريك الشَّرّ والفِتنة[١] .

ثم قال ابن قتيبة : و (مُلاعِبُ الأسنّة) عمُّ لَبيد . وهو عامر بن مالك . وسُمِّى مُلاعِب الأسنّة بقول أوس بن حَجَر :

ولاعبَ أطرافَ الأسِنَّةِ عامرٌ فراحَ له حظُّ الكتيبةِ أجمعُ

وكان مُلاعِبُ الأسِنّة أخذ أربعينَ مِرْباعاً فى الجاهلية .

و (أرْبَد بن قيس) الذى أتى رسول الله ﷺ غادراً مع عامر بن الطفيل هو أخو لبيد لأمّه ؛ فدعا اللهَ عليهما ، فمات عامر بالطاعون ونزلتْ صاعقة على أرْبَدَ فأحرقته . ويقال : فيه نزلت : (ويُرسِلُ الصواعِقَ فيُصِيبُ بها مَن يشاء[٢]) . ورثاه لبيد بأشعار كثيرة . انتهى

وروى أبو حاتم السجسْتانىّ فى كتاب المعمَّرين[٣] ، بسندَه إلى الشعبىّ قال : أرسل إلىَّ عبدُ الملك بنُ مروان ، وهو شاكٍ ، فدخلتُ عليه فقلت : كيف أصبحتَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت كما قال ابن قَمِيئة الشاعر :

كأنّى وقد جاوزتُ تِسعينَ حِجَّة خلعتُ بها عنّي عِذار لجامِي

رمَتْنى بناتُ الدهرِ من حيثُ لا أرى فكيفَ بمن يُرمى وليس برامِ

فلو أنّها نَبْلٌ ، إذاً لاتقيتُها ولكنّني أُرمىٰ بغير سِهام

إذا ما رآنى الناسُ قالوا : ألم تكنْ جليداً شديدَ البطْش غير كَهام

فَنيتُ ولم يفنَ من الدهر ليلة ولم يُغنِ ما أفنيت سلك نظام[٤]

(١) ط : « والشغب ، بالتحريك : تهييج الشر » وفى ش : والشغب تحريك الفتنة » ، وقد جمعت الصواب منهما . وفى اللسان : « الشغب ، بسكون الغين : تهييج الشر والفتنة »
(٢) الآية ١٣ من سورة الرعد
(٣) المعمرين ٦١ ، ٨٩
(٤) وكذا فى المعمرين ٦١ لكن فى المعمرين ٨٩ : « فأفنى وما أفنى=

على الراحتين مَرَّةً ، وعلى العصا أنوء ثلاثاً بعدهنّ قيامى

فقلت : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنّك كما قال لبيد بن ربيعة :

نفسى تَشكى إلىّ الموتَ مُجهِشةً وقد حملتُك سَبعاً بعد سَبعينا
فإن تزادى ثلاثا تُحدثى أملا وفى الثلاثِ وفاء للثّمانينا

فعاش والله حتّى بلغ تسعينَ حِجّة ، فقال :

كأنى وقد جاوزتُ تِسعين حِجّةً خلعتُ بها عن مَنكِبَيّ ردائيا

فعاش حتى بلغ عَشراً ومائة سنة ، فقال فى ذلك :

أليسَ فى مائةٍ قد عاشها رجلٌ وفى تكاملِ عَشر بَعدَها عمرُ

فعاش والله حتى بلغ عشرين سنةً ومائة ، فقال فى ذلك :

وغَنيتُ سَبتاً بعد مجرىْ داحسٍ لو كان للنفس اللَّجوج خُلودُ[1]

فعاش والله حتى بلغ أربعين ومائة سنة ، فقال فى ذلك :

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولِها وسؤالِ هذاالناسِ : كيف لبيدُ ؟

فقال عبدُ الملك : والله ما بىَ بأس ، اقعدْ حدّثْني ما بينك وبينَ الليل . فقعدْتُ فحدّثْتُه حتّي أمسيتُ ، ثم فارقتُه فمات فى ليلته .

* * *

= من الدهر » ، وكذا فى الديوان ٢٣ : « وافنى وما أفنى » . ط : « ولم يفن ما أفنيت » صوابه فى ش والمعمرين والديوان . وسلك النظام : الخيوط ينظم بها الدر ونحوه .

(١) ط : « وغنيت ستا » ، وهو تحريف ظاهر . والسبت ، كفلس : الدهر

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[1] :

١٢٣ (فإنْ لم تَجِدْ مِنْ دُونِ عدنانَ والداً ودونَ مَعدٍّ ، فلْتَزَعْكَ العواذِلُ[2])

على أن (دون) بالنصب معطوف على محلّ الجار والمجرور ، أعنى (مِنْ دون) . وكذلك أورده سيبويه قال : وكأنّه قال : فإن لم تجد دونَ عدنانَ والداً ودونَ معدّ .

قال ابن هشام فى المغنى : شرط العطف على المحل إمكان ظهور ذلك المحل فى الفصيح نحو : ليس زيد بقائم ولا قاعداً ، فإنه يجوز أن تسقط الباء وتنصب ، ولا يختص مراعاة الموضع بأن يكون العامل فى اللفظ زائداً كما مثل ، بدليل :

فإن لم تجد من دون عدنان والداً . . . . البيت

وهذا البيت من قصيدة أزْيَد من خمسين بيتاً للبيد بن ربيعة الصحابىّ ، رضى الله عنه ، رثَى بها النعمانَ بن المنذرِ ملِكَ الحِيرة . . وأولها :

قصيدة الشاهد

(ألا تَسألانِ المرء ماذا يُحاولُ أنَحبٌ فيُقضَى أمْ ضلال وباطلُ

حبائلُه مبثُوثةٌ فى سبيلِهِ ويَفنَى إذا ما أخطأته الحبائلُ

إذا المرء أسرَى ليلةً خال أنّه قضَى عملا ، والمرء ماعاش عامل

فقولا له ، إن كان يَقسِم أمرَه : ألَمّا يعظْك الدهرُ ، أمُّك هابل

فتعلَمَ أن لا أنتَ مُدرِكُ مامضَى ولا أنت مما تَحذرُ النفسُ وائلُ

فإن أنتَ لم تصدُقْكَ نفسك فانتسِب لعلَّك تَهديك القرونُ الأوائلُ

(١) الخزانة أيضا ٣ : ٦٦٩ والإنصاف ٢٠٨ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٩٣ وديوان لبيد ٢٥٥

(٢) ش : « اذا لم تجد » ، صوابه فى ط والمراجع السابقة

«فإن لم تجدْ من دُون عدنانَ باقياً ودونَ معدٍّ فلْتزَعْكَ العواذلُ»
أرى الناسَ لا يدرُون ما قدرُ أمرِهِمْ بلى كلُّ ذى رأيٍ إلى اللهِ واسلُ
ألا كلُّ شىءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائل !
وكلُّ أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهم دُوَيْهِيَةٌ تَصفَرُّ منها الأنامل !
وكلُّ امرئٍ يوماً سيَعلَمُ سعيَهُ إذا كُشِفَتْ عند الإلَهِ الحصائل)

قوله : ألا تسألان المرء . . البيت ، يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى (ماذا)[1] . وقوله : حبائله مبثوثة . . البيت ، الحبائل : جمع حِبالة وهى الشَّرَك ؛ والضمير للموت ؛ وأراد بحبائله : الأحداثَ التى هى سبب الموت ومبثُوثةٌ : منصوبةٌ على طُرُقِه . والهاء فى سبيله عائدة على المرء . ويفنيْ : يهرَم .

وسرى وأسرى بمعنىً . يقول : إذا سهر المرء ليلةً فى عمل ظن أنه قد فرغ منه ، وهو ماعاش يعرضُ له مثلُ ذلك ، وهو أبداً مادام حيًّا لا ينقطع عملُه ولا حوائجه . وقوله : فقولا له إن كان . . إلخ ، أقسَمَ بمعنى قدَّر ؛ يعنى : قولا له ؛ إن كان يدبِّر أمرَه وينظر فيه : ألم يعظك مَن مضيْ قبلك فى سالف الدهر ، هل رأيته بقى عليه أحد . ثم دعا عليه فقال : أمُّك هابل ! يقال هبلتْه أى ثكلتْه .

وقوله : فتعلم ، بالنصب جواب لمّا . وأنْ مخفّفة من الثقيلة . ووائل : من وأَلَت النفسُ بمعنى نجت ، والموْئِل : المنجىْ .

وقوله : فإن أنت لم تصدُقْك . . إلخ ، يقول: إن لم تصدُقك نفسُك عن هذه الأخبار ، بل كذَبَتك ، فانتسِب : أى قلْ أين فلان ابن فلان ، فإنك

(١) انظر الشاهد ٤٤٥ .

لاترى أحداً بقى ؛ لعلّك تهديك هذه القرونُ وتُرشِدك . ورُوى : فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسِب .

قال أبو علىّ فى إيضاح الشعر : « أنت مرتفع بفعل فى معنى هذا الظاهر ، أى فإن لم تنتفع . ولو حُمل أنت على هذا الفعل الظاهر ، الذى هو ينفعك ، لوجب أن يكون موضعَ أنت إيّاك ، لأنّ الكاف الذى سببه مفعولة منصوبة » . وهذا أولىٰ من تقدير ابن قاسم فى شرح الألفيّة : أن أصله فإن ضلات لم ينفعك. وزاد الفارسىّ على الوجه الثانى : أن فيه إنابة الضمير المرفوع عن المنصوب . والقرون : جمع قَرن ، وهو أهل زمان واحد .

وقوله (فإن لم تجد . . إلخ) تَزعْكَ : تكفّك ، قال أبو الحسن الطوسىّ فى شرح ديوان لَبيد : وزعه يزَعه ، بالفتح ، ويزِعُه ، بالكسر ، وزْعا ووزُوعا : إذا كفّه . وعدنان جدّه الأعلىٰ ، لأن مضر بنُ نزار بن معدّ بن عدنان . يقول : لم يبق لك أبٌ حىّ إلى عدنان ، فكُفَّ عن الطمع فى الحياه . . ومعنى البيتين : أن غاية الإنسان الموت ، فينبغى له أن يتّعظ : بأن ينسب نفسه إلى عدنان ؛ فإن لم يجد مَن بينَه وبينه من الآباء باقيا ، فليعلم أنه يصير إلى مصيرهم ، فينبغى له أن ينزِع عما هو عليه . و (العواذل) هنا حوادث الدهر وزواجرُه ، وإسناد العذْل إليها مجاز . وقال الطوسىّ : العواذل : النساء .

وقوله : أرى الناس . . الخ ، الواسل : الطالب الذى يطلُب ، مِن قولك. أنت وسيلتى إلى فلان . واستشهد به صاحب الكشاف على أن الوسيلة فى قوله تعالىٰ : (وابتَغُوا إلَيْهِ الوَسِيلةَ[1]) ما يُتوسل به إلى الله تعالى ، من فِعل الخيرات واجتناب المعاصى . والواسل : هو الراغب إلى الله ؛ بمعنىٰ ذو

(١) الآية ٣٥ من سورة المائدة .

وسيلة أو هو كتامرٍ ولابنٍ . ورُوى (لُبّ) وهو العقل ، بدل (رأى) .
والمعنى : أرى الناسَ لايعرفون ماهم فيه من خطَر الدنيا وسرعة زوالها ،
فالعاقل اللبيب مَن يتوسل إلى الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح .

وقوله : ألا كل شىء . . إلخ ، قد وقع فى بعض الروايات هذا البيت
أولَ القصيدة فى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنّ النبىّ
صلى الله عليه وسلم قال . أصدقُ كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمةُ لبيد :

ألا كلُّ شىء ماخلا اللهَ باطلُ

وفى روايةٍ لهما : « أشعرُ كلمةٍ تكلّمت بها العربُ كلمةُ لبيد . . الخ » .
وقد رُوى أيضاً بألفاظ مختلفة ، منها . « إن أصدق كلمة . . » ومنها .
« إن أصدق بيت قاله الشاعر . . » ومنها . « أصدق بيت قالته الشعراء . . »
وكلّها فى الصحيح ومنها . « أشعر كلمة قالتها العرب . . » .

قال ابن مالك فى شرح التسهيل : وكلها من وصف المعانى بما يوصف به
الأعيان ، كقولهم . شِعْرٌ شاعر ، ويصاغ منه أفعل باعتبار ذلك المعنى فيقال :
شعرك أشعرُ مِن شِعْره .

وروى ابن إسحاق فى مغازيه . أن عثمان بن مَظعُون رضى الله عنه مرّ
بمجلس من قريش فى صدر الإسلام ، ولبيد بن ربيعة رضى الله عنه ينشدهم :

* ألا كلُّ شىء ما خلا اللهَ باطلُ *

فقال عثمان رضى الله عنه : صدقْتَ . فقال لبيد :

* وكلُّ نعيمٍ لا مَحالة زائلُ *

فقال عثمان : كذبتَ ، نعيمُ الجنة لايزول أبداً ! فقال لبيد : يا معشرَ
قريش واللهِ ما كان يُؤذَى جَليُسكم فتى حدَث هذا فيكم ؟ فقال رجل :

ان هذا سفيه من سفهائنا قد فارقَ ديننا ، فلا تجِدَنّ فى نفسك من قوله . فردّ عليه عثمان ، فقام إليه ذلك الرجلُ فلطم عينَه فخضَرها(١) ، فقال الوليد ابن المغيرة لعثمان : إنْ كانت عينُك لَغنيّةً عما أصابها ، لم رَددْتَ جوارى ! فقال عثمان : بلْ واللهِ إنّ عينيَ الصحيحةَ لفقيرةٌ لمثلِ ما أصابَ أختَها فى الله ، لا حاجة لى فى جوارك ! .

وروى أحمد بن حنبل فى زوائد الزهد(٢) : أن لبيداً قَدِم على أبى بكر الصّديق رضى الله عنه فقال :

* ألا كلُّ شىءٍ ماخلا اللهَ باطل *

فقال : صدقت . قال :

* وكلّ نعيم لا محالة زائل *

فقال : كذبتَ، عند الله نعيمٌ لا يزول ! فلما ولّىْ قال أبو بكر رضى الله عنه ربّما قال الشاعرُ الكلمةَ من الحكمة !

وأخرج السِّلَفىّ فى المشيخة البَغْدادية من طريق هاشم ، عن يعلى عن ابن جراد ، قال : أنشدَ لَبيدُ النبيّ ﷺ قولَه :

* ألاَ كلُّ شىءٍ ما خلا الله باطلُ *

فقال له : صدقتَ ! فقال :

(١) فى النسختين . « فحضرها » مع تشديد الضاد فى ش . وفى شرح شواهد المغنى ٥٦ : « فخصرها » ، وقد جمعت بين الرسمين ، يقال خضر النخل يخضره خضرا : قطعه . واختضر الجارية ، اذا افتضها قبل بلوغها .

(٢) كذا . وانما الزوائد لولده عبد الله بن أحمد . وكتاب الزهد لاحمد بن حنبل . انظر كشف الظنون ٢ : ٢٧٩ .

* وكلّ نعيمٍ لا محالة زائلُ *

فقال له : كذبتَ ، نعيمُ الآخرة لا يزول !

وأجاب العينيّ عن ذلك من وجهين : الأوّل : أن لبيداً إنما قال ذلك قبل أن يسلم ، فيمكن أن يكون فى اعتقاده فى ذلك الوقت أنّ الجنة لا وجود لها ، أو كان يعتقد وجودَها ولكن لا يعتقدُ دوامَها ، كما ذهبت إليه طائفةٌ من أهل الأهواء والضلال . والثانى : أنه يمكن أن يكون أراد به ماسوى الجنّةِ من نعيم الدنيا لأنه كان فى صدَد ذمّ الدنيا وبيانِ سُرعة زوالها . وأمّا تكذيب عثمان إياه فلكونه حمل الكلام على العموم . انتهى .

وقال ابن حجر فى شرح البخارى ، فى باب الشعر : التعبير بوصف كلّ شىء بالبطلان تندرج فيه العبادات والطاعات ، وهى حقٌّ لا مَحالة ؛ وأجيب : بأن المراد ماعدا اللهَ وما عدا صفاتِه الذاتيةَ والفعليّة من رحمة وعذاب ؛ أو المراد بالبطلان الفناء لا الفساد ، وكلّ شىء سوى الله تعالى جائزٌ عليه الفناء لذاته ، حتّي الجنة والنار ، وإنما يبقيان بابقاء الله تعالى لهما وخلقِ الدوام لأهلهما . والحقّ على الحقيقة مَن لايجوز عليه الزوال لذاته . انتهى .

ومثله للسّيوطى ، فى البدور السافرة ، عند ذكر قوله تعالى : (كلُّ شَىءٍ هالكٌ إلاّ وجهَهُ[1]) : أى قابل للهلاك ؛ وكلّ محدَث قابل لذلك وإنْ لم يَهلِك ، بخلاف القديم الأزلىّ . ويؤيِّد ذلك أنّ العرش لم يَرِدْ خبرٌ أنه يَهلِك . فلتكن الجنّة مثلَه . وقال فى موضع آخر من ذلك الكتاب وفى بحر الكلام : قال أهل السنّة : سبعةٌ لا تفْنيٰ : العرش والكرسىّ واللّوح والقلم والجنّة والنار بأهلهما والأرواح . وقال صاحب المفهِم شرحِ مسلم ، وكذا البَيْهقى وغيره من

٣٤٢

(١) الآية ٨٨ من سورة القصص

المحدّثين : إن هذه السبعة يقع لها هلاك نسبيٌّ ، وهو غِشيان يمنع الإحساس ، وفناء ما من الأوقات . قلت : والظاهر وقوع ذلك ، على تقدير صحّته ، بين النفختين ، عند قوله عز وجل : (لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ[١]) فلا يجيبه أحدٌ كما وردت به الروايات . انتهى

والباطل هنا الذاهب الزائل ، ومعناه الهالك الفانى : أى القابل للهلاك والفناء . وقال بعضهم : الباطل فى الأصل ضدّ الحقّ ، والمراد به هنا الهالك . وقال العَيْنيّ : « الباطل : ضدّ الحق ؛ وفى عرف المتكلّمين : الباطل ، الخارج عن الانتفاع ؛ والفاسد يقرب منه ، والصحيح : ضدّه ومقابله . وفى عرف الشرع : الباطل من الأعيان : مافات معناه المقصودُ المخلوق له من كلّ وجه ، بحيث لم يبق إلا صورته ، ولهذا يذكر فى مقابلة الحقّ الذى هو عبارة عن الكائن الثابت ؛ وفى الشرع يراد به ما هو المفهوم منه لغة ، وهو ما كان فائت المعنىٰ من كل وجه مع وجود الصورة ، إما لانعدام محلّية التصرّف كبيع الميتة والدم ، أو لانعدام أهلية المتصرّف كبيع المجنون والصبيّ الذى لا يعقل . فإن قلتَ : مامعناه هنا ؟ قلت: المعنى كل شىء سوى الله تعالى زائلٌ فائت مضمحلٌ ليس له دوام . انتهى

والمحالة بفتح الميم : الحِيلة ، قال الجوهرىّ : قولهم لا محالة أى لابدّ . وقوله: وكل أناس سوف تدخل بينهم . . الخ يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى (ماذا[٢]) .

وقوله : وكل امرئٍ يوما . . الخ ، سعيه : عمله . والحصائل : الحسنات والسيئات التى بقيت له عند الله تعالى ؛ وهو بالحاء والصاد المهملتين .

(١) الآية ١٦ من سورة غافر
(٢) وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد الأربعمائة .

ثم شرع بعد هذا فى تقلّب الدهر بأهله ، وبدأ بذكر النعمان وما كان فيه من سَعَةِ الملك ونعيم الدنيا ، ثم ذكر ملوكَ الشام آلَ غسانَ وما فعل الدهر بهم فبادوا كأن لم يكونوا ، فقال :

(ليَبْكِ على النُّعمانِ شَرْبٌ وقَيْنَةٌ وَمُخْتَبِطاتٌ كالسَّعالى أراملُ)

الشَّرْب : جمع شارب ، يريد أصحابه الذين كان يشاربُهم . والقَينة : الخادم(١) . والمختبطات الفِرَق السائلات المعروف . والسعالى : الغيلانُ ، شبّه السائلاتِ بها ، فى سوء حالهنّ وقبحهنّ . والأرامل : المحاويج الجياع من أرملَ القوم : إذا نفد زادهم وجاعوا . وقال فى آخر القصيدة :

(فأمسىٰ كأحلامِ النِيامِ نعيمُهُمْ وأىّ نعيم خِلْتَهُ لايزايلُ)

فظهر بهذا أن هذه القصيدة ليستْ فى مدح النعمان كما زعم من تكلّم على هذه الأبيات ، بل هى بالرثاء أشبه ، لاسيما أوائل القصيدة فإنها تناسب ماقلنا . والله أعلم .

وترجمة لبيد تقدمت فى البيت الذى قبل هذا البيت .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه(٢) :

---

(١) الخادم يقال للمذكر والمؤنث أيضا .

(٢) سيبويه ١ : ٣٤ . وانظر أيضا الخزانة ٢ : ١٤٣ والانصاف ٣٣٢ وابن يعيش ٢ : ١٠٩/٤ : ٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٩٤ والشعراء ٤٥ وتصحيف العسكرى ٢٠٧ والقالى ١ : ٣٦ والسمط ١٤٨ — ١٤٩

٣٤٣ ١٢٤ (فلسْنا بالجبالِ ولا الحديدَا)

على أن قوله (الحديدا) معطوف على محلّ الجارّ والمجرور وهو قوله : (بالجبال) ، وهو خبر ليس والباء زائدة . وكذلك أورده سيبويه . وهو عجزٌ وصدرُه :

(معَاوِىَ ، إنّنا بَشرٌ فأسجِحْ)

و (معاوىَ) منادىً مرخّم معاوية بن أبى سفيان . و (أسجِحْ) بقطع الهمزة وتقديم الجيم على المهملة ؛ ومعناه ارفق وسهِّلْ . وخدٌّ أسجَح أى طويل سهْل .

وقد ردّ المبرد على سيبويه روايته لهذا البيت بالنصب ؛ وتبعه جماعةٌ منهم العسكرىّ صاحب التصحيف قال : ومما غلِط فيه النحويّون من الشعر ورووه موافقاً لما أرادوه ، ما رُوى عن سيبويه عندما احتجّ به فى نسَق الاسمِ المنصوب على المخفوض . وقد غلِط على الشاعر ، لأنّ هذه القصيدة مشهورةٌ ، وهى مخفوضةٌ كلّها . وهذا البيت أولها . وبعده :

أبيات الشاهد

(فهَبْنا أُمّةً ذهبتْ ضِياعاً يزيدُ أميرُها وأبو يزيدِ
أكلْتم أرضَنا فجرَدْتُموها فهلْ مِن قائم أو مِن حَصيدِ
أتَطمعُ فى الخلود إذا هلَكنا وليس لنا ولا لك مِن خلودِ
ذرُوا خَونَ الخِلافةِ ، واستقيموا ، وتأميرَ الأراذل والعبيدِ
وأعطونا السَوِيّةَ لا تَزرْكُمْ جنودٌ مردَفاتٌ بالجنودِ)

صاحب الشاهد

وهذا الشعر لعُقَيْبة بن هُبيرة الأسدىّ ؛ شاعرٌ جاهلىٌّ إسلامىٌّ . وفد على معاوية بن أبى سفيان فدَفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات ، فدعاه معاوية

فقال له : ما جرّأك عليّ ؟ قال : نصحْتُكَ إذ غشّوك ، وصدّقتك إذْ كذَبوك !
فقال : ما أظنّك إلاّ صادقاً ! فقضى حوائجَه .

ويروى أن أبا بُردة بن أبي موسى الأشعريّ جاء إلى معاوية فقال له :
يا أمير المؤمنين ، إن عُقيبةَ أخا بني أسد هجاني ؟ فقال : وما قال لك ؟ قال :
قال لي :

* فما أنا من حُدّاث أمّكَ بالضحى[1] *

فقال له معاوية : ليس من حُدّاثها ! قال : وقال لي :

* ولا مَنْ يُزَكّيها بظهرِ مَغيبِ *

فقال معاوية : لكنّ اللهَ ورسولَه والمهاجرين والأنصارَ يُزكّونها ، وكانت
تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وقال لي :

* وأنتَ امرؤٌ في الأشعرينَ مقابل *

فقال : صدق . قال : وقال لي :

* وفي البيتِ والبَطْحاء حَقٌّ غريبِ *

فقال : صدق ، ليس لك في البيت ولا في البَطْحاء حقٌّ ! قال : يا أمير المؤمنين
فندَعُه على هذا ؟ قال : ما قال لي أشدُّ مما قال لك . . وقرأ له الأبيات ؛
فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تصنع به ؟ قال : تعالَ ندعُ اللهَ عليه .

و (عقيبة) بالقاف يحتمل أن يكون مصغّر عُقْبة (كظلمة) وهي بقيّة

---

(١) في النسختين : « حراث » وكذا « حراثها » في الشرح التالي .
وقد كتب الشنقيطي الحرف (د) فوق كل من « حراث » و « حراثها » في
الشرح بعده ، اشارة الى صوابها

المرَق ونحوِ ذلك تردّ فى القدر المستمارة ؛ أو مصغّر العُقْبة بمعنى النَّوْبة ، يقال تمّتْ عُقْبتك . وهما يتعاقبان أى يتناوبان .

وقوله : فجرّدتموها ، أى قشرتموها كما يُجرّد اللحمُ من العَظْم وقوله : فهل من قائم ، يعنى : القرىٰ التى أُهلكت ، منها قائم قد بقيت حيطانه ، ومنها حصيد قد امّحى أثره(١) والخَوْن ، بفتح الخاء وسكون الواو : مصدر كالخيانة . والتأمير : تفعيل من الإمارة . والسويّة : المساواة : والنَّصَفة .

٣٤٤ ولم أرَ لعُقيبةَ هذا ذكراً فى كتب الصحابة ، ولم يذكره ابن حجر أيضاً فى الإصابة من المخضرمين . والظاهر أنه من المخضرمين .

وأجاب الزمخشرىّ ، تبعاً لما قاله ابن الأنبارى فى الانصاف ، بأن هذا البيتَ روى مع أبيات منصوبة ومع أبيات مجرورة ، فمن رواه بالجرّ روىٰ معه الأبيات المتقدّمة ، ومن رواه بالنصب رَوى معه :

(أدِيروها بنى حَرْبٍ عليكمْ ولا تَرْمُوا بها الغرضَ البعيدا)

يقول : ضمُّوا الخلافةَ والوِلاية إليكم ، ولا ترموا بها أقصى المرامى : أى لا تطرحوا النظر فى أمرنا وتتركونا مع الولاة الذين من قِبلكم يجورون علينا . .

وهذا الشعر لعبد الله بن الزَّبِير الأسدىّ . قالوا : وليس يُنكَر أن يكونَ بيتٌ من شعرين معاً(٢) ، لأن الشعراء قد يستعير بعضُهم من كلام بعض ، وربما أخذَ البيتَ بعينه ولم يُغيِّره كقول الفرزدق :

---

(١) الحق أن القائم والحصيد ، انما هو صفة للزروع . ولكنه تبع فى ذلك السيوطى فى شرح الشواهد ٢٩٥ . وقال السيوطى : « كقوله تعالى : منها قائم وحصيد » . لكن شتان ما بين معنى البيت ومعنى الآية .

(٢) فى النسختين : « بيتا » . وان كان الشنقيطى قد صححها .

ترى الناسَ ماسِرْنا يسيرُون خَلفَنا ... وإنْ نحنُ أومأنا إلى الناس وقّفوا

فإن هذا البيت لجميل بن عبد الله[١] ، انتحَله الفرزدق .

وأورد ابن خلف نظيرَ هذا فى شرح أبيات الكتاب ما يزيد على مائة بيت . ومثلُ ما نحن فيه قولُ الأخنَس بن شهاب اليشكرىّ :

إذا قصُرت أسيافُنا كان وصلُها ... خطانا إلى أعدائنا فنضارِبُ

والقصيدة مرفوعة القوافى ، وأخذه قيس بن الخطيم ، وجعله فى قصيدة مجرورة القوافى ، وسيأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى الظروف .

وزعم السيرافىّ : أن شعر عُقيبة الأسَدىّ يجوز فى إنشاد قَوافيه الجرُّ والنصب . قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل : وهذا وهمٌ لأن فيها ما يجوز فيه الوجهان عند البصريين ، ومنها ما لا يجوز فيه عندهم إلاّ وجهٌ واحد ؛ ولايجوز أن يُنشَد بعضُ القصيدة منصوباً وبعضُها مرفوعاً على طريق الإقواء ، لأن الإقواء فى الغالب إنما يكون بين المرفوع والمجرور لما بينهما من المناسبة ؛ فأما مايصحّ فيه الوجهان فالبيت الأوّل والثالث والخامس ، والنصب فيه عطفٌ على خَون الخلافة ، ويجوز أن يكون معطوفاً على تأمير الأراذل ، على حذف مضاف ؛ فأما البيتان الباقيان فلا يصحّ فيهما النصب على مذهب البصريّين ، ويجوز على مذهب الكوفيّين ، لأنهم يجيزون ترك صرف ما ينصرف[٢] فى الشعر ضرورة اﻫ . ولا يخفى أن الكوفيين إنما يجيزون ترك صرف المنصرف إذا كان علماً ، يكتفون بشَطر العلّة كما هو المشهور ، وقدّمنا فى أول باب مالا ينصرف ما يغنى عن إعادته هنا[٣] .

---

(١) لم أجده فى ديوانه ، ولم يسجله فى الزيادات جامعه .
(٢) فى النسختين : « مالا ينصرف » ، والوجه ما أثبت .
(٣) أنظر الجزء الأول ص ٣١ وما بعدها

وقيل : إنه من شعر آخر لعبد الله بن الزَّبِير وهو :

رمى الحَدَثانُ نسوةَ آلِ حرْبٍ بِمِقْدارٍ سَمَدْنَ له سُمودَا
فرَدَّ شُعورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً وردَّ وُجوهَهُنَّ البيضَ سودَا
فإنَّكَ لو سَمِعتَ بكاءَ هندٍ ورملةَ إذْ تَصُكَّانِ الخُدودا
سَمِعتَ بكاءَ باكيةٍ حزينٍ أبانَ الدهرُ واحِدَها الفقيدا !
معاويَ ، إننّا بشرٌ فاسجحْ . . . . البيت

ولا يخفىٰ أن هذا البيت أجنبيٌّ من هذه الأبيات ، ويدلّ عليه : أن أبا تمام أنشدَ هذه الأبياتَ لمن ذكرنا ، في باب المراثى من الحماسة [1] ، بدون البيت الأخير ولم يذكره أحدٌ من شراحه .

والحدَثانُ بالتحريك : الحادثة ، ونائبة الدهر . والمِقدار : ما قدّره الله تعالى . وفيه قلبٌ أى رمىٰ تقديرُ اللهِ نسوةَ آل حرب بحدَثان . والسُّمود : تغيُّر الوجه من الحزن .

عبد الله ابن الزبير

و (ابن الزَّبير) هو عبد الله بن الزَّبير بن الأشيَم بن الأعشىٰ بن بَجرة (بفتح الموحدة والجيم) وينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة . والزَّبيرُ بفتح الزاى وكسر الموحدة .

وعبد الله شاعرٌ كوفىّ المنشأ والمنزِل . وهو من شعراء الدولة الأمويّة ومن شيعتهم والمتعصّب لهم ؛ فلما غلَب مُصعَب بن الزُبير على الكوفة أُتىَ به أسيراً ، فمنّ عليه ووصلَه وأحسن إليه ؛ فمدَحه وأكثرَ من مدْحه وانقطع إليه

٣٤٥

(١) انظر الحماسة ٩٤١ بشرح المرزوقى . وقد نسبت الأبيات فى زهر الآداب ٤٠٥ الى ابن الزبير أيضا . وفى عيون الأخبار ٣ : ٦٧ الى فضالة بن شريك . وفى القالى ٣ : ١١٥ الى الكميت بن معروف .

فلم يزل معه حتى قُتِلَ وعمى بعد ذلك ، ومات فى خلافة عبد الملك بن مرْوان . وكان الحجاج أرسله فى بَعثٍ إلى الرَّىّ فمات بها . وكان أحدَ الهجّائين[1] ، يخافُ الناس شرَّه وله حكايات مسطورة فى الأغانى .

ومن شعره يمدح عمرو بن عثمان بن عفّان — وكان رآه عمرو فى ثياب رثّة فاقترضَ ثمانية آلاف درهم باثنيْ عشرَ ألفاً وأرسلها إليه مع رِزْمَة ثياب[2] فقال (وهو من أبيات تلخيص المفتاح) :

سأشكرُ عَمراً إن تراخت مَنيّتى أيادىَ لم تُمْنَنْ وإنْ هىَ جَلّتِ[3]
فتى غيرَ محجوب الغنيٰ عن صديقه ولا مظهرِ الشكوىٰ إذا النعلُ زلّت
رأى خَلّتى من حيثُ يَخفىٰ مكانُها فكانتْ قذىٰ عينيه حتى تجلّتِ

ومدحَ أسماء بن خارجة الفَزارىَّ بقصيدة منها :

تراه إذا ما جئتَــه متهلّــلا كأنّك تعطيه الذى أنت سائله[4]
ولو لم يكنْ فى كفّهِ غيرُ روحه لجادَ بها ، فليَتّقِ اللهَ سائلُه[5]

فأثابه أسماء ثواباً لم يرْضه ، فغضب وقال يهجوه :

بنتْ لــكمُ هندٌ بتلذيع بَظْرها دَ كاكينَ مِن جَصٍّ عليها المجالسُ
فواللهِ لولا رهزُ هنــدٍ ببظرها لَعــدّ أبوها فى اللئامِ العوابس

فبلغ ذلكَ أسماءَ فركب إليه واعتذر إليه من ضيق يده وأرضاه ، وجعل له على نفسه وظيفةً فى كل سنة . فــكان بعد ذلك يمدحه ويفضّله . وكان أسماء

---

(١) ط : « واحد الهجانين » ، صوابه فى ش والأغانى ١٣ : ٣١
(٢) كذا . وانظر الأغانى ١٣ : ٣٣ .
(٣) انظر تحقيق نسبة هذا الشعر فى حواشى السمط ١٦٦ ورسائل الجاحظ ١ : ٣٨ بتحقيق عبد السلام هارون
(٤) هذا البيت ليس له ، انما هو لزهير فى ديوانه ١٤٢
(٥) ينسب هذا البيت الى أبى تمام فى ديوانه ٢٣٢

يقول لبنيه : والله ما رأيت قطُّ جصًّا فى بنــاءٍ إلاّ ذكرتُ بَظر أُمكم هندٍ فخجلتُ (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد المائة (٢) :

١٢٥ ﴿ يَسمَعُها لاهُهُ الكُبارُ ﴾

على أنه قيل إنّما جاز يا الله للزوم اللام للكامة ، فلا يقال لاهٌ إلاّ نادراً كما فى هذا الشعر .

وإنما عبّر بقيل ، لأن أبا علىّ الفارسى قال : « أل عوضٌ من الهمزة ، إذ أصله إلَه ، ويدلُّ على ذلك : استجازتهم لقطع الهمزة فى القسَم والنداء ؛ فلو كانت غير عوض لم تثبُت كما لم تثبُت فى غير هذا الاسم . ولا يجوز أن يكون للزوم الحرف ، لأن ذلك يُوجب أن تُقطَع همزةُ الذى والتى . ولا يجوز أيضاً أن يكون لأنها همزة مفتوحة وإنْ كانت موصولة ، كما لم يجزْ فى ايم الله وايمن الله . ولا يجوز أيضاً أن يكون ذلك لكثرة الاستعمال ، لأن ذلك يوجب أن تقطع الهمزة أيضاً فى غير هذا مما يكثر استعمالهم له . فعلمنا أنّ ذلك لمعنًى اختُصّت به ، ليس فى غيرها . ولا شىء أولىٰ بذلك المعنى ، من أن يكون للعوض من الحرف المحذوف ، الذى هو الفاء . اهـ .

٣٤٦

وكون لفظ الجلالة أصله (لاهٌ) هو أحد قولى سيبويه فيه . واختاره المبرّد ، قال : أصله لاه على فعل مثل ضرب(٣) ، ثم دخلت أل عليه تعظيما لله

(١) انظر الأغانى ١٣ : ٣٣
(٢) انظر أمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥ وتصحيف العسكرى ٣١٠ واللسان (أله ٣٦٢) وديوان الأعشى ١٩٥
(٣) وقال ابن الشجرى : « أصله ليه ، فعل مثل جبل ، فصارت ياؤه ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها » .

عزّ وجل وإبانة له عن كلّ مخلوق ، فهو اسمٌ وإن كان فيه معنى فعل . وأصل لاه : لوَه أوليَه . قال : « ولو كان كما ذكر سيبويه : أنّ أصله إلاه ، لكان قد حذف فاء الفعل وعينه ، لأنه يحذف همزة إلَه وهى فاء الفعل ثم تذهب العين إذا دخل الألف واللام ، ولم نر شيئا يحذف فاؤه وعينه .

قال السَّخاوىّ فى سِفْر السعادة : « وليس كما قال ، فإن عينه باقية لم تحذف » .

والعجَبُ من السخاوىّ حيث نقل عن المبرّد بأن قول ابن عبّاس : الله هو الله ذو الألوهية يألَهَ الخلق ، وقرأ ابن عباس : ﴿ ويَذَرَكَ وإلَهتَكَ[1] ﴾ أى وعبادتك ، لأنهم كانوا يعبدون فرعون اهـ . يؤيّد القولَ بكون أصله (لاه) ولم يتعقبه بشىء ! مع أنَّه إنما يؤيّد من قال : إن أصله إلَه . فتأملْ .

وقال ابن الشجرىّ فى أماليه : « والذى ذهب إليه س : من أن أصل هذا الاسم إله ، قولُ يونس والأخفش والكسائىّ والفرّاء وقطرُب . وقال بعد وفاقه لهؤلاء : وجائزٌ أن يكون أصله لاه وأصل لاه ليَه على وزن فعَل ثم أدخل عليه أل . واستدلّ بقول بعض العرب : لَهْىَ أبوك ، يريدون لاه أبوك . قال : فتقديره على هذا القول فعَل ، والوزن وزن باب ودار . وأنشد . . لاهه الكبار ، وقوله : لاه ابن عمك . . البيت . اهـ كلام سيبويه . وأقول : لاه على هذا تامّ ، على وزن جبَل ، ومن قال لَهْىِ أبوك فهو مقلوب من لاه ، قدّمت لامه التى هى الهاء على عينه التى هى الياء فوزنه فلْع ، وكان أصله بعد تقديم لامه على عينه لِلَّهْىِ ، فحذفوا لام الجرّ ثم لامَ التعريف ،

(١) الآية ١٢٧ من سورة الأعراف .

وضمّنوه معنى لام التعريف فبنوه ؛ كما ضمّنوا معناها أمسِ فوجب بناؤه . وحرّكوا الياء لسكون الهاء قبلها وكانت فتحة لخفّتها » . اهـ كلام ابن الشجَرىّ .

أقول : البيتان اللذان أوردهما لَيْساَ فى كتاب س ، وليس فى الشعر دليلٌ على أنّ الله أصله لاه ، لجواز أن يكون لاه مخفّف إلَه حُذفت الهمزة لضرورة الشعر ، بدليل الجمع على آلهة دون ألْوِهَة أو ألْيِهَة .

وقال خضر الموصِلىّ : استشهد به على أن أصل الله لاه ، لأن الضرورة تردّ الأشياء إلى أصولها . وفيه نظر ، لجواز أن يكون لاه لفظا مستقلاً برأسه بمعنى إلَه اهـ . قال أبو علىّ ، فى نقض الهاذور : فإن قيل : قد قال الشاعر : « لاهُ الكُبار » لقد أخرج الألف واللام من الاسم وأضافَه . قيل : إنّ الشاعر لما رأى الألف واللام فيه على حدّ ما يكون فى الصفات التى تَغلب ، ورأى أن هذه الصفات إذا غلبت صارتْ كالأعلام ، فلا تحتاج إلى حرف التعريف فيها ، كما لم يُحتَجْ إليها فى الأعلام . أخرجه على ذلك كما قال الآخر :

* ونابغة الجَعْدِىّ بالرَّمل بيته[1] *

حيث غلب الوصف فصار يعرف به كما يعرف بالعلَم ؛ فكذلك الاسم . ومع هذا فكأنه ردّ الاسم ، للضرورة ، إلى الأصل المرفوض الاستعمال . وهذا لا يجوز استعماله سائغا مطردا .

والأزهرىّ أورد هذا الشعر على غير هذه الرواية ، قال فى التهذيب : وقد كثر اللهمّ فى الكلام حتى خفّفت ميمها فى بعض اللغات ؛ وأنشدنى بعضهم :

(١) عجزه كما فى اللسان (نبغ ٣٣٦) وسيبويه ٢ : ٢٤
عليه صفيح من تراب موضع *
وفى أمالى ابن الشجرى : « منضد » : وحكى الشنتمرى قافية « وحبذل » .

(كَحَلْفَةٍ من أبى رياح يَسمعُها اللهُمُ الكُبار)

وإنشاد العامّة : يسمعها لاهُه الكبار . اه

وأورده جماعة من النحويّين ، منهم المرادى فى شرح الألفيّة :

(يسمعها لاهمُ الكبار)

على أن فيه شذوذين : أحدهما استعماله فى غير النداء لأنه فاعل يسمعها ، والثانى تخفيف ميمه ، وأصلها التشديد .

وقال العسكرىّ فى كتاب التصحيف : روى الأصمعىّ (يسمعها الواحد الكُبار) ، ورواية غيره (لاهه) اه .

قال أبو علىّ ، فى نقض الهاذور : وأما قول من قال لاهُمَّ الكبار ، فالقول فيه : أنه بنى من الاسم والصوت اسماً ، كما بنى التهليل من هلّل ، وبأبأ من بأبى ، ثم صار اسماً كما صارت هذه الأشياء أسما ، وأصله الصوت اه .

والكبار وصفُه . قال ابن عقيل فى شرح التسهيل : ومذهب سيبويه والخليل أن اللهم فى النداء لا يوصف ، لكونه مع الميم كالصوت . وأما « لاهم الكبار » فقيل فيه : لما كان غير منادى وُصِف ؛ وقيل رفع على القطع .

أبو رياح

و (أبو رياح) : رجل من بنى ضُبيعة . وهو حصن[1] بن عمرو بن بدر . وكان قَتل رجلا من بنى سعد بن ثعلبة فسألوه أن يحلف أو يُعطىَ الدية ، فحلَف ثم قُتِل بعد حَلْفتِه . فضربته العرب مثلاً لما لا يغنى من الحِلِف ؛ قاله ابن دُرَيد فى شرح ديوان الأعشىٰ . وهو بمثناة تحتيّة ، لا بموحَّدة كما زعم شرّاح الشواهد .

(١) فى شرح ثعلب لديوان الأعشى : « حصين » .

قال العسكرىّ فى كتاب التصحيف : « زعم بعض المصحِّفين : أن الإنسان إذا صحّف فى مثل هذا لم يكن ملوماً . وليس كما قال ؛ وهل العيب واللوم إلاّ على تصحيف الأسماء ! وليس يُعرف فى أسماء العرب فى الجاهلية رباح بباء تحتها نقطة واحدة إلا فى أسماء عَبيدها ، إلا فى اسم رجُلين : أحدهما رباح ابن المغترف بغين معجمة ، وآخر[1] . وأما قول الأعشى : كحَلْفة من أبى رياح ، فهو بياء تحتها نقطتان ؛ من بنى تيم بن ضُبيعة » اهـ .

و (الكُبار) بضم الكاف وتخفيف الموحدة : صيغة مبالغة الكبير بمعنى العظيم ، وهو صفة (لاهُه) . و (الحَلْفة) بالفتح : المرّة من الحَلِف بمعنى القسم . وقوله : (من أبى رياح) صفةٌ لحلفة : أى كحَلْفةٍ صادرةٍ منه . وروى بدل يسمعها : (يشهدها) ، والضمير للحلفة ، والجملة صفة ثانية لحلفة . وقبله :

(أقسمْتُم حُلفًا جِهاراً : إنْ نحنُ ما عندنا عِرارُ)

وحُلفاً : جمع حالف . وإنْ : مخففة من الثقيلة . وعِرار بكسر المهملة : اسم رجل .

والبيتان من قصيدة للأعشى ميمون ذكر فيها مَن أهلكه الدهر من الجبابرة . ومطلعها :

(ألم ترَوا إرَماً وعاداً أفناهمُ الليلُ والنهارُ !
وقبلَهمْ غالتِ المنايا طَسْماً فلمْ ينجِها الحِذارُ
وحَلّ بالحىّ من جَديسٍ يومٌ من الشرِّ مُستَطارُ

(١) كذا . ولم يعينه . انظر التصحيف ٣١١

وأهلُ جَوٍّ أتتْ عليهمْ فأفسدتْ عَيْشَهُمْ فبارُوا
فصَبَّحتهم من الدَّواهى جائحةٌ عُقْبُها الدَّمارُ[1]
ومرَّ دهرٌ على وَبارٍ فهلكتْ جهرةً وبارُ)

٣٤٨

الرؤية عِلْمِيّة ، وجملة أفناهم هو المفعول الثانى ، لا أنّها بَصرِيّة ، خلافا للعينيّ . وروى « أودىٰ بها الليلُ والنّهار » ، وهو بمعنى أفناهم . وإرم بكسر الهمزة ، قال البكريّ ، فى معجم ما استعجم : هو أبو عَوْص ، بالصاد وفتح العين ، وعاد : ابن عوص ، وإرَم هو ابن سام بن نوح عليه السلام ، قال الهمْدانى : نزل جَيرونُ بن سعد بن عادٍ دمشق ، وبنى مدينتها ، فسمِّيت باسمه جَيرون . . قال : وهى إرمُ ذاتُ العماد ، يقال : إن بها أربعمائة ألف عمود من حجارة . . قال : وإرم ذات العماد المعروفة بتيه أبْيَن ، وبجانب هذا التيه منهل أهل عدَن ، وبتيه أبْيَن مسكن إرَم بن سام بن نوح ، فلذلك يقال : إن إرم ذات العماد فيه .

واختلف أهل التأويل فى معنى إرم فقال بعضهم : إرم : بلدة ، وقيل : إنها دِمَشق ، وقيل هى الإسكَنْدريّة ، وقال مجاهد رحمه الله : إرم : أمّة ، وقال غيره : من عاد . ومعنى ذات العماد على هذا ذات الطول .

وطَسْم وجَديس : قبيلتان من عاد كانوا فى الدهر الأوَّل فانقرضوا . . وبيان انقراضهم ، كما قال محمد بن حبيب فى كتاب المغتالين[2] : أنَّ ملك

---

(١) ط : « نائحة » وكذا فى ش لكن دون اعجام ، صوابه من الديوان ١٩٤ .

(٢) انظره فى نوادر المخطوطات ٢ : ١١٧ ــ ١١٨

طَسْمَ ـ عِمْليقَ بنَ لاوَذَ[١] بن إرمَ بن سامِ[٢] بن نوح ـ تعدّى فى الظلم والتجبّر . وأتته يوماً امرأة من جَديس اسمها هزيلة ، وكان زوجها طلّقها وأراد أخذ ولدها منها ، فقالت: أيُّها الملك ، إنّى حملته تِسعاً ، ووضعتُه دَفعاً ، وأرضعتُه شَفعاً ، حتى إذا تمّت أوصاله أراد أن يأخذه كَرْهاً ، وأن يتركنى من بعده وَرْهاً ! فقال لزوجها : ما حجّتكَ ؟ قال : أيها الملك ، إنّها قد أُعطِيت المهرَ كاملا[٣] ، ولم أُصِبْ منها طائلا ، إلاّ وليداً خاملا ، فافعلْ ما كنت فاعلا . فأمر بالغلام أن ينزع منهما جميعاً ويُجعَل فى غلمانه ، وقال لُهزيلة : أبغِيه ولدا ، ولا تنكحى أحداً ، أو اجزيه صَفَدا . فقالت هُزيلة : أمّا النكاح فإنما يكون بالمهر ، وأمّا السِّفاح فإنما يكون بالقهر ، وما لى فيهما من أمر ! فلما سمع عِمليقُ كلامها أمر أن تباع مع زوجها ، فيُعطى زوجها خُمس ثمنها ، وتعطى هُزيلة عُشر ثمن زوجها ، ويُستَرَقّا . فأنشأتْ تقول :

أتينا أخا طَسْمٍ ليَحكُمَ بيننا فأنفَذ حكما فى هُزَيلةَ ظالما
لعمرى ، لقد حَكمتَ لا متورِّعا ولا كنتَ فيما يُبرَم الحكمُ عالما[٤]

فلما سمع عمليقُ كلامها أمر أن لا تَزَوّج بِكرٌ من جَديسَ فتهدى إلى زوجها إلاّ يفْتَرِعْها[٥] هو قبل زوْجها ، فلقُوا من ذلك جهداً وذلا . فلم يزل على

---

(١) فى النسختين : « لوز » وفى أصل نوادر المخطوطات وابن الأثير ١ : ٢٠٣ : « لوذ » ، صوابهما ما أثبت من الأغانى ١٠ : ٤٥ والاشتقاق ٨٣ ونهاية الأرب ١ : ٢٩٢ فهو المطابق للترجمة العربية ، وان كان أصله فى العبرية « لُود » بضم اللام وآخره دال مهملة . انظر التكوين ١٠ : ٢٢ .
(٢) الصواب أن لاوذ أخو ارم لا ابنه ، كما فى سفر التكوين .
(٣) الذى فى الأغانى عن ابن حبيب عن ابن الاعرابى ١٠ : ٤٦ : « انى قد أعطيتها المهر كاملا » .
(٤) وكذا فى الأغانى . وفى كتاب ابن حبيب : « فيما تبرم الحكم » .
(٥) كذا فى النسختين . وفى كتاب ابن حبيب : « الا يؤتى بها عمليق فيفترعها » .

هذا أربعين سنة حتَّي زُوجت الشّموس عميرة بنت غفار الجديسيّة[١] أخت الأسود (الذى وقع إلى جبلى طيء وسكنوا الجبلين بعده[٢]) فلما أرادوا أن يُهدوها إلى زوجها ، انطلقوا بها إلى عمليقٍ لينالَها قبله ، ومعها القينات يغنين ويقلن :

ابْدى بعِمْليقٍ ، وقُومى واركَبى ! وبادرى الصبْحَ لأمرٍ مُعجِبِ[٣]
فسوفَ تَلْقَيْنَ الذى لم تطلُبى ! وما لِبِكر عنده مِنَ مَهْرَب !

فلما أدخلت عليه افترعَها ، وخلّىْ سبيلها . فخرجت إلى قومها فى دمائها شاقّةً دِرعَها عن قُبُلها ودُبرها ! وهى تقول :

لا أحدٌ أذلَّ من جَديسِ أهكذا يُفْعَل بالعروس !
يرضىْ بهذا ، ياالقَومى . حرّ ! أهدى وقدأعطى وسيِقَ المَهْرُ[٤]
لأخذُه الموتَ كذا لنفسِهِ[٥] خيرٌ مِنَ أن يُفْعَل ذا بعِرسِهِ

وقالتْ تحرِّض قومهَا :

أيصلُحُ ما يُؤتىْ إلى فتَياتِكم وأنتمْ رجالٌ فيكم عددُ النمل ؟[٦]
وتُصبح تمشى فى الدّماء صبيحة شميسة زُفّتْ فى النساء إلى البعْل[٧]

---

(١) فى كتاب ابن حبيب : « عفيرة بنت عفار » . وفى الأغانى : « عفيرة بنت عباد » .
(٢) فى الأغانى ١٠ : ٤٦ : « الذى دفع الى جبل طيء فقتله طيء وسكنوا الجبلين من بعده » .
(٣) فى كتاب ابن حبيب : «بأمر معجب» وكذا فى المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ ٢١٤
(٤) فى محاسن الجاحظ : « من بعد ماأهدى وسيق المهر
(٥) فى المحاسن : « لأن يلاقى المرء موت نفسه »
(٦) المحاسن : « وأنتم رجال كثرة عدد الرمل
(٧) فى كتاب ابن حبيب : « عشية زفت » . وفى الأغانى :
وتصبح تمشى فى الرعاء عفيرة عفيرة زفت فى النساء الى بعـل

فإن أنتمُ لم تغضَبوا بعد هذه
فكُونوا نساء لا تَعِبْ عن الكحل(١)

ودونكمُ طيبَ العَروسِ ، فإنّما
خُلِقتُمْ لأثواب العَروس وللغَسْل(٢)

فلو أنّنا كنّا رجالاً وأنتم نساء ، لكنّا لا نقيم على الذلّ(٣)

فبُعداً وسُحقاً للذى ليس دافعاً ويختالُ : يمشى بيننا مِشْيَةَ الفحْل(٤)

فموتوا كراما أو أميتوا عدوّكم ودِبّوا لنار الحرب بالحَطَب الجَزْل(٥)

فلما سمع قولَها أخوها الأسود — وكان سيّداً مطواعاً — قال لقومه : يا معشر جَديس ، إنّ هؤلاء القومَ ليسوا بأعزّ منكم فى داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا [وعليهم(٦)] وأنتم أذلّ من النيِّبِ ، فأطيعونى يكنْ لكم عزّ الدهر ، وذهابُ ذلّ العمر . فقالوا : نطيعك ، ولكنّ القومَ أكثر منّا وأقوى . قال : فإنى أصنعُ للملِك طعاماً ثم أدعوهم إليه ، فإذا جاءوا يرفُلون فى حللهم مشَينا إليهم بالسيوف فقتلناهم ، وأنا أنفرد بعمليق ، وينفردُ كلّ واحد منكم بجليسه ! فاتخذ الأسوَد طعاماً كثيراً ، وأمر القوم فاخترطوا سيوفَهم ودفنوها فى الرمل، ودعا القوم فجاءوا ، حتّى إذا أخذوا مجالسهم ومدّوا أيديَهم إلى الطعام ، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم ، فشدّ الأسود على

(١) كذا (ش) وفى ط : « من الحل » ، وفى كتاب ابن حبيب : «من الكحل » ، وفى الأغانى : « لا تعاب من الكحل ».

(٢) وكذا فى كتاب ابن حبيب ، وفى الأغانى : « وللنسل ».

(٣) فى الأغانى : « وأنتم نساء »

(٤) ط : « ليس رافعا » ، صوابه للشنقيطى فى نسخته والأغانى

(٥) وابن حبيب والأغانى : « ودبوا » بالباء .

(٦) التكملة من ابن حبيب والأغانى .

عِمليق ، وكلٌّ رجل على جليسه . فلما فرغوا من قتل الأشراف شدّوا على السِفلَة فأفنَوهم ، ونجا بعضُ طَسْم ، فاستغاث بحسّان بن تبّع ، فغزا حسّان جديساً فقتلها وأخرب ديارهم وتفانى الحيان فلم يبق منهم أحد .

وَجوّ بفتح الجيم وتشديد الواو ، وهى منازل طسْم وجديس ، وكان هذا الاسم فى الجاهلية حتّى سمّاها الحِميَرىُّ لما قتَل المرأةَ التى تسمّى اليمامة باسمها وقال الملك الحميرىّ :

وقُلْنا وسمّوها اليمـامةَ باسمها وسرنا وقلنـا لا نريد إقامة

والعُقْب ، بضم العين وسكون القاف : العاقبة . والدمار : الهلاك . وقوله : ومرَّ دهر على وبار . . الخ ، هذا البيت من شواهد النحويّين(١) ، وأوّل من استشهد به سيبوَيه : على أن وبار رفع ، والمطرد فيما كان آخره راء من وزن فَعالِ أن يبنى على الكسر فى لغة الحجاز . وأورده شُرّاح الألفيّة شاهداً على ورود وَبار على اللغتين : إحداهما البناء على الكسر ، والثانية إعرابها إعرابَ مالا ينصرف . وزعم أبو حيّان : أنه يحتمل أن يكون وبارُ الثانى فعلاً ماضياً مسنداً إلى الواو . قال الأعلم : « وبار : اسم أمّة قديمة من العرب العاربة هلكت وانقطعت كهلاك عاد وثمود » .

وقال البكرىّ فى معجم ما استعجم : « قال أبو عمرو : وبار بالدهناء ، بلاد بها إبل حُوشيّة ، وبها نخلٌ كثيرٌ لا يأبِرُه أحدٌ ولا يجدُّه ، وزعم أنّ رجلاً وقع إلى تلك الأرض ، فإذا تلك الإبل ترِدُ عَيناً وتأكل من ذلك التمر ، فركب فحلاً منها ووجّهه قِبَلَ أهله ، فاتّبعته تلك الأبل الحُوشيّة فذهب إلى أهله . وقال الخليل : وبار كانت محَلّة عاد ، وهى بين اليمن ورمال يَبرين ؛

٣٥٠

(١) انظر ابن يعيش ٤ : ٦٤ والعينى ٤ : ٣٥٨ والهمع ١ : ٢٦ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١١٥ .

فلما أهلك الله عاداً ورِّثَ محلّتهم الجن ، فلا يتقارُّ بها أحدٌ من الناس(١) ؛ وهي الأرض التي ذكرها الله تعالى في قوله : (واتّقوا الذى أمدّكُمْ بمـا تعلَمُونَ . أمدّكُمْ بأنعامٍ وبنينَ ، وجنّاتٍ وعيُون(٢)) . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : كان من شأن دُعَيميص الرمل العبدىّ ، الذى يضرب به المثل فيقال : أهدى من دُعَيميص الرمل(٣) ، إنه لم يك أحدٌ دخل أرض وَبار غيره ، فوقف بالموسم بعد انصرافه من وَبار ، وجعل يُنشد :

مَنْ يُعْطِنى تسعاً وتسعين نعجةً هِجاناً وأُدْماً أهدِه لوَبارِ(٤)

فلم يجبْه أحدٌ من أهل الموسم إلاّ رجل من مَهَرة(٥) ، فإنه أعطاه ماسأل ، وتحمّلَ معه في جماعة من قومه بأهلهم وأموالهم ؛ فلمـا توسّطوا الرملَ طَمست الجنّ بصرَ دُعيميص ، واعترته الصَّرْفة فهلك هو ومَن معه جميعا .

وترجمة الأعشى تقدمت في الشاهد الثالث والعشرين(٦) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد المائة(٧) :

---

(١) يقال ما يتقار في مكانه ، أي ما يستقر .

(٢) الآية ١٣٢ ، ١٣٣ من سورة الشعراء .

(٣) الميدانى ٢ : ٣٣٠ والعسكرى ٢١٢ وثمار القلوب ٨١ والأزمنة والأمكنة ٢/٢١٥

(٤) وكذا في معجم ما استعجم ١٣٦٦ . وجعلها الشنقيطى « وتسعين لقحة » . وفي ط : « أهدها » صوابه في ش والمعجم .

(٥) قال ياقوت : « بالفتح ثم السكون . هكذا يرويه عامة الناس . والصحيح مهرة بالتحريك . وجدته بخطوط جماعة من أئمة العلم القدماء لايختلفون فيه » . وانظر بقية كلامه

(٦) الجزء الأول ص ١٧٥ .

(٧) الحماسة ٣٧٨ بشرح المرزوقى

١٢٦ (مَعاذَ الإلَهِ أنْ تكونَ كظَبْيَةٍ ولا دُميةٍ ولاعَقيلةِ رَبْرَبِ)
على أن (أل) فى (الله) بدل من همزة إلَه ، فلا يجمع بينهما إلا قليلا : كما فى هذا البيت .

وهذا البيت من أبيات عشرة للبَعيث بن حريث ، أوردها أبو تمّام فى الحماسة . وأوّلها :

أبيات الشاهد

(خَيالٌ لأمّ السلسبيل ، ودُونُها مسيرة شهرٍ للبَريد المذَبِّب
فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحبا ، فرَدَّ بتأهيلٍ وسهل ومرحبِ
مَعاذَ الإلَه أن تَكونَ كظبيةٍ . . . . البيت
ولكنّها زادتْ على الُحسْنِ كلِّه كمالاً ، ومِن طيب على كلّ طيِّب)

خَيال : مبتدأ خبرُه محذوف ؛ أى خيالها أتانى وبينى وبينها مسيرة شهر للبريد المسرِع ، والخيال يذكّر ويؤنّث ، ونكّره لأنه رآه على هيئات مختلفة ، فاعتقد أنه عِدّةُ خيالات قصد إلى واحدٍ منها . وأمُّ السلسبيل : امرأة ، ولو كان فى شعر مولَّد لجاز أن يعنى بالسَّلسبيل الريقَ ، على وجه التشبيه . والبريد : الدابة المركوبة ، معرَّب دُمْ بُرِيدَه(١) ، أى محذوفة الذنَب ، فإن الرسُل كانت تركب البغالَ المحذوفة الذنَب ، ويطلق على الرَّسول أيضا ، لركوبه إياها. والمذبِّب : اسم فاعل ، مِن ذبّب فى سيره ، أى جدّ وأسرع ، بذال معجمة والباء الأولى مشدّدة . ورُوى (المدئِّب) مِن دأَب يدْأب بالهمزة : إذا جدّ وتعب . وهاتان الروايتان للآمدى فى المؤتلف والمختلف . وروىْ شُرّاح الحماسة : (المذبذَب) قال التبريزىّ : هو الذى لا يستقرّ ، وقال الطبرسىّ : المذبذب والمذبب ، الأصل فيهما يرجع إلى الطرد والاستعجال ، والمسرع المستعجل يتذبذب أى يضطرب .

---

(١) معجم استينجاس ٥٣٥ ، ومعناه المبتور المقطوع .

وقوله : فقلت له ـ ورُوى « لها » ـ أى للخيال فيهما . وأهلا منصوب بفعل مضمر ، أى أتيتَ أهلا لا غرَباء . والتأهيل : مصدر أهّلته : إذا قلتَ له أهلا . وقوله « معاذ الإله » منصوب على المصدر أى أعوذ بالله مَعاذاً .

٣٥١

وكأنّه أنِف وتبرّأ من أن تكون هذه المرأة فى الحسن بحيث تشبَّه بالظبية ، أو الصورة المنقوشة ، أو بكريمة من بقر الوحش . والدُّمْية بالضم : الصورة من العاج ونحوه ؛ قال أبو العلاء : سمِّيتْ دُمية لأنها كانت أولا تُصوَّر بالحمرة ، فكأنها أُخذت من الدمّ . والعطف من قَبيل : « أبى اللهُ أن أسمُو بأمٍّ ولا أبِ » ، لما اشتمل المتقدِّم على معنى النفى ، كأنه قال : لا أشبِّهها بظبية ولا دُمية ؛ تعوَّذَ بالله من تشبيه خليلته بأحد هذه الثلاثة كما يشبِّه الشعراء بها . وعقيلة كلِّ شىء : أكرمه . والربْرَب : القَطيع من بقر الوحش .

وقوله : ولكنها زادت . . الخ ، بيَّن به لِمَ أنكر تشبيهها بغيرها . وكمالاً : تمييز ، أى يزيد حسنها على كلّ حسْن كمالاً ؛ لأنه لا حُسْنَ إلاّ وفيه نقص ، سوى حُسْنها ؛ وكذلك كلّ طِيب يتخلّله حطيطة إلاّ طِيبها[1]. وقوله : من طِيب قال التبريزىّ : أى وزادت من طِيبها على كل طيِّب طِيباً . وقال الطبرسى : ولما كان كمالاً تمييزاً ، دخله معنى مِن ، فحسُن أن يقول : ومن طِيب . ورأيت فى بعض شروح الحماسة : أراد : زادت بحسنها كمالاً على كلّ حسَن ؛ فحذف للعلم به ، لأنك لا تقول للحسْن : هو أكمل من الحسَن ؛ لاختلاف الجنس ، لأن الحسْن عرَض والحسَن جسم .

البعيث

و (البَعيث) قال الآمدىّ : « هو البَعيث بن حُريث بن جابر بن سُرَىَ

---

(١) الحطيطة : النقص ، وأصله مايحط من جملة الحساب فينقص منه المعجم الوسيط .

ابن مسلمة بن عُبيد بن ثعلبة(١) بن يربوع بن ثعلبه بن الدُّول بن حنيفة ابن لُجيم . . شاعر محسنٌ . وهو القائل :

خيالٌ لأم السلسبيل ودونها . . البيت

وهى أبيات جياد مختارَة . اهـ

و (البَعيث) بفتح الموحدة وكسر العين المهملة ، قال ابن جنّي : « هو اسم مرتجل للعلمّية ؛ ويمكن أن يكون صفة منقولة فيكون فعيل فى معنى مفعول » . وقال أبو رياش : « ابن حُريث هذا ، ليس بصاحب القبّة بصفّين » . وحُريث بالتصغير وسُرَىّ وعبُيد كذلك . والدُّول ، بضم الدال وسكون الواو . ولُجيم ، قال أبو العلاء : يجوز أن يكون تصغير ترخيم الملجم أو لجام ، أو تصغير لُجَم ، بضم ففتح ، وا للُّجَم : دوَيْبة يُتشاءم بها ، وتُوصف بالعُطاس ، قال الراجز :

أغدُو فلا أحاذرُ الشُّكيسا ولا أخاف اللُّجَمَ العطُوسَا(٢)

وذكر الآمدىّ شاعرَين آخَرين يقال لهما (البَعيث) أحدهما المجاشعىّ ؛ واسمه خِداش ، وهذا شاعر مشهور دخل بين جرير وغسّان السَليطىّ وأعان غسّان ، فنشِبَ الهجاء بينه وبين جرير والفرزدق وسقط البَعيث . والثانى : البَعيث التَّغلَبِىّ ، بمثنّاة فمعجمة ، وهو بَعيث بن رِزام ، وكان يهاجى زُرعة ابن عبد الرحمن . وقال القَطامىّ :

إنَّ رِزاماً غرَّها قِرْزامُها(٣) قُلْفٌ على أزبابها كِمامُها

(١) التبريزى فى شرح الحماسة « بن سلمه بن عبد بن ثعلبه » .
(٢) ط واللسان (لجم) : « العاطوسا » مع نسبته فى اللسان الى رؤبة برواية « ولا أحب » بدل « ولا أخاف » .
(٣) فى النسختين : « فرزامها » صوابه فى المؤتلف ٥٧ ومما سبق فى ١ : ٢٢٠ بولاق والقاموس (قرزم)

القِرْزام : الشاعر الدُّون ، يقال هو يُقرزم الشِعر[١] . وإنما يعنى بَعيث بنى رِزام . ومنه يُعلم أنَّ بَعيث بنى رزام إسلاميّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد المائة[٢] :

١٢٧ (إنَّ المنايا يطَّلِعْنَ على الأُناسِ الآمنينـا)

على أن اجتماع أل والهمزة فى (الأُناس) لا يكون إلاّ فى الشعر ، والقياس الناس ، فإنّ أصلَه أناس ، فحذفت الهمزة وعوِّض عنها أل ، إلاّ أنها ليست لازمة ، إذ يقال فى السَّعةَ ناس .

أقول : هذا يدلّ على أن أل فى البيت ليست عوضاً من الهمزة ، إذ لو كانت عوضاً لم يجزْ أن يقال ناس : من غير همزة ولا أل ، إذ لا يجوز الخلوّ عن العوض والمعوَّض عنه . وما ذكره ـ مِن كونه عوضاً مِن الهمزة ـ هو مذهب سيبويه ، وتبعه الزمخشريّ والقاضِى[٣] وغيرُهما .

وذهب أبو علىّ الفارسىّ فى الأغفال (وهو كتاب ذكر فيه ما أغفله شيخه أبو إسحاق الزّجاج) . أنّ أل ليست عوضاً من همزة أناس .

وقد عزا إليه السيِّد فى حاشية الكشاف خلافَ هذا فقال : « وتوهَّم أبو علىّ فى الأغفال أنّ اللام فى الناس أيضاً عوض ، إذ لا يجتمعان فى الأُناس إلاّ ضرورة . ورُدّ بكثرة استعمال ناس منكَّراً دونَ إله ، وبامتناع يا الناس دون يا الله » . انتهى .

---

(١) فى النسختين : « الفرزام ... » ، و « يفرزم الشعر » صوابه فى المؤتلف وما سبق

(٢) انظر أيضا أمالى ابن الشجرى ١ : ١٢٤/٢ : ١٢ والخصائص ٣ : ١٥١ وابن يعيش ٢ : ٩/٥ : ١٢١ وشرح شواهد الشافية ٢٩٦ ومجالس العلماء ٧٠

(٣) يعنى القاضى البيضاوى صاحب التفسير

٣٥٢

فقد انعكس النقل عليه من هذا الكتاب ! مع أنّه قد ردّ عليه ابن خالويه فيما كتبه على الأغفال ، وتعقّبه أبو على فيما كتبه ثانياً (وهو ردّ على ابن خالويه ، وسمّاه نقض الهاذور) ، وبسط الكلام فيه كل البسط . وأنا أورده مختصراً لتقف على حقيقة الحال . وهذه عبارته :

« ثم ذكر هذَراً ليس من حُكمه أن نتشاغل به ، وإن كان جميعُ ما هذَر به غيرَ خارج من هذا الحكم . . ثم حكىٰ قولَنا وهو : فإن قال قائل : أوَ ليس قد حُذفت الهمزة من الناس كما حذفت من هذا الاسم حذفاً ! فهل تقول : إنها عوض منها كما أن اللام عوض من الهمزة المحذوفة فى اسم الله . . إلى آخر الفصل فقال المعتَرِض : أمّا ادّعاؤه أنّ أل ليست عوضاً من الهمزة فى أناس كما كانت فى هذا الاسم فليس على ما ذكر . . فلم يزد على الإنكار والادّعاء ؛ لتركنا طريقةَ سيبويه وحَمْلَ كلامِهِ المطلَقِ على المقيَّد المخصوص ؛ وتظَنّي المعترِض أن الهمزة سقطت منهما على حدٍّ واحد ، وأنّ أل فى الناس عوض من حذف الهمزة كما كان ذلك فى اسم الله ، تَظَنٍّ على عكسِ ما الأمرُ عليه : وذلك أن قول سيبويه : « ومثل ذلك أناس ، فإذا أدخلتَ الألف واللام عليه قلتَ الناس » ليس يدلّ قولُه : ومثل [ذلك] أناس ، أنّ التماثل بينهما يقع على جميعِ ما الاسمانِ عليه ؛ إنما يدلّ على أن المماثلة تقع على شىء واحد . ألا ترىٰ أنّ مِثْلا إذا أضيف إلى معرفة جاز أن يوصف به النكرة ؟ لأنّ ما يتشابهان به كثير ، وإنما يتشابهان فى شىء من أشياء . ومِن ثَمّ كان نكرة ، وكان هذا الأغلب . ولو كان التشابه يقع بينهما فى كلٍّ ما يمكن أن يتشابها به لكان مخصوصاً غيرَ مبهَم ، ومحصوراً غير شائع . وفى أنّ الأمر بخلاف هذا ، دلالةٌ على أنّ الظاهر [من] كلام سيبويه ليس على ما قدّره هذا المعترض ، يدلّ على ذلك ما ذهب إليه أهل العلم فى قوله تعالى : ﴿ فَجَزَاءٌ

مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ[1] ﴾ فقال قائلون : جزاء مثلُ ما قتل فى القيمة ، وقال قائلون : جزاءٌ مثلُه فى الصورة ، ولم يذهب أحد — فيما علمناه — إلى أن المعنى جزاءٌ مثلُ ما قتل فى القيمة والصورة جميعاً . فكذلك قول سيبويه : « ومثل ذلك أناس » ، إنما يريد مثلَه فى حذف الفاء فى ظاهر الأمر لو لم تدلّ دلالةٌ على أن قولهم الناس ، ليس كاسم الله : فى كون الألف واللام عوضاً من الهمزة المحذوفة . فكيف وقد قامت الأدلّة على أن قولهم الناس : قد فارق ما عليه هذا الاسمُ فى باب العوض — على ما سنذكره إنْ شاء الله — وإذا كان الأمر فى إضافة مثلٍ ما قلنا ، تبيّن أن هذا المعترِض لم يعرف قولَ سيبويه . وليس فى لفظ سيبويه شىء يدلّ على أن الهمزة فى أناس مثلَ الهمزة فى الاسم الآخر : فى أنّه عوِّض منها شىء كما عوِّض هناك . ويبيِّن ذلك : أنه حيث أراد أن يُرِىَ النظائرَ فى العوض أفرَد ذكر الاسم فقال : وهى فى إله بمنزلة شىء غير منفصل من الكلمة ، كما كانت الميم فى اللهم غير منفصلة ، وكما كانت التاء فى الجحاجحةِ والألفُ فى يمان وأختيها بدلا من الياء . فأما الدلالة على أنّ حرف التعريف ليس بعوض ، فهى أن الألف واللام تدخل مع الهمزة فى نحو ما أنشده أبو عثمان عن أبى عمرو :

إنّ المنايا يطّلعْـ ـنَ على الأناس الآمنينا

وأنّ الأناس وأناس فى المعنى واحد ، إلاّ فيما أحدثَ حرفُ التعريف من التعريف . وقد جاء فى كلامهم ناسٌ وأناس . فمن يقول أناس يقول الأناس ، ومن يقول ناس يقول الناس . وأنشد محمّد بن يزيد :

وناس من سَراة بنى سُليم وناس من بنى سعد بن بكر

(1) الآية ٩٥ من سورة المائدة

ومما يغلِّب أنّ هذه الهمزةَ لا يلزم أن يكون منها عوض ، أنّ من يردّ الأصولَ المحذوفة فى التحقير ومَن لا يردّ ، اتفقوا عندنا جميعا على أنْ حقَّروا أناساً : نُويسا . فدلّ ترك ردِّ الأصل فى التحقير ممن يردّ ، على أنّ هذا الحذف(١) قد صار عندهم كالحذف اللازم فى أكثر الأمر ، نحو : حاشَ لله ، ونحو لا أدْرِ . وما كان من الحذف عندهم هكذا ، يبعد أن يعوّض منه ، وقد كان أولىٰ من التعويض ردُّ ما هو منه إليه ، فلما لم يقولوا أنيّس عند سيبويه ، فى تحقير ناس ، ولا عند يونس وأبى عثمان ، كان أن لا يعوَّض منه أولىٰ .

ومما يبيِّن حسْنَ الحذف منه وسهولتَه : أنه جمع ، والجموع قد تخفَّف بما لا يخفَّف الآحاد به ، ألا ترى أنّهم قالوا: عِصِىّ ودُلِىّ ، فأجمَعوا على القلب فى هذا النحو ! وكذلك نحو بِيض ، فكما خفَّفوا هذا النحو من الجمع ، كذلك قولهم أناس — بالحذف — منه . . ويدلّك على أنه جمع : أنّهم قالوا فى الإضافة إلى أناس : إنسانىّ ، كما قالوا فى الإضافة إلى الجميع(٢) : جمعىّ . فعلمتَ أنّ أُناساً فى جمع إنسان ، كتُؤام فى جمع توأم ، وبُراء فى جمع برىء ، ورُخَال وظُؤار وثُناء ، ونحوِ ذلك . فكما أجرَوه مُجرىٰ الجمع فى هذا ، كذلك أجروه مجراه فى الحذف منه ، كما خفّفوا ما ذكرنا بالقلب فيه .

ومما يغلِّب أن قولنا الناس على الحذاء الذى ذكرنا من التخفيف بالحذف ، أنّ ما فى التنزيل من هذا النحوِ عليه ، نحو : (الذينَ قالَ لهمُ الناسُ إنّ الناسَ قدْ جَمَعُوا لَكُم(٣)) ونحو : (أعوذُ بِرَبِّ الناسِ . مَلِكِ الناس)

---

(١) ط : « الحرف » صوابه فى ش
(٢) ش : « الى الجمع » ، تحريف
(٣) الآية ١٧٣ من سورة آل عمران

فهذا إنّما أدغم لام المعنى فى النون على حدّ ما أدغم فى : النشر ، والنشز ، والنعمان ؛ لا على حدّ تقدير الهمزة فيه وتخفيفها . ألا ترى أنّه لو كان على تقدير أناس لم يدغم ؛ لأن الحرفين ليسا مثلين كما كانا مثلين فى الاسم الآخر ، إنّما هما متقاربان ، والأكثر فى المتقاربين إذا تحرّك الأوّل منهما فالأقيَس أن لا يدغم الأوّل فى الثانى كما يدغم المِثْلان . وذلك : أنّ مباينة الحرفين فى المخرج إذا انضم إليها الحركة قويا على منع الإدغام ، فامتنع كما يمتنع لحجز الحرف بينهما ؛ وليس كذلك المِثْلانِ إذا حَجزت بينهما الحركة ، لأن الحركة أقلّ وأيسر فى الصوت من الحرف ، فلم يبلغ| من قوّتها أن تحجُز بين المثلين ؛ ويمنع الإدغام كما يمنع منه فى أكثر الأمر إذا انضم إلى الحركة الاختلاف فى مَخرجى الحرف . ٣٥٤

وأما قول صاحب المأذُور : والدليل على صحّة ذلك ، وأن هذا هو الذى ذهب إليه سيبويه وإن كان عنده عوضاً فى هذا الموضع أيضا : أنّه تعاطىٰ الفرق بينهما . . فتعاطيه الفرقَ بينهما لا يدلّ أنْ كان تعاطىٰ على اتفاقهما عنده ، وليس لنَسخِه كلامَ سيبويه فى جملة الهذَر فائدة ، ولا معنى لاحتجاج مَن احتجّ بشىء لا يعرِفه ولا يفهَمه ، وإنما وكْده فى غالب رأينا بتسويد الورَق وإفساده .

وأما تفسير المعترض لقولنا انهما لو كانتا ههنا عوضاً كما[1] هما فى هذا الاسم لفُعل بهما ما فُعل بالهمزة فى اسم الله . فإنْ عنيٰ به[2] أنّهما كانتا تلزمان ثم كانت الألف تنقطع فى النداء ، فليس على ما قدّر ، ولكن المراد به :

---

(١) فى النسختين : « عما » ، والوجه ما اثبت

(٢) ش : « فانى أعنى به » .

أن الألف واللام فى الاسمين لو كانا على حدٍّ واحد ، لكان الناس إذا سقط منه حرف التعريف — لا يدلّ على ما كان يدلّ عليه والحرفُ لاحقٌ به ، كما أنه فى اسم الله إذا خرج منه لا يدلّ على ما يدلّ عليه وهو فيه .

وأما قوله حاكياً لكلامنا : فأما استدلاله على أنهما فى الناس غيرعوض بقول الشاعر : « على الأُناسِ الآمنينا » وأنه لو كان عوضا لم يكنْ لِيجتمع مع المعوَّض منه ، فهذا يلزمه بعينه فيما ذهب إليه فى اسم الله . وذلك أنه يقال له : ألستَ تقول الإلَه ، فتُدخلَ الألفَ واللام على إلَه ولا تحذِفَ الهمزة مع دخولها . . إلى آخر الهذَر . أقول : ليس الأمر كما تظنّاه هذا العامّىّ المريض ، لِماَ ذكر سعيد عن قَتادة فى قوله تعالى : (هلْ تَعْلَمُ لهُ سَمِيّا[1]) : لا سمىّ لله ولا عَدْل له ، كلٌّ خلْقِه مقرٌّ له ومعترف له أنّه خالقه . ثم يقرأ : (ولئِنْ سألتَهُمْ مَنْ خلَقَهُمْ ليَقولُنّ اللهُ[2]) فالاسم الذى لا سَمىّ للقديم سبحانه وتعالى فيه ، لا يخلو من أن يكون اللهَ أو الرحمنَ ، فلا يجوز أن يكون الرحمنَ ، لأنّه وإن كان اسماً من أسماء الله فقد تُسُمِّىَ به ، وقد قالوا لمسيلمة : رَحمان ، وقالوا أيضاً فيه : رحمان اليمامة ، وذكر بعض الرواة : أنهم لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن قالت قريش : أتدرون ما الرحمن ؟ هو كاهن اليمامة ! فهذا يدلّ على أنّهم كانوا لا يحظُرُون التسمية به . فإذا كان قد سمّى به ، ثبت أن الاسم الذى لا سمىٌّ له فيه هو « الله » وهذا الاسم إنما يكون بهذا الوصف إذا لزمه الألف واللام ، فأما إذا أُخرجا منه وأُلحقَ الهمزةَ فقيل : إلَه والإلَه ، فليس على حدٍّ قولهم « الله » فى الاستعمال

(١) الآية ٦٥ من سورة مريم

(٢) الآية ٨٧ من سورة الزخرف

ولافى المعنى ، ألا ترى أنه إذا قال إله صار مشتركا غير مخصوص وجاز فيه الجمع!
وأما فى المعنى: فإنه يعمل عملَ الفعل كقوله تعالى : (وهُوَ الذى فى السماءِ[١]
إلَه) الظرف يتعلق بما فى إلَه من معنى الفعل ، وإذا دخلته الألف واللام لم
يعمل هذا الحد لخروجه عن حد المصادر . فإن قلتَ : (وهُوَ اللهُ فى السماواتِ
وفى الأرض يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وجَهْرَكُمْ[٢]) فإنّ الظرف لا يتعلّق بالاسم على
حدّ ما تعلق بإلَه إلا على حد ما أذكره لك : وهو أن الاسم لما عرف منه
معنى التدبير للأشياء والحفظ لها وتصوّرها[٣] فى نحو : (إنّ اللهَ يُمسِكَ
السمٰواتِ والأرضَ أنْ تَزُولا[٤]) صار إذا ذُكِر كأنه قد ذُكِر المدبِّر
والحافظ المثبِّت ، فيجوز أن يتعلّق الظرف بهذا المعنى الذى دلّ عليه الاسمُ
بعدأن صار مخصوصاً ، وفى أحكام الأسماءِ الأعلام التى لا معنى فعلٍ فيها ، فبهذا
يتعلّق الظرف . وعلى هذا تقول : هو حاتمٌ جواداً ، وزهيرٌ شاعرًا ، فتعلّق
الحال بما دخل فى هذه الأسماء من معنى الفعل ، لاشتهارها بهذه المعانى ،
ولولا ذلك لم يجز . فإذا كان كذلك ، علمتَ أن هذا الاسم إذا أخرجتَ منه
الألف واللام فقلتَ إلَه لم يكن على حدِّ قولنا الله،وليس كذلك الناس والأُناس،
لأنّ المعنى فى كلا الحالين فيه واحد ، ألا ترىٰ أنه اسم العين لا مناسبة بينه وبين
الفعل ! وهذا الذى عناه سيبويه عندنا بقوله : وذلك أنّه من قِبَل أنه اسمٌ
يلزمه الألف واللام لا يفارقانه ، فصار كأنّ الألف واللام فيه بمنزلة الألف
واللام اللتين من نفس الحرف . وليس فى الناس والأُناس كذلك ، ألا ترى
أنك إذا أخرجتهما من الاسم دلّ على أنّ الأعيان التى يدُلّ عليها حسبا يدلّ

(١) الآية ٨٤ من سورة الزخرف
(٢) الآية ٣ من سورة الأنعام
(٣) كذا فى النسختين .
(٤) الآية ٤١ من سورة فاطر

٣٥٥

عليها وهما فيه ، وليس فى اسم الله كذلك ؛ فإذا كان الأمر فيه على ما ذكرنا، وضحَ الفصلُ بين الاسمين إذا أخرج منهما الألف واللام . مما وصفنا لم يكن إخراج الألف واللام من اسم الله سبحانه كإخراجه من الناس حذْوَ القُذّةِ بالقُذّة . انتهى كلام أبى علّى . وقد حذفنا منه مقدار ما أثبتنا ، وسقنا هذا الكلامَ بطوله لكثرة فوائده .

واعلم أنهم اختلفوا فى (ناس) فقال الجمهور : أصله أناس ، فقيل : جمع إنسان ، وقيل : اسم جمع له . وقال الكسائىّ : هو اسم تامّ وعينه واو ، من ناس ينوس إذا تحرّك . وعلى هذا فإطلاقه على الجن واضح ، قال فى القاموس: « والناس يكون من الإنس والجن » إلاّ أن قوله أصلُه أناس ، مع جعلِه من مادة (نوس) غير صحيح ، وصرّح به جماعة من أهل اللغة ، فإن العرب تقول : ناسٌ من الجنّ ، وفى الحديث « جاء قومٌ فوقفوا . فقيل : مَن أنتم ؟ قالوا : ناس من الجن » ولذا جوّز بعضهم فى قوله تعالى : (منَ الجِنّة والنّاسِ) أن يكون بياناً للناس . وقيل : أصله (نَسِيٌ) من النِّسيان، فقدِّمت اللام على العين وقلبت ألفا ، فصار ناساً .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من أبيات لذى جدَن الحِميرىّ الملك ؛ كما فى كتاب المعمّرين لأبى حاتم السجستانى(١) ، قال : عاش ثلثمائة سنة ، وقال فى ذلك :

لكلِّ جنبٍ اجتني مُضطجَعْ(٢) والموتُ لا ينفعُ منه الجزعْ
اليوم تُجزَوْنَ بأعمالكمْ كلُّ امرئ يحصُدُ مما زرَعْ(٣)

---

(١) المعمرين ٣٣ — ٣٤ . والأبيات ٢٦ بيتا فى الجمهرة ١٣٧ — ١٣٨
(٢) فى النسختين : « مضجع » صوابه من المعمرين وجمهرة أشعار العرب ١٣٧ . وقد طبعت نسخة ليدن من المعمرين — وهى أصل طبعة مصر — من نسخة البغدادى
(٣) فى النسختين : « مما يزرع » صوابه من المعمرين والجمهرة . وفى الجمهرة : « ماقد زرع » .

لو كان شىء مفلِتاً حتفَه أفلت منه فى الجبال الصدَع

وقال أيضاً :

أبيات الشاهد

(يا اجتَنِيْ مهلاً ذَرِينا أفى سِفاء تعذُلينا(١)
يا اجتَنِيْ تَستَعْتبينا فلا وربِّك تُعْتَبِينا
يومٌ يغيِّر ذا النَّعيم وتارةً يشفى الحزينا
إنَّ المنايا يطّلعن على الأُناس الآمنينا
فيدَعْنَهم شتّى ، وقد كانوا جميعاً وافرينا)

٣٥٦

فقوله : اجتنى ، اسم امرأة ، منقول من الفعل الماضى من اجتنى الثمرة ، وهو منادَى بحرف النداء المحذوف . ومُفلِتا: اسم فاعل من أفلتَه : إذا أطلقه . والصدَع بفتح الصاد والدال : الوعِل . والسِّفاء ، بكسر السين المهملة : مصدر سافاه مسافاة وسِفاء : إذا سافهه . واستعتب : طلبَ الإعتاب ، والإعتاب : مصدر أعتبه : إذا أزال عتابه وشكواه ، فالهمزة للسلب. وعتَب عليه من باب ضرب وقتل : إذا لامه فى تسخّط . والعتاب : مصدر عاتبه . وقوله : تُعتَبينا هو جواب القسَم(٢) بتقدير لا النافية ، كقوله تعالى : (تاللهِ تفتَؤُ تذكُرُ يُوسُفَ(٣)) وهذا بالبناء للمجهول . وقوله : يومٌ ، أى للدهر يومٌ يغيِّر صاحبَ النعيم نعيمَه . ويشفى بالفاء . والمنايا : جمع مَنيَّة ، وهى الموت . ويطّلعن : يُشرِفن ويقربن . والآمنين : جمع آمن بمعنى مطمئن ، يقال أَمِنَ البلدُ : إذا

(١) السفاء ، كسحاب : الطيش والخفة ، ومثلها « السفاه »

(٢) ط : « تعتبينا مصدر هو جواب القسم » ، وكلمة « مصدر » مقحمة ، خط عليها الشنقيطى فى نسخته

(٣) الآية ٨٥ من سورة يوسف

اطمأنّ . وقوله : فيدعنهم ، رُوِى بدله : (فيذرْنهم) . وشتّى : متفرقين ، وهو جمع شتيت . ووافرين : جمع وافر ، من وفَر الشىء من باب وعد وفوراً: تمّ وكمَل .

وزعم بعضُهم ، فيما كتبه على تفسير البيضاوى : أن بيت الشاهد من قصيدة لعَبيد بن الأبرص ، قال : وأولها كما فى الحماسة البصْريّة :

نحنُ الألىٰ فاجمعْ جمو عَك ثمّ وَجِّهْهم إلينـا

وفيه نظر من وجهين(١): الأول أن هذا البيت لم يذكره صاحب الحماسة فى تلك القصيدة ، والثانى : أن أوّل القصيدة إنما هو :

ياذا المخوِّفنا بقتل أبيه إذلالاً وحَينا

والبيت الذى أورده من أواخرها كما تقدم .

وذوجَدَن ، بفتح الجيم والدال : اسم مرتجَل ، وهو من أذواء اليمن(٢) .
والأذواء بعضهم ملوك وبعضهم أقيال ، والقَيل دون الملك ، قال فى الصحاح : « والقَيل : ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم ، والمرأة قيلة . وأصله قيِّل بالتشديد ، كأنه الذى له قول ، أى ينفذ قوله ، والجمع أقوال وأقيال أيضاً ، ومن جمعه على أقيال لم يجعل الواحد منه مشدّداً . والمِقوَل بالكسر : القَيل أيضاً بلغة أهل اليمن ، والجمع المقاول » .

---

(١) الميمنى : « بل من ثلاثة أوجه . والثالث : اختلاف القافية مابين الآمينا والينا » .

(٢) ذكر الميمنى أن أذواء اليمن مستقصاة فى المجلة الألمانية Z. D. M. G ٢٩ : ٦٢٠ . قلت : وانظر أمالى ابن الشجرى ١ : ١٧٠ ـ ١٧٢ والاشتقاق ٥٢٥ ـ ٥٣٣

ومن الأذواء الأوائل (أبرَهَة ذو المنار) ، والمنار مَفعَل من النور[١] . .
وابنه (عمرو ذو الأذعار) بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة ، زعموا أنه حمل معه إلى اليمن نَسْناساً فذُعر الناس منه . وصحفه ابن الشجرىّ فى أماليه بالدال المهملة فقال : والأدعار جمع دَعِر ـ أى بفتح فكسر ـ وهو العُود الكثير الدخان[٢] . وأُنكِر عليه فى بغداد فأصرَّ عليه . . وبعد ذى الأذعار بِدهر (ذو مُعاهِر) واسمه حسّان . ومعاهر من العَهْر وهو الفجور . وبعده (ذو رُعين الأكبر) واسمه يَريم ـ ورُعين : اسم حصن كان له ؛ وهو فى الأصل تصغير رَعْن ، وهو أنف الجبل . ويَريم : من قولك رام من مكانه ، أى برح وانفصل منه . و (ذو رعين الأصغر) واسمه عبد كُلال بضم الكاف وتخفيف اللامين. وبعده بدهر (ذو شَنَاتِر) واسمه ينوف ؛ من ناف الشىء ينوف : إذا طال وارتفع . والشَّناتر بفتح الشين المعجمة والنون : الأصابع فى لغة اليمن . ومنهم (ذو القَرنين) واسمه الصَّعْب . (وذو غَيمان) وهو من الغَيْم الذى هو العطش وحرارة الجوف ؛ بالغين المعجمة . و (ذو أَصْبَح) بفتح الهمزة ، وإليه نسبت السِّياط الأصبَحيّة . و (ذو سَحَر) بفتح المهملتين و (ذو شَعْبان) . .
و (ذو فائش) واسمه سلامة : وفائش : من الفِيَاش وهو المفاخرة و (ذو حُمَام) والحُمام بضم المهملة : حُمَّى الإبل[٣] .

٣٥٧

---

(١) أما أبرهة فاسم حبشى ، كما ذكر ابن دريد فى الاشتقاق ٥٣٢ . وقال : « وذو المنار : أول من بنى الأميال على الطرق فسمى ذا المنار » .

(٢) فى أمالى ابن الشجرى بعده : « وقيل هو الأذعار بالذال المعجمة، جمع ذعر

(٣) كذا فى الأصل والأمالى . وفى القاموس (حمم) : « وكغراب : حمى جميع الدواب » .

و (ذو تُرْخُم) بضم المثناة والخاء المعجمة ، وفتحها وسكون الراء(١) : من قولهم : ما أدرى أى تَرْخُمٍ هو : أى أىّ الناس . وتُرْخَم قبيلة باليمن أيضاً .

و (ذو يَحصِب) من قولهم حَصَبه يحصِبه : إذا رماه بالحصباء ، وهى الحصَى الصغار .

و (ذو عَسِيم) بفتح العين وكسر السين المهملتين ، من العَسَم بفتحتين وهو يُبْس فى المرْفق ، أو من العَسْم بالسكون وهو الطمع . .

و (ذو قُثَاث) بضم القاف وتخفيف المثلّثتين من قولهم قثّ يقُثّ : إذا جمع . .

و (ذو حُوال) بالضم واسمه عامر . وحُوال من المحاولة وهى الطلب .

و (ذو مِهدَم) وهو مِفعل بالكسر ، من هدمت البيت .

[وذو الجناح(٢)] واسمه شمر . . و (ذو أنَس) والأنَس بفتحتين : الجماعة من الناس .

و (ذو سُحَيم) وهو تصغير أسحم وهو الشديد السواد .

و (ذو الكُبَاس) بضم الكاف وآخره مهملة ، وهو الرجل العظيم الرأس.

و (ذو حُفار) بالضم من قولك حفَر البئر .

و (ذو نُواس) ، واسمه زُرعة(٣) . ونُواس بالضم من النَّوْس ،

---

(١) ترخم ، كجندَب وجندُب ، ومثل طحلب وطحلب وعنصَر وعنصر ، كما فى القاموس

(٢) التكملة من أمالى ابن الشجرى ١٧١ ، ساقطة من النسختين

(٣) زرعة ، بضم الزاى وفى ط : « ذرعة » صوابه فى ش وأمالى ابن الشجرى والروض الأنف ١ : ٢٩

وهو تذبذُب الشيء وشدّة حركته . وسُمِّي بذلك لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقه[١] ، وكان غلاماً حسناً من أبناء الملوك ، أراده على نفسه ذو الشناتر، فوجأه بخِنجر كان قد أعدَّه له فقتله ، ورضيتْه حميرُ لنفسها لِما أراحها من ذي الشناتر . وذو نواس هو صاحب الأُخدود الذى ذكره الله عزّ وجل ، وكان يهودياً فخدَّ الأخدود لقومٍ من أهل نجران تنصَّروا على يد رجل من قبل آل جفنة دعاهم إلى اليهودية فأَبوا فحرقهم ، ثم ظهرت الحبشة على اليمن فحاربوا ذا نُواس أشدَّ حرب ، فلما أيقن بالهلاك اعترض [البحرَ[٢]] بفرسه فكان آخرُ العهد به .

صاحب الأخدود

ومنهم (ذو الكُلاع الأكبر) و (ذو الكلاع الأصغر) وأدرك الأصغر الإسلامَ ، كتب إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم مع جرير بن عبد الله البَجَلى فأسلم ، وأعتق يوم أسلم أربعة آلاف عبد ؛ وهاجر بقومه فى أيام أبى بكر رضى الله عنه إلى المدينة . ثم سكنوا حِمْص .

واشتقاق الكُلاع ، بضم الكاف وفتحها ، من الكَلَع بالتحريك ، وهو شُقاقٌ ووَسَخ يكون فى القدم ؛ يقال منه كَلِعت رجلُه .

ومنهم (ذو عَثْكلاَن) بفتح العين وسكون المثلثة ، وهو اسم مرتجل .

و (ذو ثُعْلُبان) بالضم وهو ذكر الثعالب .

و (ذو زَهْران) ، و (ذو مَكارِب) أى ذو مفاصلَ شِداد ، جمع مُكرَب كمكرم .

و (ذو مُنَاخ) بالضم وكان نزل ببعْلَبَك .

---

(١) مابعده الى « وذونواس » لم يرد فى أمالى ابن الشجرى
(٢) التكملة من أمالى ابن الشجرى .

و (ذو ظَلِيم) واسمه حَوشَب ، وهو العظيم البطن . والظَّليم : ذكرُ النعام . وشهد ذو ظَلِيم صِفينَ مع معاوية رضى الله عنه .

ومنهم (ذو يَزَن) ملك اليمنَ بعد ذى نُواس فهزمته الحبشة ، واقتحم البحر فهلك . ويَزَن : اسم مرتجل ، وهو غير منصرف ، لأن أصله يزأن على وزن يسأل ؛ فخففوا همزته فصار وزنه يَفَل ؛ ومنهم من ردّ عينه فى النسب فقال رمح يَزَأنىّ : وقيل إن أصله من وزَن يزِن ، فحذفت الواو ثم أبدلت الكسرة فتحة . واسم ذى يزن : عامر بن أسلم بن زيد بن غوث الحميرى والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه[1] :

١٢٨ (مِنَ اَجلك يا التى تيَمّتِ قَلبي وأنتِ بَخيلةٌ بالوَصل عنّي)

على أنّه شاذ : لأن فى لام (التى) اللزوم فقط وليس فيها العوضية أيضاً . ٣٥٨

قال بعض شرّاح المفصّل : ولو قلتَ : تقديره : من أجلك يا حبيبتى التى تيمْتِ قلبى ، لم يبق إشكال ؛ لأن (التى) لم تكن منادى على هذا التقدير . انتهى

وروى (فدَيتُك يا التى الخ) . ومعنى تيّمت : ذلّلت واستعبدت ؛ ومنه تَيْم اللاتِ أى عبْد اللات . وروى : (وأنتِ بخيلة بالودّ عنّي) ، أى علىّ

و (منَ اَجلك) يقرأ بنقل فتحة ألف أَجلك إلى نون مِن . وقوله : من اَجلك علّةٌ معلولُها محذوف ، أى من أجلك قاسيت ما قاسيت ؛ أو خبر

(١) سيبويه ١ : ٣١٠ . وانظر الانصاف ٢٠٩ وابن يعيش ٢ : ٨ والهمع ١ : ١٧٤

مبتدأ محذوف ، أى من أجلك مقاساتى . وكان القياس أن يقول تيمّتْ بتاء التأنيث على الغيبة ، لكنْ جاء على نحو قوله :

* أنا الذى سمّتْنِ أمّى حيدَرهْ(١) *

والقياس سمّتهُ . وجملة أنت بخيلة [حال(٢)] عاملها تيمّتِ .

وهذا من الأبيات الخمسين التى لم يعرف لها قائل ولا ضميمة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد المائة (٣) :

١٢٩ (فيا الغُـلامانِ اللّذانِ فرّا إيّاكُما أن تـكْسِبانا شرّا)

على أنه أشذّ مما قبله : إذ ليس فى أل التى فى الغلامين لزوم ولا عوض .

وخرّجه ابن الأنبارىّ فى الإنصاف على حذف المنادىٰ وإقامة صفته مقامه قال : « التقدير فيه وفى الذى قبله ، فيا أيها الغلامان ، وياحبيبتى التى ؛ وهذا قليل بابُه الشعر » . وإيّاكما : تحذير . وأن تَكسِبانا : أى من أن تكسبانا ؛ وماضيه كسَبَ يتعـدّى إلى مفعولين ، يقـال : « كسبتُ زيداً مالاً وعلماً أى أنلتُه » .

قال ثعلب : كلّهم يقول : كَسَبَكَ فلانٌ خيراً ، إلاّ ابن الأعرابىّ فإنه يقول : « أكسبك بالألف » كذا فى المصباح .

وهذا البيت شائعٌ فى كتب النحو ، ولم يُعرف له قائل ولا ضميمة .

* * *

(١) من شواهد الخزانة ٢ : ٣٢٣ ، ٥٣٤ بولاق وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٥٢ والهمع ١ : ٨٦ مع نسبته الى على بن أبى طالب .

(٢) التكملة من ش .

(٣) العينى ٣ : ٢١٥ وابن يعيش ٢ : ٩ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ١٨٢ والانصاف ٣٣٦ والهمع ١ : ١٧٤ والأشمونى ٣ : ١٤٥

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثلاثون بعد المائة [١] :

١٣٠ ﴿ إنّي اذا ما حَدَثٌ أَلَمَّا أقولُ : يا ٱللّهُمَّ يا ٱللهُمَّا ﴾

على أن اجتماع يا والميم المشدّدة شاذّ .

والحدث محرّكة : ما يحدث من أمور الدهر . وروى أبو زيد فى نوادره :

(إنّى إذا ما لَمَمٌ أَلَمّا)

هو بفتحتين مقارفة الذنب [٢] ، وقيل هو الصغائر . وألَمّ الشيء : قرُب .
وأقول : خبرُ إنّ ، وإذا : ظرف له .

وهذا البيت أيضاً من الأبيات المتداولة فى كتب العربيّة ، ولا يعرف قائله ولا بقيّته . وزعم العينيّ أنه لأبى خِراش الهذلىّ . قال : وقبله :

إنْ تغفرِ اللّهُمَّ تغفرْ جمّا وأىُّ عبدٍ لك لا ألمّا

وهذا خطأ ؛ فإن هذا البيت الذى زعم أنه قبله ، بيتٌ مفرد لا قرين له ، وليس هو لأبى خِراش ، وإنّما هو لأميّة بن أبى الصّلت ، قاله عند موتِهِ ، وقد أخذه أبو خِراش وضمّه إلى بيت آخر وكان يقولها ، وهو يسعى بين الصفا والمروة ، وهما :

لا هُمّ هذا خامسٌ إنْ تمّا أتمه اللهُ وقد أتمّا

إن تغفر اللّهم تغفر جمّا . . . . الخ

وقد تمثّل به النبي ﷺ وصار من جملة الأحاديث ؛ أورده السيوطىّ

٣٥٩

(١) العينى ٤ : ٢١٦ ونوادر أبى زيد ١٦٥ والانصاف ٣٤١ وابن يعيش ٢ : ١٦٠ والهمع ١ : ١٧٨ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢١٣ واللسان (أله ٣٦٢) والمخصص ١ : ١٣٧١

(٢) ط : « مقاربة الذنب » صوابه فى ش

فى جامعه الصغير ، ورواه عن الترمذىّ فى تفسيره ، وعن الحاكم فى الإيمان والتوبة عن ابن عباس رضى الله عنهما .

قال المناوىّ فى شرحه الكبير : يجوز إنشاد الشعر للنبي ﷺ وإنما المحرَّم إنشاؤه . ومعناه إن تغفرْ ذنوبَ عبادك فقد غفرتَ ذنوباً كثيرة ؛ فإنّ جميع عبادك خطّاءون . وقوله : لا ألمّا أى لم يلم بمعصية .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات جمل الزجّاجىّ[1] :

١٣١ (وماعليكِ أنْ تقُولى[2] كُلّما سبَّحْتِ أو صَلّيتِ : ياالّلهُمَّ ماَ)
(أرْدُدْ علينا شيخَنا مُسلّما)

على أنَّ (ما) تزاد قليلا بعد (يا اللهم) .

هذا الرجز أيضاً مما لا يُعرف قائله . وزاد بعد هذا الكوفيّون :

(مِنْ حَيثُما وكيفَما وأينَما فإنّنا من خَيرِه لن نُعْدَما)

فقوله (وما عليكِ . . الخ) ما استفهامية ، والمعنى على الأمر . والتسبيح : تنزيه الله وتعظيمه وتقديسه . و (صَلّيتِ) بمعنى دعوت ، أو الصلاةِ الشرعية . وروى بدله : (هلّلت) ، أى قلت : لا إله إلا الله ؛ كما أن سبحت : قلت سبحان الله . و (الشيخ) هُنا : الأب أو الزوجُ . و (مسلّماً) : اسم مفعول من السلامة . وقوله : من حيثُما ، أى من حيثما يوجد . . الخ . وقوله : فإننا من خيره ، الخير هنا : الرزق والنفع . ولن نُعدَما بالبناء للمفعول .

(١) الانصاف ٣٤٢ والهمع ٢ : ١٥٧ واللسان (أله ٣٦٢)
(٢) ط : « تقول » صوابه فى ش والمراجع السالفة

أمرَ بُنيَّته أو زوجته بالدعاء له ، إذا سافرَ وغاب ، فى أوقات الدعوات وفى مظانّ القَبول : كما فعلتْ بنت الأعشىٰ ميمون[١] :

تقولُ بنتى وقدْ قُرِّبتُ مُرْتحَلا   يا ربِّ جنِّبْ أبى الأوصابَ والوجَعَا
عليكِ مثلُ الذى صلَّيتِ فاغتمِضى   نوماً فإنَّ لجنبِ المرء مُضطَجَعا

وقال أيضاً :

تقول ابنتى حين جدّ الرحيلُ   أُرانا سواءً ومَنْ قد يَتِمْ
أبانا ، فلا رِمْتَ مِن عنْدِنا   فإنّا بخيْرٍ إذا لم تَرِمِ
ويا أبَتا ، لا تَزُلْ عندَنا   فإنَّا نخافُ بأن نُخْتَرَم
أُرانا إذا أضمرتك البلا   دُ نُجفىٰ ويُقطَع مِنَّا الرحِم

فقوله : قُرِّبتُ ، بالبناء للمفعول[٢] ، والمرتحَل : الجمل الذى وضع عليه الرحل ؛ وهذا كناية عن الرحيل . والأوصاب : جمع وصَب ، وهو المرض . وصلَّيتِ : دعوت . ويَتِمَ ييتَم من باب تعب وقرب : إذا صار يتيما . ورام يريم بمعنى برِح يبرح . ولا تَزُلْ من زال يزول ، والأفعال الثلاثة بعده بالبناء للمفعول .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[٣] :

(١) ط : « أعشى ميمون » ، صوابه فى ش . يعنى بنته التى قال فيها هذا الشعر .
(٢) كذا فى النسختين ، وقد غيرها بكلمة « للفاعل »
(٣) سيبويه ١ : ٢٦ ، ٣١٤ . وانظر الخزانة ٢ : ١١٦/٤ : ٢٧٣ بولاق ابن يعيش ٢ : ١٠ ، ١٠٥ / ٣ : ٢١ والعينى ٤ : ٢٤٠ والخصائص ١ : ٣٤٥ وابن الشجرى ٢ : ٨٣ وشرح شواهد المغنى ٢٨٩ وديوان جرير ٢٨٥

١٣٢ (يا تيمَ تيمَ عَدِىٍّ لا أبالَـكُمُ
لا يُلْقِيَنَّـكُمُ فى سَوْءَةٍ عُمَرُ)

٣٦٠

على أن (تيماً) الأوّل يجوز فيه الضم والنصب ؛ وفى الثانى النصب لا غير ؛ وبيَّنه الشارح المحقّق .

قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل : وأضاف تيما إلى عدىّ للتخصيص . واحترز به عن تيم مرَّة فى قريش ، وهم بنو الأدرم ؛ وعن تيم غالب بن فهر، فى قريش أيضاً ؛ وعن تيم قيس بن ثعلبة ؛ وعن تيم شيبان ؛ وعن تيم ضَبَّة . وعدىّ المذكور هو أخو تيم ، فإنهما ابنا عبد مَنَاة بن أُدّ بن طابخة ابن الياس بن مضر .

ومعنى (لا أبالـكم) ، الغلظة فى الخطاب ، وأصله أن يُنسَب المخاطبُ إلى غير أب معلوم شتماً له واحتقاراً ، ثم كثرت فى الاستعمال حتى جعلتْ فى كل خطاب يُغلَظ فيه على المخاطب . وحكىٰ أبو الحسن بن الأخضر : أن العرب كانت تستحسن لا أبالك ، و تستقبح لا أمَّ لك ؛ لأن الأم مشفقة حنينة، والأب جائرٌ مالك(١) . وتقدّم الـكلام عليه مفصلاً فى الشاهد الثانى عشر بعد المـائة(٢) .

وقوله : (لا يُلقينّـكم) بالقاف من الإلقاء وهو الرمى ؛ قال ابن سِيدَه : من رواه بالفاء فقد صحّف وحرّف . ورُوى : (لا يوقِعَنّـكم) ، والنهى واقع فى اللفظ على عمر ، وهو فى المعنى واقعٌ عليهم . و (السَّوْءَة) بالفتح : الفَعلة

(١) وكذا فى شرح شواهد المغنى حيث ورد هذا النص ، وقد جعلها الشنقيطى : « حائز مالك » .

(٢) انظر ص ١٨٣ من هذا الجزء .

القبيحة ، أى لا يوقعنّكم عمر فى بليّة ومكروه لأجل تعرّضه لى ، أى امنعوه من هجائى حتّى تأمنوا أن ألقيكم فى بليّة ، فإنكم قادرون على كفّه ؛ فإذا تركتم نهيه فكأنكم رضيتم بهجوه إياىَ .

وهذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها عُمَر بن لَجأ التيمى (ولجأ بفتح اللام والجيم وآخره همزة) ومنها :

أبيات الشاهد

(تعَرَّضت تَيْمٌ لِى عمداً لأهجُوَها(١) كما تعرّضَ لِاَستَ الخارِئ الحجرُ

أنتَ ابن بَرْزَةَ ، منسوبٌ إلى لجإٍ عند العُصارَة والعيدان تُعتَصرُ

خلِّ الطريقَ لمن يبنى المنارَ به وابرُز ببرزَةَ حيثُ اضطرّك القدرُ

أحينَ صرتُ سِماماً يابنى لجَأٍ وخاطرَتْ بىَ عَنْ أحسابها مُضَرُ)

وهى قصيدة طويلة أفحشَ فيها . فلما توعدّهم فيها أتوه به مُوثَقا وحكّموه فيه ، فأعرض عن هجوهم .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء(٢) : لما بلغ ذلك تيما أتوا عمرَ وقالوا: عرّضتنا لجرير ، وسألوه الكفّ ، فأبى وقال : أكفُّ بعد ذكره أمى ؟!

وبَرَزة هى أم عُمر بن لجأ . يقال فلان عصارة فلان أى ولده . وهو سبّ . وقوله : خلِّ الطريق . . الخ ، هذا من أبيات سيبويه ، أورده على أنّ فيه إظهارَ الفعل قبل الطريق والتصريحَ به ؛ ولو أضمره لكان حسناً ، على ما بيّنه(٣) .

---

(١) ط : « تعرض التيم » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته . وهذا من تصحيف السمع بفعل الادغام .

(٢) الشعراء ٦٦٣

(٣) انظر سيبويه والأعلم ١ : ١٢٨

يقول : خلِّ طريقَ المعالى والشرف والمفاخرة ، واتركه لمن يفعل أفعالاً مشهورة كأنَّها الأعلام التى تنصب على الطريق وتبنى من حجارة ليُهتدىٰ بها ؛ وعيَّرَه بأنه يقول : ابرزْ بها عن الناس وصِرْ إلى موضع يمكنك أن تكون فيه لما قضى عليك . وقيل : معناه : دعْ سبيلَ الرشاد لطالبيه ، وأبرزْ إلى سبيل الغىّ إذا اضطرّك قضاء الله وقدره ؛ يعرّض بأن أمه كانت فاجرة .

والسِّمام بالكسر : جمع سمّ وهو الشيء القاتل . وخاطره على كذا أى راهنه ، من الخطَر ، وهو السَّبَق ، بتحريكهما ، وهو الشيء الذى يُتراهن عليه . ورُوى بدله : (وحاضَرَت) ، بالحاء المهملة والضاد المعجمة ، يقال حاضرْته عند السلطان ، وهو كالمغالبة و المكابرة .

٣٦١ وأجابه عمر بن لجأ بقصيدة منها :

لقدْ كذَبتَ ، وشرُّ القولِ أكذَبُه[1] ما خاطرتْ بكَ عَن أحسابها مُضَرُ

بلْ أنتَ نَزْوةُ خَوَّارٍ على أمَةٍ لنْ يسبِقَ الحلَباتِ اللؤمُ والخوَرُ

ما قلتَ مِنْ هذِه إنِّى سأنقضُها يا ابنَ الأتان ، بمثلى تُنقَض المِرَرُ

والنزوة : مصدر نزا الذَّكَرُ على الأنثى ؛ وهذا يقال فى الحافر والظِّلْف والسباع . والخوّار : من الخوَر ، وهو ضعف القلب والعقل . والحلَبات بالحاء المهملة .

وكان سببَ التهاجى بين جرير وعُمر بن لجأ ، هو ما حكاه المبرِّد فى (كتاب الاعتنان) عن أبى عبيدة[2] : أنّ الحجّاج بن يوسف الثقفىّ

---

(١) ط : « وسوء القول » ، صوابه فى ش وابن سلام ٣٦٥ والنقائض ٤٨٨

(٢) انظر أيضا النقائض ٤٨٧

سأل جريراً عن سبب التهاجي بينه وبين شعراء عصره ، فبيَّن له جريرٌ سببَ كلِّ واحد . إلى أن قال الحجاج : ثم مَن ؟ قال : ثم التيميّ عُمر بن لجَـأ . قال : وما لكَ وله ؟ قال : حسدني فعابَ علّي بيتاً كنتُ قلتُه ، فحرّفه :

لقَومىَ أحمىٰ للحقيقةِ منكُمُ وأضربُ للجبّار والنَّقعُ ساطعُ
وأوثقُ عند المرهفات عَشيَّةً لحَاقاً إذا ما جَرَّد السيفَ لامِعُ

فقال لى : إنما قلتَ :

* وأوثقُ عند المردَفات عشِيَّة *

فصيّرتَ نساءك قد أُردفن غدوة ولحقتَهنَّ عشيَّة وقد فُضحن ، ولم أقُلْه كما حكىٰ . قال الحجّاج : فما قلت له ؟ قال : قلت له أحذِّره وأحذِّر قومَه :

يا تيمَ تيمَ عديٍّ لا أبالَكُم . . . البيت

قال : فنقضَ عليَّ بأشدَّ مما قلتُ له فقال :

لقد كذبتَ وشرُّ القول أكذبُه . . . البيت

قال أبو عبيدة : وأما كِرْدِينُ المِسمَعيّ(١) فأخبرني قال : كان بدء الشرِّ بين ابن لجأ وجرير : أن لقمان الخزاعيّ قدِم على صدَقات الرِّباب ، فحضرتْه وجوه الرِباب وفيهم عُمر بن لجأ ، فأنشده :

تأوَّبني ذكرٌ لزَوْلَة كالخبَل وماحيثُ تلقىٰ بالكثيب ولا السَّهلْ
تُريدينَ أن أرضىٰ وأنتِ بَخيلةٌ ومَن ذا الذي يُرضى الأخِلاّءَ بالبَخلْ

---

(١) هو مسمع بن عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع ، الملقب بكردين جمهرة ابن حزم ٣٢٠

حتى فرَغ منها . فقال له لقمان : مازلنا نسمع بالشام أنّ هذه لجرير ! فقال عمر بن لجأ : إنى لأكذبُ شيخٍ فى الأرض إن ادَّعيت شعر جرير . ثمّ أنشدته على رءوس الناس وجماعات الرِّباب ! ! فأبلغ لقمان جريراً مقالة عُمر ، قال : فزعم عُمر أنك سرقتها منه ! فقال جرير : وأنا أحتاج إلى أن أسرق شعر عمر وهو القائل فى إبله ووصفها حتّى جعلها كالجبال ثم جعلَ فحلَها كالظَّرِب (وهو الجبل الصغير فى الغلظ من الأرض) فقال :

* كالظَّرِب الأسوَدِ من وَرائها *

ثم قال : * جَرَّ العَروسِ الثِّنْيَ مِنْ رِدائها *

والله ما شعرُه من نمَط واحد ، وإنّه لمختلِف العُيون ! فأبلغ لقمانُ عمرَ قول جرير وما عابَ مِن قوله ؛ فقال عمر : أيعيبُ جرير قولى :

* جرَّ العروس الثِّنيَ مِنْ ردائها *

وإنّما أردت لِينَه ولم أردْ أثره ؛ وقد قال هو أقبَح مِنْ هذا ، حين يقول :

* وأوثقُ عند المردَفات عشِيَّة *

فلحقَهنّ بعد ما نُكِحنَ وفُضحن ! فقال جرير : حرَّفَ قولى ، إنما قلت « عند المرهَفات عشية » . فوقع الشرُّ بينهما . انتهى

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب(١) .

* * *

٣٦٢ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد س(٢) :

---

(١) انظر الجزء الأول ص ٧٥

(٢) سيبويه ١ : ٣١٥ والعينى ٤ : ٢٢١ وابن يعيش ٢ : ١٠ والهمع ٢ : ١٢٢ وشرح شواهد المغنى ٢٧٩ والمنصف ٣ : ١٦ والسيرة ٧٩٤ والروض الأنف ٧ : ٢٥٨

١٣٣ * يا زَيْدَ زَيْدَ اليَعْمَلاتِ الذُبَّلِ   تطاولَ الليلُ عليكَ فانزلِ *

لما ذكر فى البيت قبله . وهو ظاهر .

و (اليَعْمَلات) . بفتح الياء والميم : الإبل القويّة على العمل .
و (الذُبّل) : جمع ذابل ، أى ضامرة من طول السفر . وأضاف زيداً إليها لحسْن قيامه عليها ومعرفته بحُدائها . وقوله (تطاول الليل عليك . . الخ) رُوى : (هُدِيتَ) بدل عليك ، وهو المناسب. أى انزل عن راحلتك واحْدُ الإبل ، فإن الليل قد طال ، وحدثَ للإبل الكَلال ، فنشِّطْها بالحُداء ، وأزلْ عنها الإعياء .

صاحب الشاهد

وهذا البيت لعبد الله بن رَوَاحة الصحابىّ رضى الله عنه ، لا لبعض ولد جرير ، خلافاً لشرّاح أبيات سيبويه . وهو بيتان لا ثالث لهما ، قالهما فى غزوة مُؤْتَة (وهى بأدنى البَلْقاء من أرض الشام) وكانت فى جمادىٰ الأولى من سنة ثمان من الهجرة .

قال ابن عبد البَرّ فى الاستيعاب[1] : « ذكر ابن إسحاق عن عبد الله ابن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : كان زيدُ بن أرقَم يتيماً فى حِجر عبد الله بن رَوَاحة ، فخرج به معه إلى مُؤْتة يحمله على حَقيبةِ رَحْلِه ، فسمعه زيد بن أرقم من الليل وهو يتمثّل أبياتَه التى يقول فيها :

إذا أدَّيتنى وحَملْت رَحْلى   مَسِيرةَ أربعٍ بعد الحِساءِ
فشأنَكِ فانعَمى وخلاَكِ ذمٌّ   ولا أرجِعْ إلى أهلى ورائى
وجاء المؤمنون وغادرُونى   بأرض الشامِ مُنتهِىَ الثَّواء

فبكىٰ زيد بن أرقم ، فخفَقَه عبدُ الله بن رَوَاحة بالدِّرّة وقال : ما عليك

(١) فى ترجمة زيد بن أرقم

يا لُكَع أنْ يرزقَني اللهُ الشهادةَ وترجعَ بين شُعْبَتَي الرَّحل ؟ ! . . ولزيد ابن أرقم يقول عبدُ الله بن رَوَاحة :

يا زيد زيدَ اليعمَلات الذُّبَّل تطاولَ الليل ـ هُديتَ ـ فانزل

وقيل : بل قال ذلك فى غزوة مُؤْتة لزيد بن حارثة » انتهى .

وهذا الثانى بعيد فإنّه يُستبعَد أن يقال لأمير الجيش : انزل عن راحلتك واحدُ الإبل ؛ فإن زيد بن حارثة كان أمير الجيش فى غزوة مؤتة كما سيأتى .

ومُؤتة بضم الميم والهمز . وقوله : إذا أدّيتِنى ، خطاب لراحلته . وقوله : الحِساء ، بكسر الحاء المهملة وبعدها سين مهملة ، قال المبرد فى الكامل : « هو جمع حِسْى (بكسر فسكون) وهو موضعُ رملٍ تحته صلابة ، فإذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعتْه الصلابة أن يغيض ومنع الرملُ السمائمَ أن ينشفه[1] فإذا بُحث ذلك الرمل أصيب الماء . ويقال حسى وأحساء وحِساء . وقوله : وخلاكِ ذمّ أى تجاوزك الذمّ ، دعاء لها . وقوله : ولا أرجع ، مجزوم بالدعاء ؛ ومعناه اللهم لا أرجع » انتهى .

وقوله مُنتهِيَ الثَّواء هو اسم فاعل منصوب على الحال .

عبد الله ابن رواحة

و (عبد الله بن رَوَاحة) أنصارى خزْرَجىّ . وهو أحد النقباء . شهد العَقَبة ، وبَدراً ، وأُحُداً ، والخندقَ ، والحديْبِيَة ، وعُمرةَ القَضاء ، والمشاهِد كلَّها إلاّ الفتح ، ومات بعدَه ، لأنه قُتل يوم مُؤتة شهيداً . وهو أحد الأمراء فى غزوة مؤتة ، وأحدُ الشعراء المحسنين الذين كانوا يردّون الأذى عن رسول الله ﷺ . وفيه وفى صاحبيه حسّان وكعْب بن مالك نزلت : (إلاّ الذينَ آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ وذكَرُوا اللهَ كثيرا[2]) الآية .

٣٦٣

(١) السمائم : جمع سموم ، وهى الريح الحارة ليلاً أو نهاراً . وفى النسختين : « ومنع الرمل السماء أن ينشقه » صوابه من الكامل ٧٦
(٢) الآية ٢٢٧ من الشعراء

وسبب غزوة مُؤتة : أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عُمير الأزْدىّ بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم ، وقيل إلى ملك بُصرى ، فعرَض له شُرَحْبيل ابن عمرو الغسّانى ، فأوثقه رِباطا ، وضرَب عنُقَه صَبْرا (ولم يُقتل لرسولِ الله ﷺ رسولٌ غيره) فاشتدّ ذلك عليه حين بلغه الخبر ، فبعث بَعثه ﷺ إلى مؤتة واستعمل عليهم زَيد بن حارثة وقال : إنْ أُصيبَ زيدٌ فجعفر بن أبى طالب ، فإن أصيبَ فعبد الله بن رَواحة . فتجهَّز ثلاثة آلاف رجل ، ثم مضوا حتى إذا كانوا بتُخوم البَلْقاء لقيتهم جموعُ هِرَقْلَ والعرب فى مَشارفَ من قرى البَلْقاء ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة (وكان الرومُ مائة ألف . وانضمّ إليهم من لَخم وجُذام والقَين وبَهراء[1] وبَلىّ مائةُ ألف أخرى) ثم التقَوا فاقتتلوا . فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى قُتل شهيداً ، فأخذها جعفر ثم قتِل ، ثم أخذها عبد الله بن رَواحة فقُتِل ، فأخذ الرايةَ خالدُ بن الوليد ودافع الناسَ ، ثم انحازَ وانحِيزَ عنه حتّى انصرف بالناس إلى رسول الله ﷺ

زيد بن أرقم

وأما (زيد بن أرقم) فهو أنصارى خزرجىّ من بنى الحارث بن الخزْرَج . وزيد بن أرقم هو الذى رفع إلى رسول الله ﷺ عن عبد الله بن أُبىّ ، ابن سَلولَ[2] قولَه : لئنْ رجَعنا إلى المدينةِ ليُخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذلّ ، فأكذَبه عبدُ الله بن أُبيَّ وحلف ، فأنزل الله تصديقَ زيد بن أرقم ، فبشّره أبو بكر بتصديق الله إيّاه . وجاء إلى النبى ﷺ ، فأخذ بأذن زيد وقال : « وَفَتْ أذنك يا غلام » . وشهد مع علىّ وقعة صِفّين ، وهو معدود فى خاصّة أصحابه .

(١) فى النسختين : « والقيس » صوابه فى ش والسيرة وسيرة ابن سيد الناس ٢ : ١٥٣ . وفى ط : « وبهرام » صوابه فى ش والسيرة وسيرة ابن سيد الناس .

(٢) سلول : جدة عبد الله ، نسب اليها . جمهرة ابن حزم ٣٥٥ . لكن فى الاشتقاق ٤٥٩ أن سلول أمه .

ونزل الكوفة وسكنها وابتنى بها داراً ، وبها كانت وفاته فى سنة ثمان وستين.

و (أما زَيد بن حارثة) فهو مولىٰ رسول الله ﷺ ، كان أصابه سِباء فى الجاهليَّة فاشتراه حكيم بن حِزام لعمّته خديجة بنت خُويلد ، فوهبته خديجة لرسول الله ﷺ ، فتبنّاه رسولُ الله ﷺ بمكة قبل النبوَّة ، وهو ابن ثمان سنين . ثم إن ناساً من كَلْب حجُّوا فرأوا زيداً فعرَفهم وعرَفوه ، فقال لهم : أبلِغوا أهلى هذه الأبيات ، فإنّى أعلم أنّهم قد جزِعوا علىَّ ، فقال :

أحِنّ إلى قومى وإنْ كنتُ نائياً ... فإنّى قَعيدُ البيتِ عند المشاعرِ[١]

فَكُفُّوا مِنَ الوجْدِ الذى قد شجاكُمُ ... ولا تُعمِلوا فى الأرضِ نَصَّ الأباعرِ

فإنّى ، بحمدِ اللهِ ، فى خير أُسرةٍ ... كرام مَعَدَّ كابراً بعْدَ كابر

فانطلق الكلبيّون فاعلَموا أباه فقال : ابنى وربِّ الكَعْبة ! ووصفوا له موضعَه وعند مَنْ هو . فخرج حارثةُ وكعبُ أخوه[٢] لفِدائه وقَدِما مكة ، فدخلا على النبي ﷺ فى المسجد فقالا : يا ابنَ عبدِ المطَّلِب ، يا ابن هاشم ، يا ابن سيِّد قومه ، أنتم أهلُ حرم الله وجيرانهُ ، تفُكّون العانىَ وتُطلقون الأسير ، جئناكَ فى ابنِنا عبدِك ، فامننْ علينا ، وأحسِن إلينا فى فدائه . قال : مَن هو ؟ قالا . زَيد بن حارثة . فقال ﷺ . أدْعُوه فأخيِّره ، فإن اختاركم فهو لكم ، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختارُ على منْ اختارنى أحداً . قالا . قد زدتنا على النِّصْف وأحسَنت . فدعاه فقال ٠هل تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ، هذا أبى وهذا عمى ! قال : فأنا مَن قدْ علمتَ ورأيتَ صحبتى لك ، فاخترْنى أو اخترْهما . قال زَيد : ما أنا بالذى أختارُ عليك أحداً ، أنت منّي

٣٦٤

(١) ط : « نابيا » ، صوابه فى ش والاستيعاب والروض الأنف ١ : ١٦٤ . وفى الروض أيضا : « بأنى قعيد البيت »
(٢) فى الاستيعاب : « حارثة وكعب ابنا شراحيل » .

مكان الأبِ والعمّ ! فقالا : ويحَكَ يازيد ، أتختار العُبوديّة على الحُرّية ؟! قال : نعم ، قد رأيت مِن هذا الرجل شيئاً ، ما أنا بالذى أختار عليه أحداً ! فلما رأى رسولُ الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحِجْر فقال : يامَن حَضر ، اشهدُوا أنّ زيداً إبنى يرثنى وأرِثُه . فلما رأى ذلك أبوه وعمُّه طابتْ نفوسهما ، فانصرَفا . ودُعِى زيدَ بنَ محمد ؛ حتى جاء الله بالإسلام فنزلت . (ادْعُوهُمْ لآبائهم[1]) ، فدُعىَ يومئذٍ زيدَ بن حارثة ؛ وكان يقال له زيد بن حارثة حِبّ رسول الله ﷺ وشهد بدراً وزوّجه مولاته أُم أَيمن ، فولدت له أسامة . وقُتِل زيد بمؤْتة سنة ثمان من الهجرة ، وهو كان الأميرَ على تلك الغزوة . رُوى عنه ﷺ أنه قال : « أحبُّ الناس إلىَّ مَنْ أنعمَ اللهُ عليه وأنعمتُ عليه » يعنى زيدَ بنَ حارثة . أنعمَ الله عليه بالإسلام ، وأنعمَ عليه ﷺ بالعِتق .

ولخصتُ التراجم من الاستيعاب ، والغزوة من سيرة ابن سيِّد الناس .

واعلم أنّى رأيتُ فى نوادر ابن الأعرابى أرجوزة عدّتها اثنان وعشرون بيتاً مطلعها :

* يا زيدُ زيدَ اليعْمَلات الذُبَّل *

قال : « أنشدنى بُكير بن عبيد الرَّبعىّ . ولا أعلم مَنْ هو : أهو سابق على عبد الله بن رَوَاحة أم لاحقٌ له ؟ » . والظاهر أنه بعده ، فإنّ الرجز فى الجاهلية كان لا يتجاوز الأبيات الثلاثةَ والأربعة ، وإنما قصّده وأطاله الأغلب العجلىّ كما تقدم بيانه فى ترجمته[2] . والله أعلم

* * *

(١) الآية ٥ من الأحزاب

(٢) انظر ص ٢٣٩ من هذا الجزء .

وأنشد بعده، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائة [١] :

١٣٤ (فلاَ وَاللهِ لا يُلْفَىٰ لِمـَا بِى ولا لِلِمـا بِهـِمْ أبدًا دَواء)

على أن اللام الثانية فى قوله (لِلِما) مؤكِّدة للّام الأولىٰ .

ويأتى إن شاء الله تعالى ما يتعلّق به فى باب التوكيد، وفى الباء والكاف أيضاً من حروف الجر [٢] .

وهذا البيت من قصيدة لمسلْم بن مَعْبَد الوالِبِىّ . قال أبو محمد الأسود الأعرابىّ فى ضالّة الأديب : كان السبب فى هذه القصيدة : أنّ مُسلْماً كان غائباً فكتب إبله للمصدِّقِ (أى لعامل الزكاة) وكان رُقَيْع وهو عُمارة ابن عبيد الوالبىّ عَرِيفاً، فظنّ مُسلْمٌ أنَّ رُقيعاً أغراه (وكان مسلم ابنَ أخت رقيع وابنَ عمِّه)، فقال :

قصيدة الشاهد

(بكتْ إبلى، وحُقّ لها البكاء، وفرَّقها المظالمُ والعَداء

إذا ذَكرت عَرافةَ آلِ بِشْرٍ وعيشاً ما لأوَّله انثناء

ودهراً قد مضىٰ ورجالَ صِدْقٍ سَعَوا، قد كان بعدَهم الشقاء

إذا ذُكِر العَريف لها اقشعرَّت ومسّ جلودَها منه انزِواء

فظلَّتْ وهىَ ضامِزَةٌ تَفادىٰ من الجِرّات جاهدها البلاء [٣]

وكِدْنَ بذى الرُّبا يدعُون باسمى ولا أرْضٌ لدَىَّ ولا سماء

---

(١) انظر الخصائص ٢ : ٢٨٢ ومعانى الفراء ١ : ٦٨ وابن يعيش ٧ : ٨/١٨ : ٩/٤٣ : ١٥ والهمع ٢ : ٧٨، ١٢٥، ١٥٨ وشرح شواهد المغنى ١٧٢

(٢) الخزانة ٢ : ٤/٣٥٢ : ٢٧٣ بولاق

(٣) الضامزة : التى تمسك جرتها فى فيها . وبعير ضامز : لايرغو . ط : « ضامره »، صوابه فى ش

تؤمّل رَجْعةً منّي ، وفيها كتابٌ مثل ما لزِق الغِراء
عذرتُ الناسَ غيرَك فى أمور خلوتَ بها فما نفَع الخلاء
فليس على ملامتِناكَ لومٌ وليس على الذى نلقىٰ بقاء
ألمّا أنْ رأيتَ الناس آبتْ كلابُهُمُ علَيَّ لها عُواء
ثنيتَ رِكاب رَحْلك معْ عدوّي لمختَتِل ، وقد برِحَ الخفاء(١)
ولا خيتَ الرجالَ بذاتِ بيني وبينِك ، حين أمكنك اللِّخاء
وأىّ أخ لسَلْمكَ بعْدَ حربي إذا قومُ العدوّ دُعُوا فجاءوا
فقام الشرُّ منكَ وقمتَ منه على رِجْلٍ وشالَ بكَ الجزاء
هنالِك لا يقوم مقامَ مثلي مِن القوم الظّنونُ ولا النساء
وقد عيّرتَني وجفَوْتَ عنّي فما أنا وَيْبَ غيرِك والجفاء
وقد يَغنيٰ الحبيبُ ولا تُراخِي مودّتَه المغانمُ والحِباء(٢)
ويُوصَل ذو القرابة وهو ناءٍ ويبقىٰ الدِّينُ ما بقى الحياء
جَزىٰ الله الصَحابةَ عنكَ شرًّا وكلٌّ صَحابة لهمُ جزاء
بفعلِهم ، فإنْ خيراً فخيراً وإنْ شرًّا : كما مُثِل الحِذاء
وإيّاهم جزى عنّي ، وأدّىٰ إلى كلٍّ بما بلغَ الأدَاء(٣)
وقد أنصفتُهم والنِّصْف يَرضىٰ به الإسلامُ والرحِمُ البَواء
لدَدْتهمُ النصيحةَ كلَّ لدٍّ فمجُّوا النصحَ ثم ثنَوْا فقاءوا

(١) ش : « ركاب رجلك » .
(٢) ط : « ولا ترخى »
(٣) فى النسختين : « الأذاء »

وكنتُ لهم كداءِ البطْن يؤْذِى وراءَ صحيحِه مرضٌ عَياء
تَجوِينَ من العداوة ، قد وَرَاهم نَشيشُ الغيظِ والمرض الضَّناَء
إذا مولًى رهِبتُ اللهَ فيه وأرحاماً لها قِبَلى رِعاء
رأى ما قد فعلتُ به مَوالٍ فقد غِمرتْ صدورُهمُ وداءوا
فكيفَ بهم ! فإن أحسنتُ قالوا أسأتَ ، وإن غفرتُ لهمْ أساءوا
فلا وأبيكَ لا يُلفىٰ لما بى ولا لِلما بهمْ أبداً شِفاء)

وبقى من القصيدة اثنا عشر بيتاً وَصف إبلَه فيها .

قوله : المظالم والعَداء ، هو جمع مَظْلِمة بكسر اللام وهو ما أخذه الظالم ، وكذلك الظُّلامة والظليمة . والعَداء بالفتح : الظلم وتجاوز الحدّ ، وهو مصدر عدا عليه . وقوله : إذا ذَكرت ، ظرف لقوله بكت إبلى ؛ وفاعل ذَكرتْ ضمير الإبل . وانثناء : انكفاف ؛ يقال ثناه : إذا كفّه . وقوله : ورجالَ صدق سَعَوا ، بالنصب معطوف على عَرافةَ ؛ وسعوا أى تعاطَوا أخْذَ الزكاة ؛ والساعى : من وَلى شيئاً على قوم ، وأكثر ما يقال ذلك فى وُلاة الصدَقة . والانزواء : التقّبض . وتفادى من كذا : إذا تحاماه وانزوىٰ عنه . وقوله : عذرتُ الناس غيرك ، خطاب لرُقَيع ابن عمّه ؛ وخلوتَ بها بالخطاب أى سخرتَ بها ، يقال خلَوت به : إذا سخرتَ منه . وقوله : ملامتناك ، أى لومتنا إياك . وقوله : ألمّا ، الهمزة استفهام توبيخى ؛ ولمّا بمعنى حين ، متعلقة بقوله ثنيتَ . وآبت : رجعت . وبرح : زال . ولاخيتَ ، بالخاء المعجمة : مالأت وساعدت . والظَّنون بالفتح : الرجل السيىء الظن ، وهو فاعل يقوم . وويبَ بمعنى ويل . وقوله : يَغنىٰ الحبيبُ ، أى يصير غنيًا ولا تراخى[1] المغانمُ والعطاء مودّته .

٣٦٦

(١) ط : « ترخى » ، واثبت ما فى ش

والصَّحابة : الأصحاب . والحِذاء بالكسر : النعل ؛ واحتذى : انتعل ؛ أراد : كما صُنِع مثلُ الحذاء مطابقاً له . وأنصفت الرجل إنصافاً : عاملته بالعدل ؛ والاسم النصفَة بالتحريك ؛ والنَّصْف بفتح فسكون[1] . والبَواء ، بفتح الموحدة والمد : السَّواء . وقوله لددْتُهم النصيحة ، اللّدود بالفتح : ما يُصَبُّ من الأدوِية فى أحد شقِّي الفم ؛ ولددته لَدًّا : صببت فى فيه صبًّا . ومجَّه : رماه . وثنوا : عطفوا ومالوا . وقوله : وقاءوا ، بالقاف من القيء ؛ وصحّفه العينيّ تحريفاً فاحشاً فقال : « قوله : وفاءوا ، خبر مبتدإ محذوف ، أى وهم فاءوا ؛ والجملة حالية » اه وهذا مما لا يُقضَى منه العجب . وقوله : وكنت لهم كداء البطن . . الخ ، داء البطن : الإسهال ؛ ويؤذِى من الأذِيَّة ، والواو مسهَّلة من همزة ، والجملة حال من الداء ؛ ووراء بمعنى خَلْف وبعد ؛ وضمير صحيحه لداء البطن ؛ والمرض العَياء بالفتح هو المرض الذى تعيا عنه الأطبَّاء ؛ والجملة الاسمية حال أيضا من البطن . يريد أن ما أضمروه من بغضى قاتِلُهم لا محالة ، لأنى كنت عندهم بمنزلة داء البطن المؤذى ، نشأ من أهونه ماعجَز عنه الأطبَّاء كالزَّحير والسِلّ . وقوله : جوين من العداوة الخ ، هذا بيان لما قبله ؛ وجَوِينَ منصوب بفعل محذوف أى أراهم جوين ، وهو جمع جَوٍ : صفة مشبهة من الجوَى كعَمٍ من العمى ، جمع على طريقة جمع المذكر السالم ، والجوى : الحُرْقة وشدَّة الوجد منْ عِشْقٍ أو حزن ؛ ووراهم ، من ورَى القيحُ جوفَه وَرْيا : إذا أكله ؛ ونشيش : فاعل وراهم ، والنشيش : صوت الماء ونحوه إذا غُلى على النار . والضَّناء بالفتح والمد : اسم مصدر ضنِيَ ضَنًى من باب تعب : مرض مرضاً ملازما حتَّى أشرف على الموت . كذا فى المصباح . وقوله : إذا مولًى رهبت

---

(١) وكذا بكسر فسكون ، وضم فسكون . وفى القاموس : « وبالكسر ويثلث : النصعة » .

الله فيه [الخ . المولى هنا ابن العم ، ورهبتُ الله فيه[١]] أى خفت الله فى جانبه . وقوله : قَبْلى ، بفتح القاف وسكون الموحدة . والرِّعاء : جمع راع من الرعاية ، وهى تفقّد الشىء وتحفّظه . وقوله : رأى ما قد فعلت به . . الخ ، ما : موصولة أو نكرة موصوفة مفعول أوّل لرأى ، والمفعول الثانى محذوف أى سوأ ونحوه ؛ ومَوَالٍ : فاعل رأى ، وهو جمع مولى ؛ وغمِرتْ : من الغِمْر بالكسر ، وهو الحقدُ والغلّ ، يقال غمِرَ صدرُه علىّ بالكسر ، يغْمَرُ بالفتح ، غَمَرًا بسكون الميم وفتحها مع فتح الأوّل فيهما . وداءوا أى مرضوا ، وهو فعل ماض من الداء ، يقال داء الرجل يَداء داء إذا أصابه المرض . وقوله : فكيف بهم ، أى فكيف أصنع بهم .

وقوله : (فلا وأبيك . . الخ) ، جملة لا يلفىْ جواب القسم ، أى لا يوجد شفاء لما بى من الكدر ولا لما بهم : من داء الحسد ؛ واللام الثانية مؤكّدة للأولىْ . وروى صاحب منتهىْ الطلب من أشعار العرب[٢] .

فلا واللهِ لا يلفىْ لما بى وما بهم من البلوْى[٣] .. الخ

وعليه فلا شاهد فيه .

مسلم الوالبي

و (مسلم) شاعر إسلامى فى الدولة الأموية . وهو ابن مَعْبَد بن طوّاف (بتشديد الواو) ابن وَحْوَح (بحاءين مهملتين) ابن عُوَيمر (مصغّر عامر) الوالبيّ (نسبة إلى والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة بن مدرِكة)

* * *

(١) التكملة من ش

(٢) ط : « منتهى أشعار العرب » ش : « منتهى الادب من أشعار العرب » ، والوجه ما أثبت . وانظر مقدمة الخزانة

(٣) فى النسختين : « وشأنهم من البلوى » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته .

٣٦٧ وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات س[١] :

١٣٥ (وصالياتٍ كَكَما يُؤَثْفَيْنْ)

على أنه يمكن أن تكون (الكاف) الثانية مؤكِّدة للأولى ؛ قياساً على اللامين فى البيت الذى قبله ، فلا يكون فى البيت دليل على اسمية الكاف الثانية .

وهو من قصيدة لخِطام المجاشعىّ[٢] . وهى من بحر السريع ؛ وربما حسب من لا يحسن العَروض أنّه من الرجَز كما توهّمه بعضهم ؛ لأن الرجز لا يكون فيه معولات فيردّ إلى فعولات . ومثله :

* قد عرَّضت أرْوىٰ بقولٍ إفنادْ[٣] *

وهو مستفعلن مستفعلن فعولات . وأوّلها :

(حَىِّ ديارَ الحىِّ بينَ السَّهبينْ[٤] وطَلْحةِ الدَّوم وقد تعفَّيْنْ)

(لم يَبْقَ مِنْ آيٍ بها يُحَلَّيْنْ[٥] غيرَ حُطامٍ ورَمادٍ كِنْفَيْنْ)

(وغيرَ نؤْيٍ وحِجاجَىْ نؤَيَيْن وغيرَ وَدٍّ جاذلٍ أو وَدَّين)

(وصالِياتٍ كَكَما يُؤَثْفَيْنْ)

---

(١) سيبويه ١ : ١٣ ، ٢٠٣/٢ : ٣٣١ . وانظر ما سيأتى فى ٢ : ٣٥٣ و ٤ : ٢٧٣ بولاق وشرح شواهد الشافية ٥٩ والعينى ٤ : ٩٥٢ وابن يعيش ٨ : ٤٢ ومجالس ثعلب ٤٨ وشرح شواهد المغنى ١٧٢ والخصائص ٢ : ٣٦٨

(٢) وفى شرح شواهد الشافية : « ونسبه الصقلى شارح أبيات الايضاح للفارسى ، والجوهرى فى الصحاح الى هميان بن قحافة » .

(٣) ط : « ابعاد » ، صوابه فى ش واللسان (فند ٣٣٥) وفسره بقوله : « انما أراد : بقول ذى افناد »

(٤) ط: «دار الحى» ، ولا يستقيم به الوزن ، وصوابه فى ش واضح

(٥) فى النسختين : « تحلين » ، والوجه ما أثبت من شرح شواهد الشافية .

ومنها :

(ومَهْمَهَين قَذَفين مَرْتَين ظَهْراهما مِثْلُ ظُهور التُرْسَيْن)
(جُبْتُهما بالنَعْت لا بالنَّعتَيْن على مُطارِ القَلْبِ سامى العَينَين)

فقوله : حيٍّ ، فعلُ أمرٍ من التحيّة . والحىُّ : القبيلة . والسَّهبان : موضع، وكذا طَلَحة الدَّوم ؛ ولم يذكرهما البكرى فى معجم ما استعجم[1] . والنون فى تعفّين : ضمير ديار الحىّ ، وتعفى بمعنى عفا اللازم ، يقال عفا المنزل يعفو عَفْواً وعُفُوّا وعَفاء بالفتح والمدّ : درس . ويتعدى أيضاً ؛ فإنه يقال عفته الريح . والآى : جمع آية بمعنى العلامة . وضمير تحلّين لديار الحىّ ، والتحلية : الوصف ، يقال حلّيت الرجل تحلية : إذا وصفته . يقول : لم يبق من علامات حاولهم فى ديارهم تحلّيها وتصفها[2] غير ما ذكر . ومن زائدة . وآى : فاعل لم يبق . وغير منصوب على الاستثناء . وجملة يُحلّين[3] صفة لآى . وبها متعلّق به . والُحطام بضم المهملة : ما تكسّر من الحطب ، والمراد به : دِقّ الشجر الذى قطعوه فظلّلوا به الخيام . ورَماد مضاف إلى كنفين ، أى رماد من جانبى الموضع ؛ ولو روى بالتنوين لم يكن خطأ . فكَنْف بفتح الكاف وسكون النون : الناحية والجانب ، وأصله بفتح النون ، وقيل هو هنا بكسر الكاف وسكون النون ، بمعنى وعاء يَجعَل الراعى فيه أداتَه . والنُّؤىُ بضم النون وسكون الهمزة : حَفِيرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر ، ويُؤخذ ترابها ويُجعل حاجزاً للبيت ؛ فجعلَ ذلك الحاجزَ كحِجاج العين ، وهو بكسر المهملة وفتحها وبعدها جيمان : العَظْم الذى ينبت عليه الحاجب . والجاذل ، بالجيم والذال المعجمة : المنتصب ، جَذَل جذُولا : انتصب وثَبت . والوَدّ : الوتِد .

(١) وكذا لم يذكرهما ياقوت .
(٢) ط : « ووصفها » ، صوابه فى ش وشرح شواهد الشافية
(٣) فى النسختين : « تحلين » ، صوابه من شرح شواهد الشافية

و (صاليات) : أراد بها الأثافىّ ، لأنها صَلِيت بالنـار أى أُحرقت حتى اسودّت ، وهى معطوفة على حُطام ، أى وغير أثافىّ صاليات ؛ وليست الواو واوَ رُبَّ ، خلافاً لابن يسعون ؛ بدليل أنه رُوى بدلَها (وغيرُ سُفْعٍ) : جمع أسفَع ، أراد بها الأثافىّ أيضاً ، لأنها قد سفَعتْها أى سوَّدتْها وغيّرتْ لونها. ورُوى أيضاً : (وماثلاتٍ) أى منتصبات . و (الأثافىّ) : جمع أُثفِيّة وهى الأحجار التى ينصب عليها القِدْر . و « ما » فى قوله : (ككما) قال الفارسىُّ فى التذكرة القَصْريّة ، « يجوز أن تكون مصدريّة ، كأنه قال : مثل الإثْفاء ، ويجوز أن تكون موصولة بمنزلة الذى كقوله :

* فإنّ الذى حانت بفَلْج دماؤُهم[1] * » اهـ

٣٦٨

والكاف الأولى جارّة والثانية مؤكِّدة لها ، كما قال الشارح . وهذا مأخوذ من الكشّاف ، قال فى تفسير قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ[2]) : لك أن تزعم أن كلمة التشبيه كرِّرت للتأكيد كما كرّرها مَن قال :

* وصالياتٍ ككما يُؤْثفَيْنْ *

وإذا كان من باب التوكيد جاز أن يكون الكافان اسمَيْن أو حرفيْن فلا يكون دليل على اسميّة الثانية فقط .

وقال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب[3] : « أجرى الكاف الجارّة مُجرىٰ مِثل ، فأدخل عليها كافاً ثانية ؛ فكأنه قال : كمثل ما يؤثفين . وما ، مع الفعل ، بتقدير المصدر كأنه قال : كمثل إثفائها أى إنها على حالها حين أُثفيتْ . والكافان لا يتعلقان بشىء ، فإنَّ الأولى زائدة والثانيةَ قد

---

(١) أى الذين . والبيت لأشهب بن رميلة سيأتى فى ٢ : ٥٠٧ بولاق وعجزه :

* هم القوم كل القوم يا أم خالد *

(٢) الآية ١١ من سورة الشورى

(٣) الاقتصاب ٤٣٠

أجريت مجرى الأسماء لدخول الجارّ عليها ، ولو سقطت الأولى وجب أن تكون الثانية متعلّقة بمحذوف صفة لمصدر مقدَّر محمول على معنى الصاليات ، لأنها نابت مناب مُثْفيات ؛ فكأنه قال : ومثفيات إثفاء مثلَ إثفائها حين نُصِبَتْ للقِدْرِ . ولا بدَّ من هذا التقدير ليصحّ اللفظ والمعنى . وأما قوله : يؤثفين ، فقد اختلف النحويون في وزنه : فقال قوم : وزنه يُؤفعَلن ، والهمزة زائدة فكان يجب أن يقول يُثْفين ، لكنّه جاء على الأصل ضرورة كما قال الآخر :

* فإنه أهلٌ لأن يُؤَكْرَما[1] *

وعلى هذا فأثفيّة أُفعُولة . فأصلها أُثفُويَة ؛ قلبت الواو ياء وأُدغمت وكسرت الفاء لتبقى الياء على حالها ، واستدلّوا على زيادة الهمزة بقول العرب : ثفيْت القِدْر إذا جعلتَها على الأثافيّ . وقال قوم : وزنه يُفَعْلَين ، فالهمزة أصل ، ووزن أثفيّة على هذا فُعْلِيّة ، واستدلّوا بقول النابغة :

لا تقذِفَنّي بِرُكن لا كِفاء له   وإنْ تَأثَّفكَ الأعداء بالرِّفَدِ

فقوله تأثّفك وزنه تفَعَّلك ، لا يصح فيه غيره ؛ ولو كان من ثفّيت القدر لقال تَثَفّاك[2] . ومعناه صار أعدائي حولك كالأثافيّ تظافراً[3] .

قال ابن جنّي في شرح تصريف المازني : « ويُفَعْلَين أولىٰ من يُؤفعَلن ، لأنه لا ضروة فيه » .

وقوله : ومهمهين قذَفَين . . الخ هذا البيت من شواهد النُّحاة ، أنشده الزّجاج[4] في باب ماجاء من المثنى بلفظ الجمع » . وسيأتي إن شاء الله تعالى

(١) لأبي حيان الفقعسي ، العيني ٤ : ٥٧٨ ، ٩٥٣ وشرح شواهد الشافية ٥٨

(٢) الى هنا ينتهي نقل البغدادي عن الاقتضاب ٤٣٠

(٣) التظافر : التضافر .

(٤) ش : « الزجاجي » .

فى الشاهد الثالث والسبعين بعد الخمسمائة فى باب المثنّي. والمهمه: القفر المَخُوف، قال ابن السِيد فى شرح شواهد الجمل: واشتقاقه من قولك مَهْمَهْتُ بالرجل: إذا زجرتَه فقلتَ له: مَهْ مَهْ. أراد: أنّ سالكه يُخفى صوته وحركتَه من خوفه، فإن رفعَ صاحبُه صوتَه قال له: مَهْ مَهْ. ونظير هذا ما ذكره اللغويّون فى قول أبى ذؤيب[1]:

* على أطرِقاَ بالياتِ الخِيامِ *

فانهم ذكروا: أن أطرِقاَ موضع، وأنّه سمّى بذلك لأن ثلاثة أنفُس مرّوا به، فتكلَّم أحدهم مع صاحبه، فقال لهما الثالث. أطرِقا.

والقَذَف، بفتح القاف والذال المعجمة: البعيد من الأرض. والمَرْت، بفتح الميم وسكون المهملة: الأرض التى لا ماء بها ولا نبات. والظَّهر: ما ارتفع من الأرض، شبّهه بظهر تُرْس: فى ارتفاعه وتعرِّيه من النبت، كما قال الأعشى:

٣٦٩

وفلاةٍ كأنّها ظَهرُ تُرْسٍ ... ليسَ إلاّ الرجيعَ فيها علاقُ

وقوله: جبتهما بالنعت.. الخ، أى نُعِتا لى مرّة واحدة فلم أحتج إلى أن ينعتا لى مرّةً ثانية، وصفَ نفسَه بالحِذق والمهارة: وهذا يشبه ما أنشده الفارسىّ فى التذكرة:

ومهمهٍ أعوَرِ إحدىٰ العَينينْ ... بصيرِ الآخرىٰ وأصمِّ الأُذْنينْ

قطعتُه بالسَّمْت لا بالسمْتينْ

قوله: أعور الخ، قال أبو على: كانت فى هذا الموضع بئران فعَوِرتْ

(١) ط: «أبى ذئب» صوابه فى ش. والبيت بتمامه فى الهذليين ١: ٦٤

على أطرقا باليات الخيا * م الا الثمام والا العصى

إحداها وبقيت الأخرى ، فلذلك قال : أعورِ إحدى العينين . وقوله : وأصمّ الأُذنين ، يعنى . أنه ليس به جبَلٌ فيسمعَ صوت الصدى منه . وقوله : بالسَّمت . الخ ، أى قيل لى مرّة واحدة فاكتفيت . وواو « ومهمهين » واو رُبّ وجوابها جُبْتُهما .

خطام المجاشعى

(خِطام المجاشِعى) بكسر الخاء المعجمة ، ومعناه الزمام . قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف : هو خِطامُ الرِّيح المجاشعىّ الراجز ، وهو خِطام بن نصر ابن عياض بن يربوع ، من بنى الأبيض بن مُجاشِع بن دارِم . وهو القائل :

* وماثلاتٍ كما يُؤْثفَينْ * اه

وذكر الصاغانى فى العباب : أن اسمه بِشْر (بكسر الموحَّدة وسكون الشين المعجمة) .

وقال الآمدى : ومنهم من يقال له : « خِطام الكلب » واسمه بُجير (بضم الموحَّدة وفتح الجيم) ابن رِزام[1] ، ذكره ابن الأعرابى ولم ينسبُه ، وأنشد له :

والله ما أشبَهَنى عِصامُ لا خُلُقٌ منهُ ولا قَوامُ
نمتُ وعرقُ الخال لا ينامُ[2]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد المائة ، وهو من أبيات سيبويه[3] :

(١) ط : « دارم » ، صوابه فى ش والمؤتلف ١١٢
(٢) السمط ٧٩٥ والكامل ٧٩ وطراز المجالس ١٤٨
(٣) سيبويه ١ : ٩٢ ، وانظر العينى ٤ : ٤٥١ وابن يعيش ٣ : ٢١ والخصائص ٢ : ٤٠٧ وشرح شواهد المغنى ٢٧٠

١٣٦ (بينَ ذِراعىْ وَجبْهَةِ الأسَدِ)

هذا عجزٌ وصدره :

(يا مَنْ رأى عارِضاً أُسَرُّ بهِ)

على أنّ المضاف إليه محذوف ، بقرينة المضاف إليه الثانى ، أى بين ذراعَىْ الأسد وجبهتِه .

تقدَّم الكلام على مثل هذا فى الشاهد الثالث والعشرين[1] ومَن : منادى وقيل : محذوف المنادى ، أى يا قوم ، ومَن استفهامية . والرؤية بصرية . والعارض . السَحاب الذى يعترض الأفق . وجملة . أُسَرُّ به ، صفةٌ لعارض . والذِراعان والجبهة : من منازل القمر الثمانية والعشرين ، فالذراعان أربعة كواكب ، كل كوكبين منها ذراع .

قال أبو إسحاق الزجّاج فى (كتاب الأنواء) . ذراع الأسد المقبوضة[2] ، وهما كوكبان نيِّران بينهما كواكبُ صغار يقال لها « الأظفار » كأنها فى مواضع مخالب الأسد ، فلذلك قيل لها الأظفار . وإنّما قيل لها الذراع المقبوضة لأنها ليست على سَمْت الذراع الأخرى ، وهى مقبوضة عنها ، ونوءها يكون لليلتين تمضيان من كانونَ الثانى ، يَسقط الذراع فى المغرِب غُدوة وتطلُع البلْدة والنَّسر الطائر فى المشرِق غُدوة . وفيه يجمد الماء ويشتد البرد . والجبهة : أربعة كواكب فيها عِوَج ، أحدها برّاق وهو اليمانى منها ، وإنّما سمِّيت الجبهةَ لأنها كجبهة الأسد . ونوءها يكون لعشرٍ تمضى من شُبَاط ، تسقط الجبْهة فى المغرب غدوة ، ويطلع سَعْدُ السعُود من المشرق غُدوة . وفيه تقع الجمرة الثالثة ويتحرَّك أوَّل

(١) الجزء الأول ص ١٧٢ وما بعدها .

(٢) فى الأزمنة ١ : ١٨٩ ، ٣١٧ أنهما ذراعان : مقبوضة ومبسوطة

العُشب ، ويصوِّت الطير ويُورق الشجر ، ويكون مطرٌ جَوْد . ويسمى نوء الأسَد ، لأنه يتصلَّ بها كواكب فى جبهة الأسد . . وخَصَّ هاتين المنزلتين لأنَّ السحاب الذى ينشأ بنَوء من منازل الأسد يكون مطره غزيراً ، فلذلك يُسرُّ به. والنوء : غيبوبة الكوكب فى المغرب غُدوة وطلوع رقيبه فى المشرق غدوة ، وسمِّى النوء لأنه ناء أى نهض للغيوب . قال الزّجّاج : والذى أختار مذهبُ الخليل : وهو أن النوء اسم المطر الذى يكون مع سقوط النجم ، فاسم مطر الكوكب الساقط النوء اه .

وكانت العرب تزعم أنه يحدث عند نوءِ كلِّ منزلٍ مطرٌ أو ريح ، أو حَرّ أو برد ، وهذا الذى روى فى الحديث . أن النبي ﷺ قال . « ثلاثٌ مِنْ أمر الجاهليَّة : الطعن فى الأنساب ، والنِّياحة ، والاستسقاء بالأنواء » ، وهو أن تضيف المطرَ إلى الكوكب الذى ينوء .

قال الأعلم : « وصف عارضَ سحابٍ اعترض بين نَوء الذراع ونوء الجبهة ؛ وهما من أنواء الأسد ؛ وأنواؤه أحمَدُ الأنواء . وذكر الذراعين ، والنوء إنما هو للذراع المقبوضة منهما[1] لاشتراكهما فى أعضاء الأسد[2] . ونظير هذا قوله تعالى (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللؤْلُؤُ والمَرْجان) يريد من البحرين الملح والعذب ، وإنّما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح ، لا منهما .

وهذا البيت للفرزدق . وتقدمت ترجمته فى الشاهد الثلاثين [3] .

* * *

(١) ما هنا يصحح ما فى الشنتمرى ١ : ٩٢

(٢) ط : « أعصاب الأسد » صوابه فى ش والشنتمرى

(٣) الخزانة ١ : ص ٢١٧

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد س[١] .

١٣٧ (كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيمةَ ناصِب)

هذا صدر ؛ وعجزه قد أنشَده فى باب النعت[٢] .

(وليلٍ أُقاسيهِ بَطيء الكواكب)

على أن (أُميمَةَ) جاء بفتح التاء ، والقياسُ ضمُّها .

واختلفوا فى التوجيه . فقال الجمهور . إنّه مرخّم ، والأصل يا أُميم : ثم أدخلت الهاء غيرَ معتدٍّ بها ، وفتحت لأنها وقعت موقع ما يستحقّ الفتح وهو ما قبل هاء التأنيث .

ولأبى علىّ الفارسىّ فيه قولان : أحدهما أن الهاء زائدة ، وفتحت إتباعاً لحركة الميم . والثانى أنها أدخلت بين الميم وفتحتها ، فالفتحة التى فى أولها هى فتحة الميم ثم فتحت الميم إتباعاً لحركة الهاء . . وقيل : جاء هذا على أصل المنادى ولم ينوّن لأنه غير منصرف . وقيل : هو مبنيّ على الفتح ؛ لأن منهم من يبنى المنادى المفرد على الفتح ، لأنها حركة تشابه حركة إعرابه ، فهو نظير : لا رجلَ فى الدار .

وقوله (كلينى) أمرٌ من وَكَلْت الأمر إليه وَكْلا من باب وعد ، ووُكولا : إذا فوّضته إليه واكتفيت به . و (أميمة) تصغير ترخيم أمامة ، وهى بنته . و (ناصب) بمعنى مُنصب : من النصَب وهو التعب ، فجاء به

---

(١) سيبويه ١ : ٣١٥ ، ٢/٣٤٦ : ٩٠ والعينى ٤ : ٣٠٣ وابن يعيش ٢ : ١٢ : ١٠٧ وابن الشجرى ٢ : ٨٣ والهمع ١ : ١٨٥

(٢) الخزانة ٢ : ٣١٦ بولاق .

على طرح الزائدُ وحمَلَه سيبويه على النسب ، أى ذى نصب ، كما يقال طريق خائف أى ذو خوف . و (أقاسيه) : أكابده . يقول : دعيني لهذا الهمِّ المتعِب ومقاساةِ الليل البطيء الكواكب بالسهر ، ولا تزيديني لوماً وعذلاً ، وجعلَ بُطءَ الكواكب دليلاً على طول الليل كأنها لا تغرُب فينقضيَ الليل .

وما أحسنَ قولَ بعضهم[1] :

لا أظلِمُ الليلَ ولا أدّعى أنّ نجوم الليل ليستْ تَغُورْ
ليلى كما شاءت فإن لم تجيء طال وإن جاءتْ فليلى قصير

٣٧١

وهذا البيت مطلعُ قصيدةٍ للنابغة الذبيانىّ ، مدح بها عَمرو بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبى شَمِر (بفتح وكسر ، ويقال شِمْر بكسر فسكون) حين هرب إلى الشام لمّا بلغه سعْى مُرّة بن ربيعة بن قُرَيع به إلى النعمان بن المنذر ، وخافه . وهذا عن أبى عبيدة . وقال غيره : هو ابن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبى شمر . وبعده :

أبيات الشاهد

(تطاوَلَ حتّى قلتُ ليسَ بمنقَضٍ وليس الذى يَرعى النجومَ بآيب
وصدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همِّه تضاعفَ فيه الحزنُ من كلّ جانب

---

(١) هو ابن بسام ، كما فى نهاية الأرب ١ : ١٣٥ وحماسة ابن الشجرى ٢١٤ ونثار الأزهار لابن منظور ٢٣ وزهر الآداب ٧٤٩ وديوان المعانى ١ : ٣٤٨ والمختار من شعر بشار ٢٠ . وذكروا أنه أخذه من على ابن الخليل حيث يقول :

لا أظلم الليل ولا أدعى أن نجوم الليل ليست تزول
ليلى اذا شاءت قصير اذا جادت فان ضنت فليلى طويل

أو : ليلى كما شاءت قصير اذا جادت وان زارت فليلى قصير

وفى السمط ٣١٠ وشرح الشريشى للمقامات ٢ : ١٥٣ نسب بيتا الخزانة الى بشار .

علىَّ لعمرٍو نعمةٌ ، بعد نِعمةٍ لوالده ليستْ بذات عَقارب)

ومنها :

(ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفهمْ بهنّ فُلولٌ من قِراع الكتائب)

وسيأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى (المستثني) .

قوله : وصدر ، معطوف على قوله « لهمّ » فى أوّل البيت . وأراح ، بمهملتين : متعدِّى راحت الإبل بالعشىّ على أهلها : أى رجعت من المرعى إليهم . والعازب ، بالعين المهملة والزاى المعجمة : الغائب ، من عزَب الشىء عزُوبا من باب قعد : بعُد ، وعزَب من بابى قتل وضرب : غاب وخفى . وقوله : لوالده ، أى لوالد عَمرو ؛ صفة لنعمة ، أى بعد نعمة كائنة لوالده وقوله : ليست . . الخ ، الجملة صفة إما لنعمةٌ المرفوعة أو لنعمةٍ المجرورة ؛ أى نعمة غير مَشُوبة بنقمة كنعمة النعمان بن المنذر . (وعمرو) هذا هو الغسّانى من ملوك الشام .

قال ابن رَشيق فى العمدة[1] : « أوّل من ولى الشامَ من غسّان الحارث ابن عمرو محرِّق[2] . سمِّى بذلك لأنه أوّل من حرَّق العربَ فى ديارها ، وهو الحارث الأكبر ، يكنى أبا شمر . . ثم ابنه الحارث بن أبى شَمِر ، وهو الحارث الأعرج ؛ وأمُّه مارية ذات القُرطين ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب ابن الحارث بن معاوية الكندىّ ؛ وأختها هند الهنود امرأة حُجر آكل المرار الكنْدى . وإلى الحارث الأعرج زحف المنذِر الأكبر فانهزم جيشه

(١) العمدة ٢ : ١٧٨

(٢) فى النسختين : « عمرو ومحرق » ، صوابه فى العمدة . وجعلها الشنقيطى بقلمه : « بن عمرو وهو محرق »

وقُتل هو . . ثم الحارث الأصغر بن[١] الحارث الأعرج بن الحارث . . ومن ولد الأعرج عَمرُو بن الحارث ، وكان يقال له أبو شمر الأصغر . وله يقول نابغة بني ذبيان :

عليَّ لعمرٍ نعمةٌ ، بعد نعمةٍ لوالده ليست بِذات عقارِب

(والنُّعمان بن الحارث) هو أخو الحارث الأصغر . وله يقول النابغة :

هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُه مستقبلُ الخير سريعُ التمام[٢]

وللنُّعمان ثلاثة بنين : عمرو ، وحجر ، والنعمان .

ومن ولد الأعرج أيضاً : المنذر ، والأيهَم أبو جَبَلة . وجبَلَةُ آخر ملوك غسّان ، وكان طوله اثنيْ عشر شِبرا وهو الذى تنصَّر فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه[٣] » .

« وكان أصل هؤلاء من اليمن ، وكانوا من غسّان ، وقيل من قضاعة . وأوّل ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك . ثم من بعده ابنه مالك . ثم من بعد مالك ابنه عمرو . . إلى خروج مزَيقِيا — وهو عمرو بن عامر — من اليمن فى قومه من الأزد ، وسُمِّى مُزيقِيا لأنه كان يمزِّق كل يومٍ حُلَّة ، لا يعود إلى لُبسها ، ثم يهبُها . وسُمِّى عامرٌ ماء السماء لأنه كان يُحيى[٤] فى المَحْل فينوب عن الغيث بالعطاء . ومزيقيا : ابن حارثة الغِطريف بن ثعلبة البُهلول بن امرئ

---

(١) فى النسختين : « ثم الحارث الأعرج » ، صوابه فى العمدة .

(٢) انظر ما مضى فى الشاهد ١٠٤ وكذا جمهرة القرشى ٢٦ والأغانى ٩ : ١٦١

(٣) المنقول التالى متقدم فى الترتيب عند ابن رشيق على هذا المنقول

(٤) ط : « يجتنى » . وأثبت ما فى ش . وفى العمدة : « يجىء » وفى بلوغ الأرب ٢ : ١٧٣ : يحتبى » .

القيس البِطْريق بن مازن قاتل الجوع ابن الأزد[١] . لما خرج مزيقيا من اليمن كان معه رجل اسمه جِذْع بن سِنان فنزلوا بلاد عَكّ ، فقتل جِذعٌ ملكَ بلادِ عَكّ ، وافترقت الأزد ، والملِكُ فيهم حينئذ ثعلبة بن عمرو بن عامر ، فانصرف عامله فحارب جُرهُم فأجلاهم عن مكّة واستولوا عليها زماناً ثم أحدثوا الأحداث . وجاء قصيّ بن كِلاب ، فجمّع معدّاً — وبذلك سمى مجمِّعاً — واستعان ملكَ الروم فأعانه ، وحارب الأزدَ فغلبهم واستولى على مكة . فلما رأت الأزدُ ضيقَ العَيش بمكّة ارتحلت ، وانخزعتْ خُزاعة لوَلاية البيت — وبذلك سُمِّيت — فصار بعض الأزْد إلى السواد فملّكوا عليهم مالكَ بنَ فَهْم أبا جَذِيمة الأبرش ، وصار قوم إلى يثرب — فهُمُ الأَوس والخزرَج — وصار قوم إلى عُمان ، وصار قوم إلى الشام ، وفيهم جذع بن سنان ، وأتاه عامل الملك فى خَرْج وجب عليه ، فدفع إليه سيفه رهنا ، فقال له الرومىّ : أدخِلْه فى حِرِ أمِّك ! فغضب جِذْع وقنَّعه به فقيل : « خذ من جذع ما أعطاك ، وصارت مثلا . ثم استولوا على الشام » كما تقدم ذكره . والله أعلم .

(تتمة)

روى المرزْبانى فى الموشّح[٢] عن الصُّولىّ بسنده : أن الوليد بن عبد الملك تشاجر مع أخيه مَسْلَمة فى شعر امرئ القيس والنابغة الذبيانى فى وصف طول الليل أيّهما أجود ، فرضيا بالشَّعبيّ فأُحضِر ، فأنشده الوليد :

كِليني لهمٍّ يا أميمةَ ناصبِ . . الأبيات الثلاثة

وأنشده مَسْلَمة قولَ امرئ القيس :

---

(١) كذا . وانظر العمدة وبلوغ الأرب .
(٢) الموشح ٣١

وليلٍ كَموج البحر ، أرْخَى سُدُولَه   علىّ بأنواع الهموم ، ليَبْتَلِي

السُّدول : الستور . ويبتلى : [ينظر (١)] ما عندى من صبر أو جزع

فقلتُ له ، لمّا تمطّى بِصُلبِه   وأردفَ أعجازاً وناء بكَلْكَلِ

تمطّى : امتد . وصُلبه : وسطه . وأردف : أتبع . وأعجازه : مآخيره . وناء : نهض . والكلكل : الصدر .

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ، ألا انْجَلِى   بصُبْحٍ ، وما الإصباحُ منكَ بأمثَلِ

أى : ما الإصباح بخير لى منك . [والياء فى انجلى أثبتها فى الجزم على لغة طيّء (١)] .

فيالكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَه ،   بكلِّ مُغارِ الفَتْل ، شُدّت بيَذْبلِ !

المغار : الحبْل المحكَم الفتل . ويَذْبُل : جبل .

كأنَّ الثُّرَيّا عُلِّقَت فى مَصَامِها   بأمراسِ كَتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

فى مصامها : فى مقامها . والأمراس : الحبال . والجندل : الحجارة . والصمّ : الصلاب .

قال : فضرب الوليدُ برجله طربا ! فقال الشَّعبىّ : بانت القضيّة !

قال الصُّولىّ : فأما قول النابغة :

* وصدرٍ أراح الليلُ عازبَ همِّهِ *

فإنّه جعَلَ صدرَه مألفاً للهموم ، وجعلها كالنَّعَم العازبة بالنهار عنه ، الرائحةِ مع الليل إليه ، كما تُريح الرُّعاةُ السائمةَ بالليل إلى مكانها (٢) . وهو أوّل مَنْ وصف أن الهموم متزايدة بالليل ؛ وتبعه الناس ، فقال المجنون :

(١) التكملة من الموشح .
(٢) الموشح : « الى أماكنها » .

يَضُمُّ إلىَّ الليلُ أطفالَ حبِّها[١] كما ضمَّ أزرارَ القَميصِ البَنائقُ

وهذا من المقلوب ، أراد : كما ضمَّ أزرارُ القميص البنائقَ — ومثلُ هذا كثير — فجعل المجنون ما يأتيه فى ليلهِ ، مما عَزَبَ عنه فى نهاره ، كالأطفال الناشئة . وقال ابن الدُّمَيْنة :

أظلُّ نهارى فيكم مُتعلّلا ويَجمعنى والهمَّ بالليل جامعُ[٢]

(ويُروى صدره : أقضِّى نهارى بالحديث وبالمنى[٣])

فالشعراء على هذا متّفقون ، ولم يشذَّ عنه منهم إلا أحذقُهم بالشعر وهو امرؤ القيس : فإنّه بحذقه وحُسن طبْعه وجودة قريحته ، كرِه أن يقول : إنّ الهمَّ فى حبِّه يخفّ عنه فى نهاره ، ويزيد فى ليله ؛ فجعل الليلَ والنهار سواءً عليه فى قلقه وهمّه وجزعِه وغمه ؛ فقال :

ألا أيها الليل الطويل . . البيت

وقد أحسن فى هذا المعنى الذى ذهب إليه ، وإن كانت العادة غيرَه ، والصورةُ لا توجبه . وقد صبَّ الله على امرئ القيس بعده شاعراً أراهُ استحالةَ معناه فى المعقول ، وأن الصورةَ تدفعه ، والقياسَ لا يوجبه والعادةَ غيرُ جارية به ؛ حتى لو كان الرادّ عليه من حُذّاق المتكلمين ، ما بلغ فى كثير نثرهِ ، ما أتى به فى قليل نظمه ؛ وهو الطِّرِمّاح بن حكيم الطائى : فإنه ابتدأ قصيدةً فقال :

ألا أيُّها الليل الطويل ، ألا اصبِحِ ببَمّ ، وما الإصباح فيكَ بأروَحِ[٤]

فأتى بلفظ امرئ القيس ومعناه ، ثم عطف محتجًّا مستدرِكاً فقال :

(١) فى الموشح : « أطفال حبكم » .
(٢) ط : « بالهم والليل جامع » . وانظر ديوانه ٨٨ .
(٣) هذا الكلام للبغدادى ، وما بعده للمرزبانى
(٤) بم : أرض من كرمان . وفى النسختين : « بيم » صوابه فى الديوان ٦٨ ومعجم البلدان والأغانى ١٠ : ١٤٨ واللآلىء ٢٢٠ وديوان المعانى ١ : ٢٤٦ وفى زهر الآداب ٧٤٨ : « بيوم » تحريف .

بَلِىٰ ، إنّ للعينين فى الصُّبْح راحةً لطرحِهما طرْفَيهما كلَّ مَطْرَح

فأحسَنَ فِى قوله وأجمَل ، وأتىٰ بحقّ لا يُدْفَع ، وبيّن عن الفَرْق بين ليله ونهاره . وإنّما أجمع الشعراء على ذلك ، مِن تضاعُف بلائهم بالليل وشدّة كلَفهم ، لقلّة المساعِد وفَقْدِ الحبيب ، وتقييدِ اللَّحْظِ عن أقصىٰ مرامى النظر [1] ، الذى لا بدّ أن يؤدِّىَ إلى القلب بتأمّله شيئاً يخفّف عنه [2] ، أو يغلب عليه فينسى ما سواه . وأبيات امرئ القيس فى وصف الليل ، اشتمل الإحسان عليها ، ولاح الحذقُ فيها ، وبانَ الطبع بها ؛ فما فيها مَعابٌ إلاّ من جهة واحدة عند الحذّاق بنقد الشعر ، وهو قوله : (فقلت له لما تمطّى . . البيت) لم يَشرح (فقلت له) إلا فى بيت بعده . وهذا عَيب ؛ لأن خير الشعر ما لم يحتَجْ بيتٌ منه إلى بيت آخر . وقد تبع الناس امرأ القيس وصدّقوا قوله ، وجعلوا نهارهم كليلهم ، فقال البحترى فى غضب الفَتْح عليه :

وألبستَني سُخطَ امرئ بتُّ مَوهِناً أرىٰ سُخْطَه ليلاً مَع الليل مظلِما

وكأنّه من قول أبى عُيينة فى التذكُّر لوطنه :

طال من ذِكرِه بجُرْجان لَيلِى ، ونهارى علىَّ كالليل داجى »

وترجمة النابغة الذبيانى قد تقدمت فى الشاهد الرابع بعد المائة [3] .

الترخيم

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائة ، وهو من شواهد س [4] :

---

(١) فى النسختين : « مرام النظر » ، صوابه من الموشح ٣٣ .
(٢) فى النسختين : « يخف عنه » ، ووجهه من الموشح .
(٣) أنظر ص ١٣٥ من هذا الجزء .
(٤) سيبويه ١ : ٣٤٣ والعينى ٤ : ٢٩٠ وابن يعيش ٢ : ٢٠ وابن الشجرى ١ : ١٢٦/٢ : ٨٨ والانصاف ٤٣٧ وديوان زهير ٢١٤

١٣٨ (خُذُوا حَظَّكُمْ يا آلَ عِكْرِمَ واذكُرُوا أواصِرَنا، والرَّحْمُ بالغَيبِ تُذْكَرُ)

على أن الكوفيِّين أجازوا ترخيم المضاف، ويقع الحذف فى آخر الاسم الثانى، كما فى البيت وفى أبيات أخر كثيرة؛ والأصل: يا آل عكرمة. وقالوا: المضاف والمضاف إليه بمنزلة الشىء الواحد، فجاز ترخيمه كالمفرد. ومنع البَصريّون هذا الترخيمَ وقالوا: لاحجة فى هذا البيت وأمثاله، لأنه محمول على الضرورة.

٣٧٤

والترخيم ضرورةً جائز فى غير النداء أيضا كقوله:

أودىٰ ابن جُلهُم عبّاد بصِرْمته إنّ ابنَ جُلْهُم أمسىٰ حيَّة الوادى[1]

أراد جُلهُمة.

وهذا البيت من أبيات تسعة لزهير بن أبى سُلمى. قالها لبنى سُليم، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غَطَفان. وهى هذه:

قصيدة الشاهد

(رأيتُ بنى آلِ امرئ القيس أصْفَقوا علينا، وقالوا: إنّنا نحنُ أكثرُ

سُليمُ بنُ منصور، وأفناء عامر، وسعدُ بن بكر، والنُّصور، وأعصُرُ)

بنو آل امرئ القيس: هوازن وسُليم بالتصغير. وقوله: أصفقوا علينا، أى اجتمعوا، يقال أصفق القومُ على كذا: إذا اجتمعوا عليه. وقوله: سُليم ابن منصور، أى منهم سليم. وأفناء عامر: قبائلها. وسعد بن بكر، من هوازن، وهم الذين كان النبى ﷺ مسترضَعاً فيهم. والنُّصور: بنو نصر، وهم من هوازن أيضا، سمِّى كل واحد منهم باسم أبيه ثم جُمع. وأعصُر أبو غَنِّى وباهلة. وكل هؤلاء من ولد عكْرِمة بن خَصَفَة بن قيس عَيلان ابن مضر.

(١) أنظر الشاهد ١٤١ فيما سيأتى. ط: «بصدمته» تحريف

(خذوا حظَّكم يا آلَ عكرِمَ واذكروا   أواصرَنا والرَّحْم بالغيب تذكر
خُذوا حظَّكم من وُدِّنا، إنّ قُرْبنا   إذا ضرَّستنا الحرب نارٌ تسعَّرُ)

(الحظّ) النصيب. يقول: صونوا حظّكم من صلة القرابة، ولا تُفسدوا ما بيننا وبينكم، فإنَّ ذلك مما يعود مكروهُهُ عليكم. و (آل عكرمة) هم بنو عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مضر، ورخَّم عكرمة ضرورة. و (الأواصر): جمع آصرة، وهي ما عطفك على رجلٍ من رحمٍ أو قَرابة أو صهر أو معروف. والرَّحم: موضع تكوين الولد — وتخفَّف بسكون الحاء مع فتح الراء، ومع كسرها أيضا فى لغة بنى كلاب — ثم سمِّيت القرابة والوُصلة من جهة الوَلاء رحما، فالرحم خلاف الأجنبيّ، وهو مؤنث فى المعنيَين. والرحم التى بين قوم زهير وبينهم: أن مُزينة من ولد أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر، وهؤلاء من ولد قيس بن عيلان بن مضر.

وقوله: إذا ضرَّستْنا الحرب، أى عضّتنا بأضراسها، وهذا مثلٌ للشدة. يقول: إذا اشتدّت الحربُ فالقربُ منا مكروه، وجانبنا شديد. وضربَ النار مثلا لذلك. ومعني تسعَّرُ — وأصله تتسعر — تتّقد

(وإنَّا وإياكم إلى ما نسومُكمْ   لَمِثلانِ، أو أنتم إلى الصُّلح أفقرُ)

يقول: نحن وأنتم مثلان فى الاحتياج إلى الصلح وترك الغزو، بل أنتم إلى ذلك أحوج وأشدُّ افتقاراً إليه. ومعني نسومكم: نعرض عليكم وندعوكم، يقال سمته الخسفَ، أى طلبت منه غير الحقّ وحملتهُ على الذلّ والهوان.

(إذا ما سمعنا صارخاً مَعجتْ بنا   إلى صوته وُرْقُ المَراكِل ضُمَّرُ)

الصارخ هنا المستغيث. ومعّجت بنا، أى مرت مرّاً سريعاً فى سهولة. وقوله: ورق المراكل ضمَّر، هو جمع أورق وهو الأسود فى غبرة، والمراكل

كجعفر : موضعُ عقِب الفــارس من جنب الفرس . أى قد تحاتَّ الشعَرُ وتساقط عن مَرَا كلها فاسودّ موضعه ، لكثرة الركوب فى الحرب .

(وإن شُلَّ رَيعانُ الجميع مَخافةً ... نقول جهاراً : ويلكم لا تُنفِرُوا[1] !

على رِسْلِـكم ، إنا سنُعدى وراءكم ... فتَمنعكم أرماحُنا أو سنُعذِرُ

وإلاّ ، فانّـا بالشَّرَبَّـة فاللوى ... نُعقِّرُ أُمّات الرباعِ ونَيْسِرُ)

يقول : إن أحسّ القوم بالعــدوّ فطردوا أوائل إبلهم وصرفوها عن المرعى ، أمرناهم بأن لا يفعــلوا ، وقلنا لهم مجاهرة : ويلــكم ! لا تنفّروا ولا تطردوها ، فنحن نمنعها من العدوّ ونقاتل دونها .

وشلّ بالبناء للمفعول : طُرِد[2] . ورَيْعان كل شىء : أوّله . وقوله : على رِسلكم ، بالكسر ، أى على مهلكم ورفقكم ؛ والمعنى : أمهلوا قليلا . وقوله : سنعدِى وراءكم ، أى سنعدى الخيلَ وراءكم ؛ يقال عدا الفرسُ وأعداه فارسه . وقوله : سنُعذِر ، أى سنأتى بالعذر فى الذبّ عنكم ؛ يقال أعذر الرجل فى الأمر : إذا اجتهد وبلغ العذر . وقوله : وإلاّ فإنا . . الخ ، يقول : وإن لم يكن قتال فانّا بالشَّرَبَّة ، أى بمنازلها التى تعلمون ، نحن فيها آمنون ، نضرب بقِداح الميسر وننحر النُّوق الكريمة .

والرِّباع : جمع رُبَع ، وهو ما نُتج فى الربيع . وقداح الميسر تعَدّ عندهم من المكارم ، يتفاخرون بلعبها فى القحط . ويقال فيما لا يعقل : أمّ وأُمّات ، وفيما يعقل : أُمّهات ؛ وربما استُعمل كلّ واحد منهما مكانَ صاحبه . ونَيسِر : نقامر : وفعله من باب وعد .

(١) ش : « يُشْلَ » فى المتن والشرح بعده ، تحريف فقد فسره البغدادى بأنه بمعنى طرد . والشل : الطرد . وما أثبته أيضا هو رواية الديوان ٢١٦ .

(٢) ش : « يطرد »

ورُوِى :

* وإن شَدَّ رُعْيان الجميع مخافة *

وشدّ بمعنى فرّ . ورُعيان : جمع راع . . ووراءكم : أمامكم . وسنعذر رُوى بالمثناة الفوقية ، والضمير للرماح . والشَّرَبَّة بفتح الشين والراء وتشديد الموحدة : موضع ببلاد غطفان . وكذلك اللِّوىٰ .

زهير

و (زهير) هو زهير بن أبى سُلمى . واسم أبى سُلمى ربيعة بن رِياح المزَنىّ من مزينة بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر ؛ وكانت مَحلَّتهم فى بلاد غطفان . فيظنّ الناس أنه من غطفان ، أعنى زهيراً ، وهو غلط . كذا فى الاستيعاب لابن عبد البرّ . وكأن هذا ردٌّ لما قاله ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[1] فإنه قال : « زهير هو ابن ربيعة بن قُرط . والناس ينسبُونه إلى مزينة ؛ وإنما نسبُه إلى غطفان » اهـ .

وسُلمى بضم السين قال فى الصحاح : « ليس فى العرب سُلمى بالضم غيره » ورِياح بكسر الراء وبعدها مثناة تحتية .

وزهير أحد الشعراء الثلاثة الفحول ، المتقدّمين على سائر الشعراء بالاتفاق ، وإنّما الخلاف فى تقديم أحدهم على الآخر وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة الذبيانى . قال ابن قتيبة[2] : « يقال : إنه لم يتصل الشعر فى ولدِ أحد من الفحول فى الجاهليّة ما اتصل فى ولد زهير ، وفى الإسلام ما اتصل فى ولد جرير . وكان زهيرٌ راويةَ أوس بن حجَر . وعن عكرمة بن جرير قال : قلت لأبى : مَنْ أشعَرُ الناس ؟ قال : أجاهليّة أم إسلاميّة ؟ قلت : جاهليةً . قال : زهير .

---

(١) الشعراء ٨٦ .

(٢) الشعراء ٨٦ ، ٨٧

قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يجيد نعت الملوك ، ويصيب صفة الخمر . قلت له : فأنت ؟ قال : أنا نحرت الشعْر نحراً » .

وقال ثعلب ، وهو ممن قدّم زهيراً : كان أحسنَهم شعراً ، وأبعدهم من سُخْف ، وأجمعَهم لكثير من المعنى فى قليل من المنطق ، وأشدَّهم مبالغة فى المدح ، وأكثرَهم أمثالاً فى شعره . وقال ابن الأعرابى : لزهير فى الشعر ما لم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأخته سُلمى شاعرة ، وأخته الخنساء شاعرة ، وابناه كعب وبُجير شاعرين ، وابنُ ابنه المضرَّب بن كعب[1] شاعراً ، وهو الذى يقول :

٣٧٦

إنّى لأحبِسُ نفسى وهى صابرة[2] عن مُصعَب ولقد بانت لى الطرق

رُعْوى عليه كما أرعىٰ على هَرِم[3] جدِّى زهيرٌ وفينا ذلك الخُلُق

مدْحُ الملوك وسَعىٌ فى مَسرّتهم ثم الغِنيٰ ، ويد الممدوح تَنطلق

وكعب هو ناظم :

* بانت سعادُ فقلبى اليوم متبولُ *

وستأتى ترجمته إن شاء الله تعالى فى أفعال القلوب[4] .

قال ابن قتيبة : وكان زهيرٌ يتألّه ويتعفّف فى شعره ، ويدلُّ [شعرُه[5]] على إيمانه بالبعث ، وذلك قوله :

يُؤخَّرْ فيودَعْ فى كتابٍ فيُدَّخَرْ ليوم الحساب أو يُعَجَّلْ فينقم

(١) انظر سبب تلقيبه بالمضرب فى الشعراء ٩٢

(٢) الأغانى ٩ : ١٥١ : « وهى صادية » .

(٣) الأغانى : « رعوا عليه » .

(٤) فى الشاهد ٧١٤ .

(٥) التكملة من ش وابن قتيبة ٨٨ .

وشبّه زهير امرأةً بثلاثة أوصاف فى بيت واحد فقال :

تنازعها المها شَبَهاً ودُرّ الـ ـبحور وشاكهت فيها الظباء[١]

ففسّر ثم قال :

فأمّا ما فُويقَ العِقْدِ منها فمن أدْماء مَرتعُها الخَلاء
وأما المقلتانِ فمن مَهَاةٍ وللدُّرّ الملاحة والصَفَاء

وقال بعض الرواة : لو أنّ زهيراً نظر إلى رسالة عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرىّ[٢] ما زاد على ما قال :

فإنّ الحقّ مقطعُه ثلاثٌ : يَمينٌ أو نِفار ، أو جلاء

يعنى يميناً ، أو منافرة إلى حاكم يقطع بالبينات ، أو جلاء وهو بيان وبرهان يجلو به الحقّ وتتضح الدعوى » .

وديوان شعر زهير كبير ، وعليه شرحان ، وهما عندى والحمد لله والمنّة ، أحدهما بخطّ مهلهل الشهير الخطّاط صاحب الخطّ المنسوب .

وغالب شعره مدْحٌ فى هرِم بن سِنان أحد الأجواد المشهورين ، ومن شعره فيه قوله :

صحا القلبُ عن سلَمىْ وقد كاد لا يسلو

قال صاحب الأغانى[٣] . هذه القصيدة أوّلُ قصيدة مدح بها زهير هَرِماً ، ثم تتابع بعده . وكان هرِمٌ حلَفَ أنلا يمدَحهُ زهيرٌ إلا أعطاه، ولا يسألهُ إلاّ أعطاه،

(١) ط والشعراء : « تنازعت المها » ، وفى ط : « وشابهت » .
(٢) انظرها فى البيان ٢ : ٤٨ .
(٣) الأغانى ٩ : ١٤٦ .

ولا يسلِّمُ عليه إلاّ أعطاه : عبداً أو وليدةً أو فرساً. فاستحيا زهير منه ، فكان زهير إذا رآه فى ملأٍ قال . أنعِموا صباحاً غير هَرِمٍ ، وخيرَكم استثنيتُ . .
وقال عمر بن الخطاب لبعض ولد هرم : أنشِدْنى بعضَ مدح زهيرٍ أباك ؛ فأنشده فقال عمر : إنْ[1] كان ليحسن فيكم المدح . قال : ونحن والله [إنْ[2]] كنا لنُحسِنُ له العطيَّة . قال : قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم .
وفى رواية عمر بن شبَّة : قال عمر لابن زهير : ما فعلَتِ الحُلَلُ التى كساها هرِمٌ أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكن الحُللَ التى كساها أبوك هرماً لم يُبلِها الدهر !

ويستجاد قوله فى هرِم :

قد جعلَ المبتغُون الخير فى هِرِم والسائلون ، إلى أبوابه طرُقا
من يَلْقَ يوماً عَلَى عِلاَّته هَرِماً يَلْقَ السماحةَ فيه والندىٰ خُلُقَا

ورُوى أن زهيراً كان يَنظِم القصيدة فى شهر ، وينقِّحها ويهذِّبها فى سنة ، وكانت تسمَّىٰ قصائده (حَوليّات زهير) . وقد أشار إلى هذا البهاء زهير فى قوله من قصيدة :

٣٧٧

هذا زُهيرُكَ لا زُهير مُزَينة وافاك لا هَرِما على عِلاّتِه
دَعْهُ وحَولياته ثم استمعْ لزهيرِ عصرِكَ حُسْنَ لَيْلِيَّاتِه

وكان رأىٰ زهيرٌ فى منامه فى أواخر عمره : أنَّ آتياً أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسُّها بيده ، ثم تركه فهوىٰ إلى الأرض . فلما احتُضِر قصَّ رؤياه على ولده كعب ثم قال : إنّى لا أشك أنه كائنٌ من خبر السماء بعدِى ؛ فإن كان

(١) فى النسختين : « انه » ، والوجه من الأغانى .
(٢) التكملة من الأغانى

فتمسَّكوا به وسارعوا إليه . ثم تُوفىَّ قبل المبعث بسنة . فلما بُعثَ ﷺ ، خرج إليه ولدُه كعبٌ بقصيدته (بانت سعاد) وأسْلَمَ ؛ كما يأتى بيانها فى أفعال القلوب إن شاء الله تعالى .

وروى أيضاً : أنَّ زهيراً رأىٰ فى منامه أنَّ سبباً تدلَّىٰ من السماء إلى الأرض وكان الناس يمسكونه[1] ، وكلما أراد أن يُمسكه تقلّص عنه . فأوَّلَه بنبيٍّ آخرِ الزمانِ ، فإنه واسطة بين الله وبين الناسِ ، وأنّ مدّته لا تصل إلى زمن مبعثه ؛ وأوصى بنيه أن يؤمنوا به عند ظهوره .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائة[2] :

١٣٩ (أبا عُرْوَ لاتبْعَدْ ، فكلُّ ابنِ حُرَّةٍ
سيَدعوه داعى مَوْتَةٍ فيُجيبُ)

لما تقدّم فى البيت قبله : فانّ (أبا عُرْوَ) منادى بحرف النداء المحذوف ؛ وأبا منادى مضاف لما بعده ، وعُرو : مرخّم عروة : والكلام عليه كما تقدّم فى البيت قبله

قال ابن الشجرىّ فى أماليه : « ومما يدلّ على مذهب سيبويه — ولم يكن فيه ما تأوّله أبو العباس المبرِّد فى بيت زهير ، فزعم أنه أراد : يا آل عكرمٍ ، بالجرّ والتنوين — قولُ الشاعر :

أبا عُرْوَ لا تَبْعَدَ . . . البيت

(١) ط : « كأن الناس يمسكونه » ، صوابه من ش

(٢) أنظر أيضا العينى ٤ : ٢٨٧ وأمالى ابن الشجرى ١ : ١٢٩ والانصاف ٣٤٨ وابن يعيش ٢ : ٢٠

ألا ترى أنه لا يمكنُ أبا العبّاس أن يقول : إن عروة قبيلة ؛ كما قال ذلك في عكرمة ! ولا يمكنه أن يقول : أراد أبا عُرو ، بالجرّ والتنوين . فمنعه من ذلك أن عُروة لا ينصرف للتأنيث في التعريف[1] » انتهى

وروى ابنُ الشجريّ هذا البيتَ كرواية الشارح المحقّق ؛ وأنشده ابن الأنباريّ في مسائل الخلاف ، وكذا ابن هشام في شرح الألفية :

* سَيَدْعُوه داعى مِيتةٍ *

بكسر الميم . والميتة : الحالة التي يموت عليها الإنسان . وزاد ابن السكّيت (في كتاب المذكر والمؤنث) رواية : (ستدعوه) بمثنّاة فوقية لا تحتيّة على أن قوله (داعى) اكتسب التأنيث من إضافته إلى المؤنث . وكذلك أورده الفرّاء عند تفسير قوله تعالى : (إنَّهاإنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَل[2]) . قال : فإن قلتَ : إنّ المثقال ذكر ، فكيف قال تكُ ؟ قلتُ : لأن المثقال أضيف إلى الحبّة ، وفيها المعنى ؛ كأنه قال : إن تكُ حبّة . ثم أنشدَ البيت فقال : أنّث فعلَ الداعى ، وهو ذكَر ، لأنه ذهب إلى الموتة .

وقوله : (لا تبعَد) أى لا تهلك ، وهو دعاء خرج بلفظ النهى ، كما يخرج الدعاء بلفظ الأمر وإن كان ليس بأمر ، نحو : اللهم اغفر لنا . يقال بعِد الرجلُ يبعَد بعَداً من باب فرح ، إذا هلك ؛ وإذا أردت ضدّ القرب قلت : بعُد يبعُد بضم العين فيهما ، والمصدرُ على وزن ضدّه وهو القرب ؛ وربّما استعملوا هذا في معنى الهلاك لتداخل معنييهما . فإن قيل : كيف قال لا تبعدَ وهو قد هلك ؟ أُجيب بأنّ العَرب قد جرت عادتُهم باستعمال هذه اللفظة في الدعاء للميت ، ٣٧٨

(١) ش : « لا ينصرف فى التعريف » .
(٢) الآية ١٦ من سورة لقمان .

ولهم فى ذلك غرضان : أحدهما أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل ، وكأنَّهم لا يصدِّقون بموته . وقد بيَّن هذا المعنىٰ النابغةُ الذبيانىّ بقوله :

يقولون « حِصْنٌ » ثم تأبىٰ نفوسُهمْ وكيفَ بحِصْنٍ والجبالُ جُنُوحُ ؟
ولم تَلفِظِ الموتىٰ القبورُ ، ولم تَزُلْ نجومُ السماءِ ، والأديمُ صحيح

أراد : أنهم يقولون : مات حصن ؛ ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ، ويقولون : كيف يجوز أن يموت ، والجبال لم تنسف ، والنُّجوم لم تنكدِر ، والقبور لم تُخرِج موتاها ، وجِرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث .

وهكذا تستعمله العرب فيمن هلك فساء هلاكُه وشقَّ على من يفقِده . قال الفَرَّار السُّلَمىّ :

ما كان ينفعنى مقالُ نسائهم ، وقتلتُ دون رجالهم : لا تبعَدِ[1]

ومثله قول مالك بن الرَّيب من قصيدة تقدَّمتْ[2] :

يقولون : لا تَبعَدْ ، وهم يدفِنوننى وأينَ مكانُ البعد إلاَّ مكانيا !

والغرض الثانى : أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقىٰ ذكره ولا يُنسَى ؛ لأن بقاء ذكرِ الإنسان بعد موته بمنزلة حياته ؛ كما قال الشاعر :

فأَثْنُوا علينا ، لا أبا لأبيكُمُ ! بأفعالنا ، إن الثناء هو الخُلْدُ[3]

وقال آخر :

فإنْ تكُ أفنتْهُ الليالى فأوشكتْ فإنَّ له ذكراً سيُفنى اللياليا

(١) فى الحماسة ١٩٢ بشرح المرزوقى : « خلف رجالهم » .
(٢) انظر ص ٢٠٥ من هذا الجزء
(٣) البيت للحادرة الذبيانى فى البيان ٣ : ٣٢٠ والحيوان ٣ : ٤٧٥ ويروى : « بأحسابنا » و « بإحساننا » .

وقال المتنبّي ، وأحسن :

ذِكرُ الفتى عمرُه الثانى ، وحاجته ما قاتَهُ ، وفضولُ العيش أشغالُ[(١)]

وقد بيَّن الفرار السُلَمىّ ومالك بن الريب ما فى هذا من المحال فى البيتين المذكورين .

وقوله : (فكلّ ابن حُرّة) الفاء للتعليل . يقول : لا أنسىٰ اللهُ ذكرك بالثناء الجميل فى الدنيا ، فإن الإنسانَ لا بدّ له من الموت ، فانْ ذُكِر بالجميل فكأنّه لم يمُتْ . وذكرَ الُحرّةَ وأراد المرأة ؛ أو تقول : أبناء الحرائر إذا كان لا بدّ لهم من الموت ، فموتُ أبناء الإماء من بابِ أولىٰ . . والسين فى قوله : (ستدعوه) للتأكيد لا للتسويف . وقوله . (فيجيب) معطوف على ستدعوه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[(٢)] :

١٤٠ (دِيارُ مَيّةَ إذْ مَىٌّ تُساعِفُنا ولا يَرىٰ مِثْلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ)

على أن الترخيم فى غير النداء ضرورة ، إذ (مىّ) مرخّم مية وهو غير منادى .

وأنشد سيبويه هذا البيت فى كتابه فى موضعين : أحدهما هذا ؛ قال : وأما قول ذى الرُمّة :

(١) كذا « قاتة » بالقاف فى النسختين ، ويؤيده ما قال العكبرى : « قال ابن القطاع : صحف الرواة هذا البيت فرووه : فاته ، بالفاء ، والصواب بالقاف » .

(٢) سيبويه ١ : ١٤١ ، ٣٣٣ . وانظر نوادر أبى زيد ٣٢ وأمالى ابن الشجرى ٢ : ٩٠ والهمع ١ : ١٦٨ وديوان ذى الرمة ٣ .

ديار مَيَّة إذ ميُّ تساعِفنا . . البيت

فزعم يونس أنه كان يسمِّيها مرّةً ميًّا ومرّة ميّة . انتهى . وكذا في الصحاح قال : « مية اسم امرأة ، وميّ أيضاً » . وعلى هذا فيكون ما في البيت على أحد الوجهين ، فلا ترخيم ولا ضرورة ، فيكون ميُّ مصروفاً كما يصرف دعْد ، لأنه ثلاثيّ ساكن الوسط .

قال ابن الشجريّ في أماليه : « ومنع المبرّد من الترخيم في غير النداء على لغة من قال يا حارِ بالكسر » ، إلى أن قال : وكذلك يقولون في قول ذي الرمة :

٣٧٩

ديار ميّة إذ ميُّ تساعفنا[١] . . . البيت

أنه كان مرّة يسميها ميًّا ومرّة يسميها ميّة . قال : ويجوز أن يكون أجراه في غير النداء على يا حارُ بالضم ، ثمَّ صرفه لما احتاج إلى صرفه . قال : وهذا الوجه عندي ، لأن الرواة كلهم ينشدون :

فيا ميُّ ما يدريكِ أينَ مُناخنا . . البيت[٢] انتهى

والموضع الثاني من كتاب سيبويه أورده على أن ديارَ ميّة منصوب بإضمار فعل كأنه قال : أذكرُ ديارَ ميّة ، ولا يذكر هذا العامل لكثرته في كلامهم ، ولِما كان فيه من ذكر الديار قبل ذلك . ونص كتابه : «ومما التُزِم فيه الإضمار قولُ الشعراء : ديار فلانة ، قال :

ديارَ ميّة إذ ميُّ تساعفنا . . البيت

---

(١) في النسختين « يا دار مية » وان كان الشنقيطي حورها الى « ديار » ، وصوابه من أمالي ابن الشجري .

(٢) البيت لذي الرمة في ديوانه ١٧٢ . وعجزه فيه وفي الامالي : « معرقة الألحي يمانية سجرا »

كأنه قال: أذكرُ[(١)]. ولكنه حذف لكثرة الاستعمال » ثم قال : «ومن العرب من يرفع الديار ، كأنه يقول تلك ديار فلانة » . انتهى

ويجوز أن يكون مجروراً على أنه بدلٌ من دارٍ فى بيت قبله بثلاثة أبيات ، وهو :

(لا ، بلْ هو الشوقُ من دارٍ تخوّنَها مرًّا سَحابٌ ومرًّا بارحٌ تَرِبُ[(٢)])

وهما من قصيدة طويلة جدًّا فى النسيب بميَّة ووصْفِها ، وهى أحسن شعره ، حتى قال جرير : ما أحببت أن يُنسَب إلىّ من شعر ذى الرمّة إلاّ هذه القصيدة ، فإن شيطانه كان فيها ناصحاً[(٣)] ولو خرس بعدها لكان أشعر الناس.

وروى الأصمعىّ فى شرح ديوانه عن أبى جَهمة العدوىّ قال : سمعت ذا الرمّة يقول : مِن شعرى ما ساعدنى فيه القول ، ومِنه ما أجهدت فيه نفسى ، ومنه ما جُننت فيه جنوناً . فأما الذى جننت فيه فقولى :

* ما بالُ عينكَ منها الماء ينسكبُ[(٤)] *

وأما ما طاوعنى فيه القول ، فقَولى :

* خليلىّ عوجا من صدور الرواحل[(٥)] *

وأما ما أجهدت فيه نفسى فقولى :

* أأن ترسّمتَ من خَرقاء منزلةً * اهـ

---

(١) الشنتمرى : « اذكر ديار مية واعنيها » .

(٢) ط : « مر السحاب ومر بارح ترب » ، صوابه فى ش والديوان ٢ واللسان (خون)

(٣) ط : « ناضحا » ، صوابه فى ش

(٤) ط : « عنيك » ، صوابه فى ش والديوان

(٥) فى النسختين : « عن صدور » ، وصححها الشنقيطى فى نسخته

أبيات الشاهد

ومن أوّل القصيدة إلى بيت الشاهد عشرة أبيات لا بأس بإيرادها وهي هذه :

(ما بالُ عَيْنِكَ منها الماء يَنسكِبُ كأنّه من كُلًى مَفرِيَّةٍ سَرَبُ)

الكُلى : جمع كُلية ، وهي الرُّقعة تكون فى أصل عَرَقة المزادة . والمفريّة : المقطوعة المخروزَة ؛ يقال فريت الأديم : إذا شققته وخرزته ، وأفريته : إذا شققته . ففرىٰ بلا ألف : شقٌّ معه إصلاح ، وأفرى مع ألف : شقّ فى فساد . وسَرِب ، رواه أبو عمرو بكسر الراء ، بمعنى السائل ، ورواه الأصمعى وابن الأعرابى بفتحها ؛ قال : السرب الماء نفسه الذى يُصبُّ فى المزادة الجديدة لكى تبتلّ مواضع الخرْز والسُّيور ؛ سرِّبْ قِرْبتك : أى صُبَّ فيها الماء حتى تستحكم مواضع الخرْز .

(وَفْرَاءَ غَرْفِيّةٍ أثأىٰ خَوارزُها مُشلشَل ضَيَّعتهُ بينها الكُتَبُ)

وفْراء أى ضخمة ، صفة مفريّة ، أى مزادة وفراء . وغَرْفية : منسوبة إلى الغَرف وهو دباغٌ بالبحرين ، وقيل : شجر يدبغ به ؛ وقال أبو عمرو : هو الأرطىٰ مع التمر والمِلح ، يدبغ به . وأثأى : أفسد ، ومفعوله محذوف أى الخرز ؛ يقال أثأيت الخرز : إذا خرمته . والخوارز فاعل أثأى ، وهو جمع خارزة ، وهى التى تَخيط المزادة المشلشل : نعت سَرَب وهو الماء الذى يتصل تقاطره ولا ينقطع . والكُتَب ، بالمثناة الفوقية : الخُرَز ، جمع كُتْبة ؛ وكل شيء ضممته فقد كتبته .

٣٨٠

(أستحدَثَ الركْبُ عن أشياعهم خبراً أم راجع القلبَ من أطرابهِ طَرَبُ[1])

---

(١) ويروى : « أم عاود القلب » . وانظر الديوان ص ١ .

الرَّكْبُ : أصحاب الإبل ، جمع راكب كصحب جمع صاحب . والأشياع : الأصحاب . وأستحدَثَ بفتح الهمزة : استفهام . يقول : بكاؤك وحزنك ألخبرٍ حدَث ، أم راجعَ قلبكَ طرب ؟ والطرب : استخفاف القلب فى فرح كان أو حزن .

وهذا البيت من شواهد شرح الشافية للشارح المحقِّق[1] :

(مِن دِمنةٍ نَسفَت عنها الصَّبا سُفَعاً كما تُنَشَّر بعد الطَّيَّة الكُتُبُ
سَيلا من الدِّعْصِ أَغْشَتْهُ معالمهاَ[2] نَكْباء تَسحَبُ أعلاهُ فَينسَحِبُ)

كأنه قال : راجع القلبَ طربٌ من دمنة ، أى من أجل دمنة . ورُوى : (أم دمنة) كأنه قال : أم دمنة هاجت حزنك ! والدِّمْنة : آثار الناس وما لطّخوا وسوّدوا . والسُّفع : قال الأصمعىّ : هى طرائق الرمل ، سُود وحمر . ونصب سُفعاً بنسفَت وأتبع السيل سُفَعاً ؛ وذلك السفع سيل من الدعص . يريد رملا سال من دعص ، جعله كالنعت للسيل ، فكأنه قال : كشفت الصَّبا عن الدمنة سفعا، وردَّ سيلاً على السفع . يقول : فظهرت الأرض كما تنشَّر الكتب بعد أن كانت مطوية . وقال ابن الأعرابى : السُّفَع جمع سُفْعة ، وهو سواد تدخله حمرة ، تكون فى الأثافى . ونصب سفعاً على الحال ، ونصب سيلاً بنسفت : وخفض أبو عمرو سُفَع ، اتبعه الدِّمنة . والطِّية بالكسر : الحالة التى يكون عليها الانسان ، والمفتوح منه فعلة واحدة وقوله : سَيلاً من الدعص الخ ، يقول : سيلاً أغشته إياها النكباء . والدِّعص : رمل منفرد متلبِّد ليس بعظيم . والنَّكباء : كل ريح انحرفت بين ريحين . وقوله : أعلاه ، يعنى أعلى هذا

---

(١) أنظر شرح شواهد الشافية ١٨٩ .

(٢) ويروى : « معارفها » .

السيل الذى سال من الدِّعص؛ وليس سيلَ مطر ، إنّما هو رملٌ انهال إلى هذه الدمنة فغشّى آثارها ، والنكباء التى أغشت المعالم سيلاً من الدعص فغطّته فجاءت بعده فنسفته . وتسحبه : تجره وتذهب به ، وينسحب أى فينجرّ هو أيضاً .

(لا بَلْ هو الشَّوقُ من دارٍ تَخوّنَها مَرًّا سحابٌ ومَرًّا بارحٌ تَرِبُ[1])

يقول : ليس هذا الحزن من أثر دمنة ، ولامن خبر الركب ، إنما هو شوقٌ هيَّج الحزنَ ، من أجل دارٍ ذكرت مَن كان يحلّها . وتخوّنها : تعهّدها وتنقّصها، يقال : فلان تَخوّنه الحمى ، أى تعهَّده . والبارح : الريح الشديدة الهُبوب فى الصيف . والتَّرِب : التى تأتى بالتراب .

(يبدُو لعينَيكَ منها وهى مُزمِنةٌ نُؤىٌ ومُستوقَدٌ بالٍ ومُحتطَبُ)

يبدو : يظهر . ومُزمنة : التى أتى عليها زمان . والنؤى : حاجز يحفر حول البناء ليردّ السيل . والمستوقَد : موضع الوقود . والبالى : الدارس . والمحتطَب : موضع الحطب .

(إلى لَوائحَ من أطلالِ أحوِيةٍ كأنها خِلَلٌ مَوشِيَّةٌ قُشُبُ)

أى مع لوائح . يقول : يبدو لك هذا مع ذاك . واللوائح : ما لاح لك من الأطلال . والأحوية : جماعة بيوت الحىّ ، الواحد حواء . والخِلل : أغماد السيف ، جمع خِلّة بالكسر . والقُشُب تكون الجُدُد والأخلاقَ . شبه آثار الدار بأغماد السيوف الموشّاة المخلقة . والقشب هنا الجدُد[2] . وموشيّة : موشّاة

(بجانب الزُّرقِ لم تطمِسْ معالمَها دوارجُ المُور والأمطارُ والحِقَبُ)

٣٨١

(١) المر : المرة ، أو هو جمع للمرة ، كما فى اللسان .

(٢) كذا ، والوجه أن تكون الأخلاق لا الجدد .

يقول : هذا النؤىُ مع هذه الأطلالَ ، بهذا المكان . والزُّرْق ، بضم الزاى وسكون المهملة : أنقاء بأسفل الدَّهناء لبنى تميم . والدوارج : الرياح التى تدرُج : تذهب وتجىء . والمُور بالضم : التراب الدقيق . والأمطار بالرفع . والحِقَب ، بكسر ففتح : السنون ، الواحد حِقبة . لم تطمس : لم تمح . ويقال دوارج الرياح : أذيالها ومآخيرها .

(ديار ميَّة إذ مىٌّ تساعفنا . . . البيت)

تساعفنا : تدانينا وتواتينا . وعُجم بالضم : لغة فى العجم بفتحتين ، وهو فاعل يَرَىٰ البَصَريّة . ثم أخذ بعد هذا فى وصفها .

وترجمة ذى الرمَّة تقدمت فى الشاهد الثامن[1] .

* * *

• وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد المائة[2] :

١٤١ (للهِ ما فَعَلَ الصوارمُ والقنا فى عَمرِو حابٍ وَضَبَّةَ الأغْنام)

لما تقدم فى البيت قبله ، فإن قوله : (حاب) مرخّم حابس فى غير النداء ، وهو ضرورة ، وهو فى المضاف إليه أبعَد . وأبقىٰ كسرةَ الباء من حابس بعد الترخيم على حالها . وأصله (عمرو بن حابس) فحذف ابنا وأضاف عمراً إلى حابس .

وقال ابن سيدهْ صاحبُ المحكم (فى شرح ديوان المتنبى) : أراد عمرو حابسٍ فرخّم المضاف إليه اضطراراً كقوله ــ أنشده سيبويه :

أودى ابنُ جُلهُمَ عَبّادٌ بصِرْمته إنّ ابنَ جُلهُمَ أمسىٰ حَيَة الوادى

(١) انظر ص ١٠٦ من الجزء الأول

(٢) ديوان المتنبى بشرح العكبرى ٢ : ٢٨٥

قال : أراد ابنَ جلهمة[1] . والعرب يسمُّون الرجل جُلهمة والمرأة جُلْهُمُ[2] .
كل هذا حكاه سيبويه .

وهذا البيت من قصيدة لأبى الطيِّب المتنبى . قالها فى صباه ، عند ما اجتاز برأس عيَن فى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وقد أوقع سيف الدولة بعمرو ابن حابس من بنى أسد ، وبنى ضبَّة ، ورياح من بنى تميم ؛ ولم ينشدْه إيَّاها . فلما لقيه دخلت فى جملة المديح . ومطلع القصيدة :

(ذِكَرُ الصِبا ومَرَاتعُ الآرامِ جلَبتْ حِمامى قبلَ وقتِ حِمامى)

إلى أن قال فى مدح سيف الدولة :

(وإذا امتَحَنْتَ تكشّفتْ عزماتُه عن أوْحَدِيّ النقض والإبرام
وإذا سألتَ بَنانَهُ عن نَيــله لم يرضَ بالدُّنيا قضاءَ ذِمام
مَهلاً ، ألاَ للهِ ما صنع القَنا فى عمرِو حابٍ وضبّةَ الأغنامِ)

جعل هؤلاء أغناما ، لأنهم كانوا جاهلين حين عَصوه ؛ حتّى فعل بهم ما فعل . وهو بالنون لا بالمثناة الفوقية ، إذ هو غير مناسب ، إذ الأغتَم : الأعجمُ الذى لا يفصح شيئاً ، والجمع الغُتم . وزعم ابن سيدهْ فى شرحه : أن هذا هو المراد هنا ، قال : والأغتام : جمع أغتم ، كسّر أفعَل على أفعال ، وهو قليل ، ونظيره أعزَل وأعزال بإهمال الأوّل ، وهو الذى لا سلاح معــه ، وأغرَل وأغرال بإهمال الثانى ، وهو الذى لم يختتن . ٣٨٢

وبعده :

(لمّــا تحــكَّمَتِ الأسِنَّةَ فيهم جارتْ ، وهُنَّ يجُرنَ فى الأحكام

(١) الذى فى كتاب سيبويه ١ : ٣٤٤ : « أراد أمه جلهم »
(٢) فى النسختين : « جلهمة » ، صوابه من سيبويه ومما نقله عنه ابن منظور فى اللسان (جلهم) . والبيت للاسود بن يعفر .

فتركتَهم خَلَلَ البيوت كأنّما غَضِبتْ رءوسهم على الأجسامِ)

أى غزوتَهم فى عُقر دارهم حتى[1] تركتهم خلال بيوتهم أجساما بلا رءوس

المتنبى

وهذه ترجمة المتنبى نقلتها من كتاب (إيضاح المشكل لشعر المتنبى ، من تصانيف أبى القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهانى) وهذا الإيضاح قاصرٌ[2] على شرح ابن جنّي لديوان المتنبى ، يوضّح ما أخطأ فيه من شرحه . وهو ممن عاصر ابنَ جنّى ، وألَّف الايضاح لبهاء الدولة بن بويه . قال : « وقد بدأت بذكر المتنبّي ومَنشئه ومُغتَرَبه ، وما دلّ عليه شعره من معتقده إلى مختتم أمره ، ومَقْدمه على الملك — نضّر الله وجهه — بشيراز وانصرافه عنه ، إلى أن وقعتْ مقتلتُه بين دَيرقُنّة[3] والنُّعمانية واقتسام عقائله وصفاياه . . حدثنى ابن النجّار ببغداد : أن مولد المتنبي كان بالكوفة فى مَحلَّةٍ تعرف بكِندة ، بها ثلاثة آلاف بيت ، من بين رَوَّاء ونَسَّاج . واختلف إلى كتّاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية شعراً ولغة وإعراباً ؛ فنشأ فى خير حاضرة . وقال الشعر صبيّاً . ثم وقع إلى خير بادية باديةوما بلاد قبة حصلَ فى بيوت العرب[4] ، فادَّعى الفضولَ الذى نُبِزَ به ، فنمى خبره إلى أميرِ بعض أطرافها — فأشخص إليه من قيَّده وسار به إلى محبسِهِ ، فبقى يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسم به ، فى كلمته التى يقول فيها :

فمالكَ تَقبلُ زورَ الكلام وقدرُ الشهادةِ قدر الشهودِ
وفى جُود كفِّك ما جُدْتَ لى بنفسى ولو كنتُ أشقىٰ ثمودِ

---

(١) ط : « التى » ، صوابه فى ش

(٢) الوجه « مقصور » .

(٣) المعروف « ديرقنى » بضم القاف وتشديد النون مع القصر كما فى ياقوت .

(٤) كذا فى ط . وفى ش : « وما بلاد قنة . ولعله الى خير بادية ، بادية اللاذقية ، وحصل فى بيوت العرب » . انظر الصبح المنبى ١ : ٢٥

وقد هجاه شعراء وقته فقال الضّبي :

الزمْ مقالَ الشعر تحظَ بقُربةٍ وعن النبُوَّة ، لا أباك ، فانتزحْ
تربحْ دماً قد كنتَ توجبُ سَفكه إنّ المتّع بالحياة لَمَن ربحْ

فأجابه المتنبي[١] :

أمرى إلىّ فإنْ سَمحتُ بمهجةٍ كرُمتَ علىّ فإنّ مثلى مَن سَمحْ

وهجاه غيره[٢] فقال :

أطَلْتَ يا أيها الشقُّ دَمكْ بالهذَيان الذى ملأتَ فَمَكْ
أقسمتُ لو أقسَم الأميرُ على قتلِكَ قبل العشاء ما ظلَمكْ

فأجابه المتنبي :

همُّك فى أمردٍ تُقلِّب فى عَين دواةٍ من صُلْبه قلمكْ[٣]
وهمَّتى فى انتضاء ذى شُطَب أقدُّ يوماً بحدِّه أدَمَكْ
فاخسَ كُليباً واقعدْ على ذنَب واَطلِ بما بين أليتَيك فمَكْ

وهو فى الجملة خبيث الاعتقاد . وكان فى صغره وقع إلى واحدٍ يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة ، فهوّسه وأضلّه كما ضلّ . وأمّا ما يدلُّ عليه شعره فمتلوّن . وقوله :

٣٨٣ هوّنْ على بصرٍ ما شقّ مَنظَرُه فإنّما يقَظات العَين كالحلُمِ[٤]

---

(١) أنظر زيادات شعر المتنبى للميمنى ص ١٥ .
(٢) قال الميمنى : « ليس هو غير الضبى كما زعم ، بل هوهو . راجع زيادات شعره ٣٦ على اختلاف فى تسمية الضبى والضب » .
(٣) قبله فى الزيادات ٣٦ :
ايها أتاك الحمام فاخترمك غير سفيه عليك من شتمك
(٤) ديوان المتنبى ٢ : ٣٨٥ . منظره ، بالرفع ، يعنى ما صعبت رؤيته ، من المكاره ونحوها . وروى بالنصب أيضا ، فالمراد شق البصر وفتحه ، باقتضائه النظر اليه .

مذهب السوفسطائية . وقوله :

تمتعْ من سهادٍ أو رُقادٍ ولا تأملْ كرًى تحت الرِّجامِ
فإنَّ لثالث الحالين معنًى سوى معنى انتباهك والمنامِ

مذهب التناسخ . وقوله :

نحن بنو الدنيا فما بالُنا نعافُ ما لا بدَّ من شُربهِ
فهذه الأرواحُ من جَوِّه وهذه الأجسامُ من تُربه

مذهب الفضائيّة . وقوله في أبى الفضل بن العَميد :

فان يكنِ المهدىُّ قد بان هَديُه فهذا ، وإلا فالهدىٰ ذا فما المهدِى[1]

مذهب الشيعة . وقوله :

تَخالفَ الناسُ حتّى لا اتفاق لهم إلاّ على شَجَب ،والخُلفُ فى الشَّجَب
فقيل : تَخلُدُ نفسُ المرءِ باقيةً وقيل: تَشركُ جِسمَ المرءِ فى العطَب

فهذا من يقول بالنفس الناطقة ؛ ويتشعّب بعضه إلى قول الحشيشيّة . والإنسان إذا خلع رِبقة الإسلام من عنقُه ، وأسلمه الله عزّ وجل إلى حوله وقوّته ، وجدَ فى الضلالات مجالاً . واسعا ، وفى البدع والجهالات مناديحَ وفُسَحا .

ثم جئنا إلى حديثه وانتجاعه ، ومفارقته الكوفةَ أصلا ، وتَطوافه فى أطراف الشام ، واستقرائِه بلادَ العرب ومقاساته للضرّ وسوء الحال ، ونزارة كسبه ، وحَقارة ما يوصل به ؛ حتى أنّه أخبرنى أبو الحسن الطرائفىّ

(١) فى الديوان : « من بان هديه » .

ببغداد — وكان لقى المتنبّي دفعات فى حال عسره ويسره — : أنّ المتنبّي قد مَدَح بدون العشرة والخمسة من الدراهم . وأنشد فى قوله مصداقاً لحكايته :

انصُرْ بجودِكَ ألفاظاً تركتُ بها ، فى الشرق والغرب ، مَنْ عاداكَ مكبوتا
فقد نظرتُك حتّي حانَ مُرتَحَلٌ وذا الوَداعُ ، فكن أهلاً لما شيتا

وأخبرنى أبو الحسن الطرائفى قال : سمعت المتنبّي يقول : أوّل شعر قلتُه وابيضّت أيامى بعده ، قولى :

أيا لائمى ، إنْ كنتُ وقتَ اللوائم علمتُ بما بى بين تلك المعالم[1]

فانى أعطيتُ بها بدمشق مائةَ دينار . . ثم اتصلَ بأبى العشائر فأقام ما أقام ، ثم أهداه إلى سيف الدولة ، فاشترط أنَّه لا ينشد إلاّ قاعداً وعلى الوحدة ، فاستحملوه وأجابوه إليه . فلمّا سمع سيف الدولة شعرَه حكم له بالفضل ، وعدَّ ما طلبه استحقاقاً .

وأخبرنى أبو الفتح عثمان بن جنّي : أن المتنبي أسقَط من شعرِه الكثيرَ ، وبقى ما تداوله الناس . . وأخبرنى الحلبى ، أنه قيل للمتنبّي : معنى بيتكِ هذا أخذتَه من قول الطائى . فأجاب المتنبّي : الشعر جادّة ، وربّما وقَع حافرٌ على حافر !

وكان المتنبي يحفظ ديوانَى الطائيّينِ ، ويستصحبُهما فى أسفاره ويجحدهما ، فلما قُتِل توزّعت دفاتره ، فوقع ديوان البحترى إلى بعض من درَس علّي ، وذكر أنه رأى خطّ المتنبّي وتصحيحَه فيه .

وسمعت من قال : إنَّ كافوراً لما سمع قوله :

(١) كذا ، وصوابه « أنا لائمى » ، أى أنا مثل لائمى ، كما فسره بذلك الواحدى والعكبرى وابن جنى .

٣٨٤

إذا لم تنُطْ بى ضيعةً أو ولاية   فجودُك يكسونى وشُغْلُك يَسْلُبُ

يلتمس ولاية صَيدَاء . فأجابه : لستُ أجسُر على توليتك صيدَاء ، لأنك على ما أنت عليه : تحدِّث نفسك بما تحدّث ؛ فإن ولَّيتك صيداء ، فمن يطيقك ؟!

وسمعتُ أنه قيل للمتنبي : قولك لـكافور :

فارمِ بى حيثُما أردْتَ فإنّى   أسَدُ القلبِ آدَمِىُّ الرُّواء

وفؤادى من الملوكِ ، وإن كا   نَ لسانى يُرَىٰ من الشعراءِ

ليس قولَ ممتدح ولا منتجع ، إنّما هو قول مضادّ ! فأجاب المتنبي إلى أن قال : هذه القلوب ، كما سمعت أحدها يقول :

يقَرُّ بعينى أن أرىٰ قِصَدَ القنا   وصرعىٰ رجالٍ فى وغًى أنا حاضرُه

وأحدها يقول :

يقرُّ بعينى أن أرى مَن مكانَها   ذُرَا عقِدات الأجرَع المتقاودِ(١)

ثم أقام المتنبي عند سيف الدوله على التكرمة البليغة : فى إسناء الجائزة، ورفْع المنزلة . ودخل مع سيف الدولة بلادَ الروم ، وتأصّل حالاً(٢) فى جنبته بعد أن كان حَوِيلة . وكان سيفُ الدولة يستحبّ الاستكثار من شعره والمتنبي يستقلّه ، وكان ملقىً من هذه الحال ، يشكوها أبدا ، وبها فارقَه حيث أنشده :

وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظرِهِ   إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظُّلَمُ

وآخرها :

---

(١) البيت من ابيات ثلاثة لنبهان بن عكى العبشمى ، كما فى الكامل ٣١ نسبها القالى فى أماليه ١ : ٦٣ الى أعرابى .

(٢) كذا فى ط . وفى ش : « وتأثل حالا » .

بأىِّ لفظ يقول الشعْرَ زِعنِفَةٌ   يجوزُ عندك لا عُرْبٌ ولا عَجَمُ[1]

وقال فى أخرى :

إذا شاء أن يهزَا بلحية أحمقٍ   أراه غُبارى ثم قال له آلحق[2] !

فلما انتهت مدّته عند سيف الدولة استأذنه فى المسير إلى إقطاعه[3] فأذن له ، وامتدّ باسطاً عنانه إلى دمشق ؛ إلى أن قصد مِصر فألمَّ بكافور ، فأنزله وأقام ما أقام . إلاّ أن أوّلَ شعره فيه دليلٌ على ندمه لفراق سيف الدولة ، وهو :

كفى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافيا   وحسبُ المنـايا أنْ يكُنَّ أمانيا

حتى انتهى إلى قوله :

قواصدَ كافورٍ توارِكَ غيرِهِ   ومَنْ قصدَ البحرَ استقَلَّ السواقيا

وأخبرنى بعض المولّدين ببغداد ، وخالُه أبو الفتح يتوزَّر لسيف الدولة : أنّ سيف الدولة رسم لى التوقيع[4] إلى ديوان البرّ[5] بإخراج الحال فيما وُصِل به المتنبّي ؛ فخرجتْ بخمسة وثلاثين ألف دينار فى مدّة أربع سنين .

ثم لما أنشد الثانيةَ كافوراً خرجتْ موجّهة يشتاق سيف الدولة . وأولها :

فراقٌ ، ومَنْ فارقت غيرُ مُذَمَّمِ   وأَمٌّ ، ومن يمّمت خيرُ مُيَمَّمِ[6]

وأقام على كُرْه بمصر إلى أن ورد فاتكُ غلام الإخشيدىّ من الفيّوم

---

(١) فى ديوانه بشرح العكبرى : « تقول الشعر » ، و « تجوز عندك » .

(٢) ويروى : « أن يلهو » .

(٣) كان هذا الاقطاع يسمى صفا ، كما فى معجم البلدان (صف) ورسالة الغفران ٣٥٤ . وفى ش : « الى الطاعة » ، تحريف .

(٤) ط : « وسم الى التوقيع » .

(٥) ش : « ديوان أكبر » .

(٦) ط : « غير ميمم » .

— وهى وبيئة ، فنبتْ به واجتواها — وقادوا بين يديه فى مدخله إلى مصر أربعةَ آلاف جَنِيبة منعلَة بالذَّهب ، فسمَّاه أهلُ مصر بفاتك المجنون . فلقيه المتنبّي فى الميدان على رِقْبَةٍ من كافور فقال :

لا خيلَ عندكَ تُهدِيها ولا مالُ فليُسعِدِ النطقُ إنْ لم يُسعدِ الحالُ

فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزه ، ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار . ثمّ مضىٰ فاتك لسبيله ؛ فرثاه المتنبّي وذمّ كافورا :

أيموتُ مثلُ أبى شجاعٍ فاتكٍ ويعيشُ حاسدُهُ الخصِىُّ الأوْكَعُ !

فاحتال بعده فى الخلاص من كافور ؛ فانتهز الفرصة فى العيد — وكان رسم السلطان أن يُستَقْبَل العيدُ بيوم ، وتُعدَّ فيه الخِلَع والحلانات وأنواعُ المبارّ ، لرابطة جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العِيد تفرَّق ، وثانى اليوم يذكر له مَن قبِل ومن ردّ واستزاد — فاهتبل المتنبّي غفلةَ كافور ، ودفن رماحه برا ، وسار ليلته وحمل بغاله وجماله وهو لا يألو سيراً وسُرَى هذه الليلة ، مسافة أيام[1] ؛ حتى وقع فى تيه بنى إسرائيل ؛ إلى أن جازه على الحِلَل[2] والأحياء والمفاوز المجاهيل ، والمناهل الأواجن . ونزل الكوفة وقال يقصّ حاله .

ألا ، كلُّ ماشيةِ الخيزَلَىٰ فِدَا كلُّ ماشيةِ الهَيدَبىٰ

وفيها يقول :

ضربتُ بها التيِّهَ ضربَ القِما رِ : إمّا لهــذا ، وإما لذا

(١) مفهوم العبارة أنه قطع فى اليوم والليلة مسيرة أيام والذى فى ش : « هذه الثلاثة أيام » أى أيام رسم كافور المشار اليها .

(٢) جمع حلة ، بالكسر ، وهى جماعة بيوت الناس ، أو مائة بيت » . وفى ط : « على الحال » صوابه فى ش

ثم مدح بالكوفة دبير بن يشكرو [١] ، وأنشده فى الميدان ؛ فحمله على فرس بمركب ذهب .

وكان السببَ فى قصده أبا الفضل بن العميد ، على ما أخبرنى أبو على ابن شبيب القاشانى — وكان أحد تلامذتى ، ودرس علىَّ بقاشان سنة ثلثمائة وسبعين ، وتوزّر للأصبهبد بالجبل ، وأبوه أبو القاسم توزّر لوشمكير بجرجان — عن العلوىّ العباسىّ نديم أبى الفضل بن العميد (الذى يقول فيه :

أبلغْ رسالاتى الشريفَ ، وقلْ له : قدْكَ اتّئدْ أربيتَ فى الغُلَواءِ [٢])

أن المعروف المطوّق الشاشى كان بمصر وقتَ المتنبي فعمَد إلى قصيدته فى كافور :

* أغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ أغلبُ *

وجعل مكان المسك أبا الفضل ؛ وسار إلى خراسان وحمل القصيدة ، أعنى قصيدة المتنبي إلى أبى الفضل وزعم أنه رسوله . فوصله أبو الفضل بألفى درهم ؛ واتصل هذا الخبر بالمتنبّي ببغداد ؛ فقال : رجلٌ يعطى لحامل شعرى هذا ، فما تكون صلته لى ؟ وكان ابن العميد يخرج فى السنة من الرىّ خَرجتين إلى أرَّجان ، يَجبِي بها أربع عشرة مرة ألفَ ألفِ درهم فنمَى حديثُه إلى المتنبي

---

(١) كذا فى ط . وفى ش مع تصحيح للشنقيطى : « ديسم بن شادكويه » . وضبط فى ديوان المتنبى بشرح الواحدى ٣٢٥ بمباى وأوربا ٧٢٨ : «دِلَّيْرَ بن لَشكَرَوَزّ» كما ذكر الميمنى . لكن ورد فى ديوانه بشرح العكبرى ٢ : ٢٠٧ :

فلست غبيناً لو شريت منيتى باكرام دلَّيرَ بن لَشكَرَوَزّىً

والبيت من قصيدته التى مطلعها :

كدعواك كل يدعى صحة العقل

ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل

(٢) اقتبسه من قول أبى تمام فى ديوانه .

قدك اتئد أربيت فى الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائى

بحصوله بأرَّجان، فلما حصلَ المتنبّي ببغداد نزل رَبَضَ حُميد ، فركب إلى المهلّبي، فأذنله فدخل وجلس إلى جنبه ، وصاعدُ خليفتُهُ دونه ، وأبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى . فأنشدوا هذا البيت :

سقى اللهُ أمواهاً عرفتُ مكانَها جُراما ومَلْكوماً وبَذَّرَ فالغَمرا[1]

وقال المتنبّي : هو جُرابا ، وهذه أمكنةٌ قتلتُها علما ، وإنما الخطأ وقع من النقَلة ! فأنكره أبو الفرج . قال الشيخ : هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيبويه فى كتابه جراما بالميم ، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة[2] وتفرق المجلس عن هذه الجملة . ثم عاوده اليومَ الثانى وانتظر المهلّبيّ إنشاده فلم يفعلْ ، وإنما صدّه ما سمعه من تماديه فى السُّخف ، واستهتاره بالهزل ، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه ، وكان المتنبّي مُرَّ النفس صعبَ الشكيمة حادًّا مجِدًّا ، فخرج، فلما كان اليوم الثالث أغرَوا به ابنَ الحجّاج حتى علّق لجامَ دابّته فى صينية الكرخ[3] ، وقد تكابسَ الناسُ عليه من الجوانب ، وابتدأ ينشد :

يا شيخَ أهلِ العلم فينا ومَن يَلزم أهلَ العلم توقيرُه

فصبر عليه المتنبّي ساكتاً ، إلى أن نجزَها ، ثم خلّى عنان دابته ،

٣٨٦

---

(١) لكثير عزة عند سيبويه ٢ : ٧ وابن يعيش ١ : ٦١ والمنصف ٢ : ١٥٠/٣ : ١٢١ والسيرة ٦٥

(٢) الذى فى سيبويه « جرابا » بالباء . قال الميمنى : « اتفق الرواة على أنها جراب بالباء . قال السهيلى ١ : ١٠١ : يحتمل أن يكون بمعنى جريب ، نحو كبار وكبير . والجريب : الوادى . ومثله فى معجم ياقوت من غير حوالة عليه . والجراب ذكرها البكرى أيضا . ولم أجد الجرام فى شىء من المعاجم مما يحضرنى » .

(٣) كتب الميمنى : « يمكن أن تكون الصينية ، محلة بكر فى بغداد نسبت اليه ، فرقا بينها وبين الصينية : بليدة تحت واسط ، التى ذكرها ياقوت » . وقد وردت فى النسختين : « صينبة » بالباء الموحدة بعد النون

وانصرف المتنبيّ إلى منزله وقد تيقّن استقرارَ أبي الفضل بن العميد بأرَّجان وانتظارَه له فاستعدَّ للمسير .

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جنّي عن عليّ بن حمزة البَصريّ[1] قال : كنتُ مع المتنبيّ لمّا ورد أرَّجان ؛ فلما أشرف عليها وجدها ضيِّقة البُقعة والدُّورِ والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركتُ ملوكَ الأرض وهم يتعبَّدون بي، وقصدتُ ربَّ هذه المدَرَة ، فما يكون منه ! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته إلى ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاى أبو الطيِّب المتنبيّ خارجَ البلد ـــ وكان وقتَ القيلولة ، وهو مضطجعٌ فى دَسته ـــ فثار من مضجعه واستثبته ، ثم أمر حاجبه باستقباله ؛ فركب واستركبَ من لقيه فى الطريق ، ففصَل عن البلد بجمعٍ كثير . فتلقّوه وقضَوا حقّه وأدخلوه البلد . فدخل على أبي الفضل ، فقام له من الدَّست قياماً مستوياً ، وطُرِح له كرسيٌّ عليه مِخَدَّةُ ديباج ؛ وقال أبو الفضل : كنتُ مشتاقاً إليك يا أبا الطيِّب . ثم أفاض المتنبيّ فى حديث سفره ، وأنّ غلاماً له احتمل سيفاً وشذَّ عنه . وأخرج من كمّه عُقَيب هذه المفاوضة دَرْجاً فيه قصيدته :

* بادٍ هواكَ صبَرتَ أو لم تصبِرا *

فوحىٰ أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاسٍ فيه مائتا دينار ، وسيفٍ غشاؤُه فضّة ، وقال : هذا عوضٌ عن السيف المأخوذ ؛ وأفرد له داراً نزلها . فلما استراح من تعَب السفر كان يغْشىٰ أبا الفضل كلّ يوم ويقول : ما أزورك إكباباً إلا لشهوة النظر إليك ! ويؤاكله . وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوانَ

(١) ترجم له ياقوت فى معجمه ١٣ : ٢٠٨ كما ترجم فى البغية ٢٢٧ قال ياقوت : « ولما ورد المتنبى الى بغداد كان بها،وفى داره نزل » . وقال السيوطى : توفى سنة ٣٧٥ .

اللغة الذى جمَعَه ويتعجَّب من حفظه وغزارة علمه . فأظلَّهم النيروز ، فأرسل أبو الفضل بعضَ ندمائه إلى المتنبى : كان يبلُغنى شعرُك بالشام والمغرب ، وما سمعتُه دونه ! فلم يُحِرْ جوابا ، إلى أن حضره النَّيروز وأنشدْ مهنِّئا ومعتذِراً فقال :

هل لعُذرى إلى الهمام أبى الفضـ ... ـل قبولٌ ، سواد عينى مدادُهْ
ما كفانى تقصيرُ ما قلتُ فيه ... عن علاه حتَّى ثناه انتقادُه
إنّني أصيد البُزاة ، ولـكـ ... ـنَّ أجلَّ النُجوم لا أصطادُه
ما تعوّدتُ أن أرىٰ كأبى الفضـ ... ـل وهذا الذى أتاه اعتيادُه[1]

فأخبرنى البديهىّ ، سنة ثلثمائة وسبعين : أن المتنبى قال بأرَّجان : الملوك قُروديشبه بعضُهم بعضا ، على الجَودة يعطون . وكان حمل إليه أبوالفضل خمسين ألف دينار ، سوى توابعها ؛ وهو من أجاود زمانِ الديلم .

٣٨٧

وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج ، قصده شاعر من قَزوين فأنشده وأملَه مادَّة نفقةٍ يرجع بها إلى بلده ، فكتب إليه أبياتاً أولها :

أأقلامٌ بـكفِّك أم رماحُ ... وعزمٌ ذاك ، أم أجلٌ مُتاحُ

فقال أبو المطرِّف : أعطوه ألف دينار .

وكذلك أبو الفضل البَلعَمِىّ وزير بُخارىٰ ، أعطى المطرانىّ الشاعر على قصيدته التى أولها :

* لا شربَ إلاَّ بَسير الناى والعُودِ *

---

(١) فى الأصل : « كأبى الفتح » ، صوابه من الديوان ومما يقتضيه المقام .

خمسةَ عشر ألف دينار .

وكذلك خلفُ صاحب سجستان ، أعطى أبا بكر الحنبليّ خمسة آلاف دينار على كلمةٍ فيه .

وكان سيف الدولة لا يملك نفسه ؛ وكان يأتيه علويّ من بعض جبال خراسان كلَّ سنة فيعطيه رسماً له جاريا على التأبيد ؛ فأتاه وهو فى بعض الثغور ، فقال للخازن : أطلقْ له مافى الخزانة ؛ فبلغ أربعين ألف دينار . فشاطر الخازنَ وقبض عشرين ألف دينار ، إشفاقاً من خلل يقع على عسكره فى الحرب .

وأخبرنى بعض أهل الأدب أنّه تعرّضَ سائلٌ لسيف الدولة وهو راكب، فأنشده فى طريقه :

أنتَ عليٌّ وهـذه حلبُ   قدْ فنىَ الزادُ وانتهىٰ الطلبُ

فأطلق له ألفَ دينار .

وتعرّض سائل لأبى عليّ بن الياس وهو فى موكبه ، فأمر له بخمسمائة دينار فجاءه الخازن بالدواة والبياض . فوقّع بألفى دينار . فلما أبصره الخازنُ راجعه فيها . فقال أبو عليّ : الكلام ريح ، والخطُّ شهادة ، ولا يجوز أن يشهد علَّ بدون هذا .

ثم إن أبا الطيِّب المتنبّي لما ودّع أبا الفضل بن العَميد ، ورد كتابُ عضدِ الدولة يستدعيه ، فعرّفه ابنُ العميد ، فقال المتنبى : ما لى وللدَّيلم ؟ فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل منّي ، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به . فأجاب بأنى ملقّى من هؤلاء الملوك : أقصِد الواحدَ بعد الواحد ، وأملّكهم شيئا يبقى ببقاء النَّيِّرين ، ويُعطونى عَرَضاً فانياً ؛ ولى ضجَرات واختيارات ؛

فيعوقوننى عن مرادى ، فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه ! فكاتب ابنُ العميد عضدَ الدولة بهذا الحديث . فورد الجواب بأنه مملَّك مُرادَه فى المقام والظعْن . فسار المتنبّى من أرَّجان ، فلمّا كان على أربعة فراسخَ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبى عمر الصبّاغ أخى أبى محمد الأبهرىّ صاحب كتاب حدائق الآداب . فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشدَه . فقال المتنبّى : الناس يتناشدون فاسمعْه . فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس العالى . فبدأ بقصيدته التى فارق مصر بها :

ألا كلُّ ماشيةِ الخيزَلَىٰ فِدَى كلِّ ماشيةِ الهيدَبَىٰ

ثم دخل البلدَ فأُنزل داراً مفروشة ؛ ورجع أبو عُمر الصبّاغ إلى عضد الدولة فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتاً من كلمته وهى :

فلما أنخْنا ركزْنا الرما حَ حولَ مكارمنا والعُلا
وبتْنا نقبِّل أسيافنا ونمسحُها من دماءِ العِدا
لِتعلَمَ مِصرُ ومَن بالعراقِ ومَن بالعَواصِم أنِّى الفتيٰ
وأنّى وفيتُ وأنّى أبَيت وأنى عتوت على مَن عتا

فقال عضد الدولة : هُوذا[١]، يتهدّدنا المتنبى !

ثم لما نفضَ غبارَ السفَر واستراح ، ركب إلى عضد الدولة ، فلما توسَّط الدار انتهى إلى قرب السرير مصادمة ، فقبّل الأرض واستوىٰ قائماً وقال : شكرتُ مطيَّةً حملتنى إليك ، وأملاً وقف بى عليك . ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من مصر ، وعن على بن حمدان ؛ فذكره وانصرف وما أنشده فبعد أيامٍ حضر السِّماطَ وقام بيده دَرْج ، فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

٣٨٨

(١) ش : « هونا » ، واثبت مافى ط

* مَغانى الشِّعبِ طيباً فى المغانى[١] *

فلما أنشدها وفرغوا من السماط ، حمل إليه عضُد الدولة من أنواع الطِّيب فى الأردية الأمنانَ من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد فرسه الملقب بالمجروح وكان اشتُرِى له بخمسين ألف شاة ، وبَدْرةً دراهمُها عدليَّة ، ورداء حشوُه ديباجٌ رومىٌّ مفصَّل ، وعمامةً قوِّمت بخمسمائة دينار ، ونصلاً هندياً مرصَّع النِّجاد والجفن بالذّهب . وبعد ذلك كان ينشده فى كل حدَث يحدُث قصيدة ؛ إلى أن حدثَ يوم نثرِ الورد ، فدخل عليه والملك على السرير فى قبَّة يَحسِر البصَرُ فى ملاحظتها والأتراك ينثرون الورد ، فمثَل المتنبيّ بين يديه وقال : ما خدمَتْ عينى قلبي كاليوم ؟ وأنشأ يقول :

قد صدَق الوردُ فى الذى زعما أنّك صيّرتَ نثره دِيَما
كأنما مائجُ الهواءِ به بحرٌ حوىٰ مثلَ مائِه عَنَما[٢]

فحُمل على فرس بمركب ، وأُلبِس خِلْعة مَلَكيّة ، وَ بَدرةٌ بين يديه محموله .

وكان أبو جعفر وزيرُ بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه ، وحفِظ المنازلَ والمناهلَ من مصر إلى الكوفة وتعرَّفها منه ؛ فقال : كنت حاضرَه ؛ وقام ابنُه يلتمس أجرةَ الغسّال ، فأحدَّ المتنبّي إليه النظرَ بتحديق فقال : ما للصعلوك والغسّال ! يحتاج الصعلوكُ إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قِدْرَه ، ويُنْعِل فرسه ، ويَغسِل ثيابه ! ثم ملأ يده قُطيعات بلغت درهمين أو ثلاثة .

وورد كتابُ أبى الفتح ذى الكفايتين بن أبى الفضل — وكان من أجاود

---

(١) ط : « مغانى الشيب » صوابه فى ش والديوان . والبيت مطلع قصيدة يذكر فيها شعب بوان . وعجزه كما فى الديوان ٢ : ٤٤٣

* بمنزلة الربيع من الزمان *

(٢) ط : « مائج الهواء » ، صوابه فى ش والديوان ٢ : ٣٨٦

زمانِ الديلم ، فرَّق فى يوم واحد بشِبْدِيز قرْمِيسِينَ ، ألفين وخمسمائة قطعة إبريسم — ومضمونه كتاب الشوق إلى لقاء المتنبي وتشوّفه إلى نظرته[1] .
فأجابه المتنبى[2] :

بِكُتْبِ الأنامِ كتابٌ وَرَدْ فدتْ يدَ كاتبـهِ كلُّ يدْ
إذا سمعَ النـاسُ ألفـاظَـه خَلَقْنَ له فى القـلوب الحسَدْ
فقلت ، وقد فرسَ النـاظرين كذا يفعلُ الأسدُ ابنُ الأسد[3]

فلما عاد الجواب إلى أبى الفتح ، جعل الأبياتَ سُورةً يدرسُها ، ويحكم للمتنبى بالفضل على أهل زمانه . . فقال أبو محمد بن أبى الثبات البغدادىّ :

لَواردُ شِعر كَذَوْبِ البَرَد أتانا به خاطرٌ قد جَمَـدْ
فأقبـل يعضَعُـه بعضُنـا وهمُّ السنانير أكلُ الغُدَدْ
وقالوا : جوادٌ يفوق الجيادَ ويسبق من عفوه المقتصدْ
ولو ولىَ النقـدَ أمثـالُه لظلّتْ خفافِيشُنا تنْتقد

٣٨٩

فاستخفّ أبو الفتح به وجرّه برجله . ففارقهم وهاجر إلى أذرَبيجان ، والأميرُ أبو سالم ديسم بن شادكويه[4] على الإمْرة ، فاتّصل به وحظىَ عنده على غاية الإكرام .

---

(١) ش : « الى تطرفه »
(٢) ومثله عند البديعى ١ : ١٩٦ لكن عند العكبرى ١ : ٢٧٣ أنه أجاب بها ابن العميد
(٣) عند العكبرى : « وقد فرس الناطقين » .
(٤) ط : « شاركويه » .

وقال عضد الدولة : إن المتنبّي كان جيّدُ شعره بالعرب[١] . فأخبر المتنبّي به فقال : الشعر على قدر البقاع .

وكان عضد الدولة جالساً فى البستان الزّاهر يوم زينته ، وأكابرُ حواشيه وقوفٌ ؛ فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكارىّ : ما يُعوِز مجلسَ مولانا سوى أحد الطائيَّين . فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لناب عنهما . فلما أقام مدّة مُقامه وسمع ديوان شعره ، ارتحل وسار بمراكبه وظهوره وأثقاله وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز .

وأخبرنا أبو الحسن السوسىّ ، فى دار الوقف بين السُّورَين ، قال : كنت أتولّى الأهوازَ من قبل المهلَّبىّ ، وورد علينا المتنبي ونزل عن فرسه ومِقوَدُه بيده ، وفتح عِيابَه وصناديقَه لبللٍ مسّها فى الطَّريق ، وصارت الأرضُ كأنها مَطارفُ منشورة[٢] ؛ فحضرتُه أنا وقلت : قد أقمتُ للشيخ نُزُلا . فقال المتنبي : إن كان ثمّ فآتيه[٣] . ثم جاءه فاتك الأسدىّ بجَمْع وقال : قدم الشيخُ فى هذه الديار وشرَّفها بشِعره ، والطريق بينه وبين دَيرقُنّة خَشِنٌ قد احتوشَتْهُ الصعالكة ؛ وبنو أسدٍ يسيرون فى خدمته إلى أن يقطع هذه المسافةَ ويبر كلَّ واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبّي : ما أبقى الله بيدى هذا الأدَهم وذُبابَ الجراز الذى أنا متقلّدُه ، فإنّى لا أفكّر فى مخلوق ! فقام فاتك ونفضَ ثوبَه وجمع من رُتوت الأعاريب الذين يشربون دماء الحجيج حَسْواً ، سبعين رجلاً ورصَد له ؛ فلما توسّط المتنبّى الطريقَ خرجوا عليه فقتلوا كلَّ من كان فى صُحبته ، وحَمل فاتكٌ على المتنبي وطعنه فى يساره ،

(١) ش : « بالغرب »

(٢) ش : « مطارد منشورة » صوابه فى ط .

(٣) ط : « فهاته » ، ش : « فآته » .

ونكّسه عن فرسه . وكان ابنه أفلَتَ ، إلا أنَّه رجع يطلب دفاتر أبيه فقنّعَ خلفه الفرسَ أحدُهم وجزّ رأسه ، وصبّوا أمواله يتقاسمونها بطُرطُورة .

وقال بعضُ من شاهده : إنه لم تكن فيه فروسيّة ، وإنما كان سيفُ الدولة سلّمه إلى النخّاسين والرُّوّاضِ بحلب ، فاستجرأ على الركض والحُضْر ؛ فأما استعمال السلاح فلم يكن من عمله .

وجملة القول فيه : أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما فى كلامه من (الغريب المصنّف) سوى حرف واحد هو فى (كتاب الجمهرة) وهو قوله :

* يطوِى المجلِّحةُ العُقُدْ[1] *

وأما الحكمُ عليه وعلى شعره : فهو سريع الهجوم على المعانى ، ونعتُ الخيل والحرب من خصائصه ؛ وما كان يرادّ طبعَهَ فى شىء مما يسمح به ، يقبل الساقط الردىء كما يقبل النادر البدْع . وفى متن شعره وَهْى ، وفى ألفاظه تعقيد وتعويص » اهـ كلامه مع بعض اختصار .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[2] :

١٤٢ (ألاَ أضْحَتْ حِبالُكُمُ رِمامَا وأضحتْ منك شاسعةً أُمامَا)

على أن ترخيم غير المنادى فى الضرورة جائز ، سواء كان على تقدير

(١) الذى فى ديوانه ١ : ٢٣٣ :
وأمضى كما يمضى السنان لطيتى أو ى كما تطوى المجلحة العُقد
(٢) سيبويه ١ : ٣٤٣ ونوادر أبى زيد ٣١ والعينى ٤ : ٢٨٢ ، ٣٠٢ وابن الشجرى ١ : ٢/١٢٦ : ٧٩ ، ٩١ والانصاف ٣٥٣ وديوان جرير ٥٠٢

الاستقلال — وهو لغة من لا ينتظر — أو على نية المحذوف — وهو لغة من ينتظر ، كما فى هذا البيت .

فإنّ (أُماما) أصله أُمامة ؛ فلما حذف الهاء أبقى الميم على حالها ، والألف للإطلاق ؛ فلو كان على تقدير الاستقلال بجعل ما قبل الآخر فى حكم الآخر ، لضمّ الميمَ رفعاً ، لأنه اسمُ (أضحى) . و (شاسعة) أى بعيدة خبرها .

قال الأعلم الشنتمرى : « وكان المبرد يردّ هذا ، ويزعم أنّ الرواية فيه :

* وما عهدى كعهدِك يا أُماما[1] *

وأن عُمارة بن عَقيل بن بلال بن جرير أنشده هكذا . وسيبويهِ أوثقُ من أن يتّهم فيما رواه » انتهى .

وقال أبو الحسن الأخفش فى شرح نوادر أبى زيد الأنصارى : « العرب فى الترخيم على لغتين : فمنهم من يقول إذا رخّم حارثاً ونحوَه : ياحارِ بكسر الراء وهو الأكثر ؛ فالثاء على هذه اللغة فى النيةّ ، فمن فعل هذا لم يُجِزْ مثلَه فى غير النداء إلاّ فى الضرورة ؛ وأنشد سيبويه لجرير :

ألا أضحتْ حبالُكمُ رِماما . . البيت

فأجراه فى غير النداء لِمَاَ اضطُرّ ، كما أجراه فى النداء ؛ وهذا من أقبح الضرورات . . وأنشد [نا] المبرّد هذا البيت عن عُمارة :

* وما عهدى كعهدك يا أُماما[2] *

على غير ضرورة . وأنشد سيبويه لعبد الرحمن بن حسّان :

---

(١) الذى فى شرح الأعلم : « وما عهد كعهدك يا اماما » . وان كانت رواية سيبويه تطابق رواية الرضى .

(٢) الذى فى النوادر : « وما عهد كعهدك »

* من يفعلِ الحسناتِ اللهُ يشكرُها *

فحذف الفاء لِمـا اضطُرّ .

وأخبرنا المبرِّد عن المازنى عن الأصمعَى : أنه أنشدهم :

* من يفعل الخيرَ فالرحمنُ يشكرُه *

قال : فسألته عن الرواية الأولى ، فذكر أنّ النحويين صنعوها . ولهذا نظائر ليس هذا موضع شرحها .

ومنهم من يقول يا حارُ بضم الراء ، فلا يعتدّ بما حذف ويجريه مجرى زيد ؛ فحكم هذا فى غير النداء كحكمه فى النداء ؛ وعلى هذا أجرى قول ذى الرمّة :

* ديار ميّة إذ « مىّ » تساعِفنا[1] *

وهذا كثير . وكلُّ ما جاءك ، مما حُذف ، فقِسْهُ على ماذكرت لك » اه وفيه نظر فتأمل .

و (الرمام) قال الأعلم : جمع رميم ، وهو الخلَق البالى ؛ يريد : أن حبال الوصل بينه وبين أمامة قد تقطّعت للفراق الحادث بينهما . والصوابُ ما قاله النحاس : أن الرمام جمع رُمّة بالضم وهى القطعة البالية من الحبل .

أبيات الشاهد

وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير بن الخطفىٰ ؛ وبعده :

(يشقُّ بها العساقلَ مُوَجداتٌ · وكلُّ عرَنْدسٍ ينفى اللُّغاما)

والعساقل : جمع عَسقلة أو عُسقول ، وهو السراب واضطرابه . يريد سيرها فى الفلوات راجعةً إلى محضَرها ، بعد انقضاء زمن الانتجاع . ووهم العينيّ فقال : « العساقل : ضربٌ من الـكمأة » . وروى النحاس عن أبى

(١) ط : « يادارمية » ، صوابه في ش . وانظر النوادر ٣٢ .

الحسن الأخفش (يشقّ بها الأماعَز) قال : يشقّ : يعلو ، وضمير بها لأمامة . والأماعز : جمع أمعَز ومَعَزاء ، بالعين المهملة والزاى المعجمة ، وهو الموضع الصلب يخلطه طين وحصًى صغار ؛ قال زهير :

يَشجُّ بها الأماعز وهى تهوى هُوِىَّ الدَّلوِ أسلمَها الرِشاء

والمُوجَدَة ، بضم الميم وفتح الجيم : الناقة القوية المحكَمَة ، قال فى الصحاح : « ناقة أُجُد بضمتين : إذا كانت قويّة مُوثقة الخَلْق ؛ ولا يقال للبعير أُجُد وآجدها الله ، فهى موجَدة القِرى أى موثَّقة الظهر ؛ وبناء موجد ؛ والحمد لله الذى آجدَنى بعد ضعف ، أى قوّانى » . والعرندس ، كسفرجَلِ : الجمل الشديد . واللُّغام ، بضم اللام وبعدها غين معجمة : ما يطرحه البعير من الزَّبَد لنشاطه .

وترجمة جرير تقدمت فى الشاهد الرابع من أوائل الكتاب[١] .

* * *

وأنشد بعده :

٣٩١ (كِلِينى لهمّ يا أُميمةَ ناصب وليل أُقاسيه بطىء الكواكب)

تقدم شرحه قبل هذا بأربعة شواهد[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[٣] .

---

(١) انظر ص ٧٥ من الجزء الأول

(٢) انظر ص ٣٢١ من هذا الجزء

(٣) سيبويه ١ : ٣٣١ . وانظر الخزانة ٤ : ٦٤ والعينى ٤ : ٢٩٥ وابن يعيش ٧ : ٩١ والهمع ١ : ١١٩ ، ١٨٥ وشرح شواهد المغنى ٢٨٧ وديوان القطامى ٣٧

١٤٣ (قِفى قبلَ التفرُّقِ يا ضُبَاعا ولايكُ مَوقفٌ منكِ الوَدَاعا)

على أنه مرخَّم (ضُبَاعة) لحذفت الهاء للترخيم ، وألف الترخيم تغنى عنها .

قال الأعلم وغيره : الوقف عليها عوضًا من الهاء ، لأنهم إنما رخموا ما فيه الهاء ، ثم لما وقفوا عليه ردّوا الهاء للوقف ، فلما لم يمكنهم ردُّ الهاء ههنا ، جعل الألف عوضا منها على ما بيَّنه سيبويه .

قال الدَّمامينىّ فى شرح التسهيل : « قد يقال : لا نسلّم أن هذه الألف عوض عن التاء المحذوفة ، بل هى ألف الاطلاق . وهذه المسألة لا يستدلّ عليها بالشعر ، فإن ثَبتَ فى النثر مثلُ ذلك تمّت الدعوى ، وإلاّ فلا » .

قوله (ولا يك موقف . . الخ) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون على الطلب والرغبة ، كأنه قال : لا تجعلى هذا الموقف آخر وَداعى منك . والوجه الآخر أن يكون على الدعاء ، كأنه قال : لا جعل الله موقفَكِ هذا آخر الوداع . كذا فى شرح أبيات الجمل للخمىّ . ففيه حذف مضاف من الوداع ، وقدَّره بعضهم : مَوقفَ وَداع ، وهذا أحسن . وروى أبوالحسن الأخفش ، وهو سَعيد ابن مَسْعَدة المجاشِعىّ (فى كتاب المعاياة) :

* ولا يك موقفاً منك الوَداعا *

وقال : « نصب موقفا لأنه أراد : قفى موقفاً ، ولا يكن الوداعا . هذا إنشاد بعضهم فيما ذكروا ، ورفع بعضهم موقفاً ، وهو أبينها » اه . وعليه فاسم يكُ ضمير المصدر المفهوم من قفى ، كأنه قال : ولا يكنْ موقفُك موقفَ الوداع . وقوله : « ورفع بعضهم موقفاً . . الخ » هو المشهور فى الرواية ، لكن فيه الإخبار بالمعرفة عن النكرة . وسيأتى الكلام عليه ، إن شاء الله تعالى ، فى باب الأفعال الناقصة .

و (ضُبَاعة) بنت زُفَر بن الحارث الآتى ذِكره .

قال اللخمى : وفيه عطف المعرب على المبنى ، لأنه عطَف ولا يك ، وهو معرب ، على قفى وهو مبنى ، وإنما سوّغ ذلك وجودُ العامل وهى لا ، كقوله تعالى : (وقالَ الذين كفروا للذينَ آمَنوا اتّبِعوا سَبيلَنا ولْنَحمِلْ خطاياكم[1]) ولو قلت : اقصدْنى وأُكرِمْك ، بالجزم على اللفظ ، لم يجزْ على مذهب البصريين ؛ لأن اقصدنى فعل مبنىّ لا جازم له ، فلا يعطف على لفظه ؛ كما لا يجوز : هذهِ حَذامِ وأختِها — بالجرّ على لفظ حذامِ — فإن قلت : اقصدْنى فلأُحدّثك ، فأدخلت لام الأمر ، جازت المسألة كما تقدّم فى الآية ..
أقول : هذا مايتعجَّب منه ؛ فإن العطف فيه إنما هو من عطف جملة على جملة ، لا من عطف معرب على مبنىّ ؛ ولا حاجة إلى التطويل من غير طائل .. قال : وفيه حذف النون من يكن تخفيفاً ، وسوَّغ ذلك كثرةُ الاستعمال ، أو للجزم على مذهب أبى على .

قصيدة الشاهد

وهذا البيت مطلع قصيدة للقَطامىّ ، مدح بها زُفَر بن الحارث الكلابى . وكان بنو أسد أحاطوا به فى نواحى الجزيرة وأسروه يوم الخابور وأرادوا قتله ، فحال زُفر بينه وبينهم ، وحماه ومنعه ، وحمله وكساه ، وأعطاه مائة ناقة . فمدحه بهذه القصيدة وغيرِها ، وحضّ قيساً وتغلب على السّلم . وبعد هذا البيت :

٣٩٢

(قِفى فأدِى أسيرَكِ، إنّ قومى وقومَك لا أرىٰ لهمُ اجتماعا
وكيف تجامُعٌ مع ما استَحلّا من الحُرَم الكِبارِ وما أضاعا
ألمْ يَحزُنكِ أنّ حِبالَ قيس وتغلبَ قد تباينتِ انقطاعا

[1] الآية ١٢ من سورة العنكبوت .

يُطيعون الغُواةَ ، وكان شرًّا لمؤتمِرِ الغَواية أنْ يُطاعا
ألم يحزُنْكِ أنَّ ابنَيْ نزارٍ أسالاَ من دمائهما التِلاعا)

إلى أن قال :

(أمورٌ لو تلافاها حليمٌ إذاً لَنهىٰ وهبَّبَ ما استطاعا
ولكنَّ الأديمَ إذا تفرّىٰ بِلًى وتَعَيُّناً غَلَبَ الصَّناعا[1]
ومَعصِيةُ الشفيق عليك ممَّا يَزيدكَ مرَّةً منه استماعا
وخيرُ الأمرِ ما استقبلت منه وليسَ بأن تتَبّعه اتّباعا
كذاك ، وما رأيتُ الناس إلاّ إلى ما ضرَّ غاوِيَهمْ سِراعا
تراهم يَغمِزون مَن استركّوا ويجتنبون مَنْ صدَق المِصاعا)

وقوله : فنى فادى أسيرك ، خطاب لضُباعة بنت زُفَر ، لأنه كان عند والدها أسيراً . والمفاداة : أخذ الفدية من الأسير وإطلاقه . والحبال : المواصلة والعهود التى كانت بين قيس وتغلب . وتباينت : تفرقت . روى أن ضُباعة لمَّا سمعت قوله ألم يحزنك إلخ قالت : « بلى والله لقد حزَنني » . وأحزنني وحَزَنني لغتان . والمؤتمر : الذى يرى الغواية رأيا ، ويأمر بها نفسه . يقول هو : شرٌّ للغاوى أن يُطاع فى غيِّه . وابنا نزار . ربيعة ومضر . والتَّلعة : مسِيل من الارتفاع إلى بطن الوادى . وتلافاها : تداركها . وهبَّب بالقتل ، بموحَّدتين ، أى أمَر به . وتفرّىٰ : تشقّق . [وتعيّن[2]] السِقاء والمزادة : إذا رقّت منهما مواضعُ وتهيّأت للخرق . والصنّاع ، بالفتح : الحاذقة بعمل اليدين . وقوله :

(١) ط : « وتعيبا » ، صوابه فى ش والديوان ٣٦ .

(٢) هذه التكملة من ش

ومعصية الشفيق . . الخ ، يقول : إذا عصيتَ الشفيقَ عليك ، الحريصَ على رشدك ، تبينتَ فى عواقب أمرك الزلل ، فزادك ذلك حرصاً على أن تقبل نصحه . وقوله : وخير الأمر ما استقبلت ، أى خير الأمر ماقد تدبّرت أوّله فعرَفت إلامَ تئول عاقبته ، وشرّه ماتُرك النظر فى أوله ، وتُتبعّت أواخره بالنظر . واستشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى : (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ[1]) ، على أن تقبّل بمعنى استقبل ، كتعجّله وتقصّاه بمعنى استعجله واستقصاه ، من استقبل الأمرَ : إذا أخذه بأوائله ، كما فى البيت . وقوله : كذاك وما رأيت الناس . . الخ ، ورُوى :

* إلى ما ضرَّ جاهلَهم سِراعا *

أى يسارع الجاهلُ إلى ما يضره . وقوله : تراهم يغمزون . . الخ ، استركّوا : استضعفوا ؛ والركيك : الضعيف . والمِصاع ، بالكسر : المجالَدة بالسيف . يقول : يستضعفون الضعيفَ فيطعنون فيه . والغمزُ هنا : الإشارة بالعين والرأس .

ترجمة القطامى

و (القطامىّ) اسمه عُمير بن شُيَيم التغلَبيّ : تغلب بن وائل . وعُمير مصغر عمرو ؛ وكذلك شُيَيم مصغّر أشيم ، وهو الذى به شامة . ويقال شِيَيم بكسر الشين أيضاً ؛ وضبطه عيسى بن إبراهيم شارح أبيات الجمل : سُيَيم ، بسين مهملة مضمومة . وله لقبان أحدهما القَطامى ، منقول من الصَّقر ، لأنَّ الصقر يقال له قَطامىّ ، بفتح القاف وضمِّها ؛ وهو مشتقّ من القطَم بالتحريك ، وهو شهوة اللَّحم وشهوة النِّكاح ؛ يقال فحل قَطِمٌ : إذا هاج للضِراب .

٣٩٣

---

(١) الآية ٣٧ من آل عمران

وهو لقبٌ غلب عليه ، لقوله :

يَصُكُّهنّ جانباً فجانبا صكَّ القَطاميِّ القَطا القوارِبا

واللقب الآخر « صريع الغوانى » . قال النطّاح : أوّل من سمّى صريع الغوانى ، القطاميُّ بقوله :

صريع غوانٍ راقَهنَّ ورُقنَه لدنْ شَبَّ حتى شابَ سودُ الذوائب

أى صرعَه حبّهن حتى لا حَراك به . والغوانى : الشوابّ . وقال أبو عبيدة : ذوات الأزواج غَنِينَ بأزواجهنّ .

وصريع الغوانى لقب « مسلم بن الوليد » أيضاً ، لقّبه هارون الرشيد ، بقوله :

هل العيش إلاّ أن تروحَ مع الصِّبا
وتغدُو صريعَ الكأسِ والأعيُن النُّجلِ !

والقطامى كان نصرانياً فأسلم . وهو ابن أخت الأخطل النصرانى المشهور . وعدّه الجمحى فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام . قال بعضُ علماء الشعر : أحسنُ الناس ابتداءً فى الجاهليّة ، امرؤ القيس ، حيث يقول :

ألا عِمْ صباحاً أيّها الطللُ البالى وهل يعِمَنْ مَن كان فى العُصُر الخالى

وفى الإسلام ، القطامىّ ، حيث يَقول :

* إنّا مُحَيُّوكَ فاسلَمْ أيُّها الطللُ *

ومن المولّدين ، بشّار ، حيث يقول :

أبى طللٌ بالجزْعِ أنْ يتكلما وماذا عليه لو أجاب مُتيَّما

وذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف مَن يقال له القطامى ثلاثة : أولهم هذا ؛ والثانى : القطامىّ الضُّبَعىّ ، ضُبيعة بن ربيعة بن نزار ، أحد ولد

القطاميون

كان الساهرىّ (١) و صاحبَ شراب ؛ ومن شعره :

أفِرُّ إذا أصبحتُ من كلّ عاذلٍ فأمسِى وقَدْ هانتْ علىَّ العواذلُ

وكان أبوه من أصحاب خالد القسرىّ . والثالث القطامىّ الكلبي ، واسمه الحصين (٢) ؛ وهو أبو الشرْقىّ بن القطامىّ . شاعر محسن ؛ وهو القائل لما بلغه خبر يزيد بن المهلَّب :

لعلَّ عينى أن ترى يزيدَا يقودُ جيشاً جحفلا رشيدَا
ترىٰ ذَوِى التاج له سُجودا (٣)

زفر بن الحارث

وأمّا (زُفَر بن الحارث) فهو أبو الهذيل زُفر بن الحارث بن عبد عمرو ابن مُعاذ (٤) بن يزيد بن عمرو بن الصَّعِق بن خُلَيد بن نُفيل بن عمرو بن كِلاب الكلابىّ .

كان كبيرَ قيس فى زمانه ، وفى الطبقة الأولى من التابعين ، من أهل الجزيرة . وكان من الأمراء . سمع عائشة ومعاوية . وشهد وقْعة صِفّين مع معاوية أميراً على أهل قِنّسرين ؛ وشهد وقعة مَرْج راهِط مع الضحّاك بن قيس ، فلما قُتل الضحّاك هرب إلى قِرقيسا (٥) ، ولم يزل متحصّناً فيها حتّى مات فى خلافة عبد الملك بن مروان ، فى بضع وسبعين .

(١) ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ٣١٦ وقال : « ومنهم الساهرى . وقد باد نسله . والساهرى منسوب الى الساهرة ، وهي أرض بيضاء » . وفى المؤتلف ١٦٦ أنه الساهرى بن وهب بن جلى بن أحمس »

(٢) فى المؤتلف : « الحصين بن حمال بن حبيب ، أحد بنى عبدود ابن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف » .

(٣) بين هذا الشطر وسابقه فى المؤتلف :

تسمع للأرض به وئيدا لا برما هذا ولا حسودا

(٤) فى المؤتلف ١٢٩ : « زفر بن الحارث بن معاذ » . معان تصحيف

(٥) قرقيسا ، بالكسر ويقصر : بلد على الفرات ، كما فى القاموس وقال : سمى بقرقيسا بن طهمورث . وجعله ياقوت : « قرقيسياء » بياء ثانية وبفتح القاف الأولى مع المد ، ثم قال : « ويقال بياء واحدة » .

وكان الضحّاك بن قيس ومعه النُّعمان بن بَشير الأنصاريّ يدعو في الشام لعبد الله بن الزُّبير ، ومروانَ بن الحكم مع بنى أميّة يدعو لنفسه ؛ فالتقى الفريقان فى مَرْج راهط ، وكان مع الضحّاك ستّون ألفَ فارس ، ومع مروان ثلاثة عشر ألفاً . فقال عُبيد الله بن زياد لمرْوان : إن فُرسان قيس مع الضحّاك ، فلا نَنالُ منه إلاّ بكيد ! فأرسل مرْوانُ إلى الضحّاك ، يسأله الموادَعة حتّى ننظر فى المبايعة لابن الزبير ، فأجابه الضحّاك ، ووضع أصحابه سلاحَهم ؛ فقال ابن زياد : دونَك ! فشدّ مرْوان على الضحّاك ، فقُتِل الضحّاك والنعمان ورجالُ قيس . ولما هرب زُفَر ، جاءته خيلُ مرْوان ففاتها وتحصَّن ، وقال فى ذلك :

أَرِيـنى سلاحى لا أبالَكِ ، إنّنى ... أرى الحربَ لا تزدادُ إلاّ تماديا [1]

أتانىَ عن مرْوانَ بالغيبِ أنّه ... مُقِيدٌ دَمى أو قاطعٌ من لسانيا

وفى العِيس مَنجاةٌ وفى الأرضِ مَهربٌ ... إذا نحن رفَّعنا لَهُنّ المثانيا [2]

فلا تحسَبونى ، ان تغيّبتُ غافلاً ... ولا تفرَحوا ، إن جئتكم ، بلِقائيا

فقد يَنبُت المرعىٰ على دِمَن الثرىٰ ... له ورَقٌ مِن تحته الشرُّ باديا

ويَمضى ولا يبقىٰ على الأرض دِمنةٌ ... وتَبقى حَزازاتُ النفوس كما هِيَا ؟ [3]

ويذهَبُ يومٌ واحدٌ إن أسأتُه ... بصالح أيّامى وحُسْنِ بلائيا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد المائة [4] :

---

(١) الأبيات فى الطبرى ٧ : ٤١ — ٤٢ فى حوادث سنة ٦٥

(٢) سبق هذا البيت والذى قبله فى ١ : ١٩١ بولاق منسوبين الى جميل . ط : « لهن المباينا » ، صوابه فى ش والمرجعين السابقين

(٣) هذا البيت والذى قبله ركب صدر أولهما على عجـــز الثانى فصارا بيتا واحدا عند الطبرى هكذا :

فقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

(٤) انظر المخصص ١٥ : ١٢٢ واللسان (طرق ٨٨ كرا ٨٤) وأمثال الميدانى ١ : ٣٩٥ والكامل ٢٦١

١٤٤ (أطرقْ كرَا)

وهو صدر بيت وهو :

(أطرِقْ كَرَا أطرِقْ كَرَا إنّ النّعام فى القُرىٰ)

على أن (الكرا) ذَكَر الكرَوان وليس مرخّماً منه .

وهذا بيت من الرجز ؛ وهو مثَل . وقد اختُلف فى قدره ، وفى معنى الكرا والكروان ، وفى معنى البيت :

أما (الأوّل) فقد أورده ابن الأنباريّ ، وابن ولاّد ، وأبو عليّ القالى ، والجوهريّ فى الصحاح ، والصاغانى فى العباب ؛ كما ذكرنا ؛ وأورده المبرّد فى الكامل ، والزمخشرى فى مستقصى الأمثال ، والشارح أيضاً فى آخر بحث الترخيم هكذا : « أطرق كرا إنَّ النعامَ فى القُرىٰ » بناء على أنه نثر لا نظم ، وصوابه أطرقْ كرا مرّتين ، كما نبّه عليه ابن السِّيد البطَلْيَوسيّ فيما كتبه على الكامل . وزاد الشارح هناك[١] ، « ما إنْ أرىٰ هُنا كَرَا » ولم أر هذه الزيادة لغيره .

وأما (الثانى) : فالمشهور أن الكَروان طائر طويل العنق والرجلين ، أغبر ، له صوت حَسن ، وهو أكبر من الحمامة . وقال أبو حاتم فى كتاب الطير : الكَروان القَبَج[٢] أى الحجَل . وقيل : هو الُحبارىٰ . وقال الزمخشريّ : هو ذكر الُحبارىٰ . وقيل : هو الكُرْكيّ . والكرا يكتب بالألف . قال المبرِّد : وهو مرخم الكَروان وتبعه من جاء بعده . قال القالىّ :

---

(١) الرضى ١ : ١٤٦

(٢) ط : « الصبيح » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح . وهو معرب « كبك » الفارسية .

الكرا : الكَرَوان . وهو عند أهل النظر والتحقيق من أهل العربية ترخيم كروان . وإنّما أراد الراجز : أطرق يا كروان ، فرخّم .

وما قاله الشارح من أنّ الكرا ذكر الكرَوان ذكره صاحب القاموس أيضاً ؛ ونسبه ابن عَقيل في شرح التسهيل إلى المبرّد . والظاهر من كلام ابن الأنباري وابن ولّاد الترادفُ ؛ فإنهما قالا : الكرا : الكرَوان . لا أنَّه مرخّم منه . وكذلك قال الأعلم في شرح ديوان طرَفة : إن الكروان طائر يقال له الكرا أيضاً ، ومنه المثل أطرق كرا . . الخ . وكذلك قال في أمثاله أبو فَيد مؤرِّج بن عمرو السَدوسيّ : « إن كرا اسم ، وكروان اسم ، فإنهم قالوا : هو مثل مُضَبَّر وضُبارم ، وعَيطاء وعَيطَمُوس ، وأهوج وهَيْجَمُوس . وهو أشبه الأمرين ، لأنّهم جمعوه فقالوا : كراً وِكرْوان مثل فتى وفِتْيان ، قال طرفة :

لنا يوم وللكِرْوانِ يومٌ تَطيرُ البائساتُ ولا نَطيرُ[1]

فجعله جماعة الكرا ، ألا ترى [أنه[2]] قال : البائسات ؟ وكذلك تنشده العرب ولم ترهم رخّموا ثم جمعوا على الترخيم . وجمعوه على الكِرْوان بالكسر ولم يقولوا : الكَراوين والكِروانات » . انتهى

وعلى هذا يسقط منه شذوذانِ : الترخيم ، وتغييره ويبقى شذوذ واحد ، وهو حذف حرف النداء [مع اسم الجنس . ويدلُّ على الترادف وعلى أنه ذَكَرُه ورودُ الكَرا في غير النداء[3]] .

أنشد ابن ولّاد والزمخشري للفرزدق قولَه :

٣٩٥

(١) هذا البيت هو الشاهد ١٥٢ .
(٢) تكملة يقتضيها الكلام .
(٣) هذه التكملة من ش

أَأَلآنَ لمّا عضَّ نابى بمسحلى وأطرق إطراق الكَرا من أُحاربُه

وقال آخر :

إذا رآنى كلُّ بَكرِىّ بكىٰ أطرقَ فى البيت كإطراق الكَرا

وأما معناه فقد قال ابن الأنبارى والقالىّ : معنى البيت : أغضِ فإن الأعزّاء فى القُرىٰ ، والكروان طائر ذليل يقول : ما دام عزيزٌ موجوداً ، فإياك أيّها الذليل أن تنطق . ضربه مَثلاً .

وقال الشارح المحقق فى آخر بحث النداء : « هو رُقية يصيدون بها الكرا فيسكُن ويُطرق حتّى يصاد » . وهو فى هذا تابع للزمخشرى فإنه قال : « يقال للكروان ذلك إذا أريد اصطياده . أى تطأطأ واخفض عنقَك للصَّيد ، فإنّ أكبر منك وأطولَ أعناقاً ، وهى النعام ، قد صِيدَت وحملت من الدَّوّ إلى القُرىٰ . يُضرَب لمن تكبّر وقد تواضع مَن هو أشرفُ منه . ومثله لصاحب القاموس ، فإنه قال : « وأطرِقْ كرا ، يضرب لمن يخدَع بكلام يُلَطَّفُ له ويراد به الغائلة » .

وقال ابن الحاجب فى الإيضاح : وأطرِق كرا مثلٌ لمن يتكلّم وبحضرته أولىٰ منه بذلك : كأنّ أصله خطابٌ للكروان بالإطراق لوجود النَعام ؛ ولذلك يقال إنّ تمامه :

. . . أطرِقْ كرا إنّ النَعام فى القُرىٰ

ويقال إنّ الكَروان يخاف من النعام .

ومثله فى العباب للصاغانى فإنه قال : وأطرقَ : أرخىٰ عينه ينظر إلى الأرض ؛ وفى المثل : أطرق كرا . . البيت . يضرب للمُعجَب بنفسه ، وللذى ليس عنده غَناء ويتكلّم ، فيقال : اسكت وتوقَّ انتشارَ ما تلفظ به ؛ كراهيةَ ما يتعقّبه .

وقولهم : إن النعام فى القرىٰ أى تأتيك فتدوسك بمناسمها . ويقال أيضاً : أطرق كرا يجْلب لك[1] يضرَب للأحمق فى تمنِّيهِ الباطل فيصدّق .

وقال الأعلم الشنتمرىّ فى شرح الأشعار الستة : يضرب للرجل يَظُنّ أنّك محتاج إليه ، فتقول له : اسكنْ فقد أمكننى مَن هو أنبلُ منك وأرفع . والنعام إنّما يكون فى القِفَار ، فاذا كان بالقُرى فقد أمكَن . انتهى

(تتمة)

كَرَاون يجمع على كراوين كوَرَشان يجمع على ورَاشين ، وقالوا يجمع أيضاً على غير قياس على كِرْوان بكسر الكاف وسكون الراء كما يجمع وَرَشان على وِرْشان ؛ وهو جمع بحذف الزوائد . كأنّهم جمعوا كراً مثل أخٍ وإخوان .

٣٩٦

قال ابن جنّي فى الخصائص : وذلك أنّك لمّا حذفت ألفَه ونُونه بقى معك كَرَوَ ، فقلبت واوه ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها طرَفاً ، فصارت كرا ، ثم كسّرت كرا على كِرْوان كشَبَث وشِبْثان ، وخَرَب وخِرْبان . وعليه قولهم فى المثل : أطرقْ كرا ، إنّما هو عندنا ترخيم كَرَوان على قولهم يا حارُ ، بالضم . قالوا : والألف فى كِرْوان إنما هى بدل من الألف المبدلة من واو كرَوان . انتهى

وزعم الرياشى أنَّ الكرَوان والكِرْوان للواحد ، وكذلك وَرَشان ووِرْشان . ويردّه قول ذى الرُمّة :

مِنَ آل أبى موسى ، ترى الناسَ حولَه   كأنّهمُ الكِرْوانُ أبصَرْنَ بازيا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والاربعون بعد المائة ، وهو من شواهدس[2]:

(١) الذى فى الميدانى : « يحلب » بالحاء المهملة

(٢) سيبويه ١ : ٣٣٥ ، ٣٣٦ وابن الشجرى ٢ : ٨١

١٤٥ (فقالوا تعالَ يا يزِى بنَ مُخَرَّمٍ فقلتُ لهم : إنّى حَليفُ صُداءِ[١])

على أنّ المرخم يجوز وصفه إلاّ عند الفرّاء وابن السرّاج ، أراد الشاعر : يا يزيد بن مخرّم .

وعند سيبويه حذفت الدال للترخيم ، والياء لالتقاء الساكنين . وقال الفرّاء : كلاهما حذف للترخيم . فإنّ مذهبه حذف الساكن مع الآخر فى الترخيم ، فيقول فيمن اسمه قِمَطْرياقِم ، كذا فى الإيضاح لابن الحاجب .

قال الشاطبي فى شرح الألفيّة : شرط المؤنث بالتاء المرخّم أن لا يكون موصوفاً ، لأن الترخيم حذف آخر الاسم للعِلْم به ، والصفة بيان للموصوف لعدم العِلْم به ، فهما متدافعان . ولذلك قال سيبويه فى قوله :

* إنّك يا مُعاوِ ، يا ابنَ الأفضَل[٢] *

إنه ترخيم بعد ترخيم . وقد نصّ على هذا الرمّانى ، وتبعه ابن خروف ، وقال فى البيت : لا يصلح فيه النعت ، لأنه منادى مرخّم ، فهو فى نهاية التعريف ، فنعْته بعيد . فعلى هذا يكون قول يزيد بن مخرِّم ــ وأنشد سيبويه ــ :

فقلتم تعالَ يا يزى بنَ مخرِّم . . البيت

شاذًا . ويجرى مجرى النعت على هذا التقدير التوابعُ كلّها : من العطف البيانّى والتوكيد ، إلاّ البدلَ ففيه بحث ، وإلاّ العطفَ النسَقىَّ فإن كل واحد منهما ، أعنى من المعطوف والمعطوف عليه ، مستقلّ بالعامل من جهة المعنى . وفيه نظر أيضاً . انتهى

(١) وكذا عند ابن الشجرى . وفى سيبويه : « مُحزِّم »

(٢) سيبويه ١ : ٣٣٤ والخصائص ٣ : ٢١٦ والهمع ١ : ١٨٤ وديوان العجاج ٤٨ . ورواية الديوان :

* انك يايزيد يابن الأفحــل *

ثم قال : وهذا الشرط منازَعٌ فيه . وأجاب الشَّلَوبين بأنه قد يتوجَّه العِلْم المشترَط فى الترخيم على الاسم ، وعدمُ العلْم على المسَّمى ، فلا يتدافعان . وأما بيت سيبويه فلعلّه إغرابٌ من سيبويه ، إذْ كان الوجه الآخر لا غرابة فيه ؛ أو لعلّه اختيار منه لذلك الوجه ؛ لأنّه موضع مدح ، فتكرير النداء فيه أفخم من الإتيان به وصفاً . هذا ما قال ؛ ويقوِّيه أن سيبويه أنشد :

* فقلتم تعالَ يا يزى بنَ مخرِّم *

على أنّه ليس من الشاذّ ، بل على أنه من الجائز بإطلاق ، وهو مع ترخيم الهاء أجود ، ومثله قول امرئ القيس :

* أحارِ بنَ عمرٍو كأنّى خَمِرْ *

وهذا الشاهد دالّ على جواز ترخيم الموصوف من باب الأَوْلى ، لأنّه من الموصوف بابن ؛ وتقرّر فى الكلام صيرورة ابن مع الموصوف فى حكم المركب ، بدليل حذف التنوين . فإن كان هذا يجوز ترخيمه ، فمن باب أَولىْ جواز ترخيم نحو : يا طلحة الفاضل ، ويا حارث الفاضل ؛ فتقول : يا طلح الفاضل ويا حار الفاضل . وكذلك المعطوف والمؤكد والمبدل منه . انتهى

و (مخرّم) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وكسر الراء المشدّدة[1] .

و (يزيد بن المخرِّم) من أشراف بنى الحارث من أهل اليمن . والمخرِّم هو ابن شُريح بن المخرِّم بن حَزْن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب ابن الحارث .

٣٩٧

وكان يزيد بن المخرّم ممن جاء مع عبد يغوث الحارثى فى يوم الكُلاب

(١) أنظر ما سبق فى ص ٣٧٨ حاشية : ١ من هذا الجزء .

الثانى (وقد مضى شرحه فى الشاهد الخامس والستين[١]) ، وقُتِل يزيد ابن المخرِّم فى ذلك اليوم مع يزيد بن عبد المَدَان ويزيد بن الهَوْبَر[٢] . وأُسِر عبد يغوث (كما تقدّم شرحه) . ولما وقعت الهزيمة عليهم ، جعلَ رجلٌ من بنى تميم يقول :

يا قَوم لا يُفلِتكُمُ اليزيدانْ يزيد حَزْن ويزيد الديان

ويروى : مخرِّماً أعنى به والدَّيّان[٣]

وصُداء بضم الصاد وفتح الدال المهملتين وبالمدّ : حىٌّ من اليمن ، منهم زياد بن الحارث الصُّدَائىّ الصحابىّ رضى الله عنه .

والحليف : المحالف والمعاهد . وروى البيت هكذا :

(فقلتم تعالَ يا يَزى بنَ مخرِّم فقلت لكم : إنّى حليف صُداء)

وهو من أبيات ليزيد بن المخرِّم المذكور آنفا .

* * *

وأنشد بعده : كليني لهمٍّ يا أميمة ناصب[٤]

وتقدّم شرحه قبل هذا بثمانية شواهد[٥]

* * *

(١) الجزء الأول ص ٤١٠/٤١١ وما بعدها

(٢) ش : « ويزيد هو ابن الهوبر » ، صوابه فى ط

(٣) انظر رواية الرجز فيما سبق ، وكذا فى الأغانى ١٥ : ٧٠

(٤) ط : « يا أمية » ، صوابه فى ش

(٥) ص ٣٢١ من هذا الجزء .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[1] :

١٤٦ (عَجِبْتُ لمولُودٍ وليسَ له أبٌ وَذِي وَلَدٍ لم يَلْدَهُ أَبَوَانِ)

على أن سيبويه استشهد به فى ترخيم أسحارّ[2] فى أنّك تحرّكه بأقرب الحركات إليه ، وكذا تقول : اِنطَلْقَ إليه ، فى الأمر ؛ تسكّن اللام فتبقى ساكنة والقاف ساكنة،فتحرّك القاف بأقرب الحركات إليها وهى حركة الطاء .

قال أبو جعفر النحاس : « فإن قيل : فقد جئتَ بحركة موضعَ حركة ، فما الفائدة فى ذلك ؟ فالجواب: أنّ الحركة المحذوفة كسرة » انتهى . أى فالفتحة أخفّ منها . فأصل (يَلْدَه) يلِدْه بكسر اللام وسكون الدال للجزم ، فسكّن المكسور تخفيفا ، فحرّكت الدال دفعاً لالتقاء الساكنين بحركة ، وهى أقرب الحركات إليها ، وهى الفتحة ؛ لأن السّاكن غير حاجز حصين[3] . قال المبرّد فى الكامل : كل مكسور أو مضموم ، إذا لم يكن من حركات الإعراب، يجوز فيه التسكين . وأنشدَ هذا البيتَ وقال : لا يجوز ذلك فى المفتوح لخفّة الفتحة . انتهى

ووقع هذا البيت فى رواية سيبويه :

(ألا ربَّ مولودٍ وليس له أب)

وكذا أوردَه ابن هشام فى مغنى اللبيب شاهداً على أن ربّ تأتى بقلة لإنشاء

(١) سيبويه ١ : ٣٤١ و ٢ : ٢٥٨ . وانظر العينى ٣٠ : ٣٥٤ والخصائص ٢ : ٣٣٣ وابن يعيش ٤ : ٩/٤٨ : ١٢٣ ، ١٢٦ والهمع ١ : ٢/٥٤ : ٢٦ وشرح شواهد المغنى ١٣٦

(٢) ط : « استحار » ، صوابه فى ش وسيبويه وشرح الرضى ١ : ١٤٠ . وفى القاموس . الإسحارّة ، والإسحارّ ، ويفتح والسِّحار : بقلة تسمِّن المال

(٣) الوجه « حاجز غير حصين » .

التقليل ، كهذا البيت ، وفى الأكثر أنها لإنشاء التكثير . وكذا أورده غيره . ولا تلتفتْ إلى قول ابن هشام اللخمىّ مع رواية سيبويه : « الصوابُ عجبت لمولود » . لأنّ الروايتين صحيحتان ثابتتان .

ونسبه شرّاح أبيات سيبويه لرجل من أزْد السَّراة . وبعده :

(وذى شامَةٍ سَوداء فى حُرِّ وجهِه مخلَّدَةٍ لا تنقضى لأوانِ
ويـكمُل فى خَمسٍ وتسعٍ شبابُه ويَهرَم فى سَبْعٍ معا وثمانِ)

وعلى هذه الرواية لا وصفَ لمجرور ربّ ، لأنه لا يلزم وصفه عند سيبويه ومن تبعه . فجملة (وليس له أب) حال من مولود ؛ والعامل محذوف ، وهو جواب ربّ ، تقديره : يُوجَد ونحوه . والتزم المبرِّد وتابِعوه وصفَ مجرورها ؛ فتكون الجملة صفة له ، والواو هى الواو التى سمَّاها الزمخشرىّ واو اللُّصوق ، أى لصوق الصفة بالموصوف ، وجعل من ذلك قوله تعالى : (وما أهلَكْنا مِنْ قَرْيَة إلاّ وَلَها كتابٌ مَعْلُوم[1]) . و (ذى ولد) معطوف على (مولود) . وأراد بالأوَّل عيسىٰ بنَ مريم ، وبالثانى آدمَ أباالبشر عليهما السلام ، قال أبو على الفارسىّ : إن عَمراً الجَنْبىَّ سأل امرأ القيس عن مُرادِ الشاعر ، فأجابه بهذا الجواب — وجَنْب بفتح الجيم وسكون النون : قبيلة فى اليمن ؛ وعمرٌو هذا منسوب إليها — وقيل : أراد بذى الولد البيضة ، وقيل : أراد به القوس وولدها السهم لم يلده أبوان ، لأنه لا تتّخذ القوسُ إلاّ من شجرة واحدة مخصوصة . وهذان القولان من الخرافات ؛ فإنّ البيضةَ مَتولّدة من أنثى وذكر ، والقوسَ لا تتَّصف بالولادة حقيقة ؛ وإن أراد بها التولّد وهو حصول شىء من شىء فليست مما ينسب إليه الوالدان .

(١) الآية ٤ من سورة الحجر .

وأراد بذى شامة: القمر ، فإنّه ذو شامة ، وهى المَسْحة التى فيه، يقال : إنهامن أثر جَناح جبريل عليه السلام لما مَسحه ؛ والشامة : علامة مخالفة لسائر البدن ؛ والخال هى النكتة السوداء فيه . وأراد بكمال شبابه فى خمس وتسع ، صيرورتَه بدراً فى الليلة الرابعة عشرة ، لأنّه حينئذ فى غاية البهاء والضياء ، كما أن الشابّ فى غاية قوّته وحسن منظره فى عنفوان شبابه . وأراد بهَرَمه ذهابَ نوره ونقصانَ ذاته فى الليلة التاسعة والعشرين ، فإن السبعة والثمانية ، وهى خمسة عشر ، إذا انضمّت مع الخمسة والتسعة ، المتقدّمة ، وهى أربعة عشر ، صارت تسعة وعشرين . وهذا الضمّ استفيد من قوله : معا . ورُوى : (مضَتْ) بدلَ معاً . وروىٰ بعضهم : (وذى شامةٍ غرّاء) أى بيضاء ؛ وهذا غير مناسب . وحُرّ الشىء : خالصه ؛ وحُرّ الوجه : ما بدا من الوجنة ، أو ما أقبل عليكَ منه ، أو أعتَقُ موضعٍ فيه . ومخلّدة بالخاء المعجمة والدال ، أى باقية ؛ وهو بالجرّ صفة لشامة ، وبالنصب حال منها للمسوِّغ . وروىٰ بعضهم : (مجلّلة) اسم فاعل من التجليل ، بجيم ولامين وهو التغطية . وهذا أيضاً غير مناسب . وفسّرها بعضُهم بذات العز والجلال . وروى أيضاً : (مجلّحة) بتقديم الجيم على الحاء المهملة ؛ وفسّره بمنكسفة وهذا كلّه من ضِيق العطَن : لا الروايةُ لها أصل ، ولا هذا التفسير ثابتٌ فى اللغة . واللام فى قوله : لأوَان ، بمعنى فى ، كقوله تعالىٰ : (وَنَضَعُ الموازينَ القِسْطَ ليوْمِ القيامَةَ[1]) ، وقولِهم : مضىٰ لِسبيله ؛ أو بمعنى عند ، كقولهم : كتبته لخمسٍ خلَون ؛ أو بمعنى ، بعد كقوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ[2]) . قال البيضاوىّ ، فى قوله تعالى : (لا يُجَلِّيها لِوَقتِها إلاّ هُوَ[3]) : لا يظهر أمرها فى وقتها . والمعنى :

(١) الآية ٤٧ من سورة الأنبياء .
(٢) الآية ٧٨ من سورة الاسراء .
(٣) الآية ١٨٧ من سورة الأعراف .

أن الخفاء بها استمرّ على غيره إلى وقت وقوعها . واللام للتأقيت كاللام في قوله تعالى : (لدُ لوكِ الشَّمس) . وقال العينيّ : « هي للوقت . ولا يقال : هذا إضافه الشيء إلى نفسه ؛ لأنَّ المعنى لوقتٍ وُقّت ، لأن التغاير في اللفظ كافٍ في دفع ذلك » . انتهى . فتأمل . وروى : (لا تنجلي لزمان) . وذ كّر العدد في الجميع ، لأنه باعتبار الليالي . وجملة يَكمُل ، من الفعل وضميره المستتر ، معطوف على جملة لا تنقضي . ولا يضرُّ تخالفهما نفياً وإثباتاً .

٣٩٩

و (أزْد السَراة) : حيٌّ من اليمن . والأزْد اسمه دِرْء[1] ، بكسر الدال وسكون الراء المهملتين وبالهمز . والأسْد لغة في الأزْد ؛ بل قيل : السين أفصح من الزاي[2] . والأزْد : ابنُ الغَوث بن نَبْت بن مالك بن أُدَد بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يعرُب بن قَحْطان . . والغَوثُ بفتح الغين المعجمة والثاء المثلثة[3] ونَبْت : بفتح النون وسكون الموحدة وبالتاء المثنّاة . وأُدَد : بضم الهمزة وفتح الدال الأولى . وسبأ : بفتح السين المهملة وفتح الموحّدة والهمزة[4] . ويشجب : بفتح المثنَّاة التحتيَّة وسكون الشين المعجمة وضم الجيم وبالباء الموحَّدة . ويعرب بفتح المثناة التحتيَّة وسكون العين المهملة وضم الراء المهملة وبالباء الموحَّدة . كذا في جامع الأصول لابن الأثير ، وغيره من كتب الأنساب .

(والسَّراة) بفتح السين المهملة هو أعظم جبال العرب . روىٰ أبو عبيد

(١) في نهاية الأرب ٢ : ٣١١ : « وأما الأزد بن الغوث ، واسمه دراء مثل رداء ، وقيل : درء مثل درع . . » . وهذا نص نادر

(٢) انظر الصحاح (أزد) والاشتقاق ٤٣٥

(٣) أي وبالثاء المثلثة .

(٤) أي وبالهمزة . معجم البكري ٩ :

البكرى فى معجم ما استعجم بسنده إلى سعيد بن المسيَّب : أنَّه قال : لما خلق الله عزَّ وجلَّ الأرضَ ، مادتْ بأهلها ؛ فضربها بهذا الجبل يعنى السراة فاطمأنَّت . قال أبو عبيد : وطولُ السَّراة : ما بين ذات عِرْق إلى حدّ نَجْرانِ اليمن . وبيت المقدس فى غربىّ طولها . وعرضُها ما بين البحر إلى الشّرَف . فصار ما خلف هذا الجبل فى غربيّه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريِّين[١] وعكّ وكنانة[٢] إلى ذات غرق وا لُجحْفَة ، وما والاها وصاقبها وغار من أرضها الغَور : غَور تِهامة ، وتِهامة تجمع ذلك كلَّه . وغور الشَّام لا يدخل فى ذلك . وصار ما دون ذلك فى شرقيّه من الصحارى إلى أطراف العراق والسَّماوة وما يليها نجداً ؛ ونجد يجمع ذلك كلَّه . وصار الجبل نفسه سراتَه وهو الحجاز . وما احتجز به فى شرقيّه من الجبال وانحاز إلى ناحية فَيْد [والجبلين إلى المدينة ومن بلاد مذحج تثليثَ . وما دونها إلى ناحية فيد[٣]] فذلك كلّه حجاز . وصارت بلاد اليمامة والبحرْين وما والاها[٤] : العَروض ، وفيها نجدٌ وغَور ، لقربها من البحر وانخفاضِ مواضعَ منها ومسايلِ أوديةٍ فيها ، والعَروض يجمع ذلك كلّه . وصار ما خلف تَثْليث وما قاربها ، إلى صنْعاء وما والاها من البلاد ، إلى حَضْرَموت والشِّحْر وعُمان ، وما بينهما اليمنَ ؛ وفيهما التهائم والنجود ؛ واليمن يجمع ذلك كلّه . وذات عِرْق فصلٌ ما بين تهامة ونجد والحجاز . وقيل لأهل ذات عرق : أمُتْهِمُون أنتم أمْ مُنْجِدون ؟ قالوا لا متْهمون ولا منْجدون . انتهى كلام أبى عُبيد .

وقال ابن مكرّم فى لسان العرب: « السراة جبل بناحية الطائف . قال

(١) فى النسختين ، وكذا أصل معجم البكرى ٩ : « الى أسياف الحرمين بلاد الاشعريين ، صوابه فى معجم ياقوت .
(٢) فى النسختين : « عك وكنانة » ، صوابه من معجم البكرى٩ ..
(٣) التكملة من معجم البكرى .
(٤) فى معجم البكرى : « وما والاهما » .

ابن السّكيت : الطَّود : الجبل المشرف على عرَفة ينقاد إلى صنعاء يقال لها السراة فأوّله سراة ثقيف ، ثم سراة فهْم وعَدْوان ثم الأزد » . انتهى

قال ابن عبد البرّ فى مقدّمة الاستيعاب[١] : الأزْد جرْثومة من جرائيم قحطان وافترقت فيما ذكر أبو عبيدة[٢] وغيره من علماء النسب على نحو سبع وعشرين قبيلة . . ثم ذكرَها . . ويقال لبعضٍ منهم : أزْد السراة ، وهو من أقام منهم عند جبل السراة . ولبعض آخر : أزْد عُمان ، بضم العين المهملة وتخفيف الميم ، وهو بلد على شاطىء البحر ، بين البصرة وعَدَن ، أضيفوا إليه لسكناهم فيه . ولبعضٍ آخر : أزد غسّان بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة ، وهو اسم ماء بين زَبيد ورِمَع — وهما واديان للأشعريين — فمن شرب منه منهم سمّى أزد غسّان — وهم أربع قبائل — ومن لم يشرب منه لا يقال له ذلك ، قال حسّان بن ثابت رضى الله عنه :

إمّا سألتَ فإنا معشرٌ نُجُبٌ الأزد نِسبتُنا ، والماء غسّانُ[٣]

ومنهم من يقال له أزد شَنُوءة — على وزن فَعولة — وهو اسم أبيهم ، سمِّى به لشَنَآن وقع بينهم . واسمه الحارث — وقيل : عبد الله — بن كعب ابن مالك بن نصر[٤] بن الأزد . قال فى الصحاح « أزد أبوحىّ من اليمن . يقال أزد شَنوءة وأزد عُمان وأزد السَراة . قال النجاشىّ :

وكنت كذى رِجْلين : رِجْلٍ صحيحة ورجلٍ بها رَيْبٌ من الحدَثانِ

٤٠٠

(١) كذا . ولم أجد للأزد ذكرا فى مقدمة الاستيعاب . وانظر تاج العروس (أزد)

(٢) فى ط : « ابن عبدة » . صوابه فى ش وتاج العروس

(٣) ديوان حسان ٤١٣ والسيرة ٦ .

(٤) ط : « النصر » ، صوابه فى ش وجمهرة ابن حزم ٣٧٦ ونهاية الأرب ٢ : ٣١٢

فأمّا التى صحّت فأزْدُ شنُوءة وأمّا التى شُلّت[1] فأزد عُمانِ

ورأيت فى (الملحقات) التى ألحقها صاحب المختصر ، الذى اختصره من جمهرة الأنساب لابن الكلبى ، بعد أن نقل كلام الصحاح ما نصّه : « لم أجد فى الجمهرة . لابن دريد لذلك ذكراً ؛ بل رأيت فى العجالة فى النَّسب أن شنوءة اسمه الحارث وقيل عبد الله . فقوله : إنه الحارث ، أقرب إلى الصواب . فالحارث هو الذى ولَد هذه البطونَ والقبائلَ ، من دَوس و نصر وغامد وماسخة وغيرهم . وأهل عُمان الآن يقولون : إنهم شَنوءة ؛ وهم من دوس ثم من مالك ابن فَهم بن غَنْم بن دَوس . وهذا الذى ظهر من صحّة ذلك ، يبطل تقسيمَ الشاعر فى هذا البيت ، وقولَه إنّ أزد عُمان غير أزد شَنوءة ، وقولُ الجوهرى : يقال أزد شنُوءة وأزد عُمان وأزد السَّراة ، إنْ أراد به التقسيم على ثلاث قبائل ففاسد ، وذلك : أن أزد السراة أيضا من أزد شَنوءة فيهم من يذكر ؛ وهم ثُمالة ، تحلّ بلداً بالسَّراة اسمه قَوسىٰ ؛ ودوس ، منهم مُنْهِب بن دَوس بالسراة . والأقرب أن يقال : إن هذا كقولهم غسّان والأنصار وخزاعة ؛ وكلّهم غسّان ؛ وإنّما تجدَّد للأنصار وخُزاعة هذان الوصفان ، فبقيت تسمية غسّان للشاميّين . اهـ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد المائة[2] :

١٤٧ (يا مَرْحَبَاهَ بحِمَارِ ناجِيَهْ)

---

(١) ش : « خلت » ، تحريف ، صوابه فى ط ونوادر أبى زيد ١٠ وحماسة ابن الشجرى ٣٣

(٢) الخصائص ٢ : ٣٥٨ والمنصف ٣ : ١٤٢ وابن يعيش ٩ : ٤٦ ، ٤٧ والهمع ٢ : ١٥٧

على أن هاء السكت الواقعةَ بعد الألف ، يضمُّها بعضُ العرب ويفتحها في حالة الوصل ، فى الشعر .

قال ابن جنّي فى باب الُحكم يقف بين الُحكمَين من الخصائص : « ومن ذلك بيت الكتاب :

* له زجلٌ كأنّهُ صوتُ حادٍ[1] *

فحذف الواو من كأنّه ، لا على حدّ الوقف ، ولا على حدّ الوصل ؛ أما الوقف فيقتضى بالسكون : كأنّهْ ، وأما الوصل فيقتضى بالمطل وتمكين الواو : كأنّهُو[2] فقوله إذن : كأنّهُ ، منزلة بين الوصل والوقف . وكذلك أيضا قوله :

يا مرحباهَ بحمار ناجيهْ إذا أتَى قرّبته للسانيهْ

فثبات الهاء فى مرحباه ليس على حدّ الوقف ولا على حدّ الوصل ، أما الوقفُ فيؤذِن بأنّها ساكنة ، وأما الوصل فيؤذن بحذفها أصلا ، فثباتها فى الوصل متحرّكةً منزلةٌ بين المنزلتين » اهـ

وقوله : (يا مرحباه) المنادى محذوف ، ومرحبا مصدر منصوب بعامل محذوف ، أى صادف رُحباً وسَعة . حذف تنوينه لنيّة الوقف ، ثم بعد أن وصل به هاء السكت عنّ له الوصلُ فوَصل . و (الحمار) مذكر ، والأنثى أتان ؛ وحِمارة بالهاء نادر ، وهو مضاف إلى ناجية . و (ناجية) بالنون والجيم : اسم

(١) فى النسختين : « صوت حمار » صوابه من سيبويه ١ : ١١ والخصائص ١ : ٢/١٢٧ : ١٧ ، ٣٥٨ والانصاف ٥١٦ وديوان الشماخ ٣٦ .

(٢) فى النسختين : « كأنه » ، والأوفق فى الرسم ما أثبت عن الخصائص .

شخص ؛ وبنو ناجية قوم من العرب ؛ وناجية : ماء لبنى أسد ، وموضع بالبَصرة ؛ والناجية : الناقة السريعة ، وليست بمرادٍ هنا . والباء متعلِّقة بقوله مرحبا . والسانية : الدَّلو العظيمة وأداتها ، والناقة التى يُسنَى عليها ، أى يستقى عليها من البئر . وفى المثل : « سَيرُ السَّوانى سفَرٌ لا ينقطع » . يقال : سنَتِ الناقة تسنو سَناوة وسناية : إذا سقت الأرض ؛ والسَّحابة تسنو الأرضَ والقومُ يسنون لأنفسهم : إذا استقوا ، والأرض مَسنُوّة ومسنِيّة بالواو والياء . وأراد بتقريب الحمار للسانية : أن يُستقىٰ عليه من البئر بالدلو العظيمة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد المائة ، وهو من شواهد س[١] :

١٤٨ (فى لَجّةٍ أَمْسِكْ فلاناً عنْ فُلِ)

على أن (فُلا) ممـا يختصّ بالنداء ، وقد استعمله الشاعر فى الضرورة غير منادى .

قال صاحب اللباب : ووزنه فُعَل تقديراً ، والذاهب منه الواو ، فيكون أصله فُلَو كفُسَق فذهبت الواو تخفيفاً . وذلك لأنّ الاسم المتمكّن لا يكون على حرفين ، فلا بدّ من تقدير حرف ثالث ، وحرفُ العِلّة أولى لـكثرة دوره ، والواو أولى لأنّ بناتِ الواو أكثر .

(١) سيبويه ١ : ٣٣٣/٢ : ١٢٢ والعينى ٤ : ٢٢٨ وابن الشجرى ٢ : ١٠١ وشرح شواهد المغنى ١٥٤ والسمط ٢٥٧ واللسان (لجج ١٧٩ فلن ٢٠٢)

أرجوزة الشاهد

وهذا البيت من أرجوزة طويلة لأبى النجم العِجْلى[1] ، وصف فيها أشياء كثيرة . أوّلها :

(الحمد لله العَلىِّ الأجلَلِ الواسع الفضْلِ الوَهُوبِ المجزل
أعطى فلم يَبخَل ولم يُبخَّلِ كُومَ الذُّرى من خَوَل المخوِّلِ
تبقَّلتْ مِن أول التبقُّلِ بين رِماحَىْ مالكٍ ونَهشَلِ
يدفعُ عنها العزُّ جهلَ الجُهَّلِ)

إلى أن قال :

(وقد جعلْنا فى وَضِينِ الأحبُلِ جوزَ خُفافٍ قلبُه ، مُثَّقلِ
أخْزَمَ ، لا قُوقٍ ولا حزَنْبَلِ مُوَثَّقِ الأعلىْ أمينِ الأسفل
أقبَّ من تَحْتُ عريضٍ مِن عَلى معاوِدٍ كَرَّةُ أدبِرْ أقبل)

إلى أن قال :

(وصَدَرتْ بعدَ أصيل الموصل تَمشى من الرِدَّةِ مشىَ الحُفَّلِ
مشىَ الروايا بالمزَاد الأثقَل)

إلى أن قال :

(تثِيرُ أيديها عَجاج القَسْطَلِ إذْ عصَبَتْ بالعَطن المغرْبَل
تَدافُعَ الشِّيبِ ولم تِقِتلِّ فى لَجَّةٍ أمسِكْ فلاناً عن فُلِ)

---

(١) نشرها بهجة الأثرى فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ٨ : ٤٧٢ ــ ٤٧٩ سنة ١٩٢٨ فى ١٩١ شطرا وسماها أم الرجز، ثم نشرها الميمنى فى الطرائف الأدبية ٥٥ ــ ٧١ فى ١٩١ شطرا زاد بعدها شطرين من جمهرة ابن دريد واعترض على تسميتها أم الرجز مع أنها فى نص الأغانى ٩ : ٧٤ « فلما فرغ منها قال رؤبة : هذه أم الرجز » ، فرؤبة هو الذى سماها بذلك .

ومنها فى صفة الراعى :

(تَفْلى له الريحُ ولمّا يَفْتَلِ لِمَّةَ قفرٍ كشعَاع السُّنْبُلِ

يأتى لها من أيمُن وأشمُلِ وبُدِّلتْ والدهرُ ذو تبَدُّلِ

هَيفاً دَبوراً ، بالصَّبا والشمألِ)

وهى طويلة جدًّا .

قال الأصبهانىّ فى الأغانى[1] : ورد أبو النَّجم على هشام بن عبد الملك فى الشعراء ، فقال لهم هشام : صفوا لى إبلاً فقطِّروها وأورِدوها وأصدِرُوها ، حتّى كأنّى أنظر إليها . فأنشدوه . . وأنشده أبو النجم هذه الأرْجوزة بديهة[2] .

٤٠٢

وكان أسرع الناس بديهة . قال الأصمعى : أخبرنى عمى قال أخبرنى ابن بنت أبى النجم قال : قال جدِّى أبو النجم : نظمت هذه الأرجوزة فى قدر ما يمشى الإنسان من مسجد الأشياخ إلى مسجد حاتمِ الجزار ومقدار ما بينهما غَلوة سهم[3] (أى مقدار رمية) .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء[4] : « أنشد أبو النجم هذه الأرجوزةَ هشامَ بنَ عبدِ الملك — وهى أجودُ أرجوزة للعرب — وهشامُ يصفِّق بيديه[5] استحساناً لها ، حتى إذا بلغ قولَه فى صفة الشمس :

(١) الأغانى ٩ : ٧٥

(٢) انظر الأغانى . ولم يكمل البغدادى هنا خبر أبى النجم مع هشام كما ساقه أبو الفرج ، لكنه سيتمه بعد شرحه

* صغواء قد كادت ولما تفعل *

(٣) فى الأغانى ٩ : ٧٦ : « غلوة أو نحوها »

(٤) الشعراء ٥٨٦

(٥) فى النسختين : « بيده » ، والوجه من الشعراء ، ويد وحدها لاتصفق .

(حتّى إذا الشَّمسُ جلاها المجتلىْ بين سِماطَىْ شفَقٍ مُرَعْبلِ
صَغْواء ، قد كادتْ ولمّـا تَفعَل فهى على الأفقِ كعَين الأحوَل)

أمر بوجْءِ رقبته وإخراجه(١) . وكان هشام أحول » اهـ

وقوله : الحمد لله العلىّ الأجلَل ، أورده علماء البلاغة على أن الأجلل ، بفكّ الإدغام ،مما يخلّ بالفصاحة(٢) ؛ والفصيح الأجلّ ، وهو القياس . وأورده ابن هشام أيضاً فى آخر (الأوضَح) على أن فكّ الإدغام فيه للضرورة ، مع أنّ الإدغام واجب فى مثله . ورواه سيبويه : « الحمدُ لله الوَهوبِ المجزِل » ، وأنشده على أنَّ حذف الياء المتّصلة بحرف الروىّ جائز على ضعف ؛ تشبيهاً لها فى الحذف بياء الوصل الزائدة للترنم ، كما فى قوله المجزل ونحوه . . وكأنّ هذه الرواية مركبة من بيتين . والمجزل : مِن أجزل له فى العطاء : إذا أوسعه . والبخل عند العرب : منع السائل مما يفضُل عنده ، وفعله من باب تعب وقَرب . وبخّله بالتشديد : إذا نسبه إلى البخل ، وأما أبخله بالهمز فمعناه وجده بخيلاً . وكُومَ الذُرى : مفعول أعطى ، وهو جمع كَوماء بالفتح والمد ، وهى الناقة العظيمة السَّنام . وذُرى الشىء بالضم أعاليه ، جمع ذُروة بالكسر والضم أيضاً ، وهى أعلى السنام أيضا . والخوَل بفتحتين : العطيّة . والمخوِّل ، اسم فاعل : المعطى . فى العباب : الخول: العطيّة ، وقوله تعالى : (وترَكْتُمْ ماخوَّلْناكُمْ(٣)) أى أعطيناكم وملّكناكم . وأنشدَ هذا البيت . وقوله : تبقّلت . . الخ ، البقل : كلّ نباتٍ اخضّرت له الأرض . وتبقّلتِ الناقةُ مثلا وابتقلت : رعت

---

(١) يقال وجأه باليد وبالسكين وجئا : ضربه .
(٢) انظر معاهد التنصيص ١ : ٧
(٣) الآية ٩٤ من سورة الأنعام

البقْل . ومالك ، هو ابن ضُبيعة بن قيس من هَوازن . ونهشل ، هو أبو دارم قبيلة من ربيعة .

قال الأصفَهانىّ فى الأغانى : «وكان سببَ ذكرِ هاتين القبيلتين أعنى بنى مالك ونهشل[1] : أن دماء كانت بين بنى دارم وبنى نهشل ، وحروباً فى بلادهم ، فتجافىٰ جيعُهم الرعىَ فيما بين فَلْج والصَّمّان ، مخافة الشر ، حتّى عفا كلؤه وطال . فذكر : أن بنى عجل جاءت لعِزِّها[2] إلى ذلك الموضع فرعَتْه ، ولم تخف رماحَ هذين الحيَّين . ففخَر به أبو النجم» اه .

وفَلْج ، بفتح الفاء وسكون اللام وآخره جيم . والصَّمّان ، بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم ، قال البكرىّ فى معجم ما استعجم : فَلْج : موضع فى بلاد مازن ، وهو فى طريق البَصرة إلى مكة ، وفيه منازل للحاجّ . وقال الزجّاج : فَلْج بين الرُّحَيل إلى المجازة ، وهو ماء لهم . وقال أبو عبيدة : لما قَتل عِمْرانُ ابن خُنيس[3] السَّعدى ، رجلَيْن من بنى نهشل بن دارم ، اتهاماً بأخيه المقتول فى بغاء إبله ، نشأت بين بنى سعد بن مالك وبين بنى نهشل حربٌ تحامىٰ الناسُ من أجلها ما بين فَلْج والصَّمّان ، وهو على وزن فَعْلان : جبل يخرج من البَصْرة على طريق المنكدِر ، لمن أراد مكة .

٤٠٣

وقال ابن الأعرابىّ فى نوادره : «كان رجل من عَنَزَة دعا رؤبةَ ابنَ العجّاج فأطعمه وسقاه ؛ فأنشده فخرَه على ربيعة ؛ فساء ذلك العنَزِىَّ

(١) الذى فى الأغانى ٩ : ٧٤ : « قال أبو عمرو : وكان سبب ذكر هاتين القبيلتين ــ يعنى بنى مالك .. الخ » . فالكلام ليس للأصفهانى ، وانما هو لأبى عمرو الشيبانى .

(٢) الأغانى : « لغزوها » . وما هنا أشبه بالقصة وبالرجز : « يدفع عنها العز جهل الجهل » .

(٣) ط : « خشيش » ش : « خشيس » ، صوابهما من معجم البكرى (فلج) .

فقال لغلامه سِرًّا : اركب فرسي وجئني بأبي النجم . فجاء به وعليه جُبَّةُ خَزٍّ وبتٌّ[1] ، في غير سراويل . فدخل وأكل وشرب . ثم قال العَنَزِيّ : أَنْشِدْنا يا أبا النجم — ورؤبةُ لا يعرفه — فانتحى في قوله :

* الحمدُ لله الوهوب المجزل *

يُنشِدها ، حتَّى بلغ :

تبقّلتْ من أوّل التبقّل بين رماحيْ مالك ونهشل

فقال له رؤبة : إنَّ نهشلاً من مالك ، يرحمك الله ! فقال : يا ابن أخي ، الكَمَرُ أشباهُ الكَمَر ، إنَّه ليس مالك بن حنظلة ، إنّه مالك بن ضُبيعة ! فخزِيَ رؤبة وَحيَ من غلبة أبي النجم له . . ثم أنشد أبو النجم فخره على تميم ؛ فاغتمّ رؤبة وقال لِصاحب البيت : لا يحبُّك قلبي أبدا ! » اه

واستشهد صاحب الكشّاف بقوله :

* بين رماحيْ مالك ونهشل *

عند قوله تعالى (اثنتيْ عَشْرَةَ أسْبَاطا[2]) على جمع الأسباط ، مع أنّ مميز ما عدا العشرة لا يكون إلاّ مفردًا . لأنّ المراد بالأسباط القبيلة ؛ ولو قيل: سبطا ، لأوهم أن المجموع قبيلةٌ واحدة ؛ فوضع أسباطاً موضع قبيلة ، كما وضع أبو النَّجم رماحاً ، وهو جمع ، موضعَ جماعتين من الرماح ، وثنّى على تأويل : رماح هذه القبيلة ورماح هذه القبيلة. فالمراد : لكلٍّ فرد من أفراد هذه التثنية جماعة ، كما أنّ لكلٍّ فردٍ من أفراد هذا الجمع ، وهو أسباط ، قبيلةً .. وفاعل تبقّلت ، ضمير كُوم الذُرى زعم بعض شرّاح شواهد التفسير : أنّ هذا البيت

(١) البت : كساء غليظ من وبر أو صوف .

(٢) الآية ١٦٠ من سورة الأعراف .

فى وصف رَمَكة مرتاضة اعتادت ممارسة الحروب ، حتّى تحسب أرضَ الحرب روضةً تتبقّل فيها . ولا يخفى أن هذا كلامُ من لم يقف على سِياق هذا البيت ولا سِباقه . مع أنّ هذا الزاعمَ أورد غالبَ الأرْجوزة ولم يتفهَّم المعنىٰ .

وقوله : يدفع عنها العزّ . . الخ ، العزّ : فاعل يدفع ، وهو بمعنى القوّة والمَنعة ؛ وجهل الجُهَّل : مفعولُه ، أى سفاهة السفهاء ؛ وضمير عنها راجع إلى كوم الذرى وقوله : وقد جعلنا فى وَضِين .. الخ ، هذا فى وصف بَعير السانية ؛ والوَضين : نِسْعٌ عريض كالحِزام يُعمَل من أدَم ، قال الجوهرىّ : « الوضين للهودج بمنزلة البِطان للقتَب ، والتصدير للرحْل ، والحِزام للسَرْج ؛ وهما كالنسع إلا أنهما من السيور إذا نسج بعضُه على بعض . .[1] تقول : وضَنْتُ النِّسع أضِنُه وَضْنا : إذا نسجتَه » . والأحبُل : جمع حبْل . والجَوْز ، بفتح الجيم وآخره زاى معجمة . مفعول جعلْنا ؛ وجوز كلّ شىء : وسطه . والخُفاف بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاءين ، بمعنى خفيف ؛ وهو منوّن ؛ وقلبُه فاعل خفاف ، وهو صفة لموصوف محذوف أى بعير خفاف . والمثقّل : الثقيل ، صفة ثانية . يريد : شدَدنا الوضينَ فى وسط بعير خفيفِ القلب ذكىّ من ثقل بدنه وضخامته . والأحزَم : خلاف الأهضَم ؛ وهو أن يكون موضع حزامه عظيماً ؛ وهو صفة ثالثة . والقُوق ، بضم القاف الأولى : الفاحش الطوّل ؛ وهو صفة رابعة . والحَزَنْبَل ، بفتح الحاء المهملة والزاى المعجمة وسكون النون وفتح الموحدة : القصير . وقوله : موثّق الأعلىٰ . . الخ ، بالجرّ صفة خامسة ، وأراد بالأعلى ظهرَه ، وبالأسفل بطنَه[2] ؛ وأمين بمعنى مأمون ، صفة سادسة . وقوله : أقبّ .. الخ

٤٠٤

---

(١) انظر الصحاح (وضن) .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى ش ، كتب ازاءه فيها فى الهامش « قوائمه » .

مجرور بالفتحة ، صفة سابعة ؛ وعريض صفة ثامنة ؛ والقَبَب : الضُّمْر ؛ يعنى أنّ خصرَه ضامر — والخصر تحت المتن — وأنّ متنه عريض . وتحتُ مبنىّ على الضم(١) .

ومِن عَلي ، يكتب بالياء ؛ وليست الكسرة فى اللام كسرة إعراب ألا ترى أنه معرفة وليس بنكرة . ألا ترى أنّ معناه وكويته فوق نواظره أو النواظرِ منه ! فهو إذن معرفة ، لأنه يريد به شيئاً مخصوصاً ، فهو إذن كقول أوس :

فملّك باللِّيط الذى تحت قشره كغِرقىء بيض كنّه القيضُ من عَلُ

أى من أعلاه ، وقال الشَنْفَرَىٰ :

إذا وردتْ أصدرتُها ، ثمَّ إنَّها تثوبُ فتأتى من تُحيتُ ومن علُ

وإنما تُعرب عَلُ إذا كانت نكرة ، كقولهم فى النكرة : من فوقٍ ومن علٍ ، إذا لم تردْ أمراً معلوماً . فقوله : فوق النواظر من علٍ ، عَلٍ منه ، كشج وعَمٍ ووزنه فَعِل ، والياء فيه لام الفعل ، والكسرة فى اللام قبلها ككسرة الضاد من قاض . فاعرفْ ذلك . وفيه عشر لغات : أتيته من علٍ ومن علُ ومن عَلِي ومن عَلا ومن عَلْوُ ومن عَلْوَ ومن عَلْوِ ومن علوِ ومن عالٍ ومن معالٍ . ومثله سواء قولُ العجلىّ :

---

(١) النص التالى من كلام ابن جني ، وقد سقط من النسختين التنبيه على ذلك فى أوله ، وان كانت نهاية النص تشعر بانه لابن جنى . وقد فحصت الخصائص ، وكذا سر الصناعة ، وكلاهما لابن جنى فلم أعثر على هذا النص ، وأخيرا وجدته فى اعراب الحماسة لابن جنى عند قول ربيعة بن مقروم الضبى :

أوجيته عنى فأبصر قصده وكويته فوق النواظر من على

انظر كتاب التنبيه الورقة ١٥ من نسخة دار الكتب المصرية ٤٤ أدب .

* أقبَّ من تحتُ عريضٍ من علَى *

أراد من أعلاه . ألا تراه قرنه بالمعرفة المبنيّة وهى تحتُ ! فعَلى إذن معرفة ، فهو كشج ، وكسرةُ لامه ككسرة زاى غاز ، والكلمة مبنيّة على الضم ، وفى الياء تقدير ضمة البناء . فبيت ربيعة وبيت العجلى هذان جميعاً سواء ، ولكنّ بيت امرئ القيس الذى هو قوله :

* كجلمود صخر حطّه السيلُ من عَلِ *

عل فيه نكرة ، ألا ترى أنه لايريد من أعلى شيء مخصوص ! فالكسرةُ إذن فى لام عل كسرةُ إعراب ، ككسرة دال يدٍ و [ميم[1]] دم اهـ كلام ابن جنّي مختصراً .

وقد قرّر ابن هشام أيضا فى المغنى : أن على ، متى أريد به المعرفة كان مبنيا على الضم تشبيها بالغايات كما فى قوله :

* أُرمَضُ من تحتُ وأُضحى مِن علُه[2] *

والهاء للسكت ، قال : إذِ المراد فوقيّة معيَّنة لا فوقيّة مطلقَة . والمعنى : أنه تصيبه الرمْضاء من تحتِه وحَرُّ الشمس من فوقه . ومثله قول الآخر يصف فرسا :

* أقبَّ من تحتُ عريض من علِ * اهـ

وقد أشار بقوله : « ومثله يصف فرساً » إلى أن ضمّة البناء فى عل إمَّا ملفوظة كما فى قوله : وأضحى من علُه ، وإما مقدَّرة كما فى قول أبى النجم :

(١) التكملة من كتاب اعراب الحماسة المسمى بالتنبيه .

(٢) الرجز لأبى ثروان . انظر شرح شواهد المغنى ١٥٣ وابن يعيش ٤ : ٨٧ والهمع ٢ : ٢١٠ . وقبله :

* يارب يوم لى لا اظلله *

« عريض من عل » فلا يرِدُ الاعتراضُ عليه بأنه أنشده بالبناء على الضم ، والقوافى كلّها مجرورة . لـكن يبقى عليه أنّ البيت فى وصف بعير السانية ، لافى وصف فرس . فتأمَّلْ وأنصِفْ .

قوله : معاوَدٍ كرّةُ . . الخ ، معاوَد : اسم مفعول ، وهو بالجرّ صفة تاسعة ؛ أى يعاد عليه مراراً قولُ أقبلْ على البئر إذا تفرَّغت الدلو ، أدبر عنها إذا امتلأت . وكرّةُ بالرفع نائب فاعل معاوَد وهو مضاف لما بعده . وقوله : تمشى من الردة ، فى الصحاح : « والرِّدّة بالـكسر : امتلاء الضَرع من اللبن قبل النّتاج ، عن الأصمعى . وأنشد لأبى النجم تمشى من الردة . . البيت » ا هـ ، ويجوز أن تـكون مصدَر قولك ردّه يردّه رَدّا وردّة ؛ والردّة الاسم من الارتداد . وقال ابن السيرافى فى (شرح أبيات إصلاح المنطق) : يصف إبلاً قد أكثرت من شُرب الماء فأثقلها الرىّ والردّة ترادّ فى أجوافها ، يقال أردَّت فهى مُرِدّ . إذا انتفخت من الماء ، أو انتفخ ضرعها من غير لبن . يقول : تمشى من كثرة شرب الماء كمشى التى أثقلها كثرةُ ما فى ضرعها . والحافل : التى اجتمع فى ضرعها اللبن ا هـ . ومشىَ : مصدر منصوب ، أى مشياً كمشى الحُفَّل ، وهو جمع حافل ، من حفَل اللبنُ فى الضرع : إذا اجتمع . والرَّوايا : جمع راوية ، من روىْ البعير الماء : حمَله ، فهو راويةٌ ، الهاء فيه للمبالغة ، ثم أطلقت الراوية على كلّ دابّة يُستقىْ الماء عليها . والمزاد : جمع مَزادة ، وهى الراوية التى تعمل من جلود . وقوله : تثير أيديها . . الخ ، الضمير إلى كُوم الذُرى . والقَسطل ، بالقاف : الغبار ، والعجاج : ما ارتفع منه . وعصَبت بالعين والصاد المهملتين ، قال فى الصحاح: « وعصبت الإبلُ بالماء : إذا دارتْ به . قال الفرّاء : عصَبت الإبل وعصِبت بالـكسر : إذا اجتمعت » . والعَطَن ، بفتحتين : مبرَك الإبل عند الماء لتشرب عَلَلا بعد نَهَل ، فإذا

٤٠٥

استوفت رُدّت إلى المرعى . والمغربَل : المنخول ، أى أن تراب العَطَن كأنّه منخول ، لكثرة ما انسحق منه ، لشدّة الحركة . وقوله : تدافُعَ الشيب ، مصدرٌ تشبيهىّ ، وعامله محذوف ، وهو معطوف على عصبت ، أى اجتمعت وتدافعت تدافعاً كتدافع الشيوخ ، والشِّيب بالكسر جمع أشيَب ، وهو الشيخ . وقوله : ولم تِقِتِّلِ أصله تَقتَتِل ، فأسكن التاء الأولى للإدغام ، وحرّك القاف لالتقاء الساكنين بالكسر ، فصار تَقِتِّل ثم أتبع أوّل الحرف ثانيه فصار تِقِتِّلِ بثلاث كسرات . واللَّجة ، بفتح اللام وتشديد الجيم : اختلاط الأصوات فى الحرب ، فى الصحاح : « وسمعت لَجّة الناس بالفتح ، أى أصواتهم وضجّتهم » . وأنشدَ هذا البيتَ . وفى متعلقة بتدافُعَ . وقوله : أمسِكْ فلانا . الخ هو على إضمار القول ، أى فى لَجّة يُقال فيها : أمسك .. الخ . قال اللخمىّ فى شرح أبيات الجمل ، تبعاً لابن السِّيد : شبّه تزاحمها ومدافعةَ بعضها بعضاً بقومٍ شيوخٍ فى لَجة وشرٍّ ، يدفع بعضهم بعضاً ، فيقال . أمسكْ فلاناً عن فلان أى احجزْ بينهم . وخصّ الشيوخَ لأنَّ الشبابَ فيهم التسرُّعُ إلى القتال . فلذلك قال : تدافُعَ الشِيب . . الخ . أى هى فى تزاحم ولاتقاتُل ، كالشيوخ . وقد غفل عن هذا المعنى الأعلمُ الشنتمرىّ فى شرح أبيات س فقال: «إن معناه خذ هذا بدم هذا وأيسر(١) هذا بهذا» هذا كلامه ! وكأنه لم ينظر إلى ما قبله من الأبيات . وأعجبُ منه قولُ ابن السَّيِّد(٢) ، فيما كتبه على هذا الكتاب ، فى شرح بيت الشاهد : إن معناه : قد كثر أصوات الرُّعاة يقول بعضهم لبعض : أمسِك البعير الفلانىّ عن البعير الفلانى لئلا يضرّه .

---

(١) الذى فى الأعلم ١ : ٣٣٤ : « وأسر » فعل أسر من الأسر ، وهو الصواب

(٢) الميمنى : « هو ابن السيد مشددا ، الشريف الجرجانى . وله كأبيه حاشية على شرح الرضى . ويأتى قريبا فى الشاهد ١٥٢ » .

هذا كلامه ! مع أنه سطّر ما قبله من الأبيات وشرحها من شرح اللباب للفالى.

وقوله : تَفلى له الريحُ . . الخ ، الفَلْى : مصدر فَليت رأسه من باب رمى . إذا نقّيته من القمْل ، وافتلىٰ هو : إذا نقّاه ، ويَفتلِ : مجزوم بلمّا محذوف الياء من آخره يريد : أن الريح تهبّ على رأسه فتفرّق شعره كأنها تَفْليه وهو لم يَفْتلِ شعره لشعَثه وقلة تعهُّده نفسَه . واللِّمَّة ، بكسر اللام : الشعر الذى يُلِمّ بالمنكِب أى يقرب منه ؛ وهو مفعول تَفلى على التنازع . والقَفْر ، بفتح القاف وسكون الفاء ، وأصله بالكسر : وصفٌ من قفِر زيدٌ ، من باب فرح : إذا قلّ لحمه . وشَعاع السُّنبُل بفتح الشين المعجمة : سَفاهُ ؛ وقد أشعّ الزرع : أخرج شَعاعه ؛ وأسفى الزرعُ : إذا خشُن أطراف سنبله . والسُنبل هنا سنبلُ الحنطة والشعير ونحوهما شبّه شعره المنتفشَ بشوكِ سنبل الزرع . وقوله : يأتى لها . . الخ ، فاعل يأتى ضميرُ الراعى ؛ وضميرُ لها ، لكوم الذرى ؛ قال صاحب الصحاح : « أى يعرض لها من ناحية اليمين وناحية الشمال . وذهبَ إلى معنى أيمُن الإبل وأشمُلها فجمع لذلك » اهـ .

٤٠٦

وأورده سيبويه على أنّ الشاعر لما جرّ أيمُناً وأشمُلاً بمِن ، أخرجهما عن الظرفية . وزعم الأعلم الشنتمرىّ أنّ هذا البيت فى وصف ظليم ونعامة ، قال : « يعنى : كلّما أسرعتْ إلى أُدْحِيِّها وهو مَبِيضُها[1] عرض لها يميناً وشمالاً مزعجاً لها » وهذا كما ترى لا أصل له . وقوله : وبدِّلت والدهرُ ذو تبدُّل . . الخ ، نائب الفاعل ضمير الريح ؛ والهَيف بفتح الهاء مثل الهُوف بضمها : ريح حارّة تأتى من اليمن ، وهى النَّكباء التى تجرى بين الجَنوب والدَّبور من تحت مجرى سهيل . والصَّبا : ريح ؛ ومهبُّها المستوى أن تهبَّ من موضع مطلع

(١) ط : « الى أدحتيها وهو بيضتها » ش : « الى أدحيها وهو بيضها » ، صوابه من الأعلم ١ : ١١٢

الشمس إذا استوى الليل والنهار . والدَّبور : الريح التى تقابل الصَّبا . والشمْأل بسكون الميم وفتح الهمزة بعدها : الريح التى تقابل الجنوب . فكان الواجب أن يقابل الشمأل بالجنوب . لكنَّه لضرورة النظم أقام الهَيفَ مُقام الجنوب لقربها من الجنوب . وفيه لفٌّ ونشر غير مرتَّب ؛ أى بدَّلت الريح فجاءت الدبور بدلَ الصَّبا وجاءت الهَيف ، أى الجنوب ، بدلَ الشمال . ففيه دخول الباء على المتروك ، وهو المشهور وسُمع خلافه أيضاً . وأورده ابن هشام فى المغنى على أن جملة : والدهر ذو تبدّل ، معترِضة بين الفعل ومفعوله ، للتأكيد والتسديد .

وقوله : بين سماطَىْ شفَق مُرعبَل ، السِّماط بالكسر : الصفّ والجانب ، والسماطان من الناس والنخل : الجانبان ، يقال مشى بين السماطين وأنشدَ القصيدةَ بين السِماطين . والمرعبَل . المقطَّع . وروى بدله (مهوَّل) . وصغواء بالغين المعجمة ، من صغَت النّجومُ ، إذا مالت للغروب . وقوله : قد كادت ، أى قاربت الشمس أن تغيب ولم تغِب بالفعل .

روىٰ صاحبُ الأغانى[١]: أن أبا النجم لما بلغ ذكر الشمس فقال : وهى على الافق كعين . . وأراد أن يقول : الأحول ، فذكر حوَل هشام فلم يتمّ البيت وأُرتِجَ عليه . فقال هشام : أجزْ : فقال : كعين الأحول . فأمر هشام بإخراجه من الرُّصافة[٢] (ويقال لها رُصافة هشام[٣]، وهى مدينة فى غربىّ

(١) الأغانى ٩ : ٧٥
(٢) فى الأغانى : « فأمر هشام بوجء عنقه وأخرجه من الرصافة »
(٣) فى الأصلين : « رصافة الشام » ولكن الشنقيطى غيرها بقلمه برسم (رصافة هشام) . والرصافة : علم مشترك بين أماكن شتى ، ذكر منها ياقوت رصافة أبى العباس بالأنبار ، ورصافة البصرة ، وبغداد ، والحجاز ، والشام ، وقرطبة ، والكوفة ، ونيسابور ، وواسط . والمعروف أن رصافة الشام أقدمهن . وما بين القوسين من الكلام هنا من تعليق البغدادى ، ولم يذكر فى الأغانى . وجاء فى معجم البكرى ٦٥٤ : « الرصافة بضم أوله : رصافة هشام بن عبد الملك بالشام »

الرَّقَّة ، بينهما أربعة فراسخ على طرف البرِّيَّة ، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها فى الصيف ، وكانت قبلُ من بناء الملوك الغسانيّين) ثم قال لصاحب شرطته : إياك وأن أرى هذا ! فكلَّم وجوهُ الناس صاحبَ الشُرْطة أن يقرَّه . ففعل . فكان يصيب من فُضول أطعمة الناس ويأوى بالليل إلى المساجد . . قال أبو النجم : ولم يكن فى الرُّصافة أحدٌ يُضيف إلاّ سليمُ بنُ كَيسان الكلبىّ ، وعمرو بن بسطام الثعلبيّ[1] فكنت أتغدَّى عند سليم ، وأتعشَّى عند عمرو ، وآتى المسجد فأبِيت فيه . فاغتمَّ هشامٌ ليلةً ، وأراد محدِّثاً يحدّثه ، فقال لخادمٍ له : أبغِني محدِّثا أعرابيًّا أهوجَ شاعراً يرْوى الشعر . فخرج الحاجب[2] إلى المسجد فإذا هو بأبى النجم ، فضرَبه برجله وقال له : قمْ أجبْ أميرَ المؤمنين . فقال : أنا أعرابىٌّ غريب . قال : إيَّاك أبغى فهلْ تروى الشعر[3]؟ قال : نعم ، وأقوله[4]. فأقبلَ به حتى أدخله القصرَ وأغلق الباب — فأيقنَ بالشرَّ — ثم مضى فأدخله على هشام فى بيت صغير ، بينه وبين أهله ستر رقيق ، والشَّمَعُ بين يديه [يَزْهر[5]] . قال : فلما دخلت قال لى : أبو النجم ؟ قلت : نعم ، يا أمير المؤمنين ، طريدك . قال : اجلسْ . فسألنى وقال : أين كنت تأوى ؟ فأخبرته الخبر . قال : ومالك من الولد والمال ؟ قلتُ : أمَّا المال فلا مال لى ، وأما الولد فلى ثلاث بنات وبُنَىٌّ يقال له شَيَّان[6] (بفتح الشين وتشديد الياء المثناة التحتيّة) قال : هل أخرجت من بناتك ؟ قلت : نَعم ، زوَّجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز

٤٠٧

(١) فى الأغانى ٩ : ٧٥ : « التغلبى » .
(٢) فى الأغانى : « الخادم »
(٣) فى النسختين : « أبغى قال تروى الشعر » . وما أثبته من الأغانى ٩ : ٧٦ أصح وأولى
(٤) ط : « وأقول » صوابه من ش والأغانى
(٥) يزهر : يتلألأ . وهذه التكملة من الأغانى .
(٦) كذا . وفى الأغانى : « شيبان »

فى أبياتنا ، كأنَّها نعامة ! قال : وما وصّيت به الأولى ؟ — وكانت تسمى بَرّة — قال :

أوصيت من برَّة قلباً حرًّا | بالكلبِ خيراً ، والحماةِ شرًّا
لا تسأمى ضرباً لها ، وجرًّا | حتَّى ترىْ حلوَ الحياة مرًّا
وإن كستكِ ذهباً ودُرًّا | والحىَّ عُمّيهم بشرٍّ طرًّا

فضحك هشام وقال : فما قلت فى الأخرى ؟ قال : قلتُ :

سُبِّي الحماةَ وابهَتِي عليها | وإن دنَتْ فازَّلِفى إليها[1]
وأوجعى بالفِهر ركبتَيها | ومَرفِقَيها ، واضربى جنبَيها
وقعِّدى كفَّيك فى صُدغيها | لا تخبِرى الدهر بذاك ابنيها[2]

فضحك هشام حتّى بدت نواجذه ، وسقط على قفاه ، وقال : ويحك ! ما هذه وصيّة يعقوب لولده ! قال : ولا أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين ! قال : فما قلت فى الثالثة ؟ قال : قلتُ :

أوصيكِ يا بنتى فإنّى ذاهبُ | أوصيكِ أن يحمَدك الأقاربُ
والجارُ والضيفُ الكريمُ الساغبُ[3] | ويرجع المِسكينُ وهو خائبُ
ولا تنى أظفارُك السَّلاهِبُ | لهنَّ فى وجه الحماة كاتبُ[4]

والزوجِ ، إنَّ الزوجَ بئس الصاحبُ

قال : فأى شىء قلتَ فى تأخير تزويجها ؟ قال : قلتُ :

---

(١) كذا . وفى الأغانى : « فازدلفى » ، وكلاهما صحيح

(٢) بدله فى الأغانى :

وظاهرى النذر لها عليها | لا تخبر الدهر به ابنتيها

(٣) ط : « الشاغب » ، صوابه فى ش والأغانى

(٤) الأغانى « منهن » موضع « لهن »

كأنَّ ظلاَّمةَ أخت شيَّان يتيمة ووالدها حيَّان
الجيدُ منها عُطُلٌ والآذان وليس للرجلين إلاَّ خيطان[١]
وقُصَّةٌ[٢] قد شيَّطتها النِّيران تلك التي يضحك منها الشيطان[٣]

فضحك هشام وضحكت النساء لضحكه ، وقال للخَصيّ : كم بقى من نفقتك ؟ قال : ثلثمائة دينار . قال أعطِه إيَّاها يجعلها فى رجلى ظلاَّمة مكان الخيطين[٤].

٤٠٨ وتقدمت ترجمة أبى النجم فى الشاهد السابع من أوائل الكتاب[٥].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد المائة[٦] :

١٤٩ (أُطوِّفُ ما أُطوِّفُ ثم آوى إلى بيتٍ قَعِيدتُه لَكاعِ)

على أن (لَكاعِ) مما يختصّ بالنداء ، وقد استعمل فى غير النداء ضرورة .

قال المبرّد فى الكامل : يقال فى النداء للئيم يالُكَع ، وللأنثى يا لَكاع ؛ لأنه موضع معرفة . . فإن لم ترد أن تعدله عن جهته[٧] قلت للرجل : يا ألُكَع ، وللأنثى يا لَكْعاء . وهذا موضع لا تقع فيه النكرة . وقد جاء فى الحديث :

---

(١) جعلها الشنقيطى : « وليس فى الرجلين » . وفى الأغانى : « وليس فى الساقين » .

(٢) ط : « وقضة » ، صوابها فى ش . والشطر ساقط من الأغانى

(٣) الأغانى : « يفزع منها » .

(٤) فى النسختين : « الخيطان » وقد تصح على الحكاية ، لكن فى الأغانى وتصحيح الشنقيطى : « الخيطين » .

(٥) الجزء الأول ص ١٠٣

(٦) العينى ١ : ٤٧٣/٤ : ٢٢٩ وابن الشجرى ٢ : ١٠٧ وابن يعيش ٤ : ٥٧ والكامل ١٤٧ والهمع ١ : ٨٢ ، ١٧٨ وديوان الحطيئة ١٢٠

(٧) فى النسختين : « « جهة » ، صوابه فى الكامل

«لاتقوم الساعةُ حتَّي يليَ أمورَ الناسِ لُكَعُ ابنُ لكع» . فهذا كناية عن اللئيم ابن اللئيم . وهذا بمنزلة عُمر ينصرف فى النكرة ولا ينصرف فى المعرفة . ولكاع مبنيّ على الكسر . وقد اضطر الحطيئة فذكر لكاع فى غير النداء ، فقال يهجو امرأته :

أطوِّف ما أطوِّفُ . ثم آوى . . البيت

وقعيدة البيت : ربّة البيت وصاحبته . وإنما قيل : قعيدة ، لقعودها وملازمتها .

قال المدائنيّ فى كتاب (النساء الفوارك) إنّ امرأة الحطيئة نشزَت عليه وسألته الفُرقة ، فقال :

أُجوِّل ما أُجوِّل ثم آوى . . البيت

قال المرزوقى فى (شرح فصيح ثعلب) : هذا البناء يراد به المبالغة . ومعنى لكاع : المتناهية فى اللؤم . والفعل منه لكِعت لكَعا ولَكاعة ، وهى لكعاء وملكَعانة . والأصل فى اللكع : الوسخ . و « ما » مع ما بعدها فى تأويل المصدر الذى يراد به الزمان ، والتقدير : أطوف مدّة تطويفى .

وأورد ابن عقيل فى شرح الألفيّة[1] هذا البيتَ شاهداً على وصل ما المصدرية بالمضارع المثبَت ، وهو قليل ، والكثير وصلها بالمضارع المنفىّ أو الماضى .

ومعنى البيت : أطوِّف نهارى كلّه فى طلب الرزق ، فإذا أويتُ عند الليل فإنّما آوى إلى بيتٍ قيِّمتُه القاعدة فيه لئيمة .

والمصراع الأوّل مأخوذ من قول قيس بن زهير بن جَذيمة :

(١) عند الكلام على الموصول ١ : ١٢٥

أطوِّف ما أطوِّف ثم آوي إلى جارٍ كجار أبي دُواد

جار أبي دواد

وأبو دُواد هو أبو دُواد الإياديّ الشاعر المشهور . وجاره : كعب بن مامة الإيادي الجواد المشهور . وقيل بل هو الحارث بن همّام بن مرّة ، وكان أسَرَ أبا دُوادٍ وناساً من قومه ، فأطلقَهم وأكرم أبا دواد وأجاره — فمدحه أبو دواد — وأعطاه وحلَفَ أن لا يذهب له شيء إلاّ أخلفه له .

ويقال : إن ولدَ أبي دواد لعب مع صبيانٍ في غدير فغمسوه فمات ، فقال الحارث : لا يبقى صبيٌّ في الحي إلاّ غُرِّق ، فودى ابنه بديات كثيرة

و (آوِي) : مضارع أوىٰ إلى منزله من باب ضرب أُوِيًّا : إذا أقام به وانضمّ ولجأ إليه . ومعنى (أطوِّف) : أكثر الطواف أي الدَّوَران . ومثله أجوِّل ، وزناً ومعنى .

٤٠٩

وهذا بيت مفردٌ هجا به امرأته كما ذكرنا .

الحطيئة

و (الحطيئة) اسمه : جَرْوَل بن أوس [بن مالك[1]] بن جُؤيّة بن مخزوم ابن مالك بن غالب بن قُطيعة (بالتصغير) ابن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث ابن غطَفان بن سعد بن قيس بن عيْلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان

وكنيته أبو مُليكة (بالتصغير) . واختُلف في تلقيبه بالحُطَيئة (بضمّ الحاء وفتح الطاء المهملتين وسكون المثنّاة التحتيّة وبعدها همزة) فقيل : لقِّب بذلك لقصره وقربه من الأرض ؛ في الصحاح : « والحطيئة : الرجل القصير ؛ قال ثعلب : وسمِّي الحطيئةَ لدمامته » . وقيل : لأنّه ضرَط بين قوم ، فقيل له : ما هذا ؟ ! فقال حُطيئة ؛ يقال حطأ : إذا ضرط . وقيل : لأنه كان محطوء الرِجْل ؛ والرِجل المحطوءة : التي لا أخمَص لها .

(١) التكملة من الأغاني ٢ : ٤١ والاصابة (الحطيئة) رقم ١٩٨٧ وابن سلام ٨١

وهو أحد فحول الشعراء، متصرِّف فى فنون الشعر: من المديح، والهجاء، والفخر، والنسيب. وكان سفيها شِرِّيرا. ينتسب إلى القبائل، وكان إذا غضب على قبيلة[١] انتمى إلى أخرى. قال ابن السكّيت: كان الحطيئة مغموز النسب، وكان من أولاد الزِّنى الذين شرُفوا. قال: وكان أوس بن مالك العبْسى تزوّج بنت رباح[٢] بن عوف الشَّيبانيّة، وكانت لها أَمَة يقال لها الضَّرّاء[٣]، فأعلقَها أوسُ. وكان لبنت رباح أخٌ يقال له الأفقَم؛ فلما ولدت الضّرّاء جاءت به شبيهاً بالأفقَم. فقالت مولاتها: من أين لك هذا الصبيّ؟ قالت: من أخيك — وهابت أن تقول: من زوجك — ثم مات الأفقم وترك ابنين من حرة[٤] وتزوّج الصراء رجلٌ من عبس؛ فولدت له ابنين، فكانا أخَوى الحطيئة من أمّه. وأعتقت بنتُ رباح الحطيئةَ وربّته فكان كأنه أحدُهم[٥]، ثم اعترفت أمُّه بأنه من أوس. وترك الأفقمُ نخيلاً باليمامة؛ فأتى الحطيئة أخَويه من أوس فقال لهم: أفرِدوا لى من مالكم قِطعة. فقالا: لا، ولكن أقِمْ معنا نُواسِك[٦]. فهجاهما. وسأل أمه: مَن أبوه؟ فخلطت عليه، فغضب عليها وهجاها، ولحق بإخوته. من بنى الأفقَم ونزل عليهم فى القُرَيّة وقال يمدحهم:

إنّ القريَّةَ خيرُ ساكِنِها ... أهلُ القُرَيّةِ من بَنِى ذُهْلِ[٧]

---

(١) فى النسختين: «قبيلته»، صوابه من الاصابة

(٢) فى الأغانى: «رياح» بالياء المثناة، وكذا فى الموضعين التاليين

(٣) فى الأغانى: «وكان لها أمة يقال لها الضراء»، وقد تكررت «الضراء» فى الأغانى بهذا الرسم

(٤) الأغانى: «ثم مات أوس وترك ابنين من الحرة».

(٥) ط: «فكان أحدهم»، الأغانى: «فكان كأنه أحدهما».

(٦) ط: «نواسيك»، وكلاهما صحيح.

(٧) كذا فى النسختين. وفى الأغانى والديوان ٩٠: «ان اليمامة»

الضامنونَ لِمَالِ جَارِهم حتّى يتمّ نَوَاهِضُ البَقْلِ(١)
قومٌ إذا انتسبوا ففرْعُهُم فَرعِي وأثبتُ أصلِهم أصْلي

وسألهم ميراثَه من الأفقَم، فأعطوه نُخيلات، فلم تقنعه. فسألهم ميراثه كاملًا(٢) فلم يعطوه شيئا. فغضب عليهم وهجاهم ثم عاد إلى بنى عَبْس وانتسب إلى أوس بن مالك.

قال ابن قتيبة: «وكان الحطيئة راويةَ زهير. وكان جاهليًّا إسلاميًّا. ولا أراه أسلم إلاّ بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ لأنّى لم أجد له ذكرًا فيمن وفد عليه من وفود العرب؛ غير أنّي وجدته فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه يقول:

أطعنا رَسُولَ الله إذْ كان حاضرًا فيا لهفتى، ما بالُ دينِ أبى بكْرِ!
أيورثها بكرًا إذا مَاتَ بَعدَه فتلكَ، وبيتِ اللهِ، قاصمةُ الظَهْرِ

وقال ابن حجر فى الإصابة: كان أسلم فى عهد النبى ﷺ ثم ارتدّ ثم أسر، وعاد إلى الإسلام.

٤١٠ وروى [ابن أخى(٣)] الأصمعىّ عن عمّه قال: كان الحطيئة جشعًا سئولا ملحفًا دنِىء النفس كثير الشرّ بخيلاً، قبيح المنظر رثَّ الهيئة، مغموزَ النسب فاسدَ الدين، وما تشاء أن تقول فى شعر شاعر عيباً إلاّ وجدته، وقلّما تجد ذلك فى شعره.

(١) ط: «المال جارهم» صوابه فى ش والديوان. وفى الأغانى: «لمال غيرهم».

(٢) ط: «كملا». والكمل: الكامل، لايثنى ولا يجمع

(٣) التكملة من الأغانى. وهو عبد الرحمن بن عبد الله، ابن أخى الأصمعى. البغية ٢٩٩

وقال أبو عبيدة : التمس الحطيئةُ ذاتَ يوم إنساناً يهجوه ، فلم يجده ، وضاق ذلك عليه ، فجعل يقول :

أبَتْ شفتَاىَ اليومَ إلاّ تـكلُّما   بسوءٍ ، فما أدرى ، لمن أنا قائله

وجعل يهدِرُ بهذا البيتِ فى أشداقه ، ولا يرى إنساناً ، إذ اطّلع فى حوض فرأى وجهَه فقال :

أرىٰ لىَ وجهاً شوّه الله وجهَه   فقُبِّح من وجهٍ وقبِّحَ حامله (١)

وكان الـكلب بن كنيس تزوَّج الصراء أمّ الحطيئة ، فهجاه وهجا أمّه فقال :

ولقد رأيتُكِ فى النساءِ فسؤتِني   وأبا بَنيكِ فساءنى فى المجلس

فى أبيات (٢) .

وقال يهجو أمّه :

جَزاكِ اللهُ شرًّا من عَجوزٍ   ولقّاكِ العقُوقَ من البَنِينِ

فقد ملّـكت أمرَ بنيك حتى   تَركْتِهِم أدقّ من الطَحين

لسانُكِ مِبردٌ لا عيبَ فيه   ودَرُّكِ دَرُّ جاذبةٍ دَهين (٣)

وقال يهجوها أيضاً :

تنحَّىْ فاجْلِسِى منّي بعيداً   أراحَ اللهُ منك العالَمِينا

أَغِرْبالاً إذا استُودِعْتِ سرًّا   وَكانُوناً على المتحدِّثينا

حَياتُكِ ما عَلِمْتُ حياةُ سَوءٍ   وموتُكِ قد يَسُرُّ الصّالحينا

---

(١) فى الأغانى والشعراء : « شوه الله خلقه » .
(٢) انظر الأغانى ٢ : ٤٣ حيث الأبيات وقصتها
(٣) فى النسختين : « درجارية » صوابه فى الأغانى ٢ : ١٦٣ دار الكتب ، واللسان (دهن) . والجاذبة : الناقة جذبت لبنها من ضرعهـا فذهب صاعدا . والدهين : البكيئة القليلة اللبن .

وقال فى هجاء أبيه وعمّه وخاله :

لَحَاكَ اللهُ ثمّ لَحَاكَ حقًا أباً ، ولَحَاكَ مِن عمٍّ وَخالِ
فَنِعْمَ الشيخُ أنت لدى المَخَازِى[1] وبِئْسَ الشّيخُ أنتَ لَدَى المَعَالى
جَمعتَ اللُّؤْمَ ، لا حَيَّاكَ رَبِّى ! وأَبْوابَ[2] السَّفَاهَة والضَّلال

قال ابن قتيبة : ودخل الحطيئة على عُتيبة بن النهّاس العِجْلىّ ، فسأله فقال: ما أنا فى عمل فأعطيك من غدده[3] وما فى مالى فضلٌ عن قومى . فلما خرج ، قال له رجل مِن قومه : أتعرفه ؟ قال : لا . قال : هذا الحطيئة ! فأمر بردِّه ؛ فلما رجع قال : إنك لم تسلّم تسليمَ الإسلام ، ولا استأنست استئناسَ الجارِ ، ولا رحَّبتَ ترحيب ابنِ العمّ . قال : هو ذلك . قال : اجلس ، فلك عندنا ما تحبّ . فجلس فقال له : من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

ومن يَجعل المعروفَ من دونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ ، ومَنْ لا يتّقِ الشتمَ يُشْتَمِ

قال : ثم من ؟ قال : أنا ؟ فقال عتيبة لغلامه : اذهبْ به إلى السوق ، فلا يُشيرَنّ إلى شىء إلاّ اشتريتَه له . فانطلقَ به الغلام ، فجعل يعرِض عليه الحِبَرة واليَمْنَةَ وبياض مصر ، وهو يشير إلى الكرابيس والأكسيةِ الغِلاظ . فاشترى له بمائتى درهم ، وأوقر راحلتَه بُرًّا وتمراً ؛ فقال له الغلام : هل من حاجةٍ غير هذا ؟ قال : لا ، حسْبِي ؟ قال : إنَّه قد أمرنى أن لا أجعل لك علّة

---

(١) فى النسختين : « على المخازى » صوابه من الشعراء . ومنه ومن الأغانى نقل البغدادى جميع الأهاجى المتقدمة .

(٢) عند ابن قتيبة : « واسباب » .

(٣) وكذا فى الشعراء ٢٨٣ . وفى القاموس : « الغدة : القطعة من المال ج غدائد » . وفى شرح ديوان الحطيئة ٩٠ « ما أنا فى عدد فأعطيك من عدده » وكذا فى الأغانى : « من عدده »

فيما تريد . قال : حسبك لا حاجة بى أن يكون لهذا يدٌ على قومى أكثر من هذه . . ثم ذهب فقال :

سُئِلتَ فلم تَبْخَلْ ولم تُعْطِ طائلاً فَسِيَّانِ لا ذَمٌّ عليكَ ولا حَمْدُ

وأنتَ امرؤٌ لا الجودُ منك سَجِيَّةٌ فتُعطِي،وقد يُعدى على النائل الوُجْدُ

وأتى الحطيئةُ كعبَ بن زهير ، فقال له : قد علمتَ روايتى لـكم وانقطاعى إليكم ، وقد ذهب الفحولُ غيرى وغيرَك ، فلو قلتَ شعراً تبدأ فيه بنفسك ، ثم تثنّي بى ، فإنَّ الناسَ لأشعاركم أروىٰ . فقال كعب :

فمن للقوافى ، شانها مَنْ يحُوكُها إذا ماثوىٰ كعبٌ وفوَّزَ جرْوَلُ ؟

نقول ولا نَعيا بشىءٍ نقوله[1] ومِن قائليها من يُسِىء ويعمل

نُثَقِّفُها حتَّى تلينَ متونُها فيقصُر عنها كلُّ ما يُتمثّلُ

وفى الأغانى عن جماعة : أن الحطيئة لما حضرته الوفاة ، اجتمع إليه قومه فقالوا : أَوصِ ، يا أبا مُليكة . قال : ويلٌ للشعر من راوية السوء ! قالوا : أَوصِ يرحمك الله ! قال : مَن الذى يقول :

إذا نبضَ الرامُون عنها ترنَّمتْ ترنُّمَ ثَكلىٰ أَوْجَعتْهَا الجنائزُ

قالوا : الشّماخ . قال : أَبلغوا غطَفان أنّه أشعرُ العرب ؟ قالوا : ويحك ، أهذه وصيّة ؟ ! أَوصِ بما ينفعُك ! قال : أبلغوا أهل ضابىء[2] أنّه شاعر ، حيث يقول :

لِكلّ جديدٍ لذةٌ غير أنّني وجدتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذِ !

(١) فى النسختين : « ولا نعنى » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته ومن الأغانى ٢ : ٤٤

(٢) هو ضابىء بن الحارث كما فى أمثال الميدانى ٢ : ١٥٥

قالوا : أوص ، ويحك ، بغير ذا . قال : أبلغوا أهلَ امرئ القيس[١] أنه أشعر العرب ، حيث يقول :

فيالَكَ مِنْ ليلٍ كأنَّ نجومَهُ بكلِّ مُغارِ الفَتْل شُدَّت بِيَذْبُلِ !

قالوا : اتق الله ، ودعْ عنك هذا ! قال : أبلِغوا الأنصارَ أنّ صاحبَهم[٢] أشعرُ العرب ، حيث يقول :

يُغشَوْنَ حتى ما تهِرُّ كلابُهُمْ لا يَسألونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ

قالوا : إنَّ هذا لا يغنى عنك شيئاً ، فقل غير ما أنت فيه . فقال :

الشِّعْرُ صعبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ إذا ارتقى فيه الذى لا يَعْلَمُهْ

زَلَّتْ به إلى الحضيض قَدَمُهْ يريد أن يُعرِبَهُ فيُعْجِمُهْ

قالوا : هذا مثل الذى أنتَ فيه[٣] . فقال :

قَدْ كُنْتُ أحياناً شديدَ المعتَمَدْ وكنتُ ذا غَرْبٍ على خَصْمٍ أَلَدّ[٤]

فوَرَدَتْ نفْسى وما كادَت تَرِدْ

قالوا : يا أبا مليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، واللهِ ، ولكنْ أجزعُ على المديحِ الجيِّد يُمدحُ به مَنْ ليس له أهلاً . قالوا : فمن أشعر الناس ؟ فأومأ بيده إلى فيه ، وقال : هذا اللسان إذا طمع فى خير . واستعبرَ باكياً . قالوا له : قلْ : لا إله إلاّ الله . فقال :

---

(١) فى النسختين : « أبلغوا امرأ القيس » ، صوابه من الأغانى ٢ : ٥٧

(٢) يعنى حسان بن ثابت .

(٣) فى الأغانى : « الذى كنت فيه » .

(٤) الأغانى : « الخصم ألد »

قالتْ وَفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ   عَوْذٌ بربِّى مِنكم وحُجْرُ[١]

فقيل له : ما تقول فى عبيدك ؟ فقال : هم عبيدٌ قِنٌّ ما عاقبَ الليلُ النّهار . قالوا : فأوصِ للفقراء بشى . قال : أوصيهم بالإلحاح فى المسألة ، فإنها تجارةٌ لن تَبور ، واستُ المسئولِ أضيَق ! قالوا : فما تقول فى مالِكَ ؟ قال : للأنثى من ولدى مِثلاَ حظّ الذكر[٢] . قالوا : ليس هكذا قضى الله . قال : لكنّي هكذا قضيتُ . قالوا : فما توصى لليتامى ؟ قال : كُلوا أموالهم ، وَنيكوا أمّهاتِهم . قالوا : فهل شىء تعهَد فيه غير هذا ؟ قال : نعم ، تحملونى على أتانٍ ، وتتركونى راكبَها حتى أموتَ ؛ فإنّ الكريمَ لا يموت على فراشه ، والأتان مركَبٌ لم يمتْ عليه كريمٌ قطّ . فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها ، حتى مات .

٤١٢

وفى الإصابة لابن حجر : أنه عاش إلى زمن معاوية رضى الله عنه .

* * *

الاختصاص

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخمسون بعد المائة ، وهو من شواهدس[٣] :

١٥٠   (بِنا ، تميما ، يُكشَفُ الضَّبابْ[٤])

على أن المنصوب على الاختصاص ربما كان علَماً .

أقول : تميم ، هو تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر . وهذا ليس مرادَ الشاعر ، وإنما مراده القبيلة . و (الضَّباب) جمع ضَبابة ، وهو

---

(١) حجر ، بالضم ، أى رفع ، كما فى اللسان (حجر ٢٣٩) عند انشاد هذا الرجز .

(٢) كذا فى ط والأغانى . وفى ش : « مثل حظ الذكر » .

(٣) سيبويه ١ : ٢٥٥ ، ٣٢٧ وانظر العينى ٤ : ٣٠٢ وابن يعيش ٤ : ٣٠٢ وملحقات ديوان رؤبة ١٦٩

(٤) قبله فى الديوان :

* راحت وراح كعصا السيساب *

ندىً كالغبار يغشىٰ الأرضَ بالغَدَوات ؛ وأضَبَّ يومُنا بالهمزة : إذا صار ذا ضباب . فضرب الضَّبابَ مثلا لغمّة الأمر وشدّته ، أى بنا تُكشَفُ الشدائدُ فى الحروب وغيرها .

وأنشده س على أنَّ تميما منصوبٌ بإضمار فعل ، على معنى الاختصاص و الفخر .

و (بنا) متعلق بقوله : (يكشف) . وقدّم للحصر .

وهذا البيت من أرجوزة لرؤبة بن العجّاج وقد تقدّمت ترجمته فى الشاهد الخامس من أوائل هذا الكتاب(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والخمسون بعد المائة(٢) :

١٥١ (إنَّا بَنِي ضَبَّةَ ، لا نفرُّ)

على أنّ بَنِى ضبّة منصوب على الاختصاص ، تقديره : أخصّ بنى ضبّة الجملة معترضة بين اسم إنّ وخبرها ، وهو جملة لا نفرّ ، جىء بها لبيان الافتخار .

و (ضبّة) هو ابن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر . وأبناء ضبّة ثلاثة : سعد ، وسُعيد (بالتصغير) ، وباسل وهو أبو الدَّيلم .

قال أبو عُبيد القاسم بن سلّام : خرج باسل بن ضبّة مغاضباً لأبيه ، فوقع بأرض الديلم ، فتزوّج امرأة من العجم ، فولدت له دَيلماً . فهو أبو الديلم .

* * *

(١) ص ٨٩ من الجزء الأول

(٢) لم أجده فى غير الخزانة

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والخمسون بعد المائة(١) :

١٥٢ (لنا يومٌ وللكِرْوَانِ يومٌ   تَطِيرُ البائِساتِ ولا نَطِيرِ)

على أنَّ (البائساتِ) منصوب على الترحّم .

وهذا البيت من قصيدة لطرفة بن العبْد ، هجا بِها عَمرو بن المنذر بن صاحب الشاهد امرئ القيس ، وأخاه قابوسَ بن المنذر — وأمُّهما بنت الحارث بن عمرو الكندىّ آكل المُرار — وهذه أبياتٌ ثمانية منها :

أبيات الشاهد

(فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عَمرٍو   رَغُوثاً حولَ قُبَّتِنا تَخورُ

من الزَّمِراتِ أسبلَ قادِماها ،   وضرَّتُها مُرَكَّنَةٌ دَرورُ

يُشارِكنا لنا رَخِلانِ فيها   وتعلوها الكِباش وما تنورُ

لعمركَ ، إنَّ قابوسَ بنَ هندٍ   ليخلِط مُلكَه نَوكٌ كَثيرُ

قسمتَ الدهرَ فى زمنٍ رخىٍّ   كذاك الحكمُ يقصِدُ أو يجور ٤١٣

لنا يومٌ وللكروان يومٌ   . . . . البيت

فأمّا يَوْمُهُنَّ فيوم سوءٍ   تُطارِدُهنّ بالحَدَبِ الصُّقورُ

وأمّا يومُنا فنظلّ رَكْباً   وُقوفاً ما نَحُلُّ ولا نَسيرُ)

وكان السبب فى هذه القصيدة — على ما حكىٰ المفضّلُ بن سلمة فى كتابه (الفاخر) — أن عمرو بنَ المنذر ، كان يرشّح أخاه قابوس بن المنذر ليملك بَعده ، فقدِم عليه المتلمِّس وطرَفة ، فجعلهما فى صَحابة قابوس ، وأمرهما بلزومه . . وكان قابوسُ شابًّا يعجبه اللهوُ ، وكان يركب يوماً فى الصيد فيركض يتصيّد وهما معه يركضان ، حتى يرجعا عشيّة وقد تعبا ، فيكون قابوسُ من الغد

(١) الشعراء ١٤٠ والفاخر ٧٤ وديوان طرفة ٧

فى الشراب ، فيقفان بباب سُرادقه إلى العشىّ. فكان قابوس يوماً على الشراب ؛ فوقفا ببابه النهارَ كلّه ، ولم يصلا إليه ؛ فضجر طرَفة فقال هذه القصيدة .

وقال يعقوب بن السِّكِّيت ، والأعلم الشَّنتمرىّ (فى شرحهما لديوان طرفة) : إن عَمرو بن هند المذكور ، كان شِرِّيراً ؛ وكان له يوم بؤس ويوم نعمة ؛ فيومٌ يركبُ فى صيده يقتُل [أوّل[1]] مَن يَلقىٰ ، ويومٌ يقف الناسُ ببابه ، فإن اشتهىٰ حديثَ رجل أذِنَ له ، فكان هذا دهره كلّه . فهجاه طرفة وذكر ذلك بقوله : فليت لنا مكان . . الخ ، المَلْك ، بفتح الميم وسكون اللام وأصلُها الكسر : وصفٌ مِن ملك على الناس أمْرَهم : إذا تولّى السلطنة . ولنا : خبر ليتَ مقدَّم ، ورَغوثاً : اسمها مؤخّر ؛ ومكانَ الملك : ظرف ، وكان فى الأصل صفة لرَغوث فلمّا قدم صار حالاً . والرَّغُوث ، بفتح الراء وضم الغين المعجمة وآخره ثاء مثلثة : النعجة المرضِع ؛ يقال رغَث الغلامُ أمَّه : إذا رضِعها . وتخور : تصوِّت ؛ وأصل الخوار للبقر . فجعلَه طَرَفةُ للنعجة .

وقوله : من الزَّمِرات . . الخ ، بفتح الزاى المعجمة وكسر الميم أى القليلات الصُّوف ؛ وخصَّها لأنَّها أغزر ألباناً ؛ يقال رجل زَمِر المروءة : إذا كان قليلَها . والقادمان : الخِلْفان ؛ وأصل القادمين للناقة ، لأنّ لها أربعة أخلاف : قادمين ، وآخرين ؛ فاستعار القادمين للشاة . وأسبَل : طال وكمَل والضَّرّة ، بفتح الضاد المعجمة . لحم الضَّرع . والمركَّنة : التى لها أركان ، أى جوانب وأصل ؛ وقيل : هى المجتمعة . والدَّرُور ، بفتح الدال : الكثيرة الدَّرّ .

وقوله : يشاركنا . . الخ ؛ الرَّخِل ، بفتح الراء وكسر الخاء المعجمة : الأنثى من أولاد الضأنِ . ولنا : حال من رَخِلان ؛ وكان قبل التقديم صفة ،

(١) التكملة من ديوان طرفة

أي يشاركنا في لبنها رخلان لنا . وتَنور ، بالنون : تنفِر ، والنَّوّار : النَّفور . يصف غزارة دَرِّها وكثرةَ أولادها ، وأنَّها قد ألِفت الذكورَ فما تنفر منها .

وَقوله : نَوك كثير ، النوك بالنون : الحماقة ، وكثير : يروىٰ بالمثلّثة وبالموحَّدة . وكان قابوسُ يحمَّق ويُزَنُّ في نفسه .

وقوله : قسمتَ الدهر . . الخ ، هو بالخطاب ، على طريقة الالتفات : إمَّا من قابوسَ على قول المفضَّل بن سلمة ، وإما من عمرو على القول الآخر ، يخاطبه ويذكر ما كان من يوم صيده ويوم وقوف الناس ببابه . وقد بيّنه في الأبيات التي بعده . والرخيّ : السهل الليّن . وكذاك الحكم ، جملة اسميّة على حذف مضاف ، أي ذو الحكم . أرسلها مثلا . وقوله : يقصد . . الخ ، بيان لجهة التشبيه . ويقصِد : مِن قصَد في الأمر قصْداً ، من باب ضرب : إذا توسّط وطلب الأسدّ ولم يجاوز الحدّ . وقوله : لنا يوم . . الخ ، مبتدأ وخبر وروى في أكثر الروايات : ٤١٤

* لنا يوماً وللكِرْوان يوماً *

بنصب يوماً في الموضعين على أنَّه بدل كلٍّ من الدهر . والكِرْوان بكسر الكاف وسكون الراء ، قال الأعلم[1] : « هو جمع كَرَوان ، وهو طائر ، ونظيره شَقَذان وشِقْذان ، ووَرَشان وورْشان ، وحمار فَلَتان والجمع فِلْتان . وقد يكون كِرْوان جمعَ كَراً مثل فتًى وفِتْيان وخَرَب وخِرْبان » انتهى .

ولم يذكر في أمثاله أبو فيد مؤرِّج بن عمرو السَّدوسيُّ إلاّ الوجه الثاني كما تقدّم في الشاهد الرابع والأربعين بعد المائة[2] ، قال : قالوا : كَراً وكِرْوان مثل فتًى وفتيان . وأنشد هذا البيت .

---

(١) أي في شرح ديوان طرفة

(٢) أنظر ص ٣٧٤ من هذا الجزء

وزعم ابن السَّيِّد ، فيما كتبه على هذا الكتاب[١] : أنّ الكروان هنا مفرد بفتح الكاف والراء ، وأن التأنيث باعتبار قصد الأفراد من الجنس . انتهى .

والبائساتِ ، منصوب على الترحُّم كما يقال : مررت به المسكينَ . وفاعل تطير ، ضمير الكروان . ورُوى بالرفع أيضاً ، قال ابن السكّيت : وهو الأكثر وقال الأعلم : والرفع على القطع ، وقد يكون على البدل من المضمر فى تطير . وهو جمع بائسة ، من البُؤْس بالضم وسكون الهمزة ، وهو الضرّ ؛ يقال : بئِسَ ، بالكسر : إذا نزل به الضرّ ، فهو بائس : وقوله : لا نطير ، بنون المتكلّم مع الغير .

وقوله : فأمّا يومهنّ . . الخ السَّوء بفتح السين ؛ قال الأزهرىّ فى تهذيبه : « وتقول فى النكرة : هذا رجلُ سَوءٍ ، وإذا عرّفتَ قلتَ : هذا الرجل السَّوء ، ولم تُضِفْ . وتقول : هذا عملُ سَوءٍ ، ولا تقل عمل السَّوء ، لأن السَّوء يكون نعتاً للرجل ، ولا يكون السَّوء نعتاً للعمل ، لأن الفعل من الرجال ؛ وليس الفعل من السوء . كما تقول : قوْلُ صِدقٍ وقول الصدقِ ورجل صدقٍ ، ولا تقول رجل الصدق لأن الرجل ليس من الصدق » انتهى . ورُوى بدله (نحْسٍ) وهو بمعناه . والحدَب بفتح المهملتين : ما ارتفع من الأرض وغلظ . يقول : يوم الكِرْوان يومُ نحسٍ ، لمطاردة الصقور لهن . وقوله : ما نحُلّ ولا نَسير ، أى نحن قيام على بابه ، ننتظر الإذن ، فلا هو يأذن فنحلّ عنده ، ولا هو يأمرنا بالرجوع فنسير عنه . ونحُلُّ مضارع حلّ يحُل حُلولاً ؛ من باب قعد : إذا نزل .

---

(١) ش : « وزعم السيد » .

طرفة

و (طرَفة) ، هو طرفة بن العبْد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل. الشاعر المشهور .

وطرَفة بالتحريك ، فى الأصل : واحد الطَرْفاء وهو الأَثْل(١) ، قال فى القاموس : الطرَفة محركة : واحدة الطَّرْفاء ، وبها لقِّب طرَفة بن العبد ، واسمه عمرو ، ولقب ببيتٍ قاله(٢) .

وهو أشعر الشعراء بعد امرئ القيس . ومَرتَبته ثانى مرتبة ؛ ولهذا ثُنِّى بمعلّقته . وقال الشعرَ صغيراً . قال ابن قتيبة : هو أجود الشعراء قصيدةً . وله بعد المعلقة شعرٌ حسن . وليس عند الرواة من شعره وشعر عَبيدٍ إلاّ القليل . وقُتل وهو ابن ست وعشرين سنة .

وكان السبب فى قتله : أنه وفد مع خاله المتلمِّس على عمرو بن هند، فأكرمهما وبقيا عنده مدّة (قال المفضّلُ بن سلمة) : وكان لطرفة ابنُ عمٍّ عند عمرو ابن هند واسمه عبدُ عَمْرٍو بن بشر بن عمرو بن مَرثَد بن سعد بن مالك ابن ضُبيعة — وكان طرفة عدوًّا لابن عمّه عبد عمرو — وكان سميناً بادناً ، فدخل على عمرو بن هند الحمَّام ، فلما تجرّد قال عمرو بن هند : لقد كان ابن عمّك طرفةُ رآك حين ما قال — وكان طرَفة هجا عبدَ عمرو ، فقال فيه من جملة أبيات :

٤١٥

ولا خَـيْرَ فيه ، غير أنّ له غنًى وأنّ له كشحاً ، إذا قام ، أهضَما

---

(١) فى القاموس : « الطرفاء : شجر ، وهى أربعة أصناف ، منها الأثل، الواحدة طرفاءة وطرفة محركة » .

(٢) هو كما فى القاموس والمزهر ٢ : ٤٤١ :

لا تُعجِلا بالبـكاء اليوم مطرِّفاً ولا أميريكما بالدار إذ وقفا

فلما أنشد الأبياتَ لعبد عمرو قال له عبد عمرو : ما قال لك شرٌّ مما قال لى ؛ ثم أنشده :

فليتَ لنا مكانَ الملكِ عمرٍو . . (الأبيات المتقدِّمة)

فصدّقه عمرو بن هند وقال له : ما أصدّقك عليه — مخافةَ أن تدركه الرحمُ وينذرَه — فمكث غير كثير ، ثم دعا المتلمِّس وطرَفة ، وقال : لعلكما قد اشتقتما إلى أهلكما ، وسَرَّ كما أن تنصرفا ! قالا : نعم ! فكتب لهما إلى عامله على هجَر أن يقتلهما . وأخبرَهما أنه قد كتَب لهُما بحِباء ، وأعطى كلّ واحد منهما شيئاً فخرجا — وكان المتلمس قد أسنَّ — فمرَّا بنهر الحِيرة على غِلمانٍ يلعبون ؛ فقال المتلمس : هل لك أن ننظر فى كتابينا ، فإن كان فيهما خيرٌ مضينا له ، وإن كان شراً ألقيناها ؟ فأبىٰ عليه طرفة . فأعطى المتلمِّسُ كتابَه بعضَ الغلمان ؛ فقرأه عليه ، فإذا فيه السوء . فألقى كتابه فى الماء ، وقال لطرفة : أطِعْنى وألقِ كتابَك ! فأبىٰ طرفةُ ومضى بكتابه إلى العامل ، فقتله . ومضى المتلمّس حتى لحق بملوك بنى جَفنة بالشام اه .

وروىٰ يعقوبُ بن السكِّيت (فى شرح ديوانه) القصّةَ بأبسط من هذا ، قال : إنّ طرفة لمّا هجا عمرَو بنَ هند بالأبيات المتقدِّمة ، لم يَسمعها عمرو ابن هند . حتّى خرج يوماً إلى الصيد فأمعنَ فى الطلب ، فانقطع فى نفرٍ من أصحابه ؛ حتى أصاب طَريدتَه فنزل ، وقال لأصحابه : اجمعوا حطباً — وفيهم ابن عمٍّ طرفة — فقال لهم : أوقدوا . فأوقدوا ناراً وشوَىٰ . فبينما عمرٌو يأكل من شوائه وعبدُ عمرٍو يُقدّم إليه ، إذْ نظر إلى خَصْر قميصه منخرقاً ، فأبصر كشحه ، وكان من أحسن أهل زمانه جِسْما — وقد كان بينه وبين طرفة أمرٌ وقع بينهما منه شرٌّ ، فهجاه طرفة بأبيات — فقال له عمرو بن هند — وكان

سمع تلك الأبيات — : يا عبد عمرو ، لقد أبصر طرَفةُ حُسنَ كشحك ، ثم تمثّل فقال :

ولا خير فيه غيرَ أنّ له غنًى وأنّ له كشحاً ، إذا قامَ ، أهضَما

فغضِب عبدُ عمرو مما قاله وأنِف ، فقال : لقد قال للملك أقبحَ من هذا ! قال عمرو . وما الذى قال ؟ فندِم عبدُ عمرو ، وأبى أن يُسمعه. فقال .أسمِعْنيه ، وطرَفة آمِن. فأسمَعه القصيدةَ التى هجاه بها (وشرحنا منها ثمانية أبيات تقدّمت) فسكت عمرو بن هند على ما وقَر فى نفسه ، وكره أن يعجّل عليه ، لمكان قومه ؛ فأضرب عنه — وبلغ ذلك طرَفةَ — وطلب غِرّته والاستمكانَ منه ؛ حتى أمن طرفة ولم يخَفْه على نفسه ، فظنّ أنه قد رضى عنه . وقد كان المتلمِّس — وهو جرير بن عبد المسيح — هجا عمرَو بنَ هند . وكان قد غضب عليه ؛ فقدم المتلمّسُ وطرَفة على عمرو بن هند ، يتعرّضان لفضله . فكتب لهما إلى عامله على البحرين وهجَر . وكان عاملَه فيهما فيما يزعمون ربيعةُ بنُ الحارث العبدىّ ، وهو الذى كتب إليه فى شأن طرَفة والمتلمّس — وقال لهما : انطلقا إليه فاقبِضا جوائزَكما . فخرجا . فزعموا أنّهما لمّا هبطا النَّجف قال المتلمِّس: يا طرَفة ، إنّك غلامٌ غِرٌّ حديثُ السنّ ، والملكُ مَن قد عرَفتَ حِقدَه وغَدْره ، وكلانا قد هجاه ؛ فلست آمنا أن يكون قد أمر فينا بشرّ ؛ فهلمَّ ننظرْ فى كتابينا ، فإن يكن أمَر لنا بخير مضينا فيه ، وإن يكن قد أمر فينا بغير ذلك لم نُهلِك أنفسنا ! فأبى طرَفةُ أن يفكّ خاتَم الملِك ، وحرص[1] المتلمّس على طرَفة فأبى .

وعدَل المتلمّس إلى غلام من غِلمان الحيرة عِبادىّ فأعطاه الصحيفة ، فقرأها ، فلم يصل إلى ما أُمِر به فى المتلمس حتّى جاء غلامٌ بعده فأشرف فى الصحيفة

(١) الأغانى ٢١ : ١٢٥ : « وحرض » بالضاد المعجمة

لايدرى لمن هى(١) فقرأها فقال : ثَكِلَت المتلمسَ أمُّه ! فانتزع المتلمّسُ الصحيفةَ من يد الغلام ، واكتفى بذلك من قوله ، واتّبع طرفة فلم يدركه ، وألقى الصحيفةَ فى نهر الحيرة ، ثمّ خرج هاربا .

وقد كان المتلمّس فيما يقال قال لطرفة حين قرأ كتابه : تعلّم ، أنّ فى صحيفتك لَمِثل الذى فى صحيفتى ! فقال طرفة : إن كان اجترأ عليك فما كان ليجترئ علىّ ، ولا ليغرّنى ، ولا ليقدم علىّ ! فلما غلبه سار المتلمّس إلى الشام ، وسار طرفة حتى قدِم على عامل البحرَين وهو بهجَر . فدفع إليه كتابَ عمرو بن هند ، فقرأه فقال : هل تعلم ما أُمرتُ به فيك ؟ قال : نعم ، أمرتَ أن تجيزنى وتحسنَ إلىّ . فقال لطرفة : إن بينى وبينك لخئولةً أنا لها راعٍ ، فاهرُبْ من ليلتك هذه ، فإنى قد أُمِرتُ بقتلك ؛ فاخرجْ قبل أن تصبح ويَعلم بك الناس ! فقال له طرفة : اشتدَّتْ عليك جائزتى وأحببتَ أن أهرُبَ وأجعلَ لعمرو بن هند على سبيلا ، كأنّى أذنبت ذنبًا ؟ ! واللهِ لا أفعلُ ذلك أبدا ! فلما أصبح أمرَ بحبسه . وجاءت بكرُ بن وائل فقالت : قدِمَ طرَفة ! فدعا به صاحبُ البحرَين ، فقرأ عليهم كتابَ الملك ، ثمّ أمر بطرفة وحُبِس ، وتكرَّم عن قتله ، وكتب إلى عمرو بن هند : أن ابعثْ إلى عَمَلك(٢) ، فإنّى غير قاتل الرجل . فبعث إليه رجلاً من بنى تغلب ، يقال له عبد هند ابن جرذ(٣) ، واستعمله على البحرين وكان رجلاً شجاعًا ، وأمره بقتل طرفة

(١) ط : « من هو » صوابه فى ش . وفى الأغانى : « لايدرى ممن هى » وانظر القصة هناك مروية عن ابن السكيت

(٢) كناية عن استقالته . وانظر شرح القصائد السبع ١٢٧

(٣) فى نوادر المخطوطات ٢ : ٢١٤ وشرح القصائد السبع الطوال ١٢٧ : « عبد هند بن جَرَد » . وفى احدى نسخ القصائد السبع : « بن خُرَّد » ط : « عبد بن هند » تحريف ، صوابه فى ش وشرح القصائد السبع

وقتل ربيعة بن الحارث العبدىّ فقدمها عبدهند ، فقرأ عهدَه على أهل البحرَين ، ولبث أيّاماً . واجتمعت بكر بن وائل فهمّت به ، وكان طرفة يحضّضهم . وانتدَب له رجلٌ من عبد القيس ثم من الحوَاثر يقال له « أبوريشة » فقتلَه . فقبْرُه اليوم معروف بهجَر .

وزعموا أنّ الحواثر ودَته إلى أبيه وقومه(١) .

وقالت أخت طرفة تهجو عبد عمرو ، لِما كان من إنشاده الشعر للملك :

ألا ثكلتْكَ أمكَ عبدَ عمرو أبِالخَرباتِ آخيتَ الملوكا

همُ دحوْكَ للورِكين دحًّا ولو سألوا لأعطيت البُروكا

ورثتْ طرفةَ أخته بقولها(٢) :

عَدَدنا له ستًّا وعشرين حِجَّةً فلما توفَّاها استوىٰ سيِّداً ضَخْما

فُجِعْنا به لـمّا رجَونا إيابَهُ على خيرِ حالٍ : لاوَليداً ولا قَحْما

اهـ . ومثله فى (كتاب الشعراء لابن قتيبة) قال : وكان طرَفة فى حسبٍ من قومه جريئاً على هجائهم وهجاءِ غيرهم . وكانت أخته عند عبد عمرو بن بِشر بن مرْثد ، وكان عبدُ عمرو سيِّد أهلِ زمانه ، فشكت أخت طرَفة شيئاً من أمر زوجها إليه ، فقال :

ولا عيب فيه غير إن له غنًي . . . . . البيت

وإنّ نساء الحىّ يعـكُفن حولَه يقلْن عَسب من سَرارةِ مَلْهَماَ

(وأهضم : منقبض . وسَرارة بالفتح : خيار . ومَلْهَم ، بالفتح : موضع

---

(١) وكذا فى شرح القصائد السبع والأغانى ٢١ : ١٣٢ وفى ط فقط : « ردته الى أبيه وقومه » ، تحريف

(٢) ش : « ورثت طرفة بقولها » .

كثير النخل) فخرج عمرو بن هند يتصيَّد ، ومعه عبدُ عمرو ، فأصاب حماراً فعقَره ، فقال لعبدعمرو : انزلْ إليه ! فنزل إليه فأعياه ، فضحك عمرو بن هند وقال : لقد أبصرَك طرَفةُ حين قال :

٤١٧ ولاعيبَ فيه غير أنّ له غنًي . . . . البيت

وقال فى آخرها : ويقال : إنّ الذى قتله المعلّى بن حنش[١] العبدى والذى تولى قتله بيده معاوية بن مرة الأيفلّى[٢] حىٌ من طَسْم وجَديس .

ثم قال : وكان أبو طرفة مات ، وطرَفةُ صغير ، فأبى أعمامه أن يقسِموا ماله ، فقال :

ما تَنظُرونَ بحقِّ وَرْدةَ فيكمُ صَغُرَ البنونَ ورهط وَردةَ غُيَّبُ[٣]
قد يَبعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُه حتّي تظلّ له الدماء تَصببُ
والظُّلم فَرَّقَ بين حيَّي وائلٍ بكرٌ تساقيها المنايا تغلِب
والصِّدقُ يألفه الكريم المرتجىْ والكِذْب يألفه الدنىء الأخيَب

ويقال : إنّ أول شعرٍ قاله طرفة ، أنه خرج مع عمّه فى سفر ، فنصَب فخًّا فلما أراد الرحيل قال :

يالكِ من قُبَّرةٍ بِمَعْمَرِ خلا لكِ الجوّ فبيضى واصفِرى
ونقِّرى إن شئت أن تُنقِّرى قد رُفِعَ الفخّ ، فماذا تحذَرى
لا بدَّ يوما أن تُصادى فاصبرى . اهـ

---

(١) ط : « خش » ، صوابه فى ش والشعراء ١٣٨

(٢) وردت هذه الكلمة مهملة الاعجام فى النسختين ، واعجامها من الشعراء ١٣٨

(٣) ط : « صفر البنون » ، صوابه فى ش والشعراء . ووردة أم طرفة كما فى الشعراء

وعمرو بن هند المذكور هو من ملوك الحيرة . كان عاتياً جبّاراً ، ويسمى محرّقا أيضاً ، لأنه حرّق بنى تميم ، وقيل : بل حرّق نخل اليمامة . والنعمانُ ابن المنذر صاحبُ النابغة أخو عمرو بن هند[١] . وسيأتى إن شاء الله تعالى ، نسبةُ عمرو بن المنذر فى نسبة أخيه النعمان بن المنذر[٢] فى الشاهد الثالث بعد هذا .

(تتمـة)

ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف مَن اسمُه طرفة من الشعراء أربعة ، أوّلهم هذا .

من اسمه طرفة

و (الثانى) طرفة بن ألاءة بن نَضْلَة بن المنذر بن سَلمىٰ بن جَنْدَل بن نهشَل بن دارم .

و (الثالث) طرفة الجَذَمىّ أحد بنى جَذيمة العبسى[٣] . و (الرابع) طرفة أخو بنى عامر بن ربيعة .

* * *

(١) صاحب النابغة هذا هو النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرىء القيس بن عدى . وأما عمرو فهو عمرو بن هند نسب الى أمه ، واسـمه عمرو بن المنذر بن امرىء القيس . انظر العمدة ٢ : ١٧٩ فعمرو بن هند عمه لا أخوه . وسيأتى ذلك فى الشاهد ١٥٥ نقلا عن العمدة . فيبدو أن صواب العبارة « ابن أخى عمرو بن هند »

(٢) كذا . والوجه « فى ترجمة ابن أخيه النعمان بن المنذر » حسب ما يفهم من نص العمدة الذى اعتمد عليه البغدادى

(٣) فى المؤتلف ١٤٦ : أحد بنى جذيمة بن رواحة بن قطيعة بن عبس بن بغيض » . وفى القاموس : « طرفة الخزيمى من بنى خزيمة بن رواحة » تحريف . وانظر جمهرة ابن حزم ٢٥١

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد المائة ، وهو من شواهد سيبويه[١] :

١٥٣ (ويَأوِى إلى نِسْوَةٍ عُطلٍ وشُعْثاً مَراضيعَ مثلَ السعالى)

على أن قوله : (شُعثاً) منصوبٌ على الترحّم كالذى قبله .

قال سيبويه : وشعثاً منصوب باضمار فعل . قال الأعلم : « لأنه لما قال : نسوةٍ عُطّل ، عُلِم أنهنّ شُعْثٌ . فكأنه قال : وأذكرُهنّ شعثاً . إلاّ أنه فعل لا يظهر ، لأن ما قبله دلّ عليه فأغنى عن ذكره » .

وقال ابن خلف : الشاهدُ أنّه نصَب شُعثاً ، كأنه حيث قال : إلى نسوة عُطّل ، صرن عنده ممّن عُلِم أنهنّ شُعث ولكنه ذكر ذلك تشنيعاً لهنّ وتشويهاً . قال الخليل: كأنه قال : أذكرهنّ شعثاً ، إلا أنّ هذا فعلٌ لا يستعمل إظهاره ، لأن ما قبله قد دلّ عليه فأغنيَ عن ذكره ، على ما يجرى الباب عليه فى المدح والذمّ[٢] .

٤١٨ وأنشده سيبويه فى موضع آخر[٣] أيضاً قبل هذا يجرّ شعثٍ عطفاً على عطّل . وقال[٤] : « وإن شئت جررت على الصفة . وزعم يونس أن ذلك أكثر ، كقولك مررت بزيد أخيك وصاحبِك » . ثم قال[٥] : « ولو قال : فشُعْثٌ ، بالفاء لقبُح » .

---

(١) سيبويه ١ : ١٩٩ ، ٢٥٠ وانظر العينى ٤ : ٦٣ وابن يعيش ٢ : ١٨ والهذليين ٢ : ١٨٤ ومعانى الفراء ١ : ١٠٨

(٢) انظر سيبويه ١ : ٢٥٠ وقارن ما نقل هنا عن الخليل بما هو مسطور هناك

(٣) يعنى ١ : ١٩٩ وفى ط : « فى مواضع أخر » . صوابه فى ش

(٤) يعنى فى ص ٢٥٠ لا ص ١٩٩ .

(٥) أى فى ص ١٩٩ لا ص ٢٥٠ .

قال النحّاس : ومعنى قوله : لقبُح : لايجوز . لأنّ عطّلاً وشعْثاً صفتان ثابتتان معاً فى الموصوف ، فعطفت إحداهما على الأخرىٰ بالواو ، لأن معناها الاجتماع ؛ ولوعطفت بالفاء لم يجزْ لأنّه لم يُرِدْ أنّ الشعَثَ حصل لهنّ بعد العطَل .

وأورد هذا البيتَ صاحبُ الكشّاف عند قوله تعالى : (وَأُولُو العِلْمِ قائِماً بالقِسْطِ(١)) على أن المنتصب على المدح كما يجيء معرفة يجيء نكرة ، كما فى شعثاً فإنه منصوبٌ على الترحّم .

وأورده أيضاً ابنُ الناظم وابنُ هشام فى شرح الألفيّة ، على أن قوله : شُعثاً ، منصوب بفعل مضمر على الاختصاص ، ليبيّن أنّ هذا الضربَ من النساء أسوأ حالاً من الضرب الأوّل الذى هو العُطّل منهنّ . ومثل هذا يسمّىٰ نصباً على الترحّم .

قال ابن الحاجب (فى أماليه) : لايجوز أن يكون شُعثاً منصوباً مفعولا معه ، لأن شرطه التشريك مع المرفوع فى نسبة الفعل . وقد توهّم مَن لاعِبرة به جوازَ : سرت والجبلَ ؛ وهو غير جائز ، إذ الجبل لا يسير ؛ ولو سُلّم جوازُه فلا بدّ من تأويله ، وهو أن يجعل كأنّ كلّ جزءٍ من الجبل سائر ، لأنه إذا سار من موضعٍ [من(٢)] نواحى الجبل فذاك مفارقٌ له .

والبيتُ مطلق الروىّ ، فهو بكسر اللام من السعالى ، كما أنشده سيبويه . قال النحّاس : هكذا أخذناه عن أبى إسحاق ، وأبى الحسن ، وهو الصواب . وأنشد هذا البيت العَروضيّون ، منهم الأخفش سعيد : « مثلَ السعَالْ » بإسكان اللام . ولا يجوز إلاّ ذلك على ما رووه ؛ لأنهم جعلوه من المتقارَب من الضرب الثانى من العروض الأولى .

(١) الآية ١٨ من آل عمران
(٢) التكملة من أمالى ابن الحاجب مخطوطة دار الكتب رقم ٢٦ نحو

وقوله : (ويأوى . الخ) فاعل يأوى ، ضميرُ الصيّاد : أى يأتى مأواه ومنزله إلى نسوة . وعُطّل : جمع عاطل،قال فى الصحاح : « والعَطَل بالتحريك : مصدر عطِلت المرأة : إذا خلا جِيدُها من القلائد ، فهى عُطْل بالضم وعاطل ومِعطال . وقد يُستعمل العَطَل فى الخلو من الشيء ، وإن كان أصله فى الحلى ، يقال عطِل الرجل من المال والأدب فهو عُطل ، بضمّة وبضمّتين » . وهذا هو المراد هنا ؛ لأن المعنى : أنَّ هذا الصيّاد يَغيب عن نسائه للصيد ، ثم يأتى اليهنّ فيجدُهُنّ فى أسوأ الحال .

و (الشُّعْث) جمع شَعثاء ، من شعِث الشعر شَعَثاً فهو شعِث ، من باب تعب : تغيّر وتلبّد لقلّة تعهُّده بالدهن ؛ ورجل أشعث وامرأة شعثاء . و (المراضيع) : جمع مِرضاع ، بالكسر وهى التى تُرضِع كثيراً .

و (السَّعالى) بفتح السين ، قال أبو علىّ القالىّ ، فى كتاب المقصور والممدود : السِّعْلى ، بالكسر وبالقصر : ذَكَر الغِيلان ، والأنثى سِعلاة : وقال الأصمعىّ : يقال : السِّعلاة : ساحرة الجنّ . حدّثنا أبو بكر بن دريد قال : ذكر أبو عبيدة ، وأحسب الأصمعىّ قد ذكره أيضاً ، قال لقيَت السِعلاةُ حسّانَ بنَ ثابت فى بعض طرُقات المدينة — وهو غلام ، قبل أن يقول الشعر — فبركت على صدره ، وقالت : أنتَ الذى يرجو قومُكَ أن تكون شاعرَهم ؟ ! قال : نعم ؟ قالت : فأنشدْنى ثلاثة أبيات على روىٍّ واحد ، وإلاّ قتلتُك ؟ فقال :

إذا ما ترَعرعَ فينا الغلامُ   فما إنْ يُقال له : مَنْ هُوَهْ
إذا لم يَسُد قبلَ شدّ الإزارِ   فذلك فينــا الذى لا هُوَه
ولى صاحبٌ من بنى الشَّيْصَبانِ   فحيناً أقولُ وحينــاً هوه

٤١٩

فخلّتْ سبيله . اهـ .

والشَّيصبان ، بفتح الشين المعجمة وبعدها ياء مثنّاة تحتيّة وبعدها صاد مهملة مفتوحة وبعدها باء موحدة ، قال ابن دريد فى الجمهرة : هو ابن جنّىّ من الجن . . وأنشد هذا البيت .

وروى أبو سعيد السكّرىّ هذا البيت فى أشعار هذيل كذا :

له نسوةٌ عاطلاتُ الصدو ... رِ عُوجٌ مراضيعُ مثلُ السَّعالى(١)

وقال : عُوج : مهازيل مثل الغِيلان فى سوء الحال ؛ هو جمع عَوجاء . قال فى الصحاح : « والعوجاء : الضامرة من الإبل » . وعلى هذه الرواية فلا شاهد فى البيت .

وهذا البيت لأميّة بن أبى عائذ الهذلىّ من قصيدة طويلة عدتها ستة وسبعون بيتاً(٢) ، على رواية أبى سعيد السكّرىّ (فى أشعار الهذليّين) وهذا مطلعها :

(إلا يا لَقومِ لِطَيف الخيالِ ... يؤرِّقُ من نازحٍ ذى دَلال(٣))

الطَّيف هنا مصدر طاف الخيال يَطيف طَيفاً . ويؤرّق : يسهِّد . وقوله : من نازح ، أى من حبيب بعيد .

وهذا من أبيات سيبويه ؛ أورده شاهداً على فتح اللام الأولى وكسر

---

(١) ط : « مراضع » صوابه من الهذليين وتصحيح الشنقيطى فى نسخته

(٢) الحق ان عدتها ٨٣ بيتا كما فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ٤٩٤ ـ ٥١٤ بتحقيق عبد الستار فراج

(٣) يالقوم ، بكسر الميم ، وكما قال الصبان فى حاشيته ٣ : ١٦٦ : « بحذف ياء المتكلم والدلالة بالكسر عليها »

الثانية فرقا بين المستغاث به والمستغاث من أجله . قال سيبويه[١]: معناه : مَن لطيف الخيال من نازحٍ ذى دلال يؤرّقنى . وذكّر النازح لأنَّه أراد الشخص . والدلال : الدلالة بحسنٍ ومحبّةٍ ونحوها .

(أجاز إلينـا على بُعدِه ، مَهاوىَ خَرْقٍ مَهَابٍ مَهَالِ)

أجاز الخيالُ : أى قطع إلينا على بعده . مَهاوى : مواضع يُهوَى ويسقَط فيها وهو مفعول أجاز . والخرق ، بالفتح : الفلاة الواسعة تنخرق فيها الرياح . ومَهَاب ، بالفتح : موضع هَيبة[٢] . ومَهال : موضع هَوْل .

(صحَارٍ تَغَوَّلُ جِنَّانُها وأحدابَ طَودٍ رفيع الجبالِ)

صحارٍ : جمعُ صحراء . وتغوّلُ : تتلوَّن كالغول . والجِنّان بالكسر : جمع جانّ ، وهو أبو الجنّ . وأحداب ، منصوب بالعطف على مهاوىَ ، وهو جمع حدَب بالتحريك ، وهو ما ارتفع من الأرض .

(خيالُ لَجعْدَةَ قد هاج لى نُكَاساً من الُحبِّ بعد اندِمالِ)

أى ذلك الخيالُ خيالُ جعدةَ . يقال : عرض لى نُكس و نُكاس بضمهما . واندمل : أفاق بعضَ الإفاقة .

(تَسَدَّىْ مع النوم تِمثـالها دُنُوَّ الضَّباب بطَلٍ زُلالِ)

---

(١) انظر كتاب سيبويه ١ : ٣١٩ ولعل الكلام : « قال شراح أبيات سيبويه » . ورواية البيت فى سيبويه والأعلم :

ألا يالقـوم لطيف الخيـال أرق من نـازح ذى دلال

ففيه الخرم فى أول الشطر الثانى كقول امرىء القيس :

* وابن جريج كان فى حمص أنكرا *

أو تكون لام « الخيال » فى أول الشطر الثانى فتكون العروض محذوفة .

(٢) ط : « هبة » ، صوابه فى ش .

أى غشِينا خيالُها كما تغشّى الضبابُ الأرضَ . الأصمعى : الضَّباب : الغيم . والطَّلّ : الندىٰ . والزُّلال : الصافى .

(فباتتْ تسائِلنا فى المنـامِ وأحبِبْ إلىّ بذاك السؤالِ[1])

(تُثَنِّي التحيةَ بعـد السلامِ ثُمَّ تَفَدَّى بعمٍّ وخالِ)

(فقدْ هاجنِي ذكرُ أمِّ الصبيِّ مِن بعد سُقْم طويلِ المِطال)

٤٢٠

أى المطاولة .

(ومَرِّ المنونِ بأمرٍ يَغو لُ من رُزْء نفسٍ ومن نَقص مالِ)

مرٍّ بالجر عطف على قوله من بعد سُقم .

(إلى الله أشكو الذى قدْ أرىٰ من النائبـات بعاف وعالِ)

أى تأخذ بالعفو والسهولة أو تقهر[2] فتعلو وتعظم ؛ يقال عاله الأمر : إذا تفاقم به ، شـكا إلى الله ما أصابه من دهره .

(وإطلالَ هـذا الزَّمانِ الذى يُقلِّبُ بالنـاس حالاً لحالِ[3])

معطوف على الذى وهو مصدر أطلّ على الشىء بمعنى أشرف عليه .

(وجَهدَ بلاءٍ إذا ما أتىٰ تَطاوَلُ أيّامُه والليـالى)

عطف على الذى أيضاً .

(فسَلِّ الهُموم بعَيرانةٍ مُواشكةِ الرَّجْعِ بعدالنِّقالِ[4])

أى سريعُ رجعُ يديها . والمناقلة : ضرب من السير .

(١) ويروى : « فبات يسائلنا »
(٢) ط : « أى تقهر » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته
(٣) ويروى : « تقلب بالناس »
(٤) ط : « انتقال » ، وهى رواية صحيحة أيضا ، لكن التفسير بعده يقتضى ما اثبت من ش

ثم أخذ فى وصف ناقته . . إلى أن شبهها بحمار الوحش ، ووصفه بشىء كثير إلى أن ذكر أنه أورد أُتُنَهُ المـاءَ . . فقال :

(فلما وردنَ صَدرن النَّقيلَ أوبَ مرَامى غوىٍّ مُغالى)

النقيل : المناقلة فى السير ، وأصله إذا وقع فى حجارةٍ ناقَل ، وهو أن ينقل قوائمه يضعها بين كلِّ حجرَين . والمُغالى : المرامى الذى يغالى فى الرمى غيرَه ، ينظران أيُّهما[1] أبعدُ سهماً . يقول : آبت كأوب السهام . وأوبها إذا نزع النازع فى القوس ، فإذا أرسل السهم فقد آب من حيث نزع .

(فأسلـكها مرْصَداً حافظاً به ابنُ الدُجىْ لاصقاً كالطِّحَالِ)

أى فأسلَـكَها الفحل ، وهو حمار الوحش ، مَرصداً ، أى مكانا يرصُـد به الرامى الوحش . وقوله : به ، أى بالمرصد . وابن الدُّجىْ : الصيّاد ؛ وهو جمع دُجْيَة ، وهى بيت الصائد ، تكون حَفيرةً يسترفيها لئلَّا يراه الوحش . وقوله : لاصقاً . . الخ ، يقول : قد لصِق الصيّاد بأرضِ حَفيرته ليخفىْ عن الصيد كما لِصق الطِّحالُ بالجنب .

(مُقِيتاً مُعيداً لأكل القَنيصِ ذا فاقةٍ ملحماً للعيـالِ)

المُقيت : المقتدر ، من أقات على الشىء بمعنى اقتدر عليه . والمعيد : الذى قد اعتاد صيدَ القنيص . والملحِم : اسم فاعل من أَلحم[2]: إذا أطعم اللحم.

(ويأوى إلى نسوةٍ عُطّل . . . البيت)

---

(١) فى النسختين : « الذى يغالى فى الرمى أيهم » وتكملة العبارة وتصحيحها من السكرى ٥٠٧ والترقيم هناك موهم فصححه كما هنا . وفى السكرى : « أبعد غلوا » .

(٢) ط : « لحم » صوابه فى ش

فاعله ضمير ابن الدُّجىٰ وهو الصيّاد .

(تَرَاحُ يداه بمحشُورةٍ[١] خَواظِى القِداحِ عِجَافِ النِصَالِ)

فى الصحاح : « راحت يدُه بكذا : خفَّت له » . والمحشورة : نَبْل قد ألطِف قُذَذُها ، وهو أسرع لها وأبعد. وخواظى القداح : جمع خاظية ، أى متينة مكتنزة . والقداح : جمع قِدْح بالكسر ، وهو عُود السهم . وعجاف النصال : أى قد أُرهِفت حتى دقّت[٢] .

ثم وصف قوسَه ونِبالَه وصدقَ رميه . . إلى أن قال :

٤٢١

(فعمّا قليلٍ سَقاها معاً بمُزْعِفِ ذِيْفانِ قِشْبٍ ثُمالِ)

المزعِف[٣] : الموت السريع . والذِّيفان : السم . والقِشْب ، بالكسر : أن يُخلط بشىء ليَقتُل . وثُمال ، بالضم : مُنَقَع . شبّه السهام به .

(سِوى العِلْج أخطأه رائغاً بشَجراء ذات غِرارٍ مُسَالِ)

يقول : سقاها بمزعف[٤] سوى العِلج ، أخطأه فلم يصبه . والعِلج ، بالكسر : الحمار الغليظ . وشَجْراء : صقيلة عريضة . وغرارها : حدّها . ومُسَال : ممطول ، ومنه خد أسيل وأُسال[٥] .

(فَجالَ عليهنّ فى نَفْرِه ليَفتَنَّهُنَّ لزَوْلِ الزَّوالِ)

---

(١) فى النسختين : « تروح » ، صوابه مما يقتضيه التفسير التالى ، من شرح الهذليين .
(٢) ط : « رقت » بالراء . وفى شرح السكرى : « وعجاف : مرهفة رقاق » .
(٣) حورها الشنقيطى هنا وفى متن البيت الى « المذعف » بالذال ، وكلاهما صحيح وان كانت رواية السكرى بالزاى
(٤) جعلها الشنقيطى : « بمذعف » .
(٥) كذا فى النسختين ، ولم أجده

جال عليهن : أقبلَ واعتمد عليهن فى نفْره حتى نفر . ليفتَنْهنّ : أى ليشتَق بهن[١] ، أى ليزول بهن عن الرامى[٢] .

(فلمّا رآهُنَّ بالجَلْهَتَين يَكبُون فى مُطْحَرَاتِ الإلاَلِ)

الجَلْهة : ما استقبلت من الوادى . يكبُون فى مُطحَرات ، يعنى سهاما . والمطحَر : الملزق . والإلال بالكسر : جمع ألّة ، بالفتح والتشديد ، وهى الحرْبة .

(رمىٰ بالجراميز عُرْض الوَجين وأرمَدَّ فى الجرى بَعدَ انفتالِ[٣])

رمى : أى الحمار ، يقال : رمى بالجراميز أى بنفسه . والوَجين : ما اعترض لك من غلظ . وارمدّ : أسرع فى العدْو بعد أن كان انفتل انفتالةً فجال .

ثمّ وصَفَ الحمارَ بشدّة عدْوه حينما نفر من الصيّاد ورأىٰ اتّنَه مصرعَة . . إلى أن قال :

(أُشبّـه راحلتى ما ترىٰ جَواداً ، ليُسمَع فيها مقالى
وأنجُو بها عن ديار الهوا نِ غيرَ انتحالِ الذليل المُوالى)

بها : أى براحلتى . والمُوالى : الذى يقول أنا مولاك . يقول : ليس كما ينتحلُ الذليلُ الموالى . أى لا أقول ذلك ولا أفعله أى انتحالا .

(وأطّلبُ الحبَّ بعدَ السُلوُّ حتّى يقالَ : امرؤٌ غيرُ سالِ)

---

(١) فى النسختين : « ليشنق بهن » ، صوابه فى شرح السكرى واللسان « فتن » وفيه : « افتن الحمار بأتنه واشتق بها : اذا أخذ فى طردها وسوقها يمينا وشمالا ، وعلى استقامة وعلى غير استقامة ، فهو يفتن فى طردها أفانين الطرد » .

(٢) ط : « عن الرى » ، صوابه فى ش والسكرى .

(٣) ط : « بالحراميز » و « أرمد » ، صوابه فى ش والسكرى

اشتهى أن يعاود الحبَّ والهوى ، بعد ما رأى الناسُ أنه قد أقلع

(أسلِّى الهُمومَ بأمثالها وأطوى البلادَ وأقضى الكَوالى)

أى وأقضى ما تأخر علىَّ من الحقوق . يقالَ دَيْنٌ كالىءٌ : إذا تأخر .

أى أقضى الدَّين بوفادةٍ على هذه الراحلة ، إلى ملك ؛ أو أضرب فى الأرض لمكسب

(وأجعلُ فُقْرَتَها عُدَّةً إذا خِفتُ بَيُّوتَ أمرٍ عُضالِ)

وهذا آخر القصيدة(١) يقال : بعير ذو فُقْرة : إذا كان قويًّا على الركوب . وبَيُّوت : هو أمرٌ جاء بَياتاً . وعُضال : شديد . يقول : أجعلُها عُدَّة ، إذا نزل بى أمرٌ معضل هربَت عليها .

أمية ابن أبى عائذ

و (أميّة) هذا ، هو أمية بن أبى عائذ . (بالذال المعجمة) العَمْرى . أحد بنى عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل(٢) . . شاعر إسلامىٌّ مخضرم ، على ما فى الإصابة عن المرزبانىّ .

وفى الأغانى : أنه من شعراء الدولة الأموية وأحدُ مدّاحهم . له فى عبد الملك ابن مروان وعبد العزيز قصائد(٣). وقد وفد إلى عبد العزيز بن مرْوانَ بمصر ، وأنشد قصيدته التى أولها(٤) :

---

(١) آخرها فى رواية الأصمعى فقط . والا فان بعدها بيتين آخرين ، من رواية الجمحى كما فى شرح السكرى ٥١٤

(٢) فى النسختين : « تيم بن سعد بن هذيل » ، صوابه من الأغانى ٢٠ : ١١٥ وجمهرة ابن حزم ١٩٧ والمعارف ٣٠ قال ابن قتيبة : « والعدد فى سعد بن هذيل ، تميم بن سعد ، وحريث بن سعد ، ومنعة بن سعد ، وخزاعة بن سعد ، وجهامة بن سعد ، وغنم بن سعد » .

(٣) فى الأغانى : « قصائد مشهورة » .

(٤) الأبيات فى الأغانى ٢٠ : ١١٥ ــ ١١٦ أحد عشر بيتا . والثالث هنا ليس فيها ، وانما هو فى شرح السكرى لأشعار الهذليين حيث أخذ المصنف الأبيات .

ألاَ إنَّ قلبي مع الظاعنينا حَزين ، فمن ذا يُعزِّى الحزينا
وسار بمدحةِ عبدِ العزيـ ـز ركبانُ مكّةَ والمنجدُونا
وقد ذهبُوا كلَّ أوبٍ بها فكلُّ أناس بها مُعجَبونا
محبَّرة ، من صحيح الكلا م ، ليستْ كما لفَّق المحدثونا

وطال مُقامه بمصر عنده ، وكان يأنس به ، ووصله بصلات سَنيّة ؛ فتشوّق إلى البادية وإلى أهله ، فأذِنَ له ووصَله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائة (١) :

١٥٤ (لحا اللهُ جرْماً كُلّما ذرّ شارقٌ
وُجُوهَ كِلاب هارَشَتْ فازبَأرَّتِ)

على أن قوله : (وجوهَ كلاب) منصوبٌ على الذمّ .

وهذا البيت من أبيات لعمرو بن معْدِ يكرِبَ . وهي :

(ولمّا رأيتُ الخيلَ زُوراً ، كأنَّها جَداولُ زرْعٍ أُرسِلَتْ فاسبَطَرَّتِ
فجاشتْ إلىَّ النفسُ أوّلَ مرةٍ فرُدَّتْ على مكروهها فاستقرَّت
عَلامَ تقولُ الرمحَ يثقِلُ عاتقى إذا أنا لم أَطعنْ إذا الخيلُ كرَّتِ
لحا اللهُ جَرْماً كلّما ذرّ شارقٌ وجوهَ كلاب هارشت فازبأرَّت
فلم تُغنِ جَرْمٌ نَهْدَها أنْ تلاقيا (٢) ولكنَّ جَرْماً فى اللِّقاء ابذَعَرَّت) .

(١) الحماسة بشرح المرزوقى ١٦٠ والحيوان ١ : ٣١٨ والسمط ٣٦٦

(٢) وكذا فى الحماسة ١٦١ برواية : « اذ تلاقيا » . وروى : « أن تلاقتا » .

ظلِلْتُ كأنّي للرماحِ دَرِيّةٌ[1] أقاتلُ عن أبناء جَرْمٍ ، وفَرَّتِ
فلو أنَّ قومى انطقتْني رماحُهُمْ نطَقْتُ ، ولكنَّ الرماحَ أجَرَّتِ)

هذا المقدار أورده أبو تمّام فى الحماسة . وفى ديوانه أكثر من هذا .

وقصة هذه الأبيات[2] : هو ما حكاه المفضّل الطبرسىُّ فى شرح الحماسة : أنّ جَرْماً ونهداً ، وهما قبيلتان من قضاعة ، كانتا من بنى الحارث بن كعب ؛ فقتلت جَرْمٌ رجلاً من أشراف بنى الحارث ؛ فارتحلتْ عنهم وتحوَّلت فى بنى زُبَيد . فخرجت بنو الحارث يطلُبون بدم أخيهم ، فالتقوا ؛ فعبّأ عمرٌو جرماً لنهد ، وتعبّأ هو وقومه لبنى الحارث . ففرّت جرْم ، واعتلّت بأنها كرهت دماء نهد ؛ فهزمت يومئذ بنو زُبيد . فقال عمرٌو هذه الأبياتَ يلومُها . ثم غزاهم بَعدُ ، فانتصَفَ منهم .

فقوله : زُوراً ، هو جمع أزْوَر ، وهو المعوجّ الزَّوْر ، بالفتح ، أى الصَّدر . يقول : لما رأيتُ الفُرسانَ منحرفين للطعن ، وقد خلَّوا أعنَّة دوابِّهم وأرسلوها علينا ، كأنّها أنهارُ زَرْعٍ أُرسِلَتْ مياهُها فاسبطرّت ، أى امتدّت . والتشبيه وقَع على جرى الماء فى الأنهار ، لا على الأنهار ؛ فكأنّه شبّه امتداد الخيل فى انحرافها عند الطعن ، بامتداد الماء فى الأنهار وهو يطّرد ملتوياً ومضطربا . وهذا تشبيه بديع .

وقوله : فجاشت . . الخ ، جاشت : ارتفعت من فزع . وهذا ليس لكونه جباناً ، بل هذا بيان حالِ النفس . ونفسُ الجبان والشجاعِ سواء فيما يدهَمهما عند الوهْلة الأولىٰ ، ثم يختلفان : فالجبان يركب نَفْرته ، والشُّجاع يدفعها

(١) ط : « دريئة » ، وهى مع صحتها لاتلائم تفسير البغدادى التالى . وفى شرح المرزوقى : « ذكر أبو زيد أنها تسمى دريئة الصيد بالهمز » .
(٢) القصة بتفصيل واضح فى معجم البكرى ٤١ ــ ٤٢

٤٢٣ فيثبُت . قال أبو عبيدة : قال عبد الملك بن مرْوان : وجدت فُرْسانَ العرب ستّة نفر : ثلاثة منهم جزعوا من الموت عند اللقاء ، ثم صبَروا ؛ وثلاثة لم يجزعوا : قال عمرو :

فجاشت إلىّ النفس أول مرة . . . . . . البيت

وقال ابن الإطْنابة :

وقولى كلّما جشأتْ وجاشت : مكانَكِ ، تُحمَدى أو تَستَريحى

وقال عنترة :

إذْ يتّقون بى الأسنّةَ لم أخِمْ عنها ، ولكنّى تضايقَ مُقْدَمى[١]

فأخبر هؤلاء الثلاثةُ أنّهم هابوا ثم أقدموا[٢] . وقال عامر بن الطفيل :

أقول لنفسٍ ما أريدُ بقاءها أَقِلّى المِراح أنّنى غيرُ مدبر[٣]

وقال قيس بن الخطيم :

وإنّىَ فى الحربِ الضَروسِ مُوكَّلٌ بإقدام نفسٍ ما أريدُ بقاءها[٤]

وقال العبّاس بن مرْداس :

أشُدُّ على الكتيبةِ لا أُبالى أحتفى كان فيها أم سِواها

فأخبَر هؤلاء أنّهم لم يجزعوا .

---

(١) فى النسختين : « ان يتقون » ، وحورها الشنقيطى الى الصواب : « اذ يتقون »

(٢) ط : « قدّموا » ، وهى صحيحة ، اذ تأتى قدم بمعنى تقدم ، ومنه قول لبيد :

قدموا اذ قيل قيس قدموا وارفعوا المجد بأطراف الأسل

(٣) ط : « أقلى المراحم » ، صوابه فى ش مع اثر تصحيح والمفضليات ٣٦٢ وديوان طفيل ١٢٠ . ويروى « المراء » كما فى حماسة ابن الشجرى ٧ . « والشكوك » كما فى السمط ٣٤٤

(٤) ديوان قيس ١٠ . وشرح شواهد المغنى ١٨٦

الفاء زائدة ، وجاشت : جواب لمّا عند الكوفيين والأخفش . وعند البصريين للعطف ، والجواب محذوف يقدّر بعد قوله : فاستقرّت ، أى طاعنت أو أبليت . والقرينة عليه قوله : علام تقول الرمح . . البيت ، كذا قال شراح الحماسة وهذا تعسّف نشأ من أبى تمام ، فإنه حذف بيت الجواب اختصاراً كعادته . لكنْ كان على الشارح مراجعة الأصل . والجواب هو البيت الثالث المحذوف ، وهو :

(هتفتُ فجاءتْ من زُبَيدَ عصابةٌ إذا طردت فاءتْ قريباً فكَرّتِ)

و « فاءت بمعنى رجعت » . وأوّل مرّة : ظرف . وقوله : علام تقول الرمح . . الخ ، أورده ابن هشام فى المغنى ، على أن (على) فيه تعليليّة . وأورده فى شرح الألفيّة أيضاً شاهداً على إعمال (تقول) عمل ظنّ . وما استفهامية ، ولهذا حذف ألفها . وأثقله الشىء : أجهده . والعاتق : ما بين المنكب والعنق وهو موضع الرداء .

قال ابن جنّى (فى إعراب الحماسة) : يروى الرمح بالنصب والرفع : فأما الرفع فعلى ظاهر الأمر ، وأما النصب فعلى استعمال القول بمعنى الظنّ ، وذلك مع استفهام المخاطب ، كقوله :

* أجُهّالا تقولُ بنى لؤىٍّ[1] *

وعلى قوله :

* فمتى تقولُ الدّارَ تجمعُنا[2] *

---

(١) تمامه كما فى مخطوطة اعراب الحماسة ٤٤ أدب بدار الكتب :
لعمر ابيك ام متجاهلينا
وسيأتى فى ٤ : ٢٣ بولاق . وانظر العينى ٢ : ٤٢٩
(٢) صدره كما فى العينى ٢ : ٤٣٤ وديوان عمر ٣٩٤ :
اما الرحيل فدون بعد غد

وروى لنا أبو عليٍّ بيت الحطيئة :

إذا قلتُ أنى آيبٌ أهلَ بلدةٍ حطَطتُ بها عنهُ الوَلِيَّة بالهَجْرِ

بفتح الهمزة من أنّى قال : ومعناها إذا قدّرتُ وظننتُ أنّى آيب .

فإن قيل : فليس هنا استفهام ، فكيف جاز استعمال القول استعمال الظن ؟ قيل : لم يجز هذا للاستفهام وحدَه ، بل لأنّ الموضع من مواضع الظنّ . ولو كان للاستفهام مجرّد من تقاضى الموضع له وتلقّيه إياه فيه ، لجاز أيضا أأقول زيدا منطلقا ، وأيقول زيد عمرًا جالسًا[1] . ولما لم يجز ذلك — لأنه لا يكاد يستفهم عن ظنٍّ غيره — علمتَ به أن جوازَه إنما هو لأنّ الموضعَ مقتضٍ له . وإذا كان الأمر كذلك ، جاز أيضا : « إذا قلتُ أنِّى آيبٌ » بفتح همزة أنّى ، من حيث كان الموضع متقاضياً للظنّ . وهذه رواية غريبة لطيفة . ولو كسرتَ هنا همزةَ إنَّ ، لكان كالرفع فى قولك : أتقول زيدٌ منطلق ، إذا حكيت ولم تُعمِل .

٤٧٤

وأما (إذا) و (إذا) فى البيت ، ففيهما نظر : وذلك أنّ كل واحدةٍ منهما محتاجة إلى ناصب هو جوابها ، وكل واحدةٍ منهما جوابها محذوف يدل عليه ما قبلها . وشرح ذلك أن تقول : إنَّ إذا الأولى جوابها محذوف ، حتّى كأنه قال : إذا أنا لم أطعنْ وجب طرحى الرمحَ عن عاتقى . فدلّ قوله : « علامَ تقولُ الرمحَ يثقِلُ عاتقى » على ما أراده من وجوب طرح الرمح إذا لم يطعن به ، كقولك : أنت ظالم إن فعلت ، أى إن فعلتَ ظلمت ودلّك « أنت ظالم » على ظلمت . وهذا بابٌ واضح . . وإذا الأولى وما ناب عن

---

(١) ط : « لجاز أيضا أقول زيدا منطلقا ويقــول » دون همزة الاستفهام وفى ش مثله لكن بزيادة همزة الاستفهام « وأيقول » واعتمدت فى تصحيح العبارة واكمالها على مخطوطة ابن جنى ليتسق الكلام ويصلح.

جوابها فى موضع جواب إذا الثانية ، أى نائبٌ عنه ودالٌّ عليه وتلخيصه : أنه كأنَّه قال : إذا الخيل كرّت وجب إلقائى الرمحَ مع تركى الطعن به . ومثله من التركيب : أزورك إذا أكرمتنى ، إذا لم يمنعنى من ذلك مانع[1] ! فاعرفْ صحّة الغرض فى هذا الموضع ، فإنّه طريقٌ ضيِّق ، وكلُّ مُجتازٍ[2] فيه قليل التأمُّل لمحصول حديثه ، فإنما يأنس بظاهر اللفظ ، ولا يوليه طرفاً من البحث . انتهى باختصار .

والتِّبريزىّ جعلَ إذا الأولى ظرفا لقوله : يُثْقِل ، وإذا الثانية ظرفا لقوله : لم أطعُن ، بضم العين ، لأنه يقال طعنه بالرمح من باب قتل .

وقوله : (لحا الله جَرْما . . الخ) أصل اللحْو نزع قشر العُود . يدعو عليهم بالهلاك : أى قشرهم الله غداةً كلِّ يوم . والذُّرور فى الشمس ، بالذال المعجمة : أصله الانتشار والتفريق ، ويقال ذرّت الشمس : طلعت . و (شارق) : الشمس . و (كلّما) : منصوب على الظرف . ووجوه : منصوب على الذمّ والشتم ، ويجوز أن يكون بدلاً من جَرْما . و (هارشتْ) ، فى الصحاح : « الهراش : المهارَشة بالكلاب ، وهو تحريشُ بعضها على بعض » . وقوله : (فازبأرّت) أى انتفشت حتى ظهر أصولُ شعرها ، وتجمّعت للوثب . وهذه الحالة أشنع حالات الكلاب . وهذا تحقيرٌ[3] للمشبَّه ، وتصويرٌ لقباحة منظره . شبّه وجوهَهم بوجوه الكلاب فى هذه الحالة .

---

(١) فى النسختين : « اذا أكرمتنى ، أى اذا لم يمنعنى » . وكلمة « أى » تحيل المقصود وتفسده ، واعتمدت فى حذفها على مخطوطة اعراب الحماسة لابن جنى

(٢) فى النسختين : « وكل محتار » ، صوابه من ابن جنى

(٣) فى النسختين : « تحقيق » .

وقوله : فلم تُغْنِ جَرْمٌ . . الخ أى لم تقاومْ جَرْم نهداً بل فرّت منها .
وقال الطبرسيّ : لم تغن أى لم تكفّ جرمُ نهداً ، ولكنها فرّت ؛ قال الشاعر :

* وأغْنِ نفسَكَ عنّا أيُّها الرجُلُ *

وابذعرّت : تفرّقت : وقال الإمام المرزوقي(١) : والمعنى : لم تنصر جرم نهداً وقت الالتقاء ؛ ولكنّ جرماً انهزمتْ وهامت على وجهها فمضت ، واصطلت نهدٌ بنار الحرب ، ومسّت حاجتها إلى من ينصرها ويذبُّ عنها الأعداء . وأضاف نهدها إلى ضمير جرم ، لأن اعتمادهم كان عليها ، واعتقادَهم الاكتفاء بها اهـ .

وهذا غفلة عن سبب الأبيات . وإضافة نهد إلى ضمير جَرْم للملابسة ، فإن جرماً أعدّت لمقاتلة نهد ، كما أن زبيداً أعِدّت لمقاتلة بنى الحارث .

وقوله : ظلِلت كأنّى . . الخ أى بقيتُ نهارى منتصباً فى وجوه الأعداء ، والطّعنُ يأتى من جوانبى ، أذبُّ عن جَرْم وقد هربتْ . فالدرِيَّة هى الحلْقة التى يُتعلَّم عليها الطعن ؛ وأما الدرأة بالهمز ، فهى الدابّة التى يستتر بها من الصيد ؛ يقال : درأتُها نحوَ الصيد وإلى الصيد وللصيد : إذا سُقْتَها ، من الدرْء وهو الدفع . وجملة كأنّى خبر ظللت . وجملة أقاتل حال ؛ ويجوز العكس . قال يوسف بن السِيرافى (فى شرح شواهد إصلاح المنطق) : يقول : صرت لكثرة الطعن فىَّ ، ودخولِ الرماح فى جسدى ؛ كالحلْقة التى يُتعَلّم عليها الطعن . وحكايته : أن جرماً كانت مع زُبيد ، ونَهداً مع بنى الحارث بن كعب ؛ فالتقوا ، فانهزمت جرم وبنو زُبيد وكاد عمرُو يؤخذ ، وقاتلَ يومئذ قتالا شديداً .

٤٢٥

(١) شرح الحماسة ١٦١ . وفى الاقتباس من نص المرزوقى تقديم وتأخير .

وقوله : فلو أنّ قومى ، يقول : لو صبروا وطعنوا برماحهم أعداءهم ، لأمكننى مدحُهم ، ولكنّ فِرارَهم صيّرنى كالمشقوق اللسان ؛ لأنّى إن مدحتهم بما لم يفعلوا كذبت ورُدَّ علىّ . يقال أجررت لسانَ الفصيل : إذا شققتَ لسانه لئلا يرضعَ أمّه .

قال أبو القاسم الزجّاجىّ (فى أماليه الوسطى)أخبرنا ابن شقير قال : حضَرتُ المبّرد وقد سأله رجلٌ عن معنى قول الشاعر :

فلو أنّ قومى أنطقَتْنى رماحُهم . . البيت

فقال : هذا كقول الآخر :

وقافيةٍ قِيلَتْ فلم أستطِعْ لها دِفاعاً إذا لم تضْربوا بالمناصلِ
فأدفعَ عن حقٍّ بحقٍّ ، ولم يكن لِيَدفع عنكُم قالةَ الحقِّ باطلى

قال أبو القاسم : معنى هذا : أنّ الفصيل إذا لهِج بالرضاع جعلوا فى أنفه خِلالة محدّدة ، فإذا جاء يرضع أمّه نخستها تلك الخِلالة ، فمنعته من الرضاع ؛ فإن كفّ . . وإلا أَجرّوه . والإجرار : أن يشقّ لسانُ الفصيل أو يُقطع طرفه ، فيمتنع حينئذ من الرضاع ضرورة . فقال قائلُ البيتِ الأوّل : إنّ قومى لم يقاتلوا ، فأنا مُجَرٌّ عن مدحهم ، لأنّى ممنوع ؛ كأنّ رماحهم حِين قصّروا عن القتال بها أَجرّتنى عن مدحهم ، كما يُجَرّ الفصِيلُ . عن الرضاع . ففسّره أبو العباس بالبيتين اللذين مضيا . وللإجرار موضع آخر ، وهو أن يطعن الفارس الفارسَ فيمكن الرمح فيه ، ثم يتركه منهزماً يجُرُّ الرمحَ ، فذلك قاتل لا محالة . ومنه قول الشاعر(١) .

---

(١) هو عنترة . ديوانه ١٥٩ وتصحيف العسكرى ٣٣ ، ٩٦

وآخَرَ منهمُ أجررتُ رُمحى   وفى البَجْلىّ مِعبَلةٌ وقيعُ[١]

وقول الآخر[٢].

ونَقِى بأفضل مالِنا أحسابَنَا   ونُجِرُّ فى الهيجا الرماحَ وندعى ا هـ

قوله . وندّعى أى ننتسب فى الحرب كما ينتسب الشجاع فى الحرب فيقول: أنا فلانُ ابن فلان .

عمرو بن معديكرب

و (عمرو) هو الصحابىّ ابن مَعْدِيكَرِب بن عبد الله بن عمرو ابن عُصْم بن عمرو بن زُبيد الأصغر — وهو منبِّه — بن ربيعة بن سَلَمة بن مازن بن ربيعة بن منبِّه بن زُبيد الأكبر بن الحارث بن صَعْب بن سعد العشيرة بن مَذحِج بن أُدَد بن زيد بن كَهْلان بن سبأ[٣] .

ومعدى اشتقاقه مثل اشتقاق مَعْدان ، ويزيد عليه بأنه يجوز أن يكون من العُدْوان ، فقلبت الواو ياء لما بنى على مَفْعِل أو يكونَ بنى على مفعول ، فقلبت الواو ياء ، ثم خفِّفت الياء لطول الاسم ، لأنه جعل مع كَرِب كالاسم الواحد .

و (كرب) يجوز أن يكون من الكَرْب الذى هو أشدّ الغمّ ، أو من كرب فى معنى قارَب ، أو من أكربْتُ الدلو : إذا شددتَها بالكَرَب ، وهو الحبْل الذى يُشَدّ على العَراق ، قال ابن جنى : فسّره ثعلب: أنه عَداه الكَرْبُ ، أى تجاوزه وانصرف عنه .

---

(١) البجلى ، بسكون الجيم لافتحها ، نسبة الى بجلة ، من بنى سليم . وأخطأ الأصمعى فرواه بفتح الجيم منسوبا الى بجيلة . وانظر اللسان (بجل ، عبل ، وقع) والاشتقاق ٥١٦

(٢) هو الحادرة الذبيانى . المفضليات ٤٥ . قال الميمنى : « وقد وقفت على نسخة ديوانه ملوكية بخط ياقوت الخطاط ، وقابلت طبعة ليدن عليها ، وأخذت فى تصحيحها لغرض الطبع ، الا أن حادثة عظيمة أصيبت بها حالت دون ذلك » .

(٣) الميمنى : « فى نسب عمرو بن معديكرب خلاف وارتباك . راجع السمعانى ٢٧١ والأغانى ١٤ : ٢٤ والاصابة ٥٩٧٠ والاستيعاب» .

و (عُصْم) بضم العين وسكون الصاد المهملتين . و (زُبيد) مصغر زُبدة أو زَبْد ؛ والزَّبْد . العطاء ، يقال : زبده زَبْداً : إذا أعطاه . وقال شارح ديوانه : وسمي زُبيداً ، لأنه قال : من يَزْبُدُنى نصره ، أى يرفِدُنى . والزَّبْد فى كلام العرب : الرِفْد والمعونة . ا هـ وكذا رأيت فى جمهرة الانساب . إنما سمِّى زُبيداً ، لأنه قال : من يَزْبُدُنى نصره ، لما كثر عمومته وبنو عمّة فأجابوه كلّهم . فسمُّوا كلُّهم زبيداً مابين زبيد الأصغر إلى منبّة بن صعب ، وهو زبيد الأكبر . وأخوه زبيد الأصغر كلهم يدعى زبيداً ا هـ :

وكنية عمرو أبو ثور . وهو الفارس المشهور ، صاحبُ الغارات والوقائع فى الجاهلية والإسلام . قال فى الاستيعاب : وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فى سنة تسع. وقال الواقدىّ : فى سنة عشر ، فى وفد زُبيد فأسلم ا هـ .وأقام مُدّة فى المدينة ، ثم رجع إلى قومه وأقام فيهم سامعاً[1] مطيعاً ، وعليهم فَرْوة بن مُسَيك ، فلما تُوفِّىَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ارتدّ .

قال النوَوىّ (فى تهذيب الأسماء واللغات) : ارتدّ مع الأسود العنسىّ ، فسار إليه خالد بن سعيد فقاتله ، فضربه خالد على عاتقه فانهزم ، وأخذ خالدٌ سيفَه . فلما رأى عمرٌو الأمداد من أبى بكر ، رضى الله عنه ، أسلَم ، ودخل على المهاجر بن أبى أمية بغير أمان ، فأوثقه وبَعث به إلى أبى بكر ، فقال له أبو بكر: أما تستحى كل يوم مهزوماً أو مأسوراً ؟ لو عزّزتَ هذا الدين لرفعك الله ؟ قال: لا جرم ، لأقبلنّ[2] ولا أعود . فأطْلَقَه وعاد إلى قومه . ثم عاد إلى المدينة ، فبعثه أبو بكر رضى الله عنه إلى الشام ، فشهد اليرمُوك . ا هـ .

وله فى يوم اليرْموك بلاء حسن ، وقد ذهبت فيه إحدى عينيه . ثم بعثه

(١) فى الاصابة : « مسلما »
(٢) ش : « لأقتلن » وفى التهذيب للنووى : « لاقيلن » .

عمر رضى الله عنه إلى العراق ؛ وله فى القادسية أيضاً بلاء حسن ، وهو الذى ضرب خَطم الفيل بالسيف ، فانهزمت الأعاجم ، وكان سببَ الفتح . ومات فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة .

وفى كيفية موته خلاف . قيل : مات عطشاً يوم القادسيّة ، وقيل : قُتِل فيه ، وقيل : بل مات فى وقعة نَهاوَند بعد الفتح ، وقيل : غير ذلك . وعمره يومئذ مائة وعشرون ، وقيل : مائة وخمسون . ولم يذكره السِجستانىّ فى المعمَّرين .

روى أنّ رجلا رآه وهو على فرسه ، فقال : لأنظرُ ما بقى من قوة أبى ثور . فأدخل يده بين ساقِه وجنْبِ الفرس ، ففطن لها عمرو ، فضمّ رجلَه وحرَّكَ الفرس فجعل الرجلُ يعدو مع الفرس ولا يقدِر أن ينزِع يدَه ، حتى إذا بلغَ منه صاح به ، فقال له . يا ابن أخى : مالكَ ؟ قال : يدى تحت ساقك ؟ فخلِّ عنه . وقال له : إنّ فى عمك بقيّة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد المائة وهو من شواهد سيبويه[1] .

١٥٥ (أقارِعُ عوْفٍ ، لاأُحاوِلُ غيرَها وجوهَ قُرُودٍ تَبْتغى مَنْ تُجادِعُ)

لِما تقدَّم فى البيت قبله ، أعنى أن نصب (وجوهَ) على الشتم .

قال النحّاس : ويجوز رفعه على إضمار مبتدأ ، أو على أن تجعله بدلاً من أقارِع عوف: تبدل النكرةَ من المعرفة ، مثل:(لنَسفَعًا بالناصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كاذبةٍ[2])
ونقل ابن السِّيد البَطَلْيوسىّ عن يونس بن حَبيب ؛ فى أبيات المعانى ؛ أنه

(١) سيبويه ١ : ٢٥٢ وابن الشجرى ١ : ٣٤٤ وديوان النابغة ٥٣
(٢) الآية ١٥ ، ١٦ من سورة العلق

قال : لو شئتَ رفعتَ ما نصبته على الابتداء وتُضمِر فى نفسك شيئاً لو أظهرته لم يكن ما بعده إلا رفعًا ، كأنك قلت : لهم وجوهُ قرودٍ ا هـ

صاحب الشاهد

وهذا البيتُ للنابغة الذبيانى ، من قصيدةٍ يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ، ممّا وشَتْ به بنو قُريع . وقبلَه :

٤٢٧

(لَعَمْرى ، وما عَمْرى عَلَيَّ بهيِّن لقد نطقَتْ بُطْلاً علىَّ الأقارعُ)

واستشهد به ابن هشام فى المغنى[١] على أنّ جملةَ « وما عَمْرى عَلَّى بهين » معترضةٌ بين القَسَم وجوابه . . العَمْر بفتح العين ، هو العُمْر بضمها ، لكن خُصَّ استعمالُ المفتوح فى القَسَم . أى ما قَسمى بعَمْرى هيْنٌ علىَّ ، حتَّى يَتّهمَ متّهمٌ بأنّى أحلفُ به كاذباً . والبُطل ، بالضم ، هو الباطل ، ونصب على المصدر ، أى نطقت نطقاً باطلاً .

وقوله : (أقارعُ عوف) بدلٌ من الأقارِع . و (لا أحاول) لا أريد . والمجادعة ، بالجيم والدال المهملة ، هو أن يقول كلٌّ من شخصين : جَدعاً لك ! أى قطَع اللهُ أنفَكَ . وهى كلمة سبٍّ ، من الجدْع وهو قطع الأذن والأنف . يقول : هم سفهاء يطلبون مَن يشاتمهم . و (الأقارع) هم بنو قُريع بن عوف ابن كعب بن زيد مناة بن تميم ، الذين كانوا سعَوا به إلى النعمان حتى تغيَّر له . وسمّاهم أقارعَ ، لأنَّ قُريعا أباهم سُمّى بهذا الاسم . وهو تصغير أقرع ، ولهذا جمعه على الأصل . والعرب إذا نسبتِ الأبناء إلى الآباء فربَّما سمّتْهم باسم الأب ، كما قالوا : المَهالبة والمَسامعة فى بنى المهلب وبنى مِسْمَع[٢] . وزعم

(١) انظر شرح شواهد المغنى ٢٧٦ وسيبويه ١ : ٢٥٢

(٢) المهالبة : بنو المهلب بن أبى صفرة . وذكر ابن حزم أن له ثلثمائة ولد . الجمهرة ٣٦٧ ـ ٣٧٠ . وأما المسامعة فهم بنو مسمع بن شيبان بن شهاب . الاشتقاق ٣٥٥ ـ ٣٥٦

الدمامينيّ (فى الحاشية الهندية) أنّ الأقارع جمع أقرع . ثم نقل من الصحاح أنّ الأقرَعين : الأقرعُ بن حابس وأخوه مَرْثد . وهذا ، كما ترىٰ ، لا مناسبةَ له هنا .

والسبب فى غضب النعمان على النـابغة ، هو ما حكاه شارح ديوانه وغيرُه ، عن أبى عمرو وابنِ الأعرابى ، أنهما قالا : كان النابغةُ ممن يجالس النعمانَ ويسمَرَ عنده ورجلٌ آخر من بنى يشكُر يقال له : المنخَّل ، وكان جميلاً يتّهم بالمتجرِّدة امرأةِ النعمان . وكان النعمان قصيراً دميا ، قبيحَ الوجه أبرش . وكانت المتجرِّدة ولدت للنعمان غلامين . وكان الناس يزعمون أنهما ابنا المنخَّل . وكان النابغة رجلاً حليماً عفيفاً ، وله منزلة يُحسَد عليها . فقال له النعمان يوماً — وعنده المتجردة والمنخل[1] — صِفْها يا نابغة ، فى شعرك . فقال قصيدتَه الداليَّة التى أوّلهُـا :

* أمن آل ميّةَ رائحٌ أو مغتَدى *

— وستأتى إن شاء الله تعالى فى هذا الـكتاب — فوصف النابغة فيها بطنَها ورَوَادفَها وفرْجها و لذّة مُجامعتها . فلما سمع المنخَّل هذه القصيدة لحِقته غَيرة . فقال للنعمان : ما يستطيع أنْ يقول هذا الشعرَ إلاّ مَن قد جرَّب ! فوقَرَ ذلك فى نفس النعمان. ثم أتىٰ النعمانَ بعد ذلك رهطٌ من بنى سعد بن زيد مَناة بن تميم ، وهم بنو قُريع ، فبلّغوه أن النابغةَ يصف المتجرِّدة ويذكر فيها ، وأن ذلك قد شاع بين الناس . فتغيّر النعمان عليه . وكان للنعمان بوّابٌ يقال له عِصام بن شَهْبر الجَرمىّ . فأتىٰ النابغةُ ، فقال له عِصام : إنّ النعمان واقعٌ بك فانطلِقْ . فهرَب النابغة إلى غسّانَ ملوكِ الشام ، وهم آل جَفْنة ، ومكثَ

(١) فى ش : « والنابغة » ، والأوفق ما فى ط

عندهم ، ومدحهم بقصائد (كما تقدّم فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة[١]) .

وكان سببَ وقوع بنى قريع فى النابغة عند النعمان : هو ما حكاه أبو عبيد والأصمعىّ قالا : كان لمرّة بن رَبيعة بن قُريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم ، سيفٌ جيِّد . فحسده النابغة فدلّ على السيفِ النعمانَ بنَ المنذر ؛ فأخذه من مُرّة ، فحقَد مرّةُ ، على النابغة وأرصد له بِشرٍّ ، حتَّى تمكن منه ، فوقع فيه عند النعمان ؛ فبعد أن هرب النابغةُ ومكث عند آل جفنة أرسل إلى النعمان قصائدَ يعتذرُ إليه بها ، ويحلف له : أنه ما فرّط منه ذنْب . واشتدّ ذلك على النعمان ، وعرفَ أنّ الذى بلّغه كذِب . فبعث النعمان إلى النابغة : « انّك لم تعتذر من سَخْطةٍ إن كانت بلغتك ، ولكنّا تغيَّرنا لك من شىء مما كنّا لك عليه ؛ ولقد كان فى قومك ممَنع وتحصين ، فتركتَه ؛ ثم انطلقت إلى قوم قتلوا جَدِّى ؛ وبينى وبينهم ما قد علمت » . وكان النعمان وأبوه وجدُّه قد أكرموا النابغةَ وشرّفوه وأعطوه مالاً عظيماً ، حتى كان لا يأكل ولا يشرب إلا فى أوانى الذهب والفضة . ثم بلغ النابغةَ أنّ النعمان ثقيل ، من مرض أصابه حتَّى أُشفِق عليه منه ، فأتاه النابغةُ ، فرضىَ عنه النعمان ، ووهب له مائةَ بعير من عصافيره وهى إبل كانت للنعمان تسمَّى بها .

والنابغة قد تقدمت ترجمته فى الشاهد الثانى بعد المائة[٢] .

والنعمان هذا ، آخر ملوك الحِيرة . ثم ولى بعده إياس بن قَبيصة الطائىّ ثمانية

(١) صوابه « السابع والثلاثين بعد المائة » . انظر ص ٣٢١ من هذا الجزء ، وأما الخامس والثلاثون فليس فيه ذكر للنابغة

(٢) الصواب أنه الشاهد ١٠٤ انظر ص ١٣٥ من هذا الجزء

أشهر ، واضطرب مُلك فارس ، وضعفوا — وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم — وأتى الله عز وجل بالإسلام فغزا أهلَه النبيُّ ﷺ[(١)] .

وأول مَن ملك الحيرة مالك بن فَهْم بن عمرو بن دَوس بن الأزْد . ملك العربَ بالعراق عشرين سنة . والحيرة هى أرض فى العراق ، بلدة قريبة من الكوفة . قال الهمْدانىّ فى جزيرة العرب[(٢)] : سار تُبَّع أبو كرب فى غزوته الثانية . فلما أتى موضعَ الحِيرة خلّف هناك مالكَ بن فهم بن غَنْم بن دَوْس ، على أثقاله . وتخلّف معه من ثقل من أصحابه ، فى نحو اثنى عشر ألفاً . وقال : تحيَّروا هذا الموضعَ[(٣)] فسُمِّى الموضعُ الحيرة (وهو من قولهم : تحيّر الماء . إذا اجتمع وزاد[(٤)] ، وتحيّر المكان بالماء : إذا امتلأ[(٥)]) فمالكٌ أول ملوك الحيرة وأبوهم . وكانوا يملكون ما بين الحِيرة والأنبار وهِيتَ ونواحيها ، وعينَ التمر وأطرافَ البَرارى : الغُمَير والقُطْقُطانة وَخِفْيَّةَ[(٦)] . وكان مكان الحِيرة [من[(٧)]] أطيبِ البلاد ، وأرقّه هواء ، وأخفّه ماء ، وأعذاه تُربة[(٨)] ، وأصفاه جوًّا ، قد تعالىٰ عن عَمْق الأرياف ، واتّضع عن حُزونة

---

(١) الذى فى العمدة ٢ : ١٧٩ : « بالنبى »

(٢) الحق أن النقل التالى انما هو للهمدانى فى كتاب آخر غير صفة جزيرة العرب . والنص فى معجم البكرى ٤٧٩ مسبوقا بجملة « قال الهمدانى » ، دون تقييد بكتاب خاص . فلعل البغدادى توهم أنه من صفة جزيرة العرب حين وجد هذا النص فيه

(٣) وكذا فى معجم ما استعجم ، مع أن تحير الماء فعل لازم

(٤) ش : « ودار »

(٥) هذا التفسير من زيادات البغدادى ، وليس فى معجم البكرى

(٦) كذا فى ط ومعجم ما استعجم وجعلها الشنقيطى بقلمه « وَحَفْيَة » وبوضع حاء معجمة تحت الحرف الأول توكيدا للضبط ، ولم أجده فى كتاب مما لدىّ

(٧) التكملة من معجم البكرى

(٨) يقال عذا البلد : طاب هواؤه . والعذاة : الأرض الطيبة . ط : « وأعذبه تربه » ، صوابه فى ش ومعجم البكرى . وفى بعض مخطوطات البكرى : « وأعدله » تحريف كذلك .

الغائط ، واتصل بالمزارع والجنّان والمتاجر العظام ، لأنّها كانت من ظهر البريّة على مرفأ سفن البحر ، من الهند والصين وغيرهما ا هـ

قال ابن رشيق فى العمدة[(١)] : وملك بعد مالك بن فَهْم ابنُه جَذيمة ابن مالك ، وهو الأبرش والوضّاح ، وكان ملكه ستّين سنة . ثم عمرو بن عدىّ ابن نصر بن ربيعة اللخمىّ — وعمرو هذا هو ابن أخت جَذيمة الأبرش وفيه قيل : « شبّ عمرٌو عن الطّوق » ثم امرؤ القيس بن عمرو بن عدىّ ، ويقال : بل الحارث بن عمرو ، وأنه هو الذى كان يدعى محرِّقا . ثم النعمان بن امرىْ القيس ، وهو النعمان الأكبر ، الذى بنى الخورنق . ثم المنذر بن امرىْ القيس وهو المنذر الأكبر ابن ماء السماء ، أخو النعمان الأكبر[(٢)] . ثم المنذر ابن المنذر وهو الأصغر . ثم أخوه عمرو بن المنذر ، وهو عمرو بن هند ، وسمِّى محرقاً أيضا ، لأنه حرّق بنى تميم ، وقيل بل حرّق نخل اليمامة . ثم النعمان بن المنذر بن المنذر صاحب النابغة وهو آخر ملوك لخم كما ذكرنا[(٣)] .

قصيدة الشاهد

واعلم أنّ هذه القصيدة غالبُ أبياتها شواهدُ فى كتب العربية ، وهى خمسة وثلاثون بيتا . فلا بأس بإيرادها مختصرةً تتميماً للفائدة . وهى على هذا الترتيب :

(عفَا ذو حُسًى منْ فَرتَنيٰ فالفوارعُ فجَنْبَا أريكٍ فالتِّلاعُ الدوافِعُ) ٤٢٩

عفا : درس وامّحىٰ . وذو حُسى : بلد فى بلاد بنى مُرّة ، وهو بضم الحاء

(١) العمدة ٢ : ١٧٩

(٢) فى النسختين : « أبو النعمان الأكبر » ، وانما هو أخوه ، كما فى العمدة . وأبوهما هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدى .

(٣) انظر ماسبق فى ص ١٣٥ من هذا الجزء وما بعدها

والسين[١] المهملتين والقصر . وفَرْتَنيٰ : أى من منازل فَرْتَنيٰ ، وهو بفتح الفاء وسكون الراء وبعدها تاء مفتوحة يليها نون ، قال فى الصحاح : « هو مقصور وهو اسم امرأة . والعرب تسمِّى الأَمَة فرتنى[٢] » . والفوارع : جمع فارعة ، قال فى الصحاح : « وفارعة الجبل : أعلاه . وتلاع فوارع : مشرفات المسايل » . وأَريك بفتح الهمزة وكسر الراء ، قال البكرى فى معجم ما استعجم : « هو موضع فى ديار غَنيّ بن يعصر » . وأنشد هذا البيت ، ثم قال : « وقال أبو عبيدة : أَريك فى بلاد ذبيان قال : وهما أريكان : أريكٌ الأسْوَدُ ، وأريكٌ الأبيض . والأريك : الجبل الصغير . وقال الأخفش : إنما سُمِّى أريكا ، لأنه جبلٌ كثيرُ الأراك » . والتِّلاع بالكسر : مجارى الماء إلى الأودية ، وهى مَسايل عِظام . والدوافع : تدفع الماء إلى المَيْثِ ، والمَيْث يدفع إلى الوادى الأعظم . كذا فى الشرح .

(فمجتَمع الأشراج ، عفّىٰ رسومَها مَصايفُ مرَّتْ بعدَنا ومَرابعُ)

قال أبو عبيدة : مجتمع الأشراج : مسايل فى الأرض تصب إلى الأودية ؛ والواحد شَرْج ، بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وآخره جيم . والرسوم : الآثار . وعفّى : درَس ومحا[٣] . والمصايف : جمع مصيف . ومرابع : جمع مربع[٤] .

(١) كذا . يعنى « وبالسين » لابضم السين ، وهذا مألوف من تعبير البغدادى .

(٢) ط : « تسمى المرأة فرتنى » ، صوابه فى ش والصحاح واللسان (فرتن) .

(٣) درس ، يلزم ويتعدى كما هنا . قال :

درسته الريح ما بين صبا وجنوب درجت حينا وأصل

(٤) ط : « والمصايف ، جمع صيف ، ومرابع : جمع ربيع » والوجه من ش

(توهَّمْتُ آياتٍ لهـا فَعرَفْتُها لستةِ أعوامٍ ، وذا العامُ سابعُ)

أراد آيات الدار . واللام بمعنى بَعْد أى بعد ستّة أعوام . وتوهمّت : تفرّست .

وهذا البيت من شواهد أبيات سيبويه[1] ، أنشده على أنّ العامُ صفةُ ذا ، وسابعُ خبر اسم الإشارة . وأورده ابن هشام أيضاً فى شرح الألفيّة ، على أن سابعاً استُعمل مفرداً ليفيد الاتصاف بمعناه مجرّداً ؛ وهذا بخلاف ما يستعمله الشخص مع أصله ليفيد أنّ الموصوف به بعضُ العدد المعيَّن ، نحو : سابعُ سبعة ، وثامن ثمانية ، ونحوِهما .

(رَمادٌ كَكُحلِ العينِ مالإنْ تُبينُه ونُؤىٌ كجِذْمِ الحَوْضِ أثْلَمُ خاشعُ)

أى من الآيات رماد ونؤىٌ . استأنف وفسّر بعضَ الآيات . زعموا : أن الرماد يبقى ألف سنة . وروى : (لأياً أُبينُه) اللأى ، بفتح اللام وسكون الهمزة : البطء ؛ ونصب على نزع الخافض : أى أستبينه بعد بطء . والنُّؤىُ ؛ بضم النون وسكون الهمزة . حفيرة تحفَر حول الخباء ويجعلُ ترابُها حاجزاً لئلا يدخله المطر . والجِذْم ، بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة : الأصل والباقى . وخاشع : لاطىء بالأرض ، قد اطمأن وذهب شخوصه .

(كأنَّ مَجرَّ الرامساتِ ذُيُولَهَا عليه قَضِيمٌ نَمقّتْهُ الصَوانعُ)

هذا البيت أورده الشارح المحقق (فى شرح الشافية) فى باب المنسوب[2] ، على أن فيه حذف مضاف : أى كأنّ أثر مجرّ الرامسات . ومَجرّ مصدر ميمىّ

(١) سيبويه ١ : ٢٦٠

(٢) أنظر شرح شواهد الشافية للبغدادى ١٠٦ وابن يعيش ٦ : ١١٠ ، ١١١

لا اسم مكان ، فإن أسماء المكان والزمان والآلة لا ترفع فضلاً عن أن تنصب .
٤٣٠ وذيولها : قد انتصب بمجَر ، فمجَرّ مصدر مضاف لفاعله ، وذيولَها مفعوله ، وإنما كان بتقدير مضاف ، وهو أثر مجرّ أو مكان مجرّ ؛ لأنّه إنْ كان مصدراً فلا يصح الإخبار بقوله قضيم ؛ وإن كان اسمَ مكان فلا يصحّ نصْبه المفعول .
والرامسات : الرياح الشَّديدة الهبوب ، من الرَّمس وهو الدفن . وذيولها : مآخيرها : وذلك أن أوائلها تجيء بشدّة ثم تسكن . ورُوى بجر (ذيولِها) على أنه بدل من الرامسات ، وعليه فالمجرّ اسم مكان ، ولا حذف . والقضيم : حصير منسوج ، خيوطُه سيور . كذا فى القاموس وكذا قال شارح ديوانه : « شبهّ آثار هذه الرامسات فى هذا الرسم ، بحصير من جريدٍ أو أدم[1] » ترمُله الصوانع ، أى تعمله وتخرُزه . ومثله لذى الرمة :

* ريحٌ لها من هِبابِ الصيف نمنِيم[2] *

أى نمنمة كالوشى . وقال العجاج :

* سجاحة الأولى دَروج الأذيالْ *

ولا يناسبه قولُ الجار بردى (فى شرح الشافية) : إن القضيم جلدٌ أبيض يكتب فيه ؛ فإنّ الصوانع جمع صانعة ، والمعهود فى نساء العرب النَّسجُ وما أشبهه ، لا الكتابة . والمعنى يقتضيه أيضاً ؛ فإن الرمل الذى تمرّ عليه الريح يشبه نسجَ الحصير . والصُّنع : إجادة الفعل وليس كل صنع فعلا ؛ ولا يجوز نسبته إلى الحيوانات غير الآدميّين ، ولا إلى الجمادات ، وإن كان

(١) فى شرح الوزير أبى بكر لديوان النابغة ص ٥٠ : « ومن روى عليه حصير ، فهو حصير يعمل من جريد وأدم

(٢) كذا فى النسختين . وفى الديوان ٥٧٧ واللسان (نمم) :

* فيفا عليه لذيل الريح نميم *

وصدره فى الديوان :

* والركب تعلو بهم صهب يمانية *

الفعل ينسب إليهما . ولا يقال صَنَعٌ بفتحتين ، إلا للرجُل الحاذق المجيد ؛ ولا صَناع ، بالفتح ، إلاّ لامرأة تتقن ما تعمله ضدّ الخرقاء . وفى القاموس : « رجل صنع اليدين بالكسر والتحريك ، وصنيع اليدين وصَناعهما : حاذقٌ فى الصنعة . وامرأة صَنَاع اليدين كسحاب : حاذقة ماهرة بعمل اليدين وجمعهما صُنُع كَكُتُب[1] » . وقوله : نمّقته : أى حسَّنته . قال الشارح : كل ما أُلزق بعضه إلى بعض وأُقيم سطورُه ، من نخل أو كتاب ، فهو مُنَمّق .

(على ظَهْرِ مِبْناةٍ جَديدٍ سيُورُها يَطوفُ بها وسطَ اللَطِيمة بائعُ)

قال أبو عبيدة : المِبناة ، بكسر الميم وسكون البـاء الموحدة : نِطعٌ . يقول : هذا الحصير على هذا النطع ، يطوف به بائع فى الموسم . قال الأصمعىّ : كان من يبيع مَتاعاً يفرُش نِطعا ، ويضع عليه متاعه ، والنِّطع يسمَّى مِبناة . فيقول : نشر هذا التاجرُ حصيراً على نِطع . وإنّما سمِّيت مِبناة ، لأنها كانت تتّخذ قباباً ، والقُبّة والبناء سواء ؛ والأنطاع تبنىَ عليها القباب . والنِطْع ، بكسر فسكون وبفتحتين وكعنب : بِساط من الأديم . واللطيمة ، قال أبو عمرو : سوقٌ فيها بزّ وطِيب . وقال أبو عبيدة : اللطيمة : العِير التى تحمل دِقّ المتاع وأفضلَه وتحمل إلى الأسواق والمواسم ؛ ولا تسمى لَطيمة إلاّ وفيها طِيب . وقوله : جديدٍ سيورها ، أراد الأديم ، وأنشد :

* وقُدَّتْ من أديمهم سُيورى *

(فأسبـلَ منِّي عَـبرة فرددتُهـا على النَّحْرِ : منها مُسْتَهِلٌ ودامعُ[2])

مستهِلٌ : سائل منصبٌّ له وقع ؛ ومنه استهلّت السماء بالمطر : إذا دام مطرها . ودامع : قاطر .

---

(١) الذى فى القاموس : « وحكى : رجال ونسوة صنع بضمتين » .
(٢) فى النسختين : « وهامع » ، والتصحيح للشنقيطى فى نسخته

(على حين عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا فقلت: أَلمَّا تَصحُ ، والشَّيبُ وازع !)

يأتى شرحه إن شاء الله تعالى فى باب الظروف[١]

(وقد حالَ همٌّ دونَ ذلك داخلٌ دخولَ الشَّغافِ تبتغيه الأصابعُ)

أى دون هذا الذى أشبِّب به[٢] وأبكى عليه هو الصبا . وروى : (وقد جالَ همٌّ) . ورُوى أيضا :

ولكنّ همًّا دونَ ذلك داخلٌ مكانَ الشَّغافِ . . . . .

٤٣١

أى غِلاف القلب . وقال الأصمعىّ : الشَّغَاف : داء يدخل تحت الشراسيف فى البطن فى الشق الأيمن ، إذا التقى هو والطِحالَ مات صاحبُه . يقول : هذا الهمّ الذى هوَ لى هو موضعَ الشَغاف الذى يكون فيه القلب . ثم رجع إلى الشغاف فقال : تبتغيه الأصابع : أى تلتمِسه أصابعُ المتطبِّبين ، ينظرون أنزلَ من ذلك الموضع أم لا ، وإنّما ينزل عند البرء : قال ابن السِّيد (فى شرح أبيات أدب الكاتب[٣]): « هذا قول الأصمعىّ وأبى عبيدة . وقيل معناه : تلتمسه ، هل انحدر نحو الطحال فيتوقّع على صاحبه الموت ، أم لم ينحدر فترجى له السلامة » وقال أبو على البغدادىّ : يعنى أصابع الأطباء يلمَسُونَنى ، هل وصل إلى القلب أم لا ؟ لأنه إذا اتصل بالقلب تلِف صاحبه . وإنّما أراد النابغةُ : أنه مِن موجدة النعمان عليه ، بين رجاء ويأس ، كهذا العليل الذى يخشى عليه الهلاك ، ولا يأسَ مع ذلك مِن برئه . وهذان التأويلان أشبهُ بغرض النابغة من التأويل الأول .

(وَعيدُ أبى قابوسَ فى غير كُنْهِهِ أتانى ودونى راكِسٌ فالضَوَاجِع)

---

(١) وهو الشاهد ٤٩٩ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٣٩٦ .
(٢) ط : « أشيب » ، صوابه فى ش .
(٣) الاقتضاب ٣٤٢ .

أبو قابوس . كنية النعمان بن المنذر . قال الأصمعىّ : أى جاءنى وعيده فى غير قدر الوعيد . أى لم أكن بلغتُ ما يغضب علىَّ فيه . وراكس : واد . والضَّواجع : جمع ضاجعة ، وهو منحنَى الوادى .

(فبِتُّ كأنّى ساورتنى ضَئيلةٌ من الرُّقْش فى أنيابها السّمُّ ناقعُ)

المساوَرة : المواثبة ؛ والأفعى لا تلدغ إلاّ وثباً . وضئيلة : هى الحية الدقيقة القليلة اللحم . والعرب تقول : سلّط الله عليه أفعىْ حارية . تحرى : أى ترجع من غلظ إلى دقّة ، ويقلُّ دمها ويشتدّ سمها . قال :

داهية قد صغُرت من الـكِبَرْ جاء بها الطُّوفان أيامَ زَخَرْ[1]

وقوله : ناقع : أى ثابت ، يقال : نقَع ينقَع نقوعاً : إذا ثبت . والرُّقشُ من الحيّات : المنقَّطة بسواد . وهى من شرارها ، فلذا خصّها بالذكر . وقال شارح ديوان الحطيئة فى شرح هذا البيت من شعره :

كأنى ساورَتْنى ذاتُ سمٍّ نَقيعٍ ما يلائمها رُقاها

النقيع : المنقوع المجموع ؛ وذلك : أن الحيّة تجمع سمّها من أول الشهر إلى النصف منه ؛ فإن أصابت شيئاً لفظته فيه ؛ وإن جاء النصف ولم تصبْ شيئاً تنهَشه لفظته مِنْ فيها بالأرض ، ثم استأنفت تجمع إلى رأس الشهر ؛ ثم تفعل كفعلها الأوّل فهذا دأبها الدهر كلّه اهـ . وهذا البيت من أبيات سيبويه[2] ، أورده على أن ناقعاً رفع على أنّه خبر عن السمّ ، ويجوز فى غير الشعر ناقعاً على الحالية . وقوله : فى أنيابها ، هو الخبر . وأورده المرادىّ فى شرح الألفيّة ، وكذلك ابن هشام فى المغنى[3] ، على أنّ بعضهم قال : ناقع صفة للسمّ — وهو

---

(١) الرجز لخلف الأحمر ، أو النابغة . انظر الحيوان ٤ : ١١٩ .
(٢) سيبويه ١ : ٢٦١
(٣) شرح شواهد المغنى للسيوطى ٣٠٥ . وانظر جمع الهوامع ٢ : ١١٧ والدرر اللوامع ٢ : ١٤٨

ابن الطَّرَاوة — فإنّه قال : يجوز وصفُ المعرفة بالنكرة إذا كان الوصف خاصّا لا يُوصف به إلاّ ذلك الموصوف . وهذا لا يجيزه أحد من البصريِّين إلاّ الأخفش . ولا حجّة فى هذا البيت قال ابن هشام[1] : إنّه خبر للسمّ . والظرف متعلِّق به ، أو خبرٌ ثان .

٤٣٢

(يُسَهَّدُ فى ليل التِّمَامِ سَليمُها لحلْىِ النساءِ فى يَدَيْهِ قَعاقِعُ)

ليل التِّمَام بكسر التاء : أطول ليلة فى السنة . والسليم : اللديغ . قال الزّجاجى فى أماليه الصغرى[2] : سمت العربُ الملسوعَ سليما تفاؤلاً ، كما سمَّوا المهلكة مَفازة ، من قولهم فوَّز الرجل : إذا مات ؛ كأنهما لفظتان لمعنى . وكان ينشد قول الشاعر :

كأنى من تذكُّر آل ليلىٰ إذا ما أظلَمَ الليلُ البهيم
سَليمٌ بانَ عنه أقربُوه وأسلَمه المداوى والحميمُ

ولو كان على ما ذَهَبَ إليه فى السَّليم ، لقيل لكل من به علّة صعبة : سليم ؛ مثل المبرسَم والمجنون والمفلوج ؛ بل كان يلزم أن يقال للميت : سليم اﻫ .

وفيه أن المنقول عنه أنه هو وابن الأعرابىّ قالا : إن بنى أسد تقول : إنما سمى السليم سليماً لأنه أُسلِمَ لما به . على أن العلة لا يجب اطّرادها : فتأملْ .

وقوله : لحلى النساء الخ ؛ كان الملدوغُ يُجعَل الحلى فى يديه والجلاجل حتّى لا ينام فيدِبَّ السم فيه .

---

(١) فى النسختين : « قال هشام » ، وانما هو ابن هشام فى المغنى، فى النوع الثانى من الجهة السادسة من الجهات التى يدخل منها الاعتراض على المعرب .

(٢) انظر ملحقات أمالى الزجاجى بتحقيق عبد السلام هارون ص ٢٢٠ وما فى حواشيها من تعليق على هذا النص .

(تَناذَرَها الراقُون من سُوء سَمِّها تُطلِّقه طَوراً ، وطَوراً تراجعُ)

وروى أيضاً : (تناذرَها الحاوون) وهو جمع حاوٍ ، وهو الذى يمسك الحيّات . أى أنذر بعضُهم بعضاً بأنّها لا تجيب راقياً . وروى : (من سوء سَمْعها) يعنى أنّها حيّة صمّاء[1] وقوله : تطلّقه : تخفّ عنه مرّة وتشتدّ عليه مرّة . قال المبرّد فى الكامل[2] — عندما أنشدَ هذه الأبياتَ الأربعة ، من قوله : وعيد أبى قابوس ، إلى هذا البيت — ومن التشبيه الصحيح هذه الأبيات ، وهذه صفة الخائف المهموم ؛ ومثل ذلك قول الآخر :

تَبيتُ الهمومُ الطارقاتُ يَعُدْنَنى كما تعترى الأوصابُ رأسَ المطلَّقِ[3]

والمطلَّق هو الذى ذكره النابغة فى قوله : تطلقه طوراً . . الخ . وذلك أنّ المنهوش إذا ألحّ الوجعُ به تارة وأمسك عنه تارة ، فقد قارب أن يُوءسَ من برئه[4] . وإنّما ذكر خوفه من النعمان ومايعتريه من لوعة فى إثر فترة . والخائف لا ينام إلاّ غراراً ، فلذلك شبّه بالملدوغ المسهَّد . اهـ

(أتانى أبيتَ اللعنَ أنّكَ لُمتَنى وتلكَ التى تَستَكُّ منها المسامعُ
مقالةُ أنْ قدْ قلتَ : سوفَ أنالُه وذلك مِنْ تِلقاء مثلِكَ رائعُ)

قال ابن الأنبارىّ فى شرح المفضّليات : « قوله : أبيت اللعن : أى أبيت أن تأتى من الأخلاق المذمومة ما تلعَن عليه . وكانت هذه تحيّة لَخم وجُذام ، وكانت منازلهم الحيرة وما يليها . وتحيّةُ ملوك غسان : يا خير الفتيان ، وكانت

---

(١) ورواه ابن الأعرابى : « من سوء سِمعها » بكسر السين ، والسمع الذّكر . انظر شرح الوزير أبى بكر .

(٢) الكامل ٥٠٧ .

(٣) أنشده فى اللسان (طلق)

(٤) ط : « يؤيس من برئه » ، وكلاهما صحيح . وأيس : لغة فى يئس .

منازلهم الشام . وحكى ثعلب عن الفرَّاء أن المشْيخة كانوا يُضيفونه على الغلط ، لأنه إذا أضافه خرجَ ذمًّا ، فيقول : أبيَت اللَّعنِ ، كأنَّهم شبَّهوه بالإضافة على الغلط . وقال : أراد بيت اللعن أى يا من هو بيت اللعن . والقول هو الأوَّل » اهـ . وتستك : تنسد ولا تسمع . ورائع : مفزع ومخوِّف . وقوله : مقالة أن قد قلت ، تفسير لأنك[1] رواه الأصمعى برفع مقالة على أنَّه بدل من : أنَّك لمتنى . وروُى بفتح التاء أيضاً . قال الأخفش فى كتاب المعاياة : إنه نصب ملامة[2] على : أنك لمتنى . ، فجاء به من بعد ماتم الاسم ، وهو من الصِّلة ، وهذا ردىء . اهـ . وقال ابن هشام فى المغنى : ويحكى أن ابن الأخضر[3] سئل بحضرة ابن الأبرش عن وجه النصب[4] فى قول النابغة : مقالة أن قد قلت وأنشد البيتين . فقال :

ولا تصحبِ الأردىٰ فتردَى مع الرَّدِى[5]

فقيل له : الجواب ؟ فقال ابن الأبرش : قد أجاب . يريد أنَّه لما أضيف إلى المبنيّ اكتسب منه البناء ، فهو مفتوح لا منصوب ، ومحله الرفع بدلاً

(١) ط : « للآتى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٢) هذا بناء على رواية : « ملامة أن قد قلت » . وكان أولى به أن يتقدم بالتنبيه على ذلك فى فعل فى شرحه لشواهد المغنى (مخطوطة دار الكتب ٢ نحو ش) . وقد فسر قول الأخفش : أن ملامة نصبت على أنك لمتنى ، بقوله : (يريد أن ملامة مفعول مطلق عامله لمتنى)

(٣) هو على بن عبد الرحمن بن مهدى ، ابن الأخضر الاشبيلى المتوفى سنة ٥١٤ كما فى بغية الوعاة .

(٤) قال البغدادى فى شرحه لشواهد المغنى (المخطوطة سالفة الذكر ج ٢ : ٨٢٢) : « كذا فى النسخ ، وصوابه : عن وجه الفتح » والبغدادى ألف شرح شواهد المغنى بعد تأليفه للخزانة

(٥) عجز بيت لطرفة هو ختام معلقته فى بعض الروايات . وصدره
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم

من : أنك لمتنى ؛ وقد روى بالرفع . وهذا الجواب عندى غير جيّد ؛ لعدم إبهام المضاف . ولو صحّ لصحّ البناء فى نحو : غلامك وفرسه ، ونحو هذا ، ممّا لا قائل به .

ثم قال : وإنّما هو منصوب على إسقاط الباء ، أو بإضمار أعنى ، أو على المصدرية . وفى البيت إشكالٌ ، لو سأل السائل عنه كان أولىٰ ، وهو إضافة « مقالة » إلى أنْ قد قلت ، فإنه فى التقدير مقالة قولك ، ولا يضاف الشىء إلى نفسه . وجوابه : أن الأصل مقالة فحذف التنوين للضرورة ، لا للإضافة ؛ وأنْ وصِلَتُها بدلٌ من مقالة ، أو من أنّك لمتنى ، أو خبرٌ لمحذوف . وقد يكون الشاعر إنّما قال : مقالةً ان ، بإثبات التنوين ونقل حركة الهمزة ، فأنشده الناس بتحقيقها ، فاضطُرُّوا إلى حذف التنوين اهـ .

ولا يخفى أنّ هذا كلَّه تعسفٌ ، وإنما هو من إضافة الأعمّ إلى الأخص ، لأن (مقالة) أعمُّ من (قولك) . وهى من الإضافة البيانيّة كشجرِ الأراك . أى مقالة هى هذا القول .

(أتوعِد عَبداً لم يَخُنْكَ أمانةً وتَترُكَ عبداً ظالماً وهو ضالعُ)

قال أبو عبيدة : ظالم : جائر متحامل . وضَلَعَ أى جار . وروى : (ظالع) أى مذنب ؛ أخِذ مِنْ ظلْع البعير وهو أن يَقِيَ[1] ويعرُج .

(حَمَلْتَ علىَّ ذنبَه وتركتَه كذِى العُرّ يُكوىٰ غيرهُ وهوراتعُ)

هذا البيت من شواهد أدب الكاتب لابن قتيبة[2] . قال الأصمعىّ : العَرّ بالفتح : الجرب نفسه . وأنشد :

(١) يقال وقى يقى ، أى ظلع وعرج ، وفرس واقية للتى بها ظلع . انظر اللسان (وقى ٢٨٥) . وفى النسختين : « يتقى » ، تحريف .
(٢) أدب الكاتب ٢٤٠ والاقتضاب ٣٧١

* كالعُرِّ يكمُنُ حيناً ثم يَنتشرُ *

والعُرّ بالضم : قَرْح يأخذ الإبل فى مشافرها وأطرافها شبيهٌ بالقَرَع ، وربَّما تفرّق فى مشافرها مثل القُوباء ، يسيل منه ماء أصفر .

قال ابن السِّيد (فى شرحه لأدب الـكاتب) : فى معناه خمسة أقوال :

أحدها : أن هذا أمرٌ كان يفعله جُهّال الأعراب ؛ كانوا إذا وقع العر فى إبلِ أحدِهم اعترضوا بعيراً صحيحاً من تلك الإبل فـكووا مِشْفَره وعضدَه وفخذه ، يَرَوْنَ أنهم إذا فعلوا ذلك ذهبَ العُرُّ من إبلهم . كما كانوا يعلّقون على أنفسهم كُعوبَ الأرانب خشيةَ العطَب ، ويفقئون عينَ فحل الإبل لئلاّ تصيبَها العين . وهذا قول الأصمعىّ وأبى عمرو وأكثر اللغويِّين .

ثانيها : قال يونس : سألت رؤبة بنَ العجّاج عن هذا ، فقال : هذا وقولُ الآخر :

* كالثور يُضرَب لمّا عافتِ البقرُ *

شىء كان قديماً ، ثم تركه الناس . ويدلّ عليه قول الراجز :

وكانَ شكرُ القومِ عند المِنَنِ (١)   كَىَّ الصحيحاتِ وفقءَ الأعيُن

ثالثها : قيل : إنما كانوا يكوون الصحيح لئلا يتعلّق به الداء ، لا ليبرأ السقيم ؛ حكى ذلك ابنُ دريد .

رابعها : قال أبو عبيدة : هذا [أمرٌ (٢)] لم يكن ، وإنما هو مثلٌ لا حقيقة .   ٤٣٤

(١) ط : « كان شكـر » ش : « كان شكر » والتصحيح للعـلامة الألوسى فى بلوغ الأرب ٢ : ٣٠٦ فيما نقله من الخزانة .
(٢) التكملة من الاقتضاب .

أى أخذتَ البرىء وتركتَ المذنب ، فكنتَ كمن كوى البعير الصحيحَ ، وترك السقيم ؛ لو كان هذا مما يكون . قال : ونحوٌ من هذا قولهم : « يشرب عجلانُ ويَسكر مَيسرة » . ولم يكونا شخصيْن موجوديْن .

خامسها : قيل : أصل هذا : أن الفصيل كان إذا أصابه العُرُّ لفسادٍ فى لبن أمّه عمَدوا إلى أمّه فكوَوْها ، فتبرأ : ويبرأ فصيلها ببرئها ، لأن ذلك الداء إنّما كان سرى إليه فى لبنها . وهذا أغرب الأقوال وأقربها إلى الحقيقة .

ومن روى كذى العَرّ بفتح العين ، فقد غلِط . لأن العَرّ الجرب ؛ ولم يكونوا يكوون من الجرب ، وإنما [كانوا [1]] يكوون من القروح التى تخرج فى مشافر الإبل وقوائمها خاصّة . وقوله : كذى العرّ ، حال من مفعول تركته ؛ أو تقديره : تركاً كتركك ذى العر [2] ، وجملة « يُكوىٰ غيره » تفسيريّة ، وجملة « وهو راتعٌ » حال من غير . وهذا ضربه مثلا لنفسه . يقول : أنا برىءٌ ، وغيرى سقيم ؛ فحمّلتنى ذنب السقيم ، وتركته . وقد قال الكميت :

ولا أكوى الصِّحاحَ براتعات بهن العُرُّ قبلى ما كُوِينا

قال ابن أبى الإصبع (فى التحبير [3]) أنشد ابنُ شرف القيرَوانىّ ابنَ رَشيق :

غيرى جنىٰ ، وأنا المعاقَبُ فيكم فكأنّنى سبّابة المتندِّم

وقال له : هل سمعتَ هذا المعنى ؟ فقال : سمعتُه ، وأخذتَه أنت وأفسدتَه ! فقال : ممن ؟ فقال : من النابغة الذبيانىّ حيث يقول :

---

(١) التكملة من الاقتضاب .
(٢) يعنى أنه مفعول مطلق .
(٣) يعنى تحرير التحبير . انظر التحرير ص ٥٠٩

وكلّفتنى ذنبَ امرئٍ وتركتَــه كذى العُرِّ يُـكوىٰ غيره وهوراتعُ

[فهذا المعنى الذى أخذته . و[1]] أمّا إفساده فلأنك قلت فى صدر بيتك : إنّك عُوقبت بجناية غيرك ، ولم يعاقَب صاحبُ الجناية ؛ ثم قلتَ فى عجز بيتك : إن صاحبَ الجناية قد شَرِكك فى العقوبة . فتناقض معناك : وذلك أنك شبّهت نفسك بسبّابة المتندم ؛ وسبّابةُ المتندِّم أوّلُ شىء يألمُ فى المتندِّم ثم يشرَكها المتندِّم فى الألم ؛ فإنّه متى تألّم عضوٌ من الحيوان تألّم كلّه ؛ لأنّ المدرِك من كلِّ مدركٍ حقيقتُهُ ؛ وحقيقتُهُ — على المذهب الصحيح — هى جملتُه المشاهَدةُ منه والمـكوىّ من الإبل يألم وما به عُرّ ، وصاحب العرّ لا يألم جملة . فمن ههنا أخذتَ المعنى وأفسدتَه انتهى .

وهذا تدقيق فلسفىّ لا مدخل له فى الشعر .

(وذلك أمرٌ لم أكنْ لِأقولَه ولو كُبِّلت فى ساعِدَىَّ الجوامعُ)

كُبِّلتْ : جُمعت من الـكبل وهو القيد . والجوامع : الأغلال ؛ جمع جامعة .

(أتاك بقولٍ لَهلَهِ النسج كاذباً ولم يأتِ بالحقّ الذى هو ناصعُ[2])

يقال : ثوب لَهْلَه النسج وهَلْهَل النسج : إذا كان رقيقاً ، وكذلك هلهال . ولهذا سمِّى الشاعرُ المشهور المهلهل[3] ، لأنه أوّل من أرقّ الشعر . وقيل : سمِّى ببيتٍ قاله . وناصع : بيِّنٌ واضح .

(لعَمْرى ، وما عَمرى علىَّ بهيّنٍ . . . . البيت)

(أقارعُ عَوفٍ لا أحاول غيرها[4] . . . . البيت)

---

(١) التكملة من النسخة الخطية لتحرير التحبير المحفوظة بدار الكتب برقم ٤٦٥ بلاغة .

(٢) انظر المعانى الكبير لابن قتيبة ٨٢٧

(٣) انظر ص ١٦٤ من هذا الجزء .

(٤) ط : « أقارع عوفا » صوابه فى ش والديوان

٤٣٥

تقدّم شرحُهُما .

(أتاك امرؤٌ مُستعلِنٌ لى بِغْضَةً له من عَدُوٍّ مثـلَ ذلك شافعُ)

فانْ كنتَ لاذَا الضِغْنِ عنى مُنكَّلا ولا حَلِـفى على البراءة نافع

ولا أنا مأمونٌ بشىءٍ أقولهُ وأنت بأمرٍ لا محـالةَ واقعُ

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِك رِيبةً وهل يَأْثمنْ ذو إمّةٍ وهو طائعُ)

الضِّغن بالكسر : الحقد . والإمّة ، بالكسر : الدِّين ، بالكسر ، والقصدُ والاستقامة . يقول : هل يأثم مَن كان على طريقةٍ حسنةٍ وهو طائع .

(بمصطَحَباتٍ مِن لَصَافٍ وثَبْرةٍ[1] يزُرنَ أُلالاً ، سيْرُهنّ تدافعُ)

الباء متعلِّقة بحلفت . وأراد بالمصطحَبات الإبل التى يحجّ عليها من لصاف وثبْرة . ولَصافٍ ، بفتح اللام وكسر الفاء كحذامِ ، ويجوز أن يكون كسَحابٍ ، وهو جبل فى بلاد بنى يربوع . وثَبْرة فى بلاد بنى مالك . وأُلال ، بضم الهمزة[2] ولامين : جبـل صغير عن يمين الإمام بعرفة[3] . وقوله : سيرهُنّ تدافع : أى من الإعياء : أى يتحاملن تحاملا ، من الجَهد والتعب .

(تَمَام تُبَارى الشمسَ خوصاً عيونُها لهنّ رذايا بالطريق ودائع)

قال الشارح : تَمَام بالفتح ، طير يشبه السُّمَانَى سريع الطيران ، شبّه الإبلَ بها . تبارى الشمسَ ، يعنى فى ارتفاعها . ويروى : (تُبارى الريح) أى تعارضها لسُرعتها . والخُوص ، بالخاء المعجمة : جمع خَوْصاء : أى غائرة عيونُها ذاهبة فى الرأس من الجَهد . والرذايا : المُعْيِيَات ، أرذاهنّ السفر فلم تنبعث ، فتُركت

(١) فى النسختين : « وبثره » فى متن البيت وشرحه ، والصواب ما أثبت من الديوان ومعجم ياقوت (ثبرة ، وألال)

(٢) فى ياقوت أنه بفتح الهمزة ، بوزن حمام . ثم قال : « وقد روى الال ، بوزن بلال » .

(٣) فى ياقوت : « قال ابن دريد : جبل رمل بعرفـات عليه يقوم الامام

وأُخذ عنها رحلها . وقد أرذيت الشيء :طرحته ؛ يقال جمل رَذِىّ وناقة رذيّة .
وكذلك المُعْيِيَةوالطَّليح والطِّلْح والرَّجيع . وودائع : قد استُودعت الطريقَ .

(عليهنَّ شُعْثٌ عامدون لبِرِّهمْ فهُنَّ كآرامِ الصَّريم خواضعُ)

ويروى : (فهنّ كأطراف الحَنِيّ) وهو جمع حَنِية ، وهى القوس التى حنُيت . يقول : قد ضَمَرت الإبلُ ودَقّت من السير . وخواضع : خواشع .
والآرام : جمع رِيم . والصَّريم : ما انفرد من الرمل :

(إلى خير دِينٍ نسكُه قد علمتَه وميزانه فى سُورة المجْدِ ماتِعُ)

إلى : متعلّقة بقوله : عامدون . وميزانه : سننه وشرائعه . والسُّورة ، بالضم . المنزلة . وماتع : مرتفع ؛ يقال : متَع النهار : إذا علا .

(فإنّكَ كالليلِ ، الذى هو مُدْرِكى وإنْ خِلتُ أنّالمنتأىٰعنكَ واسعُ)

المنتأىٰ على وزن مفتَعل ، من النأى وهو البُعد ؛ يقال : انتأىٰ القومُ : أى تباعدوا .

قال أبو علىّ (فى إيضاح الشعر) : يحتمل أن تكون إنْ نافية ، كأنك قلت : ما خلتُ أنّ المنتأىٰ عنك واسع ، لأنك كالليل المدركى أينما كنتُ .
ويجوز أن تكون إن للجزاء ، كأنه قال : إن خلتُ أن المنتأىٰ عنك واسع ، أدركْتَنى ولم أفتْك ، كما يدركنى الليل . والأوّل أشبه اﻫ .

وقد اعترض الأصمعىّ على النابغة فى هذا البيت فقال : تشبيه الإدراك بالليل ، يساويه إدراك النهار ؛ فلِمَ خصّه دونه ! وإنما كان سبيله أن يأتىَ بما ليس له قسيم ، حتى يأتى بمعنًى ينفرد به ! (أقول): إنما قال : كالليل ، ولم يقل:

كالصُّبح مثلا ، لأنه وصفه فى حال سُخطه ، فشبّهه بالليل وهولِه . فهى كلمة جامعة لمعانٍ كثيرة . كذا فى تهذيب الطبع[١] .

وهذا البيت من شواهد تلخيص المفتاح ، أورده شاهداً لمساواة اللفظ للمعنى .

وما أحسن قولَ ابن هانىء الأندلسىّ فى هذا المعنى :

أينَ المفَرُّ ! ولا مفَرَّ لِهاربٍ ولك البَسيطان : الثرىٰ والماء

(خطاطيفُ حُجْنٌ فى حبال متينةٍ تُمَدُّ بها أيدٍ إليكَ نوازعُ)

الخطاطيف : جمع خُطّاف ، وهى الحديدة التى تخرج بها الدّلاء وغيرها من البئر . وحُجْن : معوّجة ، جمع أحجن وحجناء . يقول : أنا فى قبضتك تقدر علىّ متى شئتَ ، لا أستطيع الهربَ منك . وهو مَثَل . ونوازع : جواذب يقال : نزعت من البئر دلواً أو دلوين . وبئر نزوع : إذا كان يُستقىٰ منها باليد

(سيُبلغ عذراً أو نجاحاً مِن امرىءٍ إلى ربّه ربُّ البريّة راكعُ)

راكع : فاعل سيبلغ ، وهو بمعنى الخاضع والذليل ، يعنى به نفسه .

(وأنتَ ربيعٌ ينعشُ الناسَ سَيبُه وسَيفٌ أُعيرتْهُ المنيَّةُ قاطع

أى أنت بمنزلة الربيع . ينعش : يرفع ويجبرُ . وسَيبه : عطاؤه . أى أنت سيب وعطاء لوليِّك ، وسيفٌ لأعدائك

(وتُسقى إذا ماشئتَ غير مصرَّدٍ بزَوْراء فى أكنافها المِسْك كارعُ

غير مصرَّد : أى غير ممنوع ولا مقطوع . يقال:صرّد علىّ الشراب : إذا

---

(١) ذكر المستشرق كرنكو انه فى نوادر اللغة ، لأبى محمد قاسم بن محمد الأصفهانى ، كما ذكر الميمنى فى الاقليد ٣٧ قال الميمنى : « والذى فى ياقوت فى ترجمة ابن طباطبا صاحب عيار الشعر أن تهذيب الطبع له ٦ : ٢٨٤ مرجليوث . وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم طباطبا » .

سقاه دون الريّ ؛ وهو التصريد . والزَوراء : إناء مستطيل من فضّة . وقال صاحب الصحاح : هو القدح . وكارع : أى أنّ المسك على شفاه ذلك الإناء

وقال الأصمعيّ : الزَوراء : دار بالحيرة ، وحدّثني من رآها وزعم أنّ أبا جعفرٍ هدَمها .

(أبىَ اللهُ : إلاّ عَدلَه ووَفاءه فلا النُّكْرُ معروفٌ ولا العُرفُ ضائعُ)

وهذا آخر القصيدة ، أى ما يريد الله إلاّ عدلَ النعمان بن المنذر ، وإلا وفاءه ، فلا يدعه أن يجورَ ولا أن يغدِر ، فلا النّكر يعرفُه النعمانُ ، ولا الجميل يضيع عنده .

تم الجزء الثانى

والحمد لله وحده

(أ)
فهرس التراجم

الصفحة

الصفحة

(ب)

فهرس الشواهد

(المفعول المطلق)

(المفعول به)

(المنادى)

(توابع المنادى)

(الترخيم)